بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الأولى(1)

توحيد الربوبية ودلالته على توحيد الأسماء والصفات والأفعال

عناصر ومفردات المحاضرة

- **المقدمة وتشتمل على منهج الدراسة في الدورة.**
- **معاني التوحيد بين وصف الغنى والكمال ووصف الافتقار إلى رب العزة والجلال.**
- **طلب الجنة والنار دليل العبودية والحاجة والافتقار.**
- **دليل الحدوث علة احتياج العالم إلى الرب سبحانه وتعالى عند المتكلمين.**
- **تفسير الأشعرية لحقيقة الجرم والعرض .**
- **بطلان تفسير الأفول بمعنى الحركة .**
- موضوع المحاضرة القادمة بإذن الله : (**معاني الربوبية وحقيقة الصفات السلبية التي قررها الأشعرية**).
- **البحث المطلوب**: اختصار موضوع المحاضر بأدلتها في ثلاث صفحات، وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- الحفظ: **التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الأولى.**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة وتشتمل على منهج الدراسة

في الدورة

1. **عنوان الدورة المختصر:** دورة منة القدير.
2. **عنوان الدورة المفصل:**

منة القدير في توحيد الربوبية ومسائل الإيمان بالقضاء والقدر والحكمة والتدبير.

3. **مدة الدراسة:** ثلاثون محاضرة بواقع محاضرة كل اسبوع.
4. **المقرر:** مذكرات تخص كل محاضرة تصور وتسلم للطلاب وترفع على الموقع مكتوبة ومسموعة ومرئية.
5. **أساليب تدريس الدورة:** المحاضرات والأبحاث مع استخدام الوسائل المساعدة في توضيح المادة وتحقيق أهدافها.
6. **وسائل تقويم المقرر:** الاختبارات الشفوية. المناقشة. إعداد البحوث.الامتحانات التحريرية.
7. **الإشراف والمتابعة:** ترفع الأبحاث على منتدى الموقع لتصحيحها، ومتابعة الاختبارات على الموقع أولا بأولا.
8. **المتطلبات السابقة:** الحصول على إجازة في دورة أصول العقيدة.

****

معاني التوحيد بين وصف الغنى والكمال ووصف الافتقار إلى رب العزة والجلال

عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية قائمة على أن **وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.**

- **الأدلة على ذلك:**

1. قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) (فاطر:15).
2. وقال: (**للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) (لقمان:26).
3. وقال: (**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَل**

فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (محمد:38).

4. وقال: (**لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ**) (آل عمران:181).

5. وقال: (**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**) (الزمر:7).

6. وقال: (**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ**) (العنكبوت:6).

7. وقال: (**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**) (القصص:24).

قال ابن القيم: (فصل في أن الله هو الغني المطلق والخلق فقراء محتاجون إليه قال الله سبحانه: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) (فاطر:15) بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيا حميدا ذاتي له، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته، لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته، لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته، لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **والفقر لي وصف ذات لازم أبدا.. كما الغنى أبدا وصف له ذاتي**.

فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلة، وكل ما يذكر ويقرر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة، لا عِلل لذلك، إذا ما بالذات لا يعلل، فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته، فما يذكر من إمكان وحدوث واحتياج فهي أدلة على الفقر لا أسباب له).

ولذلك فإن الحاجة دليل العبودية والافتقار، وعدم الحاجة دليل الغنى والكمال، والغنى المطلق لا يكون إلا لرب العزة والجلال، ففقر العبد بمعناه العام وظهور فقره من خلال الأقوال والأفعال يدل على فهمه لحقيقة الربوبية والعبودية معا، فإن استغنى عن الآخرين فإنه

يستغني عنهم افتقارا إلى الله أن يمنحه من فضله في أخراه، لا أنه يستغني عن الحاجة مطلقا فلا يطلبها من الله أو من غيره كما فعل كثيرون من الصوفية.

- **طلب الجنة والبعد عن النار دليل العبودية والحاجة والافتقار.**

جعل الله الجنة النار دارين للمؤمنين والكفار لتبقى دليلا على دوام الافتقار إما بالاختيار أو الاضطرار، ودليلا على الغنى المطلق كوصف لرب العزة والجلال، فأعد لهم ما يجعلهم على فطرة الحاجة والعبودية، وليبقى أولا آخرا غنيا كاملا منفردا بالربوبية.

ويستحيل أن يوجد مخلوق يستغني عن الحاجة والافتقار مطلقا، وقد ضل من أخرج الجنة والنار من حسابنه عن توحيد لربه في عبادته، كما ذكر بعض الصوفية أن العبد ينبغي أن يعبد الله على غير انتظار للثواب وعلى غير خوف من العقاب حتى وصلوا إلى درجة يحتقرون فيها من عبد الله انتظار لثوابه وخوفا من عقابه. وقد صنفوه من التجار الذين لا يعطون إلا لانتظار البدل، بل غالى بعضهم فوصف هذا الفريق بأنهم عبيد السوء، لا يوقرون الله عز وجل لذاته، ولكن لما يصلهم من نفع أو نعمة.

كما أدى ذلك أيضا إلى استهجان البعض منهم لعذاب النار، فصرح بعدم الخوف منها وقلل من شأنها، فقال أبو بكر الشبلى من أوائل الصوفية: (**إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها**). وقال أيضا: (**لو خطر ببالى أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعره لكنت مشركا**). اللمع ص 490.

وقد دلت نصوص القرآن والسنة على بطلان هذا الاعتقاد، ودلت على مدح عباد الله بسؤال الجنة ورجائها والاستعاذة من النار والخوف من عذابها.

قال تعالى عن زكريا ❶: (**فَاسْتَجَبْنَا لهُ وَوَهَبْنَا لهُ يَحْيَى وَأَصْلحْنَا لهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لنَا خَاشِعِينَ**) (الانبياء:90).

وقال سبحانه في بيان أوصاف المؤمنين: (**وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً**) (الفرقان:65).

وعند أبي داود وصححه الشيخ الألباني عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**قَال النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ؟ قَال: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ**

بكَ مِنْ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ) .

وعند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ⓿ قَال: (قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلى حَاجَتِكُمْ، قَال: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَال: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَال فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَال فَيَقُولُونَ: لا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ. قَال فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لوْ رَأَوْنِي؟ قَال يَقُولُونَ: لوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا. قَال يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟

قَال يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَال يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَال يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَال يَقُولُ: فَكَيْفَ لوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَال يَقُولُونَ: لوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَليْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لهَا طَلبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَال: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَال يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ. قَال يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَال يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَال يَقُولُ: فَكَيْفَ لوْ رَأَوْهَا؟ قَال يَقُولُونَ: لوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لهَا مَخَافَةً. قَال فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لهُمْ. قَال يَقُولُ مَلكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ، ليْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَال: هُمْ الْجُلسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ).

ومن ثم فإن قول أبي يزيد البسطامي: (**الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم**). وقوله الآخر: (**إن الله قد أمر العباد ونهاهم فاطاعوه فخلع عليهم خلعة فاشتغلوا بالخلع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله**). طبقات الصوفية ص 70. وأمثال هذا الكلام مخالف للفطرة العبودية كقول رابعة العدوية من نساء الصوفية: (**ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك، ولكن حبا لذاتك**) صفة الصفوة 2/ 249.

ومحصلة هذه الدعوة الباطلة خروج عن وصف الفطرة والعبودية، ووقوع في وصف الاستغناء والربوبية، وتأليه أولياء الصوفية كما نرى في مصير أقطابهم وانتشار أضرحتهم والاستغاثة بهم وتعظيمهم من دون الله .

والقصد أن **علة احتياج العالم إلى الرب سبحانه** أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي

انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

- **دليل الحدوث علة احتياج العالم إلى الرب سبحانه وتعالى عند المتكلمين.**

معلوم أن مذهب السلف هو افتقار المخلوق إلى خالقه وأن وجوده تعالى وغناه بنفسه عمن سواه أمر فطري معلوم بالضرورة، يُعلم من نظر العبد إلى ضروريات نفسه وافتقاره إلى غيره, والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى نراها في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي.

أما الأشاعرة فدليل احتياج العالم للخالق يسمى عندهم دليل الحدوث، وهو الاستدلال على ضرورة وجود الله بأن الكون حادث، وكل حادث فلابد من محدث قديم، وأخص صفات هذا القديم عندهم مخالفته للحوادث، وعدم حلولها فيه, ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس جوهرا ولا عرضا ولا جسما ولا في جهة ولا مكان... الخ.

ثم أطالوا في تقرير هذه القضية، ورتبوا عليها من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر، مثل إنكارهم لكثير من صفات الأفعال كالرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم ونفي الجوهرية والعرضية والمكان والجهة والجسمية ... إلى آخر المصطلحات البدعية التي جعلوها أصولا كلامية .

وملخص كلامهم كما قال الشهرستاني في نهاية الإقدام في علم الكلام أنهم قالوا: (**لو قامت الحوادث بذات الباري سبحانه وتعالى لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث، إذ لا بد من مغير**).

ويستدلون لكلامهم العقلي بقوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**) أي لا أحبّ عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى آخر، المحتجبين بستر، فإنّ ذلك من صفات الأجرام .

- **تفسير الأشعرية لحقيقة الجرم والعرض .**

حقيقة الجرم عند الأشعرية **هو الذي أخذ قدره من الفراغ. والفراغ**: هو الهواء المنحرف. **والهواء**: هو ما بين السماء والأرض. **حقيقة خاصية الجرم**: هو التحيز، وقبوله الأعراض، وقيامه بنفسه.

والجرم ينقسم ثلاثة أقسام: **كثيف، ولطيف، وشفاف**. وحقيقة **الجرم الكثيف**: هو الذي يمنع أن يحل غيره حيث حل ولا ينفذه البصر. مثاله: الحائط، والجبل، وما أشبه ذلك. **حقيقة الجرم اللطيف**: هو الذي يمنع أن يحل غيره حيث حل، وينفذه البصر. مثاله: كالماء، والزجاج، وما أشبه ذلك. **حقيقة الجرم الشفاف**: هو الذي لا يمنع أن يحل غيره حيث حل، وينفذه البصر. مثاله: كالهواء، والرياح، والضباب، وما أشبه ذلك.

والجرم من حيث هو ينقسم إلى قسمين: إلى جامد وغيره. **فغير الجامد** كالماء. **والجامد ينقسم إلى قسمين**: إلى نامي، وغيره. **فغير النامي** كالحجر. **والنامي ينقسم إلى قسمين**: إلى نامي بنفسه، ونامي بغيره. **النامي بنفسه** كالأشجار، والكلأ، وما أشبه ذلك. **والنامي بغيره** ينقسم إلى قسمين: إلى عاقل، وغيره. فغير العاقل كالبهائم. **والعاقل ينقسم إلى قسمين**: إلى مؤمن، وغيره. **وغير المؤمن** كالكافر. **والمؤمن ينقسم إلى قسمين**: مكلف، وغيره. **وغير المكلف** كالصبيان، وما أشبه ذلك. **والمكلف ينقسم** إلى قسمين: إلى معصوم، وغيره. **فالمعصوم** كالملائكة، والأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام.**وغير المعصوم** ينقسم إلى قسمين: إلى محفوظ، وغيره. **فالمحفوظ** كالأولياء. **وغير المحفوظ** ينقسم إلى قسمين: إلى تائب، وغيره. والتائب مغفور له في مشيئة الله.

والعرض كل ما ليس بجرم ولا يقوم بنفسه ولا زمن له .

- **بطلان تفسير الأفول بمعنى الحركة .**

واستدلال الأشعرية على دليل الحدوث بقول إبراهيم ❶ : (**لا أُحِبُّ الآَفِلِينَ**) استدلال باطل لأن الأفول هنا بمعنى الغياب وليس الحركة.

قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا قَال هَذَا رَبِّي **فَلَمَّا أَفَل** قَال لئِنْ لمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ

منَ القَوْمِ الضَّالينَ فَلمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَال هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ **فَلمَّا أَفَلتْ** قَال يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ ممَّا تُشْرِكُونَ) (الأنعام:76/77).

قال ابن تيمية: (وَدَعْوَاهُمْ أَنَّ هَذه طَرِيقَةُ إبْرَاهِيمَ الخَليل في قَوْله: (**لا أُحبُّ الآفلينَ**) كَذبٌ ظَاهرٌ عَلى إبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّ الأُفُول هُوَ التَّغَيُّبُ وَالاحْتجَابُ باتِّفَاق أَهْل اللُّغَة وَالتَّفْسير، وَهُوَ منْ الأُمُور الظَّاهرَة في اللُّغَة، وَسَوَاءٌ أُريدَ بالأُفُول ذَهَابُ ضَوْء القَمَر وَالكَوَاكب بطُلُوع الشَّمْس، أَوْ أُريدَ به سُقُوطُهُ منْ جَانب المَغْرب؛ فَإِنَّهُ إذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ يُقَالُ: إنَّهَا غَابَتْ الكَوَاكبُ وَاحْتَجَبَتْ، وَإِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً في السَّمَاء، وَلكنْ طَمَسَ ضَوْءُ الشَّمْس نُورَهَا. وَهَذَا ممَّا يَنْحَلُّ به الإشْكَالُ الوَاردُ عَلى الآيَة في طُلُوع الشَّمْس بَعْدَ أُفُول القَمَر، وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْه السَّلامُ لمْ يَقُل: (**لا أُحبُّ الآفلين**) لمَّا رَأَى الكَوْكَبَ يَتَحَرَّكُ؛ وَالقَمَرَ وَالشَّمْسَ بَل إنَّمَا قَال ذَلكَ حينَ غَابَ وَاحْتَجَبَ. **فَإنْ كَانَ إبْرَاهِيمُ قَصَدَ بقَوْله الاحْتجَاجَ بالأُفُول عَلى نَفْي كَوْن الآفل رَبَّ العَالمينَ كَمَا ادَّعَوْهُ كَانَتْ قصَّةُ إبْرَاهِيمَ حُجَّةً عَلَيْهمْ؛ فَإِنَّهُ لمْ يَجْعَل بُزُوغَهُ وَحَرَكَتَهُ في السَّمَاء إلى حين المَغيب دَليلا عَلى نَفْي ذَلكَ؛ بَل إنَّمَا جَعَل الدَّليل مَغيبَهُ**. فَإنْ كَانَ مَا ادَّعَوْهُ منْ مَقْصُوده منْ الاسْتدْلال صَحيحًا فَإِنَّهُ حُجَّةٌ عَلى نَقيض مَطْلُوبهمْ وَعَلى بُطْلان كَوْن الحَرَكَة دَليل الحُدُوث. لكنَّ الحَقَّ أَنَّ إبْرَاهِيمَ لمْ يَقْصدْ هَذَا وَلا كَانَ قَوْلُهُ: (هَذَا رَبِّي) أَنَّهُ رَبُّ العَالمينَ وَلا اعْتَقَدَ أَحَدٌ منْ بَني آدَمَ أَنَّ كَوْكَبًا منْ الكَوَاكب خَلقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ وَكَذَلكَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَلا كَانَ المُشْركُونَ قَوْمُ إبْرَاهِيمَ يَعْتَقدُونَ ذَلكَ؛ بَل كَانُوا مُشْركينَ بالله يَعْبُدُونَ الكَوَاكبَ وَيَدْعُونَهَا وَيَبْنُونَ لهَا الهَيَاكل وَيَعْبُدُونَ فيهَا أَصْنَامَهُمْ.. وَجُمْهُورُ المُشْركينَ كَانُوا مُقرِّينَ برَبِّ العَالمينَ وَالمُنْكرُ لهُ قَليلٌ مثْل فرْعَوْنَ وَنَحْوه. وَقَوْمُ إبْرَاهِيمَ كَانُوا مُقرِّينَ بالصَّانع وَلهَذَا قَال لهُمْ إبْرَاهِيمُ الخَليلُ: (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلا رَبَّ العَالمينَ**). فَعَادَى كُل مَا يَعْبُدُونَهُ إلا رَبَّ العَالمينَ وَقَال تَعَالى: (**قَدْ كَانَتْ لكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْرَاهِيمَ وَالذينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لقَوْمهمْ إنَّا بُرَآءُ منْكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ منْ دُون الله كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمنُوا بالله وَحْدَهُ إلا قَوْل إبْرَاهِيمَ لأَبيه لأَسْتَغْفرَنَّ لكَ وَمَا أَمْلكُ لكَ منَ الله منْ شَيْءٍ**).

وَقَال الخَليلُ عَلَيْه السَّلامُ: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحتُونَ وَاللهُ خَلقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ). وَقَال تَعَالى في

سُورَةِ الأَنْعَامِ: (فَلمَّا أَفَلتْ قَال يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ للـذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَال أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُل شَيْءٍ عِلمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لمْ يُنَزِّل بِهِ عَليْكُمْ سُلطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلمُونَ الذِينَ آمَنُوا وَلمْ يَلبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلمٍ أُولئِكَ لهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ **وَتِلكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلى قَوْمِهِ** نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ).

وَلمَّا فَسَّرَ هَؤُلاءِ الأُفُول بِالحَرَكَةِ، وَفَتَحُوا بَابَ تَحْرِيفِ الكَلمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ دَخَلتْ المَلاحِدَةُ مِنْ هَذَا البَابِ فَفَسَّرَ ابْنُ سِينَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ المَلاحِدَةِ الأُفُول بِالإِمْكَانِ الذِي ادَّعَوْهُ حَيْثُ قَالُوا: إنَّ الأَفْلاكَ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلكَ مُمْكِنَةٌ، وَكَذَلكَ مَا فِيهَا مِنْ الكَوَاكِبِ وَالنَّيِّرِينَ. قَالُوا: فَقَوْلُ إبْرَاهِيمَ (**لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**) أَيْ لا أُحِبُّ المُمْكِنَ المَعْلُول، وَإِنْ كَانَ قَدِيمًا أَزَليًّا. وَأَيْنَ فِي لفْظِ الأُفُول مَا يَدُلُّ عَلى هَذَا المَعْنَى؟ وَلكِنَّ هَذَا شَأْنُ المُحَرِّفِينَ للكَلمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ).

ودليل الحدوث دليل من ضمن الكثير من الأدلة العقلية التي ورد ذكرها في القرآن للاستدلال على غنى الخالق وفقر جميع الخلائق إليه وحده دون سواه، والله عز وجل يذكره لإلزام العقلاء بتوحيد العبادة، وليس فقط لإثبات الربوبية ووجود الخالق:

قال تعالى: (قُل مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل اللهُ قُل أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُل هَل يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَل تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلقُوا كَخَلقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلقُ عَليْهِمْ قُل اللهُ خَالقُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ) (الرعد:16).

وقال تعالى: (قُل أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَل إِنْ يَعِدُ الظَّالمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلا غُرُوراً) (فاطر:40).

وقال: (قُل أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْل هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الأحقاف:4).

وقال سبحانه: (أَمْ خُلقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالقُونَ أَمْ خَلقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ) (الطور:35/36).

وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَليْكُمْ هَل مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (فاطر:3).

وقال: (ذَلكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلا هُوَ خَالقُ كُل شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُـــل شَـــيْءٍ وَكِيلٌ) (الأنعام:102).

وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَليْكُمْ هَل مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (فاطر:3).

وقال: (ذَلكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالقُ كُل شَيْءٍ لا إِلهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (غافر:62).

انتهت المحاضرة الأولى ولله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثانية (2)

عنوان المحاضرة

(دليل الإمكان وبيان الفقر الاضطراري والفقر الاختياري)

عناصر ومفردات المحاضرة

- **ملخص لما سبق من العناصر.**
- **أقسام الحكم العقلي عند الفلاسفة هي الواجب والمستحيل والجائز .**
- **الواجب في اصطلاح الفلاسفة عدم قبول الانتفاء في العقل كوجود الخالق .**
- **المستحيل في اصطلاح الفلاسفة انتفاء قبول الثبوت في العقل كانتفاء وجود الخالق .**
- **الجائز قبول الثبوت والانتفاء في العقل كوجود المخلوق .**
- **الفقر الاضطراري فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه .**
- **الفقر اختياري فقر خاص ناتج عن معرفة العبد بربه ومعرفته بنفسه .**
- **حقيقة الطاغوت تجاوز الحد في الخروج من الفقر الذاتي إلى الغنى الذاتي باستعلاء هوى النفس في الإنسان والاستكبار والظلم والطغيان .**
- **كمال توحيد الربوبية لله يظهر بكمال توحيد العبودية لله .**
- **توحيد الإلوهية عند الخلف هو توحيد الربوبية عند السلف .**
- **دليل التمانع لو كان للعالم ربان مدبران فإنهما يتمانعان ويتعارضان .**

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضر بأدلتها في ثلاث صفحات، وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثانية.

ملخص لما سبق من العناصر

1- **الفقر لي وصف ذات لازم أبدا..كما الغنى أبدا وصف له ذاتي.**

2- **عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية مبنية على أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.**

3- **الدعاء والسؤال وطلب الجنة والخوف من النار دليل العبودية والحاجة والافتقار وليس منافيا لتوحيد رب العزة والجلال كما زعم بعض الصوفية.**

4- **دليل حدوث العالم عند المتكلمين: لو قامت الحوادث بذات الباري ⊗ لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث، إذ لا بد من مغير.**

5- **دليل نفي الأفول عن الإله دليل على توحيد العبادة لله وبيان الفقر الذاتي لكل من سواه، وليس المراد منه نفي الحركة والانتقال، وتأويل صفات الذات والأفعال.**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

علمنا أن علة احتياج العالم إلى وجود الرب سبحانه أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

وأن احتياج العالم إلى وجود الرب سبحانه عن المتكلمين الأشاعرة دليل الحدوث، وهو الاستدلال على ضرورة وجود الله وعدم الاستغناء عنه بأن الكون حادث، وكل حادث لابد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم عندهم مخالفته للحوادث، وعدم حلول الحوادث فيه. فلو قامت الحوادث بذات الباري ⊗ لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث، إذ لا بد من مغير، وقد قال إبراهيم ❶: (لا أحب الآفلين) أي المتغيرين. وهذا هو المسمى عندهم دليل الأفول ونفي الحركة والانتقال عن الإله وهو دليل باطل لأن الآية دليل على توحيد العبادة لله وبيان الفقر الذاتي لكل من سواه، وليس المراد منه أن كل متحرك محدث.

- **دليل الإمكان علة احتياج العالم إلى الرب سبحانه وتعالى عند الفلاسفة.**

زعم الفلاسفة أن علة احتياج العالم إلى وجود الرب هو دليل الإمكان، ويعتمد عندهم على تقسيم المعقول إلى واجب وممكن وممتنع. وهي **أقسام الحكم العقلي** عندهم والتي تنحصر في ثلاثة أقسام:

الأول الوجوب: وهو في اللغة الحضور والثبوت والسقوط والاستقرار، ومنه قوله تعالى: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الحج:36) وفي الاصطلاح عدم قبول الانتفاء في العقل كوجود الخالق.

الثاني الاستحالة: في اللغة الامتناع، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) (الأعراف:40).وفي الاصطلاح انتفاء قبول الثبوت في العقل كانتفاء وجود الخالق

الثالث الجواز: في اللغة المرور والعبور، ومنه قوله تعالى: (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ) (البقرة:249) (فَلمَّا جَاوَزَا قَال لفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لقَدْ لقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً) (الكهف:62)، وفي الاصطلاح قبول الثبوت والانتفاء في العقل كوجود المخلوق.

ولما كان العالم في المعقول ممكنا فإنه لا بد من واجب مرجح للإمكان يرجح وجود العالم أو عدمه، فلابد إذا من واجب الوجود.

مثال لدليل الإمكان عند الفلاسفة: إذا اتفق صديقان على إمضاء وثيقة واشترط كل واحد منهما لإمضائها، إمضاءَ الآخر، فتكون النتيجة توقف إمضاء كل على إمضاء الآخر وعند ذلك لن تكون تلك الورقة ممضاة إلى يوم القيامة.

مثالا آخر: لو أراد رجلان التعاون على حمل متاع، غيرَ أن كلا يشترط في إقدامه على حمله إقدام الآخر. فلن يحمل المتاع إلى مكانه أبدا.

ثم يستدلون على كلامهم العقلي بنصوص من القرآن كقوله تعالى: (أَوَلمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلقَهُ قَال مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ **قُل يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا أَوَّل مَرَّةٍ** وَهُوَ بِكُل خَلقٍ عَلِيمٌ الذِي جَعَل لكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ **أَوَليْسَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلهُمْ بَلى وَهُوَ الخَلاقُ العَلِيمُ** إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الذِي بِيَدِهِ مَلكُوتُ كُل شَيْءٍ وَإِليْهِ تُرْجَعُونَ) (يس:77/83).

وقوله: (بَل عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَال الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ **قَدْ عَلمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ** وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) (قّ:4).

وقوله تعالى: (اللهُ يَعْلمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى **وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ** وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) (الرعد:8/10).

وقوله تعالى: (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الذِي **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى** بَلى إِنَّهُ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأحقاف:33).

ومن غلاة المتصوفة من يرى دليل الإمكان الخواص ودليل الحدوث للأواسط، ودليل الغياب للعوام، قال إبراهيم أبي بكر البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (**قال لا أحب الآفلين** لأن الأفول حركة، والحركة تدل على حدوث المتحرك وإمكانه.. فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان، والممكن لا بد له من موجد واجب الوجود يكون منتهى الآمال ومحط الرحال (وأن إلى ربك المنتهى) (النجم:42) والأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة، فلا بد من الاستناد إلى قديم، والعوام يفهمون أن الغارب كالمعزول لزوال نوره وسلطانه، وأن ما كان كذلك لا يصلح للإلهية).

- **الفقر الاضطراري فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه.**

قال ابن القيم: (ولهذا كان الصواب في مسألة علة احتياج العالم إلى الرب سبحانه غير القولين اللذين يذكرهما الفلاسفة والمتكلمون؛ فإن الفلاسفة قالوا: علة الحاجة الإمكان. والمتكلمون قالوا: علة الحاجة الحدوث. **والصواب أن الإمكان والحدوث متلازمان، وكلاهما دليل الحاجة والافتقار**، وفقر العالم إلى الله سبحانه أمر ذاتي لا يعلل، فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته، ثم يُستدل بإمكانه وحدوثه وغير ذلك من الأدلة على هذا الفقر.

والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواهم بأها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي، فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدا، والرب إلا ربا، إذا عرف هذا فالفقر فقران:

1- فقر اضطراري: وهو فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه، وهذا الفقر لا يقتضي مدحا ولا ذما ولا ثوابا ولا عقابا، بل هو بمترلة كون المخلوق مخلوقا ومصنوعا.

- **الفقر اختياري فقر خاص ناتج عن معرفة العبد بربه ومعرفته بنفسه.**

2 – فقر اختياري: هو نتيجة علمين شريفين أحدهما معرفة العبد بربه، والثاني معرفته

بنفسه فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرا هو عين غناه، وعنوان فلاحه وسعادته.

وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام.

ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل، فالله سبحانه أخرج العبد من بطن أمه لا يعلم شيئا ولا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ولا يقدر على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة، فكان فقره في تلك الحال إلى ما به كماله أمرا مشهودا محسوسا لكل أحد).

أما من استغنى بماله أو جاهه أو ملكه وعصى الله ونازعه في أمره فإنه خرج عن حده من كونه عبدا فقيرا ومن شأنه الخضوع والافتقار إلى أن فطغى وبغى واغتر بعدم الحاجة والاضطرار، فأوقعه غرور الهوى في أن يرى نفسه مستغنيا عن غيره لا يفتقر إلى أحد في قيام وصفه وتحقيق مراده.

قال تعالى: (**كَلا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى**) (العلق:6)، ثم بين أن طغيانه كان بسبب رؤيته لنفسه مستغنيا عن غيره فقال: (**أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**) (العلق:7) ثم أعاد الله الأمر إليه سبحانه في كون الغني والاستغناء عن الغير إنما هو في حقيقته مقصور على الرب الأعلى فقال: (**إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعَى**) (**العلق:8**).

- **حقيقة الطاغوت تجاوز الحد في الخروج من الفقر الذاتي.**

حقيقة الطاغوت تجاوز الحد في الخروج من الفقر الذاتي إلى الغنى الذاتي باستعلاء هوى النفس في الإنسان والاستكبار والظلم والطغيان، وهو ما يعبد من دون الله، قال تعالى: (وَإِذْ قُلنَا للمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ منَ الكَافرِينَ) (البقرة: 34)، وقال: (قَال فَاهْبِطْ منْهَا فَمَا يَكُونُ لكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ منَ الصَّاغرِينَ) (الأعراف:13).

وقال عن فرعون: (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ في الأَرْضِ بغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِليْنَا لا يُرْجَعُونَ) (العنكبوت:39)، وقال تعالى: (اذْهَبَا إِلى **فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** فَقُولا لهُ قَوْلا ليِّنًا لعَلهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَليْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَال لا تَخَافَا إِنَّني مَعَكُمَا

أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه:46) .

وقال: (هَل أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ **إِنَّهُ طَغَى** فَقُل هَل لكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْـرَى فَكَـذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَال أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَال الآَخِرَةِ وَالأُولى إِنَّ فِي ذَلكَ لعِبْرَةً لمَنْ يَخْشَى) .

وقال عن استعلاء هوى النفس في الإنسان ومنازعته لربه في وصـف المشـيئة بـالعلو والطغيان: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لمَنْ يَرَى **فَأَمَّا مَنْ طَغَى** وَآَثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى) النازعات

وقال تعالى عن الكفار واستغنائهم على الحق: (عَبَسَ وَتَوَلى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَـى وَمَـا يُدْرِيكَ لعَلهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى **أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى** فَأَنْتَ لهُ تَصَدَّى وَمَا عَليْـكَ أَلا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلهَّى كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ).

وقال سبحانه لنبيه ﷺ: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ **وَلا تَطْغَوْا** إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (هود:1121).

وقد سمي الطاغوت طاغوتا لتجاوز الحد في كونه عبدا فقيرا زعم لنفسه أو زعم لـه غيره أنه علا في الكمال واستغنى عن الطلب والسؤال، كما قال رب العـزة والجلال: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ** فَقَدِ اسْتَمْسَـكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَليمٌ) (البقرة:257)

وقال تعالى: (وَلقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ **اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَليْهِ الضَّلالةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَـةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل:36).

وقال تعالى: (وَالذِينَ **اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ** أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلى اللهِ لهُمُ البُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) (الزمر:17).

- **كمال توحيد الربوبية لله يظهر بكمال توحيد العبودية لله.**

إذا كانت معاني العبودية تقوم على الذل والافتقار والحاجة والاضطرار، فإن معاني الربوبية تقوم على الاستغناء بالنفس في كل اسم أو صف بحيث يكون كاملا، فكمال الأسماء والصفات والأفعال الذي يغني صاحبه عن كل معاني الحاجة والاضطرار والذل والافتقار، وهذا الوصف ليس لأحد على الإطلاق إلا لرب العزة والجلال.وكان توحيد العبودية لله هو إفراده بالطاعة والمحبة والتسليم والافتقار بالخضوع والتعظيم.

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِليْهِ أَنَّهُ **لا إِلهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُون وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلدًا** سُبْحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْل وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُل مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلكَ نَجْزِي الظَّالمِينَ) (الأنبياء:26/29).

قال تعالى: (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلدًا** لقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلدًا وَمَا يَنْبَغِي للرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**) (مريم:93).

والسبب في أن اتخاذا الولد شرك بالله يستوجب غضبه، أن الولد يستغني بأبيه، ودعوى استغنائه تستوجب توجه الفقير الذاتي بطلب الحاجة إلى الغني الذاتي، وحقيقة الأمر أن عيسى ليس غنيا بذاته، بل فقير بذاته يأكل الطعام كما قال تعالى: (مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلتْ مِنْ قَبْلهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المائدة:75) .

وكذلك قوله: (لنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِليْهِ جَمِيعاً) (النساء:172) .

فحقيقة الأمر أن عيسى ❶ ليس غنيا بذاته، وإنما الله وحده هو الغني بذاته، وما سواه فقير إليه فقرا ذاتيا، ومن ثم فإنهم إذا التجئوا إلى غير الله ظنا منهم أنه موصوف بالغني ضيعوا أنفسهم وضيعوا من جميع الفقراء بذواتهم حين اتبعوهم في طلبوا المدد منهم، وفسد الكون بشركهم لأنهم ركنوا إلى عاجز فقير بذاته لن ينصرهم أو يعطيهم شيئا، فلم يخلقوا ذابا ولو

اجتمعوا له.

ولو كان من ركنوا إليه غنيا على الحقيقة وموجودا بالفعل، لما منعهم الله من عبادته أو رجوع الفقير بذاته إليه في طلب حاجته، كما قال تعالى: (**قُل إِنْ كَانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ**) (الزخرف:81).

لكنهم في الحقيقة أضعف من الذباب فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لهُ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلوِ اجْتَمَعُوا لهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالبُ وَالمَطْلُوبُ **مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ** إِنَّ اللهَ لقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: 74).

فركنوا إلى فقراء بذواهم من أمثالهم، وبالرغم من ذلك كان قيامهم الفعلي بإقامة الله لهم، وقيام حوائجهم وبقائهم متنعمين بفضل رب العالمين الرحمن الرحيم، وهذا عين الظلم العظيم الذي وعظ لقمان ولده أن ألا يقع فيه (**وَإِذْ قَال لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لظُلمٌ عَظِيمٌ**) (لقمان:13). فالله سبحانه يخلق ويعبدون غيره، ويرزق ويشكر سواه.

قال تعالى: (**إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلئِنْ زَالتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ** إِنَّهُ كَانَ حَليماً غَفُوراً) (فاطر:41) وقال في أول السورة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَليْكُمْ **هَل مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** لا إِلهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (فاطر:3).

وعند البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ إِذَا تَهَجَّدَ مِنْ الليْل قَال اللهُمَّ رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ **أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** وَلكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الحَقُّ وَقَوْلُكَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ وَلقَاؤُكَ الحَقُّ وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللهُمَّ لكَ أَسْلمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَليْكَ تَوَكَّلتُ وَإِليْكَ خَاصَمْتُ وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلمُ بِهِ مِنِّي **لا إِلهَ إِلا أَنْتَ**).

وقال تعالى: (**إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَليَسْتَجِيبُوا لكُمْ**

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الأعراف:194).

وقال: (**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الذينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلكُونَ لكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) (العنكبوت:17/22).

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَل مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلمَّا نَجَّاكُمْ إِلى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا) (الإسراء/66/68).

والمعنى إذا مسكم الضر في البحر الخوف الشديد كخوف الغرق والإنسان في تلك الحالة لا يتضرع إلى الصنم والشمس والقمر والملك والفلك وإنما يتضرع إلى الله تعالى، فلما نجاكم من الغرق والبحر وأخرجكم إلى البر أعرضتم عن الإخلاص وتمسكتم بغيره.

- **توحيد الإلوهية عن الخلف هو توحيد الربوبية عند السلف.**

ولما كان كمال توحيد العبودية قائما على الإقرار بوصف الافتقار والاحتياج إلى الله في قيام الذات والأقوال والأفعال، كان كمال توحيد الربوبية قائما على الإقرار بوصف الغنى والكمال في توحيد الأسماء والصفات والأفعال، واعتقاد أن أفعال الله صادرة عن كماله، وكماله قائم على كمال أسمائه وصفاته، بعكس أوصاف العباد، فهي أوصاف نقص عند ولادهم، وهم في اضطرار وافتقار منذ نشأهم، ومن ثم فإن فقر الخلائق فقرا ذاتي، شاء من شاء وأبى من أبى.

ولا يصح القول بأن معنى الألوهية مقصور على الخالقية، كما هو حال الخلف المعروفين بأهل النظر والكلام الذين اتبعوا فلاسفة اليونان حيث جعلوا الإله بمعنى الخالق أو القادر على الاختراع، وجعلوا غاية التوحيد عندهم إثبات أن وجود الصانع وأنه واحد، وأن الواحد الحقيقي هو الشيء الذي لا ينقسم.

وقد ذكر الله ⊗ أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وكانوا يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم وأنه المنفرد بتدبير أمرهم كما قال تعالى في شأهم: (**وَلئِنْ سَأَلتَهُمْ مَنْ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ** لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون) (العنكبوت:61)، لكنهم أشركوا بالله في كونهم عادوا بفقرهم ودعائهم قضاء حوائجهم إلى أوليائهم وإلى

ربهم معا، فاتخذوا أولياءهم أندادا كما قال تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ** وَالذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ وَلوْ يَرَى الذِينَ ظَلمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ) (البقرة:165).

ولما عذبوا في جهنم: ❾ قالوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالمِينَ ❼ (الشعراء:96/98)، فسووا بين الله وبين آلهتهم في المحبة والتعظيم، وخضعوا للموتى في أضرحتهم كخضوعهم للعلي العظيم.

كما يفعل كثير من عوام المسلمين الآن الذين بعظمون الله ويعظمون الموتى كتعظيم الله كما قال قائلهم:

يا ابن الرفاعي ما زالت ضمائرنا تطوى على حبك الغالي فترتاح
مهما دعوناك في ضيق تجيب ولو ضاقت بنا كرة الدنيا فتتراح
إن الولاية مشكاة وأنت لها طول المدى يا أبا العباس مصباح

وقوله:

وقفت بالذل في أبواب عزمكموا: مستشفعا من ذنوبي عندكم بكم
أعفر الخد ذلا في التراب عسى: أن ترحموني وترضوني عبيدكم
فإن رضيتم فيا عزى ويا شرفي: وإن أبيتم فمن أرجوه غيركم

أو كقول القائل:

شيخي الرفاعي له بين الورى همم: نصالها ماضيات تشبه القدر
دخلت في ظلها أبتغى التفيؤ من: رمضاء دهري فجاء الدهر معتذر

والمعنى المقصود في هذين البيتين أن الشيخ الرفاعي قوته في العالم تشبه قوة الله في جريان المقادير، وأنه لما استغاث به جاء الدهر الذي يقلبه رب الدهر معتذرا إليه، فقوة الرفاعي في اعتقاده أشد من قوة الله وقدرته في جريان المقادير، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

قال تعالى: (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**) (يوسف:106)

لكن القلوب مفطورة على الإقرار بالخالق الغني بذاته أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات.

وهذا فرعون الذي تظاهر بإنكار الصانع وتجاهله كان مستيقنا بالله كما ورد في قـــــول موسى : **لقَدْ عَلمْتَ مَا أَنزلَ هَؤُلاء إلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّـــي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا** (الإسراء:10).

وقال تعالى عن فرعون وقومه: **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** (النمل:14).

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن هؤلاء المتكلمين المتأخرين الذين خلطوا الفلسفة بالكلام كثر اضطرابهم وازدادت شكوكهم وحيرتهم بحسب ما ازدادوا بـــه مـــن ظلمـــة هـــؤلاء المتفلسفة.. وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الإلهية وإثبـــات حقـــائق أسمـــاء الله وصفاته، و لم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شـــيء وربه، وهذا التوحيد كان يقر به المشركون، وهم مع هذا يعبدون غيره، وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبيـــة، وأن يعبـــد الله وحـــده لا يشركون به شيئا فيكون الدين كله لله، ولا يخاف إلا الله ولا يـــدعى إلا الله، ويكـــون الله أحب إلى العبد من كل شيء فيحبون لله ويبغضون لله، ويعبدون الله، ويتوكلون عليه. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية 3/288

- **احتجاج الأشعرية على إثبات توحيد الربوبية بدليل التمانع.**

الأشاعرة يثبتون **توحيد الربوبية بدليل التمانع** وخلاصته أنه لو كان للعـــالم مـــدبران وربان فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فـــإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعـــدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذاً يتعين أن الإله هو الـــذي يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مدافع، وهو دليل عقلي محض من إنشائهم.

ويحتجون له بقوله تعالى: (**لوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا اللهُ لفَسَدَتَا**) مع أن معنى الإله في الآية هو المعبود بحق دون شرك. وأقرب النصوص لدليل التمانع هو قول الله تعالى: (**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلقَ وَلعَلا بَعْضُـــهُمْ عَلـــى بَعْـــضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) (المؤمنون:91)

قال ابن أبي العز: "وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ إِثْبَاتُهُ بِدَلِيلِ التَّمَانُعِ، وَهُوَ أَنَّهُ لوْ كَانَ للعَالم صَانِعَانِ فَعِنْدَ اخْتِلافهِمَا مِثْلِ أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَآخَرُ تَسْكِينَهُ، أَوْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَهُ وَالآخَرُ إِمَاتَتَهُ: فَإِمَّا أَنْ يَحْصُلَ مُرَادُهُمَا، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، أَوْ لا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَالأَوَّلُ مُمْتَنِعٌ؛ لأَنَّهُ يَسْتَلزِمُ الجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، وَالثَّالِثُ مُمْتَنِعٌ؛ لأَنَّهُ يَلزَمُ خُلُوُّ الجِسْمِ عَنِ الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ، وَيَسْتَلزِمُ أَيْضًا عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالعَاجِزُ لا يَكُونُ إِلهًا، وَإِذَا حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ، كَانَ هَذَا هُوَ الإِلهَ القَادِرَ، وَالآخَرُ عَاجِزًا لا يَصْلُحُ للإِلهِيَّةِ".

ثم يقول: " وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّ دَلِيلَ التَّمَانُعِ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالى: (**لوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلا اللهُ لفَسَدَتَا**)؛ لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ الذِي قَرَّرُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الإِلهِيَّةِ الذِي بَيَّنَهُ القُرْآنُ، وَدَعَتْ إِليْهِ الرُّسُلُ عَليْهِمُ السَّلامُ، وَليْسَ الأَمْرُ كَذَلكَ، بَل التَّوْحِيدُ الذِي دَعَتْ إِليْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلتْ بِهِ الكُتُبُ، هُوَ تَوْحِيدُ الإِلهِيَّةِ المُتَضَمِّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، فَإِنَّ المُشْرِكِينَ مِنَ العَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ خَالقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاحِدٌ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: (**وَلئِنْ سَأَلتَهُمْ مَنْ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ليَقُولُنَّ اللهُ**). (قُل لمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلمُونَ) (سَيَقُولُونَ للهِ قُل أَفَلا تَذَكَّرُونَ"

ونحن لو لنظرنا ودققنا في الآية التي يحتجون بها على دليل التمانع لوجدناها تتحدث عن توحيد العبادة لله قال تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا آلهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلا اللهُ لفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلهَةً قُل هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلي بَل أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ وَمَا أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِليْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلدًا سُبْحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ **لوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلا اللهُ لفَسَدَتَا** فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء:22/26).

انتهت المحاضرة ولله الحمد.

ملخص لما سبق من العناصر

- أقسام الحكم العقلي عند الفلاسفة هي الواجب والمستحيل والجائز .
- الواجب في اصطلاح الفلاسفة عدم قبول الانتفاء في العقل كوجود الخالق .
- المستحيل في اصطلاح الفلاسفة انتفاء قبول الثبوت في العقل كانتفاء وجود الخالق .
- الجائز قبول الثبوت والانتفاء في العقل كوجود المخلوق .
- الفقر الاضطراري فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه .
- الفقر اختياري فقر خاص ناتج عن معرفة العبد بربه ومعرفته بنفسه .
- حقيقة الطاغوت تجاوز الحد في الخروج من الفقر الذاتي إلى الغنى الذاتي باستعلاء هوى النفس في الإنسان والاستكبار والظلم والطغيان .
- كمال توحيد الربوبية لله يظهر بكمال توحيد العبودية لله .
- توحيد الإلوهية عند الخلف هو توحيد الربوبية عند السلف .
- دليل التمانع لو كان للعالم مدبران وربان فإنهما يتمانعان ويتعارضان .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثالثة (3)

عنوان المحاضرة

(معاني الربوبية وحقيقة الصفات السلبية التي قررها الأشعرية)

عناصر ومفردات المحاضرة

- **ملخص لما سبق من العناصر.**
- **دليل التمانع لو كان للعالم مدبران وربان فإنهما يتمانعان ويتعارضان .**
- **الصفات السلبية عند الأشعرية وإثبات معاني الربوبية.**
- **من الصفات السلبية عند الأشعرية الوحدانية ومخالفة الحوادث.**
- **من الصفات السلبية عند الأشعرية قيامه تعالى بنفسه .**
- **من الصفات السلبية عند الأشعرية القدم والبقاء.**

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضر بأدلتها في ثلاث صفحات، وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثانية.

ملخص لما سبق من العناصر

1- الفقر لي وصف ذات لازم أبدا..كما الغنى أبدا وصف له ذاتي.

2- عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية مبنية على أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

3- الدعاء والسؤال وطلب الجنة والخوف من النار دليل العبودية والحاجة والافتقار وليس منافيا لتوحيد رب العزة والجلال كما زعم بعض الصوفية.

4- دليل حدوث العالم عند المتكلمين: لو قامت الحوادث بذات الباري ⊗ لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث، إذ لا بد من مغير.

5- دليل نفي الأفول عن الإله دليل على توحيد العبادة لله وبيان الفقر الذاتي لكل من سواه، وليس المراد منه نفي الحركة والانتقال، وتأويل صفات الذات والأفعال.

6- أقسام الحكم العقلي عند الفلاسفة هي الواجب والمستحيل والجائز .

7- الواجب في اصطلاح الفلاسفة عدم قبول الانتفاء في العقل كوجود الخالق .

8- المستحيل عند الفلاسفة انتفاء قبول الثبوت في العقل كانتفاء وجود الخالق .

9- الجائز قبول الثبوت والانتفاء في العقل كوجود المخلوق .

10- الفقر الاضطراري فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه .

11- الفقر اختياري فقر خاص ناتج عن معرفة العبد بربه ومعرفته بنفسه .

12- حقيقة الطاغوت تجاوز الحد في الخروج من الفقر الذاتي إلى الغنى الذاتي باستعلاء هوى النفس في الإنسان والاستكبار والظلم والطغيان .

13- كمال توحيد الربوبية لله يظهر بكمال توحيد العبودية لله .

14- توحيد الإلوهية عند الخلف هو توحيد الربوبية عند السلف .

15- دليل التمانع لو كان للعالم مدبران وربان فإنهما يتمانعان ويتعارضان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

- **احتجاج الأشعرية على إثبات توحيد الربوبية بدليل التمانع.**

الأشاعرة يثبتون **توحيد الربوبية بدليل التمانع** وخلاصته أنه لو كان للعالم مدبران وربان فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن، فإذًا يتعين أن الإله هو الذي يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مدافع، وهو دليل عقلي محض من إنشائهم.

ويحتجون له بقوله تعالى: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا**) مع أن معنى الإله في الآية هو المعبود بحق دون شرك. وأقرب النصوص لدليل التمانع هو قول الله تعالى: (**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) (المؤمنون:91) .

قال ابن أبي العز: "وَالمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ إِثْبَاتُهُ بِدَلِيلِ التَّمَانُعِ، وَهُوَ أَنَّهُ لوْ كَانَ للعَالِمِ صَانِعَانِ فَعِنْدَ اخْتِلافِهِمَا مِثْلِ أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَآخَرُ تَسْكِينَهُ، أَوْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَهُ وَالآخَرُ إِمَاتَتَهُ: فَإِمَّا أَنْ يَحْصُلَ مُرَادُهُمَا، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، أَوْ لا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَالأَوَّلُ مُمْتَنِعٌ؛ لأَنَّهُ يَسْتَلزِمُ الجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، وَالثَّالِثُ مُمْتَنِعٌ؛ لأَنَّهُ يَلزَمُ خُلُوُّ الجِسْمِ عَنِ الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ، وَيَسْتَلزِمُ أَيْضًا عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالعَاجِزُ لا يَكُونُ إِلَهًا، وَإِذَا حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ، كَانَ هَذَا هُوَ الإِلَهَ القَادِرَ، وَالآخَرُ عَاجِزًا لا يَصْلُحُ للإِلَهِيَّةِ".

ثم يقول: " وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّ دَلِيلَ التَّمَانُعِ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالى: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا**)؛ لاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ الذي قَرَّرُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الإِلَهِيَّةِ الذِي بَيَّنَهُ القُرْآنُ، وَدَعَتْ إِليْهِ الرُّسُلُ عَليْهِمُ السَّلامُ، وَليْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ، بَل التَّوْحِيدُ الذي

دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الكُتُبُ، هُوَ تَوْحِيدُ الإِلَهِيَّةِ المُتَضَمِّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ المُشْرِكِينَ مِنَ العَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاحِدٌ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**). (قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ"

ونحن لو لنظرنا ودققنا في الآية التي يحتجون بها على دليل التمانع لوجدناها تتحدث عن توحيد العبادة لله قال تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُل هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَل أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ وَمَا أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا** فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء:22/26).

- **الصفات السلبية عند الأشعرية مرتبطة بإثبات معاني الربوبية.**

الصفات السلبية التي قررها الأشعرية هي في حقيقتها أدلة عقلية لإثبات معاني الربوبية والغنى الذاتي، وتوحيد الربوبية يدل بالتلازم على توحيد الأسماء والصفات الذي عطلوه، والدليل على ذلك نراه جليا فيما يلي :

1- من الصفات السلبية الوحدانية ومخالفة الحوادث، والواحدانية عند السلف انفراد الله عمن سواه بما ثبت له من أنواع الكمال في الأسماء والصفات والأفعال، وهذا ما يناسب الفطرة السليمة والعقول المستقيمة، ولا تعني الوحدانية النفي المطلق للقدر المشترك العام عند التجرد عن الإضافة وهو ما ينفيه الخلف في أذهانهم تحت مسمى مخالفة الحوادث، فبسبب قولهم في الصفات السلبية عطلوا أكثر الصفات الذاتية والفعلية وتخبطوا في إثبات الصفات السبعة المعنوية، وقوله مخالف للعقل والنقل والفطرة .

وبيان ذلك أن المتوحد المنفرد عن غيره لابد أن ينفرد بشيء يتميز به ويكون هو الوحيد المتصف به، أما الذي لا يتميز بشيء عن غيره ولا يوصف بوصف يلفت الأنظار إليه، فهذا لا

يكون منفردا ولا متوحدا ولا متميزا عن غيره، فلو قلت مثلا فلان لا نظير له، سيقال لك في ماذا ؟ تقول: في علمه أو في حكمته أو في غناه أو في قدرته أو ملكه أو في استوائه أو في أي صفة تذكرها، فلا بد من ذكر الوصف الذي يتميز به، لكن من العبث أن يقال لك: فلان لا نظير له في ماذا ؟ فتقول: في لا شيء، أو تقول لا صفة له أصلا، فالله ⊗ ـــ وله المثل الأعلى ـــ أثبت لنفسه أوصاف الكمال التي انفرد بها دون غيره، ونفي عن نفسه أوصاف النقص ليثبت توحده في ذاته وصفاته، فأثبت لنفسه الوحدانية في استوائه، فقال تعالى: ❾ الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَي ❼ [طه:5]، فاستواؤه له كيفية تليق به لا نعلمها، ولا مثيل ولا شبيه له فيها، وأثبت الوحدانية في كلامه، فقال تعالى: ❾ وَكَلَمَ الله مُوسَي تَكْلِيمًا ❼ [النساء:164]، فكلامه بكيفية تليق به ليس كمثله شيء فيها، ولا علم لنا بها، فمداركنا وإن استوعبت معني كلامه، فإنها لا تستوعب كيفية أداء الكلام لأنها كيفية غيبية، وأثبت لنفسه يدين لا مثيل ولا شبيه له فيهما فقال: ❾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ ❼ [ص:75] .

وكل ذلك لم يمنع اتصاف المخلوق بكمال محدود من القوة والرحمة والغنى والتكليم الاستواء والرضا، ومن ثم فالتوحيد يقصد به في باب الصفات إفراد الله سبحانه بذاته وصفاته وأفعاله عن الأقيسة التمثيلية والقواعد الشمولية التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم، ولذلك صح قياس الأولى و لم يصح قياس التمثيل والشمول .

ولذلك فإن السلف الصالح فرقوا بين النصوص التي تدل على المخلوق والنصوص التي تدل على الخالق، فالنصوص التي تدل على المخلوق تليق به، وظاهرها مراد في حقه، وهي معلومة المعني لورودها في القرآن والسنة باللغة العربية، وكذلك معلومة الكيفية لأننا نراها بحواسنا ومدركاتنا، أو نري نظيرها، فنحكم عليها بالتشابه أو المثلية .

أما النصوص القرآنية والنبوية التي تدل على الخالق فهي معلومة المعني أيضا لأن الله ⊗ خاطبنا باللغة العربية لا باللغة الأعجمية، فلا يمكن القول إن كلام الله بلا معني، أو يشبه كلام الأعاجم والألغاز التي لا تفهم، أما الكيفية الغيبية للصفات الإلهية التي دلت عليها تلك النصوص فهي كيفية حقيقية معلومة لله وتليق به، لكنها مجهولة لنا لا نعلمها لأننا ما رأينا الله

⊗، روى مسلم أن النبي S: (تَعَلمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَي أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَل حتى يَمُوتَ) [1] .

وكذلك ما رأينا لكيفيته سبحانه وتعالى نظيرا نحكم عليها من خلاله إذ يقول الله تعـــالى: ❾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ❼ [الشورى:11] .

والقصد أن مفهوم الوحدانية ومخالفة الحوادث ينبغي أن تعود في معناها إلى انفراد الله عـــن خلقه بالكمال والغنى الذاتي فيما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات والأفعـــال، وأن كمـــال المخلوق مستحدث بعد فقر ذاتي أصلي استمده بمدد اضطراري أو افتقار اختياري عاد فيه إلى خالقه .

أما حقيقة الوحدانية عند المتكلمين الأشعرية فهي عبارة عن نفي الانقسام والتعدد عـــن الذات الإلهية. فوحدانية الذات تنفي الكم المتصل والكم المنفصل؛ فالمتصل أن تكون ذاتـــه مركبة من جواهر وأعراض، أو أن تكون مركبة مطلقا ولو من غير الجوهر والعرض، أو أي أمر آخر مفترض، وعندهم أن التركُّب على الله تعالى محال، لأنه لو كان مركبـــا لكـــان حادثا. فالله واحد في ذاته لا ينقسم وليس له أجزاء وأبعاض وواحد في صفاته لا شبيه له لأنه يخالف الحوادث والحوادث لا تقوم به.

وعليه فإن الرب عندهم متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة لأن كل مختص بجهة شاغل لها متحيز، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، ويرتب علـــى ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان وملاقاة الأجرام والأجسام فليس له جهة ولا مكان ولا يمر عليه وقت ولا زمان .

2- **من الصفات السلبية قيامه تعالى بنفسه،** وهو عند السلف الغنى الذاتي الذي دل عليه اسمه الغني في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) (فاطر: 15). وقوله: (**للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيـــدُ**) (لقمـــان:26). فوصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العـــزة والجلال، وأن وصـــف الحاجـــة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

وغنى الحق غنى مطلق كامل فيه القيام بالنفس الذي يقتضـــي الغنى في جميـــع الأسمـــاء

---

[1] مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (2931) .

والصفات والأفعال وهو المعروف عند السلف بعلو الشأن، فهو الغني بنفسه في وتقديره وقدرته، وعلمه وحكمته، وقوته وعزته، وملكه ورحمته، فهو القادر القدير مطلقا، وهو العليم الحكيم مطلقا، وهو القوي العزيز مطلقا، وهو الملك والحق الوكيل مطلقا وغير ذلك من أسمائه وصفاته.

غير أن الأشعرية جعلوا حقيقة القيام بالنفس معان عقلية فلسفة كلامية فقالوا حقيقة القيام بالنفس عبارة عن انتفاء الاحتياج إلى المحل والمخصص. فهو سبحانه لا يحتاج إلى ذات يحل فيها مثل الحلول والاتحاد وهو صيرورة الشيئين شيئا واحدا، وقد أجمعوا على أن من يعتقد أن الله تعالى في شيء فهو كافر، وهو سبحانه لا يحتاج إلى مخصص لأنه لو احتاج كان حادثا. والدليل عندهم على أن الله تعالى غني عن المحل والمخصص من الكتاب قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**) (فاطر:15)، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم:"اللهم أنت لا إله إلا أنت الغني". وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى قائم بنفسه أي غني.

- **أقام الله الخلائق على معاني الزوجية والشفعية لينفرد بالوحدانية والأحدية والوترية.**

أقام الله عز وجل الخلائق على معاني الزوجية والشفعية لينفرد سبحانه وتعالى بالوحدانية والأحدية والوترية، من ثم كانت الخلائق قائمة بين حياة وموت، وقوة وضعف وقدرة وعجز وإتيان ونزع وعز وذل وعلم وجهل وفقر وغنى وعقم وإنجاب، فتتردد الحياة بين السلب والإيجاب. كما قال تعالى: (وَمِنْ كُل شَيْءٍ **خَلقْنَا زَوْجَيْنِ** لعَلكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات:49). وقال: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلنَا **احْمِل فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** وَأَهْلكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَليْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَليلٌ) (هود:40).

وقال: (وَأَنَّهُ **خَلقَ الزَّوْجَيْنِ** الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) (النجم:45) (فَجَعَل مِنْهُ **الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى**) (القيامة:39).

كل ذلك ليفتقر كل منهم إلى الآخر فيقروا بالتوحيد في عبوديتهم إلى ربهم ويعودون بفقرهم إلى خالقهم لأنه الغني بذاته في كل اسم له أو وصف أو فعل، وألا يستغنوا عنه بقوتهم التي منحها لهم، أو يخرجهم طغيانهم عن حدود فقرهم.

ثم إذا أيقنوا بفقر من لجئوا إليه وأنه ينقطع عنهم أنه لو أعطاهم مرة فلن يعطيهم مـــــرة أخرى، علموا أهم فقراء لجئوا إلى فقراء من أمثالهم، وأن الفقير لا يلجأ إلى فقير، وأن الصغير لا يستند إلى صغير، بل لا بد من غني كبير يبتغون عنده الرزق والحمد والشكر وكل ألوان العبادة له وحده لا شريك له، (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَـــادٌ أَمْثَـــالُكُمْ فَـــادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الأعراف:194) (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانـــاً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الـــرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (العنكبوت:17) .

وفي مقابل توحيد العبودية وحدوا الله في الربوبية ، فكان لهم ربا واحد أحدا وترا صمدا قويا غنيا قديرا عليا له الأسماء الحسنى والصفات العليا، يدعونه ويركنون إليه كما قال تعـــالى: (**وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى** فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف:180) وقال: (قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا **فَلهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى** وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلكَ سَبِيلاً) (الإسراء:110).

وقال تعالى: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً **وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**) (البقرة: 263). وهذه الآية خير دليل على ذلك فمن ابتلاه الله بالفقر ألجأه إلى من ابتلاه في الغنى، ونبه على الأغنياء عدم المن والأذى، لأن الله هو الغني الحليم مرجع الجميع .

وقال: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لكُمْ مِـــنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلمُوا **أَنَّ اللهَـــ غَنِـــيٌّ حَمِيدٌ**) (البقرة:267).

وقال: (للفُقَرَاءِ الذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَـــبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلحَافاً **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**) (البقرة:273).

وقال: (لقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْل الذِينَ قَالُوا **إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ) (آل عمران:181).

وقال: (وَرَبُّكَ **الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ** إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا

أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) (الأنعام:133).

وما ذلك إلا ليرجع العباد مفتقرين بكمالهم إلى ربهم، مقرين بأنه الغني عنهم وعن طاعتهم، وأنه لا حول ولا وقوة إلى بالله. فكانت هذه الكلمة كَنْزا مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ، روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ خَيْبَرَ أَوْ قَال لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لا إِلهَ إِلا اللهُ فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ارْبَعُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ، وَأَنَا خَلفَ دَابَّةِ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ لا حَوْل وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ فَقَال لِي يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قُلتُ لبَّيْكَ يَا رَسُول اللهِ قَال أَلا أَدُلُّكَ عَلى كَلمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ قُلتُ بَلى يَا رَسُول اللهِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي قَال لا حَوْل وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ.

3- ومن الصفات السلبية التي قررها الأشعرية القدم والبقاء، ويريدون بذلك تعطيل صفات الأفعال كالاستواء والترول والمجيء والقبض والبسط والرضا والغضب وغيرها تحت مسمى نفي حلول الحوادث، لأنه لو اتصف الرب بها لقامت به الحوادث وكل من قامت به الحوادث فهو حادث.

قال شارح الطحاوية: (وَحُلُولُ الحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالى المَنْفِيُّ فِي عِلمِ الكَلامِ المَذْمُوم، لمْ يَرِدْ نَفْيُهُ وَلا إِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ وَلا سُنَّة. وَفِيهِ إِجْمَالٌ، فَإِنْ أُرِيدَ بِالنَّفْيِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا يَحِلُّ فِي ذَاتِهِ المُقَدَّسَةِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ المُحْدَثَةِ، ولا يَحْدُثُ لهُ وَصْفٌ مُتَجَدِّدٌ لمْ يَكُنْ - فَهَذَا نَفْيٌ صَحِيحٌ. وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ الاخْتِيَارِيَّةِ، مِنْ أَنَّهُ لا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، وَلا يَتَكَلمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَلا أَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى، وَلا يُوصَفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ النُّزُولِ وَالاسْتِوَاءِ وَالإِتْيَانِ كَمَا يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَعَظَمَتِهِ - فَهَذَا نَفْيٌ بَاطِلٌ وَأَهْلُ الكَلامِ المَذْمُومِ يُطْلِقُونَ نَفْيَ حُلُولِ الحَوَادِثِ، فَيُسَلمُ السُّنِّيُّ لِلمُتَكَلمِ ذَلِكَ، عَلى ظَنِّ أَنَّهُ نَفَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ مَا لا يَلِيقُ بِجَلالِهِ، فَإِذَا سَلمَ لهُ هَذَا النَّفْيَ أَلزَمَهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الاخْتِيَارِيَّةِ وَصِفَاتِ الفِعْل، وَهُوَ غير لازِمٍ لهُ. وَإِنَّمَا أُتِيَ السُّنِّيُّ مِنْ تَسْلِيمِ هَذَا النَّفْيِ المُجْمَلِ، وَإِلا فَلوِ اسْتَفْسَرَ وَاسْتَفْصَل له لمْ يَنْقَطِعْ مَعَهُ).

مع أنهم لو أثبتوا أسماء الله وأوصافه كما هو منهج السلف في الإيمان مقتضى بالأول

والآخر ومقتضاهما، لتوافق العقل مع النقل، فالقصد بالأولية والآخرية إثبات دوام الغنى بالنفس أزلا وأبدا، بحيث يبقى غنيا بذاته على الدوام لا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو زبدة الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات. وذلك هو ما عبر عنه الطحاوي بقوله:

(ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا)

انتهت المحاضرة ولله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الرابعة (4)

عنوان المحاضرة

(القدم والبقاء والفرق بين البقاء ببقاء والبقاء بإبقاء)

عناصر ومفردات المحاضرة

- أولية الله بلا قبلية وآخريته بلا بعدية وليس كمثله شيء في الأولية والآخرية
- أولية الله أولية ذاتية وأولية وصفية وأولية فعلية فهي ثلاثة أنواع
- الأولية الذاتية هي أولية حياة وقيومية وعلو ذاتي وفوقية
- الأولية الوصفية هي أولية تفرد وأسبقية وعلو الشأن والأحدية
- أمثلة الأولية في الوصف الذاتي
- أمثلة للأولية في الوصف الفعلي
- الأولية الفعلية وهي متعلقة بالمشيئة ومرتبطة بزمن
- القدم والبقاء من الصفات السلبية عند الأشعرية
- الأولية ودوام الخالقية والقدرة والفاعلية
- معتقد السلف أن التسلسل في الأبد واجب والأزل ممكن جائز
- لا بد أن نفرق في قضية البقاء بين ما يبقى ببقاء الله وما يبقي بإبقائه.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضر بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الرابعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الرابعة (4)

عنوان المحاضرة

(القدم والبقاء والفرق بين البقاء ببقاء والبقاء بإبقاء)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

علمنا أن عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية مبنية على أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار .

وكذلك فإنه من عقيدة أهل السنة والجماعة أن توحيد الربوبية يقوم على إثبات وصف الأولية لله بلا قبلية، والآخرية بلا بعدية، ولازمه وصف الغنى والكمال كوصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وتوحيد الله بالعبودية يقوم على إثبات وصف الأولية للمخلوق بالقبلية، والآخرية بالبعدية، ولازمه وصف الحاجة والافتقار كوصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

- **أولية الله بلا قبلية وآخريته بلا بعدية وليس كمثله شيء في الأولية والآخرية.**

قال تعالى : (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الحديد:3) .

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه قال: (اللهمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُل شيء فَالقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِل التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيل وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُل شيء أَنْتَ آخذٌ بِنَاصِيَتِه، **اللهمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شيء، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْس بَعْدَكَ شيء وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شيء وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شيء**، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَاغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ) .

- **أولية الله أولية ذاتية وأولية وصفية وأولية فعلية فهي ثلاثة أنواع:**

(1) **الأولية الذاتية وهي أولية حياة وقيومية وعلو ذاتي وفوقية ملازمة للذات الإلهية**، فهي أولية وحدانية تنفي التعدد والمثلية عن الذات الإلهية، وهي أولية كمال ذاتي لازمة للغنى الذاتي والقيام بالنفس، ولا تتعلق بالمشيئة ولا ترتبط بزمن. قال تعالى: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ) (البقرة:255) .

كما أن الأولية الذاتية وأولية الفوقية والحياة والقيومية هي أساس كل أولية وصفية أو فعلية، فجميع أسماء الله وصفاته وأفعاله تدل باللزوم على أن الله حي قيوم. فالأول سبحانه هو الذي لم يسبقه في الوجود شيء، وهو الذي علا بذاته فوق كل شيء، وهو الذي لا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو المستغني بنفسه عن كل شيء.

(2) **الأولية الوصفية وهي أولية تفرد وتقدم وأسبقية، وعلو الشأن والأحدية وانتفاء الشبيه في الوصفية، وقد تكون تلك الأولية في الصفات الذاتية أو الفعلية، فقد تتعلق بالمشيئة أو لا تتعلق**، فأولية الوصفية تقدمه سبحانه على غيره تقدما مطلقا في كل وصف كمال أثبته الله لنفسه سواء وصف ذاتي أو وصف فعلي.

- **أمثلة الأولية في الوصف الذاتي :**

ومثال الأولية في الوصف الذاتي أوليته في وصف والعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة، والغنى والحكمة والقوة والكبرياء والعظمة، والسيادة والصمدية والجمال والأحدية. وسائر الأسماء الدالة على الصفات الذاتية كلها حسنى وكلها عظمى.

ومثال ذلك ذكر الأسماء الحسنى والصفات العليا ثم التنبيه على الأولية بأفعل التفضيل والخيرية كما قال تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ **إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً**) (فاطر:44) (وَرَبُّكَ **أَعْلَمُ** بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (الإسراء:55) .

ومن ذلك العزة: (الذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ **فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ** جَمِيعاً) (النساء:139). (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ** وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) (المنافقون:8) .وعن

ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمُ ، وَأَنْتَ **الْأَعَزُّ** الْأَكْرَمُ).

ومن ذلك الشَديدُ والأشد: (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّـــه فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ **قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) (الأنفال:52). (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الذِينَ كَفَرُوا **وَاللهُ أَشَـدُّ بَأْسـاً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً**) (النساء:84) .

ومن ذلك الكبير والأكبر: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) (الرعد:9) (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (الحج:62) وعند البخاري عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال مَنْ تَعَارَّ مِنْ الليْلِ فَقَال لا إِلهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ الحَمْدُ للهِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَلا إِلهَ إِلا اللهُ **وَاللهُ أَكْبَرُ** وَلا حَوْل وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ ثُمَّ قَال اللهُمَّ اغْفِـرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلى قُبِلتْ صَلاتُهُ.

والغني والأغنى (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَـلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُـمْ ثُـمَّ لا يَكُونُـوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد:38) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر:15)

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: (قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ** عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِل عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ).

- **أمثلة للأولية في الوصف الفعلي :**

ومثال الأولية في الوصف الفعلي كالخلق والرحمة والحكم والنصرة والـرزق والرأفـة والمكر في موضع الكمال (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ **وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ**) (آل عمران:54) (بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ **وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**) (آل عمران:150) (قَال عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِل عَليْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لنَا عِيداً لأَوَّلنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا **وَأَنْتَ خَيْـرُ الرَّازِقِينَ**) (المائدة:114) (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالذِي أُرْسِلتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لمْ يُؤْمِنُوا فَاصْـبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا **وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ**) (الأعراف:87) (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا

فِي مِلتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُل شَيْءٍ عِلماً عَلى اللهِ تَوَكَّلنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ **وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ)** (الأعراف:89) (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَال رَبِّ لوْ شِئْتَ أَهْلكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلكُنَا بِمَا فَعَل السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لنَا وَارْحَمْنَا **وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ**) (الأعراف:155) (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً **وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ**) (الأنبياء:89) (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50) (ثُمَّ خَلقْنَا النُّطْفَةَ عَلقَةً فَخَلقْنَا العَلقَةَ مُضْغَةً فَخَلقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ **اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ**) **(المؤمنون:14)** .

وأولية الوصف ألا يدانيه ولا يساويه أحد من خلقه لأنه سبحانه منفرد بذاته ووصفه وفعله، وهذا معنى الكمال في الذات والصفات في مقابل العجز والقصور لغيره من المخلوقات، فالأول هو المتصف بالأولية، والأولية وصف لله وليست لأحد سواه.

(3) **أولية فعلية وهي متعلقة بالمشيئة ومرتبطة بزمن. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وجمع أفعال الله له الأولية فيها كالنزول والمجي والرضا والغضب والقبض والبسط .**

روى أبو داود وصححه الألباني قال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ **إِنَّ أَوَّل مَا خَلقَ اللهُ** القَلمَ فَقَال لهُ اكْتُبْ قَال رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَال اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُل شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ مَنْ مَاتَ عَلى غَيْرِ هَذَا فَليْسَ مِنِّي) .

وعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالى كُل ليْلةٍ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا** حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليْل الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لهُ)

(**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ** كَطَيِّ السِّجِل لِلكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّل خَلقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَليْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء:104)

(كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً **وَجَاءَ رَبُّكَ** وَالمَلكُ صَفّاً صَفّاً وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) (الفجر:21/22) .

وعند البخاري عن عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَال سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ العِبَادِ **وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلمَ بِقَبْضِ العُلمَاءِ** حَتَّى إِذَا لمْ يُبْقِ عَالمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)

وعند البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال : (**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ** ثُمَّ يَقُولُ أَنَا المَلكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ).

وعند البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال : (فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَليْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَليْهِ السَّلام فَيَقُولُونَ لهُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ خَلقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لكَ اشْفَعْ لنَا إِلى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلا تَرَى إِلى مَا قَدْ بَلغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لمْ يَغْضَبْ قَبْلهُ مِثْلهُ وَلنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلهُ** وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلى نُوحٍ) .

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ: (إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي **اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلي** يَوْمَ لا ظِل إِلا ظِلي)

(اليَوْمَ **أَكْمَلتُ لكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَليْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ** لكُمُ الإِسلام دِيناً) (المائدة:3) (قَال سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَال **لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ** وَحَال بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) (هود:43)

(ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ **يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ** الذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَال الذِينَ أُوتُوا العِلمَ إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ وَالسُّوءَ عَلى الكَافِرِينَ) (النحل:27) (**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ**) (المؤمنون:111) (**اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْوَاهِهِمْ** وَتُكَلمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس:65) (**وَقِيل اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ** لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الجاثية:34) (**فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلكَ اليَوْمِ** وَلقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) (الانسان:11) .

فالأولية تقدمه سبحانه على غيره تقدما مطلقا في كل وصف وهذا معنى الكمال في الذات والصفات في مقابل العجز والقصور لغيره من المخلوقات فلا يدانيه ولا يساويه أحد

من خلقه لأنه سبحانه منفرد بذاته ووصفه وفعله، فالأول هو المتصف بالأولية، والأولية وصف لله وليست لأحد سواه .

- **القدم والبقاء من الصفات السلبية عند الأشعرية .**

يعبر الأشعرية عن والأولية والآخرية بوصف القدم والبقاء كصفات سلبية لله، وإن كانوا يريدون بذلك تعطيل صفات الأفعال كالاستواء والنزول والمجيء والقبض والبسط والرضا والغضب وغيرها تحت مسمى نفي حلول الحوادث، لأنه لو اتصف الرب بها لقامت به الحوادث وكل من قامت به الحوادث فهو حادث. أو لأنه لو اتصف الرب بها لاتصف بالقبلية والبعدية .

قال شارح الطحاوية: (وَحُلُولُ الحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالى المَنْفِيُّ فِي عِلمِ الكَلامِ المَذْمُومِ، لَمْ يَرِدْ نَفْيُهُ وَلا إِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ وَلا سُنَّةٍ. وَفِيهِ إِجْمَالٌ، فَإِنْ أُرِيدَ بِالنَّفْيِ .. نَفْيُ الصِّفَاتِ الاخْتِيَارِيَّةِ، مِنْ أَنَّهُ لا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، وَلا يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَلا أَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى، وَلا يُوصَفُ بِمَا وَصَفَ بِه نَفْسَهُ مِنَ النُّزُول وَالاسْتِوَاءِ وَالإِتْيَان كَمَا يَليقُ بِجَلاله وَعَظَمَته – فَهَذَا نَفْيٌ بَاطِلٌ. وأَهْلُ الكَلامِ المَذْمُومِ يُطْلقُونَ نَفْيَ حُلُول الحَوَادث، فَيُسَلمُ السُّنِّيُّ للمُتَكَلمِ ذَلكَ، عَلى ظَنٍّ أَنَّهُ نَفَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ مَا لا يَليقُ بِجَلاله، فَإِذَا سَلمَ لهُ هَذَا النَّفْيَ أَلزَمَهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الاخْتِيَارِيَّة وَصِفَات الفعْل، وَهُوَ غير لازمٍ لهُ. وَإِنَّمَا أُتِيَ السُّنِّيُّ مِنْ تَسْليمِ هَذَا النَّفْيِ المُجْمَل، وَإِلا فَلوِ اسْتَفْسَرَ وَاسْتَفْصَل له لمْ يَنْقَطِعْ مَعَهُ).

مع أنهم لو أثبتوا أسماء الله وأوصافه كما هو منهج السلف في الإيمان بمقتضى اسم الأول والآخر، لتوافق العقل مع النقل، فالقصد بالأولية والآخرية إثبات دوام الغنى بالنفس أزلا وأبدا والانفراد بالاسم والوصف، بحيث يبقى غنيا بذاته على الدوام لا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو أساس الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

وذلك هو ما عبر عنه الطحاوي بقوله: (ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا) .

أي أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال صفات الذات وصفات الفعل ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها لأن صفاته سبحانه صفات

كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كـــان متصـــفا بضده.

ولا يرد على هذه صفات الأفعال كالخلق والتصوير والإماتة والإحياء والقبض والبسط والطي والاستواء والإتيان والمجيء والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تـــأويله ولا نـــدخل في ذلـــك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا .

كما قال الإمام مالك رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَـــى العَـــرْشِ اسْتَوَى**) (**طه:5**) وغيرها: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

إن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشـــفاعة: (إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) .

لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكـــن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلما بالأمس لا يقال: إنه حدث له الكلام، ولو كـــان غير متكلم لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم يقال: حدث له الكلام فالساكت لغير آفـــة يســـمى متكلما بالقوة أو بوصف الذات، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء وفي حال تكلمه يسمى متكلمـــا بوصف الفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعل،ولا يخرج عن كونه كاتبا في حال عدم مباشرته الكتابة.

- **الأولية ودوام الخالقية والقدرة والفاعلية**

وربما يستشكل البعض وصف الله ⊗ بالأولية مع وصفه بـــدوام الخالقيـــة والقـــدرة والفاعلية، فإذا كان الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، فهل يعني ذلك أنه كان معطلا عن الفعل ثم أصبح خالقا فاعلا قادرا بعد أن لم يكن؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الله ⊗ موصوف بأنه مريد فعال، يفعل ما يشاء وقت ما يشاء كما قال تعالى: (ذُو العَرْشِ المَجِيد فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (البروج:15/16).

وقد بين الله ⊗ أنه قبل وجود السماوات والأرض لم يكن سوى العرش والماء كما جاء في قوله: (وَهُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاء) (هـــود:

7). وعند البخاري من حديث عِمْرَانَ t أن رسول الله ﷺ قَال: (كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ، ثُمَّ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُل شَيْءٍ) .

وربما يسأل سائل ويقول: وماذا قبل العرش والماء؟ والجواب أن الله قد شاء أن يوقف علمنا عن بداية المخلوقات عند العرش والماء فقال تعالى: (ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ) (البقرة:255)، فالله أعلم هل توجد مخلوقات قبل العرش والماء أم لا؟

لكننا نعتقد أن وجودها أمر ممكن متعلق بمشيئة الله وقدرته، فالله أخبرنا أنه يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء وهو على ما يشاء قدير، وأنه متصف بصفات الأفعال، ومن لوازم الكمال أنه فعال لما يريد على الدوام أزلا وأبدا، سواء كان ذلك قبل العرش والماء أو بعد وجودهما، لكن الله ⊗ أوقف علمنا عند هذا الحد، كما أن جهلنا بذلك لا يؤثر فيما يخصنا أو يتعلق بحياتنا من معلومات ضرورية لتحقيق الكمال في حياة الإنسان.

وفي كتاب خلق أفعل العباد للبخاري قال سليمان التيمي: (لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال السائل: أين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم)، ويعقب الإمام البخاري بقوله: (وذلك لقول الله تعالى: (ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ) (البقرة:255)، يعني إلا بما بين) .

وهذه المسألة تسمى في باب العقيدة بالتسلسل وهو ترتيب وجود المخلوقات في متوالية مستمرة غير متناهية من الأزل والأبد، ومعتقد السلف أن التسلسل في الأزل جائز ممكن، ولا يلزم من ذلك أن الخلق يشارك الله في الأزلية والأولية .

انتهت ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الخامسة (5)

عنوان المحاضرة

(البقاء ببقاء الله والإبقاء بإبقاء الله)

عناصر ومفردات المحاضرة

- معتقد السلف أن التسلسل في الأبد واجب والأزل ممكن جائز .
- هل الوجود والزمان دائمان أزليان أبديان .
- تحقيق مراد العباد في الآخرة علقه الله بمشيئتهم أو عكسها.
- لا بد أن نفرق في البقاء بين ما يبقى ببقاء الله وما يبقي بإبقائه.
- هل كان الله معطلا عن الخلق والفعل والقدرة ؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الخامسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الخامسة (5)

عنوان المحاضرة

(البقاء ببقاء الله والإبقاء بإبقاء الله)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

- **هل الوجود والزمان دائمان أزليان أبديان .**

هل الوجود والزمان دائمان أزليان أبديان, بحيث يستمر الزمان ويمتد في الوجود من طرفين متعاكسين دائمين وغير منقطعين, تتسلسل الأحداث وتتوالي في الأزل وفي الأبد, أم أن الوجود له بداية ونهاية ؟

قال ابن أبي العز الحنفي في بيان اعتقاد السلف: (وَالتَّسَلسُلُ لفْظٌ مُجْمَلٌ, لمْ يَرِدْ بِنَفْيِهِ وَلا إِثْبَاتِهِ كِتَابٌ وَلا سُنَّةٌ, لِيَجِبَ مُرَاعَاةُ لفْظِهِ, وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلى وَاجِبٍ وَمُمْتَنِعٍ وَمُمْكِنٍ: فَالتَّسَلسُلُ فِي المُؤَثِّرِينَ مُحَالٌ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ, وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُؤَثِّرُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ اسْتَفَادَ تَأْثِيرَهُ مِمَّا قَبْلهُ لا إِلى غَايَةٍ . وَالتَّسَلسُلُ الوَاجِبُ: مَا دَل عَليْهِ العَقْلُ وَالشَّرْعُ, مِنْ دَوَامِ أَفْعَالِ الرَّبِّ تَعَالى فِي الأَبَدِ, وَأَنَّهُ كُلمَا انْقَضَى لِأَهْلِ الجَنَّةِ نَعِيمٌ أَحْدَثَ لهُمْ نَعِيمًا آخَرَ لا نَفَادَ لهُ, وَكَذَلِكَ التَّسَلسُلُ فِي أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ طَرَفِ الأَزَلِ, وَأَنَّ كُل فِعْلٍ مَسْبُوقٌ بِفِعْلٍ آخَرَ, فَهَذَا وَاجِبٌ فِي كَلامِهِ, فَإِنَّهُ لمْ يَزَل مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ, وَلمْ تَحْدُثْ لهُ صِفَةُ الكَلامِ فِي وَقْتٍ, وَهَكَذَا أَفْعَالُهُ التِي هِيَ مِنْ لوَازِمِ حَيَاتِهِ, فَإِنَّ كُل حَيٍّ فَعَّالٌ, وَالفَرْقُ بَيْنَ الحَيِّ وَالمَيِّتِ: الفِعْلُ, وَلِهَذَا قَال غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلفِ: الحَيُّ الفَعَّالُ, وَقَال عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ: كُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ, وَلمْ يَكُنْ رَبُّنَا تَعَالى قَطُّ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ مُعَطَّلا عَنْ كَمَالِهِ, مِنَ الكَلامِ وَالإِرَادَةِ وَالفِعْلِ .

وَأَمَّا التَّسَلسُلُ المُمْكِنُ: فَالتَّسَلسُلُ فِي مَفْعُولاتِهِ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ, كَمَا تَتَسَلسَلُ فِي طَرَفِ الأَبَدِ, فَإِنَّهُ إِذَا لمْ يَزَل حَيًّا قَادِرًا مُرِيدًا مُتَكَلِّمًا, وَذَلِكَ مِنْ لوَازِمِ ذَاتِهِ فَالفِعْلُ مُمْكِنٌ لهُ بِمُوجِبِ

هَذِه الصِّفَات لهُ, وَأَنْ يَفْعَل أَكْمَلُ مِنْ أَنْ لا يَفْعَل, وَلا يَلزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَزَل الخَلقُ مَعَهُ, فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَقَدِّمٌ عَلى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ مَخْلُوقَاته تَقَدُّمًا لا أَوَّل لهُ, فَلكُلِّ مَخْلُوق أَوَّلُ, وَالخَالقُ سُبْحَانَهُ لا أَوَّل لهُ, فَهُوَ وَحْدَهُ الخَالقُ, وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ .

قَالُوا: وَكُلُّ قَوْلٍ سِوَى هَذَا فَصَرِيحُ العَقْلِ يَرُدُّهُ وَيَقْضِي بِبُطْلانِه, وَكُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّ الرَّبَّ تَعَالى لَمْ يَزَل قَادِرًا عَلى الفِعْلِ لزِمَهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ, لا بُدَّ لهُ مِنْهُمَا: إِمَّا أَنْ يَقُول بِأَنَّ الفِعْل لَمْ يَزَل مُمْكِنًا, وَإِمَّا أَنْ يَقُول لَمْ يَزَل وَاقِعًا, وَإِلا تَنَاقَضَ تَنَاقُضًا بَيِّنًا, حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالى لَمْ يَزَل قَادِرًا عَلى الفِعْلِ, وَالفِعْلُ مُحَالٌ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِه, لوْ أَرَادَهُ لَمْ يُمْكِنْ وُجُودُهُ, بَل فَرْضُ إِرَادَتِه عِنْدَهُ مُحَالٌ وَهُوَ مَقْدُورٌ لهُ . وَهَذَا قَوْلٌ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

وَالمَقْصُودُ: أَنَّ الذِي دَل عَليْهِ الشَّرْعُ وَالعَقْلُ, أَنَّ كُل مَا سِوَى اللهِ تَعَالى مُحْدَثٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ, أَمَّا كَوْنُ الرَّبِّ تَعَالى لَمْ يَزَل مُعَطَّلا عَنِ الفِعْلِ ثُمَّ فَعَل, فَليْسَ فِي الشَّرْعِ وَلا فِي العَقْلِ مَا يُثْبِتُهُ, بَل كِلاهُمَا يَدُلُّ عَلى نَقِيضِهِ) .

والجواب أن التسلسل الواجب علينا اعتقاده هو ما دل عليه العقل والنقل, فالواجب علينا اعتقاد دوام أفعال الرب تعالى في الأبد, ووجود مفعولاته ومخلوقاته على الدوام, وإن تغيرت صورها وعللها, بمعنى أن الوجود في الدنيا صورته مستمرة ولعلة تتمثل في الابتلاء, ثم بمشيئة الله يتغير الوجود في الآخرة إلي صورة أخرى مستمرة ولعلة تتمثل في الجزاء, وبقاء أهل الخلدين في دار النعيم والشقاء, وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم, أو لأهل النار عذاب, أحدث لهما نعيما وعذابا آخر لا نفاد لها, كما قال تعالي عن أهل الجنة:

(وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا** لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا) (النساء:57) .

(وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا** وَعْدَ اللهِ حَقّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلا) (النساء/122).

وقال عن أهل النار: (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقا إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا** وَكَانَ ذَلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرا) (النساء:169) (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولهُ فَإِنَّ لهُ نَارَ جَهَنَّمَ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا**) (الجن:23).

فالواجب اعتقاده أن وجود المخلوقات في الأبد والمستقبل متوال غير منقطع أبد الآبدين, وهذا هو ما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا, دوام أفعال الرب تعالى في الأبد وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نقاد له.

- **تحقيق مراد العباد في الدنيا علقه الله بمشيئته والأدلة على ذلك .**

1. قال تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآَهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير:19/29)
2. (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً كَلا بَلْ لا يَخَافُونَ الآَخِرَةَ كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ).
3. (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الانسان:30) .
4. (قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران:26) .
5. (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (البقرة:102) .
6. (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (البقرة:272) .
7. (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (الأنعام:

35) .

8. (قُل لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:188) .

9. (وَأَصْبَحَ الذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لوْلا أَنْ مَنَّ اللهُ عَليْنَا لخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ) (القصص:82) .

10. (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ) (يوسف:56) .

11. (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْل وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيمٌ) (يوسف:76) .

12. (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلةَ عَجَّلنَا لهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً) (الإسراء:18) .

13. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلقَةٍ لِنُبَيِّنَ لكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلمَ مَنْ بَعْدِ عِلمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلنَا عَليْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج:5) .

14. (وَحِيل بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِل بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) (سبأ:54) .

- **الأدلة على أن الابتلاء هو العلة في ذلك .**

1. (وَأَنْزَلنَا إِليْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَليْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَل اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلوْ شَاءَ اللهُ لجَعَلكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة:48) .

2. (وَهُوَ الذي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:165) .
3. (وَهُوَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ) (هود:7) .
4. (الذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ) (الملك:2) .

- **تحقيق مراد العباد في الآخرة علقه الله بمشيئتهم أو عكسها.**

1- الأدلة على أن تحقيق مراد أهل الجنة معلق بمشيئتهم

1. (وَقَالُوا الحَمْدُ لِلهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ) (الزمر:74) .
2. (وَقَالُوا الحَمْدُ لِلهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ) (الزمر:74) .
3. (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) (فصلت:31)
4. (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الزخرف:71) .
5. (وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) (الطور:22) (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) (الواقعة: 21) .
6. (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الزخرف:71) .
7. (لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) (الأنبياء:102) .

2- الأدلة على أن تحقيق مراد أهل النار معلق بعكس مشيئتهم

1. (قَالَ اخسئوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ) (المؤمنون:108) .

2. (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَل صَالِحاً غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) (فاطر:37) .
3. (قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ) (غافر:50) .
4. (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَال إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) (الزخرف:77) .
5. (وَلوْ تَرَى إِذ الُمجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَل صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ) (السجدة:12) .
6. (وَقِيل اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الجاثية:34) .
7. (الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لهْواً وَلعِباً وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَاليَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآياتِنَا يَجْحَدُونَ) (الأعراف:51) .

فتحقيق المراد لأهل الجنة علقه الله بمشيئتهم إكراما لهم وإظهار لمحبتهم, بعكس الوضع في الدنيا فتحقيق المراد لأهل الدنيا علقه الله بمشيئته لا بمشيئتهم, ابتلاء لهم وإظهار لإيمانهم, ولذلك يقول: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلةَ عَجَّلنَا لهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوما مَدْحُورا) (الإسراء:18) (للهِ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانا وَإِنَاثا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيما إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى:50) .

أما الجنة فتحقيق المراد لأهلها علقه الله بمشيئتهم كما قال: (لهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلدَيْنَا مَزِيدٌ) (قّ:35) (لهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلكَ جَزَاءُ الُمحْسِنِين) (الزمر:34) (وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ) (الشورى:22).

وإذا كان هذا هو الوضع في الأبد والمستقبل فما الذي يمنعه في الأزل والماضي, قال ابن أبي العز: (وَلَمَّا كَانَ تَسَلسُلُ الحَوَادِثِ فِي الُمسْتَقْبَلِ لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الآخِرَ الذِي ليْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ, فَكَذَا تَسَلسُلُ الحَوَادِثِ فِي المَاضِي لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى هُوَ الأَوَّل

الذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ . فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لَمْ يَزَل وَلا يَزَالُ, يَفْعَلُ مَا يَشاءُ وَيَتَكَلـــمُ إِذَا يَشَاءُ) .

ومن ثم فإن عقيد السلف أن التسلسل في الأزل جائز ممكن, وفي المستقبل واجب لازم, ولا يلزم من ذلك أن الخلق يشاركونه في الأولية أو الأبدية لأنه فرق كبير بين ما يبقي ببقـــاء الله كذاته وصفاته وما يبقي بإبقاء الله كمخلوقاته ومصنوعاته وهذا ســوف يــأتي بيــانه بعــد قليل.لكننا نعتقد أن وجود المخلوقات قبل العرش والماء أمر ممكن يتعلق بمشيئة الله وقدرته, فالله أخبرنا أنه يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء وهو على ما يشاء قدير, كما قال تعالي: (قَال رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَال **كَذَلكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**) (آل عمران:40) .ووصف الفعل غير مرتبط بزمان دون آخر بخلاف الفعل.

وقال أيضا: (وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ** كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) (الأنعام:133) .

(وَاللهُ خَلقَ كُل دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلـــى رِجْليْـــنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ **يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ** إِنَّ اللهَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (النور:45)

(الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ **يَزِيدُ فِي الخَلقِ مَا يَشَاءُ** إِنَّ اللهَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فاطر:1).(وَالخَيْـــل وَالبِغَـــال وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً **وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلمُونَ**) (النحل:8) .

فالله عز وجل متصف بصفات الأفعال, ومن لوازم الكمال أنه فعال لما يريد على الـــدوام, أزلا وأبدا, سواء كان ذلك قبل العرش والماء, أو بعد العرش والماء. لكن الله كما ذكرنا أوقف علمنا عند العرش والماء كما قال: (وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَـــاءَ وَلا يُحِيطُـــونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ) (البقرة:255) .

- **لا بد أن نفرق في البقاء بين ما يبقى ببقاء الله وما يبقي بإبقائه.**

كيف نجمع بين وصف الله عز وجل بأنه الآخر الذي ليس بعده شيء, وبقاء المخلوقات في الجنة ودوامها وأبديتها؟

قال تعالي عن الجنة ونعيمها, ودوام أهلها وبقائها: (قَال اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) (المائدة:119) .وكما قال تعالي عن النار وعذابها ودوام أهلها وبقاء نارها: (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا**) (الجن:23) ؟

وما تفسير قول الله تعالي: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ) (الرحمن:27) ؟ وعند مسلم من حديث أبي هريرة ✪ أن النبي كان يقول في دعائه: (اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ) ؟

لا شك أن بقاء أهل الجنة والنار أبدا يبدو في الظاهر متعارضا مع إفراد الله عز وجل بالبقاء, وأنه الآخر الذي ليس بعده شي, لقد كانت هذه المسألة محل خلاف بين فرق المسلمين, عندما اختلفوا حول مفهوم الأبدية لأهل الجنة والنار في القرآن الكريم حتى فسرها البعض بطول الأمد, فالأبد عندهم يعنى الزمان الطويل, لكنه مهما طال فهو محدود زائل, وليس معنى الأمد عندهم البقاء اللانهائي, وبعضهم قال بفناء الجنة والنار, وبعضهم قال بفناء النار فقط.

ولا بد هنا أن نفرق في قضية البقاء بين ما يبقى ببقاء الله وما يبقي بإبقاء الله, أو نفرق بين بقاء الذات والصفات الإلهية, وبقاء المخلوقات التي أوجدها الصفات الإلهية, فالجنة مثلا باقية بإبقائه, وصفاته باقية ببقائه, وشتان بين ما يبقي ببقائه وما يبقي بإبقائه, فالجنة مخلوقة خلقها الله عز وجل وكائنة بأمره ورهن مشيئة وحكمه, فمشيئة الله حاكمة علي ما يبقى وما لا يبقى.

ومن ثم فإن السلف يعتبرون خلد الجنة وأهلها إلى ما لا نهاية, إنما هو بإبقاء الله وإرادته, فالبقاء عندهم ليس من طبيعة المخلوقات ولا من خصائصها الذاتية, بل من طبيعتها جميعا كمخلوقات خلقها الله, من طبيعتها جميعا الفناء, فالخلود ليس لذات المخلوق أو طبيعته, وإنما هو وبمدد دائم من الله تعالى, وإبقاء مستمر لا ينقطع, أما صفات الله عز وجل ومنها وجهه ويده وعينه وعلوه, ورحمته وعزته وقوته وملكه, فهي صفات باقية ببقائه ملازمة لذاته, باقية ببقاء ذاته سبحانه وتعالى, حيث البقاء صفة ذاتية له, كما أن الأزلية صفة ذاتية لله تعالى, فلا بد أن نفرق بين صفات الأفعال الإلهية وأبديتها, وبين مخلوقات الله الأبدية وطبيعتها.والقرآن الكريم فرق بين نوعين من البقاء.

الأول: في قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلال وَالإِكْرَامِ) (الرحمن 26/27) .وقوله: (كُلُّ شَيْءٍ هَالكٌ إِلا وَجْهَهُ لهُ الحُكْمُ وَإِليْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص:88).

والثاني: في قوله تعالى: (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى للذينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الشورى:36) .وقوله: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ) (القصص:60) (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (الأعلى:17).

فالآيات الأولى دلت على صفة من صفات الذات وهى صفة الوجه ودلت على بقاء الصفة ببقاء الذات, فأثبتت بقاء الذات بصفاها, وأثبت فناء ما دوها أو إمكانية فنائه, إذ أن الله هو الأول والآخر وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء وكما جاء في الحديث: (اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَليْسَ قَبْلكَ شَيْءٌ, وَأَنْتَ الآخِرُ فَليْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ).

قال ابن كثير في قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلال وَالإِكْرَامِ) (الرحمن:26/27) (أخبر الله بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت, فعبر ببقاء الوجه عن بقاء الذات لأن الوجه من صفات ذاته سبحانه وتعالى, أما الآيات الأخرى فبقاء المخلوقات فيها لا لذاته ولكن بعطاء من الله, لإكرام أهل طاعته وإنفاذ عدله في أهل معصيته, ولذلك يقول سبحانه: (إِنَّ للمُتَّقِينَ مَفَازا حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لغْواً وَلا كِذَّاباً جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً) (النبأ:36).

- **هل كان الله معطلا عن الخلق والفعل والقدرة ؟**

هل كان الله معطلا عن الخلق والفعل والقدرة ثم لما خلق الخلق أصبح خالقا فاعلا قادرا ؟ فيجيبه الإمام الطحاوي بقوله: (ما زال بصفاته قديما قبل خلقه, لم يزدد بكونهم شيئا, لم يكن قبلهم من صفته, وكما كان بصفاته أزليا, كذلك لا يزال عليها أبديا, ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق, ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري, له معنى الربوبية ولا مربوب, ومعنى الخالق ولا مخلوق, وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا, استحق هذا الاسم قبل إحيائهم, كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم, ذلك بأنه على كل شيء قدير, وكل شيء إليه فقير, وكل أمر عليه يسير, لا يحتاج إلى شيء, (ليْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (الشورى:11) .

فهو سبحانه وتعالى ليس قبله شيء متصف بصفات الكمال, فصفاته صفات أزلية وأبدية,

فكما أنه أول بلا بداية, فكذلك صفاته ملازمة لذاته, فهي أولية بأولية الله سبحانه وتعالى, فلم يكن أولا بلا صفات ثم حدثت له الصفات بعد ذلك, كما يقول ذلك من يقوله من أهل الضلال, فالله سبحانه وتعالى ليس لصفاته بداية كما أنه ليس لذاته بداية, فهو الخالق دائما وأبدا, وهو الرازق دائما وأبدا, وهو العلى دائما وأبدا وهو القوي دائما وأبدا وهو رب العالمين دائما وأبدا.

لا نقول بأن الله لم يكن خالقا إلا بعد أن خلق الخلق, بل هو خالق من الأزل, لا بداية لذلك, أما مخلوقاته فهي متنوعة متجددة, يخلق ما يشاء, ويفعل ما يشاء, فهو رب قبل وجود العالمين وحال وجود العالمين وبعد وجود العالمين هو رب العالمين, وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا, استحق هذا الاسم قبل إحيائهم, كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم, ذلك بأنه على كل شيء قدير, فالقدرة وصف أزلي لذاته, لم يكتسبه بعد وجود مخلوقاته, ولا يتطلب الأمر عنده دليلا وبرهانا حتى يصفه الناس بما يستحق, كما هو الحال عندنا, فالله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (الشورى:11) .

أما نحن فالواحد منا لا يوصف بأنه قوي إلا إذا ظهر دليل قوته, ولا يوصف بأنه حكيم إلا إذا ظهر دليل حكمته, ولا يوصف بأنه غني إلا إذا ظهر دليل عزه وغناه, ولا يوصف بأنه ملك إلا إذا نصبناه وملكناه, أما ربنا فهو الغنى لا إله إلا الله, كل شيء إليه فقير, وكل أمر عليه يسير, لا يحتاج إلى شيء, ليس كمثله شيء وهو السميع البصير, فكمال الأشياء مستمد من الله الغنى, وحياة العالم مستمدة من الله الحي, أما هو فلا يستمد وصفه من خلقه, ولا يمكن لملك الملوك أن يفتقر إلي شيء من ملكه.

كيف وهو القائل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ) (فاطر:15) .

انتهت ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السادسة (6)

عنوان المحاضرة

(توحيد الربوبية كما ورد في الكتاب والسنة)

عناصر ومفردات المحاضرة

- معنى الربوبية لغة:
- معنى الربوبية في القرآن والسنة يقوم على ركنين أساسيين :
- الأدلة النقلية على أن توحيد الربوبية يقوم على معنيين جامعين:
- الأدلة العقلية على توحيد الربوبية:
- الطريقة السلفية في التعرف علي وجود الرب وتوحيده بالربوبية.
- دليل الآفاق الكونية ودليل النفس البشرية

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة السادسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السادسة (6) .

عنوان المحاضرة

(توحيد الربوبية كما ورد في الكتاب والسنة)

عناصر ومفردات المحاضرة

- **معنى الربوبية لغة:**

الرب في اللغة مصدر من معنى التربية, فالرب هو الذي يربي غيره وينشئه شيئا شيئا, فوصف الرب يكون لمن أنشأ الشيء حالا فحالا إلي حد التمام, أو إصلاح شئون الغير ورعاية أمـــــره بانتظام.

ويطلق الرب في اللغة على المالك تقول: هذا رب الإبل, ورب الدار أي مالكها, ويطلـــــق على السيد المطاع ومنه قوله تعالى: (أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) (يوسف:41), أي سيده المطاع, ويطلق أيضا على المعبود.

ومنه قول الشاعر:

أرب يبول الثعلبان برأسه : لقد ذل من بالت عليه الثعلب.

والرب عند الإطلاق لا يقال إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات وتدبير أمورهم نحـــــو قوله ⊗: (بَلدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) (سبأ:15).

وعلى هذا قول الله تعالى: (**وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا**) (آل عمـــــران/80)' أي آلهة وتزعمون أهم الباري مسبب الأسباب والمتولي لمصالح العباد .

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يَقُل أَحَدُكُمْ أَطْعِـــمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ اسْقِ رَبَّكَ, وَليَقُل: سَيِّدِي مَوْلايَ, وَلا يَقُل أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُـــل: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي**).

والرب عند الإضافة يقال لله ولغيره نحو رب الدار ورب الفرس لصاحبهما, وعلـــى ذلـــك

المعنى جاء قول الله تعالى عن يوسف ❶: (وَقَالَ للذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّه) (يوسف:42).

- **معنى الربوبية في القرآن والسنة يقوم على ركنين أساسيين :**

ومعنى الربوبية يقوم في القرآن الكريم والسنة النبوية على ركنين أساسيين أو معنيين جامعين, عليهما محور الأدلة النقلية والعقلية والدلالات اللغوية:

الأول: إفراد الله بالخلق والتقدير وإنشاء الشيء من العدم, ومن ثم إفراده بلوازم ذلك من الصفات الإلهية العلم والمشيئة والقدرة والملك والغنى والقوة والإحياء والإبقاء والهداية والرزق والإمداد والرعاية والإفناء والإماتة والإعادة والهيمنة والعزة والإحاطة, وكل ما يلزم من صفات الذات والأفعال لتخليق الشيء وتصنيعه, فصفة الخالق أن يستغني بنفسه فلا يحتاج إلى غيره في ذلك وأن يحتاج إليه كل من سواه.

الثاني: إفراد الله بتدبير أمر المخلوقات والعناية بهم, وتقدير أحوالهم, والقيام على شؤونهم واللطف بهم، والهداية إلى ما يصلحهم, والفصل والقضاء والحكم بينهم, وتهيئة الكون لتحقيق الغاية من خلقهم.

ويقوم توحيد الربوبية في القرآن الكريم والسنة النبوية على ركنين أساسيين أو معنيين جامعين, عليهما يدور الدليل النقلي:

الأول: إفراد الله بالخلق والتقدير والتكوين وإنشاء الشيء من العدم, ومن ثم إفراده بلوازم ذلك من العلم والمشيئة والقدرة, والملك والغنى والقوة, والإحياء والإبقاء والهداية, والرزق والإمداد والرعاية, والإفناء والإماتة والإعادة, والهيمنة والعزة والإحاطة, وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الأفعال, لتخليق الشيء وتصنيعه, وكمال إيجاده واختراعه, فصفة الخالق أن يستغنى بنفسه فلا يحتاج إلي غيره, وأن يفتقر وإليه كل من سواه.

الثاني: إفراد الله بتدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم, والقيام على شئونهم واللطف بهم, والعناية والهداية إلي ما يصلحهم, والفصل والقضاء والحكم بينهم, وتهيئة الكون لتحقيق الغاية من خلقهم.

- **الأدلة النقلية على أن توحيد الربوبية يقوم على معنيين جامعين:**

أما الأدلة على ذلك فهي أكثر من أن تحصى إما بالدلالة الظاهرة أو بالدلالة المستترة في آيات الربوبية, وسوف نعرض جانبا منها إيضاحا لمنهج الاستدلال, ويمكن تتبع بقية الأدلة من خلال النظر في كتاب الله وسنة رسوله S:

1. قوله تعالى عن موسى عليه السلام هو يبين حقيقة الربوبية ومعناها لفرعون لما سأله عنها: (**قَال فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَال رَبُّنَا الذِي أَعْطَى كُل شَيْءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَى**) .فالآية دلالتها صريحة على أن موسى عليه السلام لما سئل عن الربوبية أجاب فرعون عن كل معاني الربوبية في معنيين جامعين, الأول منهما هو إفراد الله بتخليق الأشياء وتكوينها وإنشائها من العدم حيث أعطى كل شيء خلقه ووجوده, والثاني هو إفراد الله بتدبير الأمر في خلقه وهدايتهم إلي قيام شؤنهم وتصريف أحوالهم والعناية بهم.

2. قوله سبحانه وتعالى: (**إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ, يُغْشِي الليْل النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِين**) .فالآية الكريمة اشتملت على توحيد الربوبية وقيامه على ركنين, والدليل على ذلك إجمالا وتفصيلا بترتيب منعكس, أما توحيد الربوبية فظاهر في قوله: (تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِين), وأما قيامه على ركنين ففي إفراده بالخلق والتدبير, وأما الدليل عليه إجمالا ففي قوله: (أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ).

وأما الدليل عليه تفصيلا, فالركن الأول هو وصف الله بالخالقية لكل ما في السماوات والأرض وإنشائها من العدم, وذلك في قوله: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ), والركن الثاني هو تدبير الأمر وإمساك الكون بعد إنشائه وخلقه على نظام ثابت يحقق الغاية من وجوده, وقد ورد مفصلا في قوله: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ, يُغْشِي الليْل النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ) , وقد أكدت الآية في نهايتها حقيقة الربوبية وأن رب العالمين هو المنفرد بالخلق والتدبير.

3. قوله تعالى: (**اللهُ خَالقُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ وَكِيلٌ , لهُ مَقَاليدُ السَّمَاوَاتِ**

وَالأَرْضِ وَالذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولئكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) (الزمر:63) .وفي سورة الشورى (لهُ مَقَاليدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُل شَيْءٍ عَليمٌ) (الشورى: 12). معني مقاليد المقاليد هي المفاتيح بالفارسية أو خزائن السماوات والأرض, فقوله: (اللهُ خَالقُ كُل شَيْءٍ) .شاهد للركن الأول الذي قام عليه معنى الربوبية, وقوله: (وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ وَكيلٌ), شاهد للركن الثاني وهو اعتماد الكون في قيامه بعد خلقه وإنشائه على تدبير الله, فالوكيل الكفيل وهو سبحانه حفيظ رقيب, يدبر أمر كل ما سواه ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار.

4. وعلى الوتيرة نفسها جاء قوله تعالى: (**وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفي باللهِ وَكِيلا**), فالركن الأول هو التخليق والإنشاء من العدم, والثاني هو تدبير أمور المخلوقات بعد تكوينها.

5. وكذلك قوله تعالى: (**اللهُ الذي خَلقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لتَعْلمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُل شَيْءٍ عِلمًا**) .فالركنان في الآية باديان واضحان في إنشاء الخلق وتتريل الأمر بتدبير الرزق.

6. ومثله أيضا قوله تعالى: (**إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الذي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**) (يونس:3) .

7. وقوله تعالى: (**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى الذِي خَلقَ فَسَوَّى وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى**) (الأعلى 3:1), أي خلق كل شيء مستويا فعدله وهيأه لغايته فهذا شاهد للركن الأول من ركني الربوبية.

8. قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لهُ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلوْ اجْتَمَعُوا لهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالبُ وَالمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**) (الحج:73).

9. فالله سبحانه نفي عن آلهتهم وصفين اثنين هما أساس الربوبية, أولهما: الخلق والتكوين حتى لأحقر المخلوقات, والثاني: التدبير, لا لما يخلقونه فإنهم أضعف من ذلك, ولكن نفي

عجزهم عن تدبير أمور أنفسهم باسترداد شيء ضئيل مما يخصهم لو سلبه الذباب منهم, وهذا منتهى وصفهم بالعجز والضعف, فكيف تكون آلهة معبودة من دون الله ؟ وكل ذلك يدل على انفراد الله بالربوبية وأن معناها قائم على إفراده بالخلق وتدبير الأمر.

10. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (قَال اللهُ عَزَّ وَجَل: (وَمَنْ أَظْلمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلقًا كَخَلقِي, فَليَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ ليَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ ليَخْلُقُوا شَعِيرَةً)

وعند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلقِ الله

وعنده أيضا من حديث ابن عباس قال: أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَليْسَ بِنَافِخٍ.

ووجه الاستدلال من هذه الأحاديث أن النبي ﷺ ذكر العلة في عقوبتهم وعذابهم وهي المضاهاة بخلق الله, لأن الله تعالى منفرد بالخلق والأمر, فهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات فأحسن صورها, فالمصور لما صور إنسانا أو حيوانا على نحو ما خلقه الله تعالى, فإنه تشبه بالله في الركن الأول من ركني الربوبية وهو الخلق, فكلفه الله يوم القيامة بالركن الثاني وهو تدبيره وتحريكه, تبكيتا وتعجيزا, كلفه أن ينفخ الروح في الصورة التي صورها وليس بنافخ, فصار ما صوره عذابا له يوم القيامة لأنه تشبه بالله في المبتدأ وأشرك في الربوبية.

ومن ثم فإن توحيد الربوبية يقوم علي ركنين أساسيين أو معنيين جامعين, الأول: إفراد الله بالخلق والتقدير وإنشاء الشيء من العدم, وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الأفعال, لتخليق الشيء وتصنيعه, وكمال إيجاده واختراعه, فصفة الخالق أن يستغنى بنفسه فلا يحتاج إلي غيره, وأن يفتقر وإليه كل من سواه, الثاني: إفراد الله بتدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم, والقيام على شئوهم واللطف بهم, والعناية والهداية إلي ما يصلحهم, والفصل والقضاء والحكم بينهم, وتهيئة الكون لتحقيق الغاية من خلقهم.

- **الأدلة العقلية على توحيد الربوبية:**

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك ؟ فقل عرفته يقينا بآياته ومخلوقاته ؟ فمن الوسائل التي يـــدرك بها اليقين, أو يتأكد بها الإنسان أنه على يقين من أمره في توحيد ربه ؟

1. **البديهيات أو الأوليات**: وذلك كالحكم على أن البعرة تدل يقينا على البعير وأن الأثر يدل يقينا على المسير, ومن هنا كان المسلم على يقين بوجود الله من خلال إثبات وجود الخالق بدلالة المخلوقات, وقد ثبت ذلك بحكم الأوليات أو البديهيات, ومن آيـــاته الليـــل والنهـــار والشمس والقمر, ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما, يقول تعالي: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت:37).

وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْـــتَوَى عَلَـــى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الخَلْـــقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ) (الأعراف:54), فمن أكبر المحرمات جريمة الزنا, والحكم فيها لا بد أن يقوم على مفردات يقينية ولا يبني على أمور ظنية, وقد بين القرآن وســـائل إدراك اليقين عند الحكم على المرتكبين لها, فمن ذلك البديهيات وارتباط العلل بالمعلولات, كما قالت مريم للملك عندما قال لها: (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُـــونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) .بزواج وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا بزنا لأن البديهيات تجعل العاقل يحكم حكما يقينيـــا بأن الولد لا يأتي إلا من طريق مشروع أو طريق ممنوع ولذلك أكد لها الملك أن ذلك واضـــح صحيح, وأن حالتها استثناء وأن الله يخلق ما يشاء قَال كَذَلِكِ قَال رَبُّكِ هُوَ على هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا من أجل ذلك أثبت لها الخالق براءها, بخرق العـــادات وظهور المعجزات, وأوحي إليها أنها إذا رأت من أنكر عليها, أن تلزم الصمت وتمتنـــع عـــن الكلام, وكل ما عليها أن تشير إلي الغلام وتقول: (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُـــوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا قَال إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِي الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ على يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُـــوتُ وَيَـــوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَي ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِـــنْ وَلَـــدٍ

سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون) (مريم:26).

فدلالة الأسباب على خالقها من أعظم الدلائل العقلية علي توحيد الربوبية: فالعقلاء يعلمون أن المصنوع يدل على صانعه والمخلوق يدل على خالقه, وآيات القرآن كثيرة جدا في بيان هذا المنهج العقلي في الاستدلال على وجود الخالق وعظمته واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَل مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (فاطر/3),

وقوله عز وجل: (أَمْ خُلقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالقُونَ أَمْ خَلقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ) (الطور:35) .

- **الطريقة السلفية في التعرف علي وجود الرب وتوحيده بالربوبية.**

كيف نعرف ربنا وإلهنا ؟ ما هي طريقة السلف في إثبات وجود الله عز وجل ؟ وكيف فطر الله عباده علي معرفته ؟

طريقة السلف هي طريقة الأنبياء والرسل, (قَالتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (إبراهيم:10).

1. **روى عن الإمام أبي حنيفة** النعمان رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى, فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه, ذكروا إلي سفينة في البحر كبيرة, فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها, وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها, وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد, فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل, فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع, فبهت القوم ورجعوا هي الحق وأسلموا علي يديه.
2. **وسئل الشافعي رحمه الله** عن وجود الخالق عز وجل فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد, تأكله الدود فيخرج منه الحرير, وتأكله النحل فيخرج منه العسل, وتأكله الشاء والبقر والأنعام, فتلقيه بعرا وروثا وتأكله الظباء فيخرج منه المسك وهو شيء واحد.
3. **وسئل الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله عن ذلك, فقال: هاهنا حصن حصين أملس ليس له

باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز, فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح.

وقال أحدهم: (لو أن الله تبارك وتعالى لم يعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد, ولكن المؤمنين تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء, فملأ كل شيء وغطى كل شيء وفي مجيء سلطان النهار إذا جاء فمحا سلطان الليل وفي السحاب المسخر بين السماء والأرض وفي النجوم وفي الشتاء والصيف, فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم بربهم عز وجل وحتى كأنما عبدوا الله تبارك وتعالى عن رؤية),

قال رجل لرجل أخبرني عن أمر الله عز وجل أيه أعجب فقال وأية ليس بأعجب فأخبرك بأعجبه.

وقال ابن الجوزي رحمه الله : (وهل يشك ذو عقل في وجود صانع, فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان, ثم عاد فرأى حائطا مبنيا علم أنه لا بد له من بان بناه, فهذا المهاد الموضوع وهذا السقف المرفوع, وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة, أما تدل على صانع ؟).

وما أحسن ما قاله بعض الأعراب في ذلك, قال: إن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير, فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير.

فلا بد لهذا الكون المخلوق المصور من خالق مصور, فإذا كانت الكتابة لا بد لها من كاتب ولا بد للصورة من مصور وللبناء من بان, وكنا لا نشك في جهل من أخبرنا عن كتابة حصلت من غير كاتب, وصياغة تمت غير صائغ فوجب أن تكون المصنوعات, وحركات الكواكب السيارات, والفلك الجوار المنشئات, قد وجدت عن قدرة خالق خلقها, وصانع صنعها, وحكيم يدبر أمرها.

- **دليل الآفاق الكونية ودليل النفس البشرية**

يقول تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:53).

قال ابن عباس قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق أي سنريهم علامات وحدانيتنا وقدرتنا,

وأصح الطرق وأجلاها, وأوضحها وأشفاها في التعرف علي ربوبية الله لكونه هـــي طريقـــة القرآن.طريقة القرآن مبنية على الاستدلال بنوعين من الآيات, آيات الله في الآفاق الكونيـــة, وآيات الله في النفس البشرية, كما ذكر الله تعالي في قوله: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَـــاقِ وَفِـــي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ) (فصلت/53).

أولا دلالة الآفاق: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ) .والعالم الآن يتكاتف لاكتشاف آفاق الكون وأبعاده, والبحث عن بدايته وكيفية بنيانه, ومن أعظم مشاريع العصر بناء المحطـــة الفضـــائية الدولية مير ثم سقوطها تم بناء المحطة الدولية الجديدة.

ثانيا: دلالة النفس (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا وَفِي أَنْفُسِهِمْ) .والعالم الآن يتكاتف لاكتشـــاف أكـــبر المشاريع في تاريخ البشرية وهو مشروع الجينيوم.

ولنتحدث أولا علي دلالة الآفاق: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ) .هذا الكون الضخم العظيـــم من أعظم الدلائل على وجود الله وتدبيره لخلقه, فالأرض التي نعيش عليها, والمجموعة الهائلة من النجوم التي تتراءى لنا تبهر الناظرين, فتقف النفس أمامها وقوف العاجزين, تحار فيها عقـــول ذوى الألباب, ويسيطر عليها الدهشة والاستغراب والإعجاب, فتزداد القلوب إيمانـــا بعظمـــة الخالق وقدرته, وكمال صنعه وبديع حكمته, والقرآن الكريم الذي هو كلام الله كثرت فيـــه الآيات التي تدعوا العقلاء إلي النظر في خلق الأرض السماوات, وتدعوه إلى التفكر في أســـرار هذه المخلوقات, ليدعم إيمانه بربه, ويطرد الشك من نفسه, قال الله تعالى (قُل انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) (يونس:101), وقال تعالى (أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَـــدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَديث بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:185), ويقول تعالي: (قُل سِـــيرُوا فِـــي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخرَةَ إِنَّ اللهَ عَلى كُـــل شَـــيْءٍ قَـــديرٌ) (العنكبوت:20) (خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَةً للمُؤْمِنِينَ) (العنكبوت: 44), وجاء أيضاً: (إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ الليْل وَالنَّهَـــارِ لآيـــاتٍ لأُولي الأَلبَابِ) (آل عمران:190).

لقد شغل الكون بآفاقه علماء عصرنا, ويا ليتهم بعقلهم وتقدمهم استدلوا بما اكتشفوه علي

خالقهم, محطة الفضاء الروسية مير, بعد 15 عاما من الدوران حول الأرض سقطت مير في المحيط الهادي, وما هي مير ؟ مير تزن حوالي 137 طنا, كانت أضخم جسم يدور في الفضاء حول الأرض بعد القمر, مير هي جوهرة التاج الخاصة ببرنامج الفضاء الروسي, جمعت على متنها خلال فترة حياتها الكثير من رواد الفضاء والعلماء, المتخصصين في علم الكونيات من 12 دولة, هذا بالإضافة إلى روسيا, وبعد سقوط مير قامت أمريكا بإنشاء محطة الفضاء الدولية التي يشترك في تشييدها أكثر من 16 دولة, بتكلفة تصل إلى 100 بليون دولار عند تمام إنشائها.

كل ذلك لأن معرفة الكون تذهلهم, تحقيقا لقول خالقهم: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ) .آيات الله التي يستدلون من خلالها بهذه المخلوقات على رب العالمين, وحتى تقام حجة الله علي المشركين والكافرين, ما الذي اكتشفوه عن الكون في محطتهم الفضائية ؟ وما الذي وجدوه من آيات الحق في دراستهم العلمية ؟ وجدوا تصديقا لقول خالقهم: (الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) (الرحمن:5).

(لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يّس: 40) (أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَليلاً) (الفرقان:45).

(هُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِل لتَعْلمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلقَ اللهُ ذَلكَ إِلا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لقَوْمٍ يَعْلمُونَ) (يونس:5) . (وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِل حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يّس:39) (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا تَسْجُدُوا للشَّمْسِ وَلا للقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت:37).

يقول العلماء المجرة هي تجمع نجمي يضم عشرات البلايين من النجوم مثل شمسنا, والمجرة التي تتبعها مجموعتنا الشمسية تضم أكثر من أربعمائة ألف مليون نجم تحتشد على هيئة قرص مفرطح يبلغ قطره نحو مائة ألف سنة ضوئية, وارتفاعه نحو عشر ذلك, وتقع مجموعتنا الشمسية على بعد 30.000 سنة ضوئية من مركز المجرة, و 20.000 سنة ضوئية من أقرب أطرافها,

وتختلف نجوم المجرة في أعمارها وفي أحجامها, ودرجات حرارتها ودرجات لمعانهـــــا, وفي غير ذلك من صفاتها الطبيعية, وفي تركيبها الكيماوي وفي دورات حياتها, فمنها النجـــوم العاديـــة المفردة والمزدوجة والعماليق الحمر, والنجوم الزرقاء والنجوم البيضاء والبنية والسوداء, ومنهـــا المستعرات وفوق المستعرات, ومنها النجوم النيوترونية النابضة وغير النابضة, ومنهـــا النجـــوم الخناسة الكانسة, ومنها النجم الطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب, ومن المجرات ما هو حلزوني مثل مجرتنا, ومنها ما هو بيضاوي, ومنها ما هو أكبر من مجرتنا بكثير, ومـــا هـــو في حجمها وما هو أصغر منها, وقد يتجمع عدد من المجرات على هيئة عنقود مجري يضم عشرات الآلاف من المجرات, والمجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعات قد تقترب من سرعة الضوء في بعض الأحوال.

فدلالة الآفاق طريق من أبرز الطرق التي نتعرف من خلالها علي وجود الخالق وعظمته, مـــا يحدث في الكون من تصريف يتجدد, في طلوع الشمس والقمر والنجوم وفق زمان محـــدد, في دوران الأفلاك الدائرات, والسفن الجاريات والرياح الذاريات والنجوم العلامات, وكذلك تغير أحوال الهواء, والغيوم في السماء, والرعد والبرق وإنزال الأمطار, وما فيها من أحوال تدل على بالغ الحكمة, لا تختلط فيها الأمطار قطرة بقطرة, مهما صـــغرت أو كـــثرت أو تقـــاربت أو تتابعت, حتى تقع متفرقة من غير ضرر, ولو اجتمعت لعظم ضررها وكثر خرابها, فمن الـــذي ينزل هذه الأمطار فتروي الأرض بسهولها وجبالها, وشعابها وهضابها, ولينبت العشب الكـــثير الذي تأكله الأنعام والحيوان والهوام, ويخرج به النبات والأشجار, والأزهار والثمار, ويمتد الماء إلى البحار والأنهار, وتمتلأ به العيون والآبار .

(إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ الليْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلكِ التِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَل اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُل دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة:164) .

فالتفكر في هذه الأمور هو النظر المأمور به في الآيات, وعلى ذلك درج الســـلف مـــن غير ترتيب مقدمات, أو قانون المنطق وأنواع من الفلسفات, بل قد شهد كتاب الله على أن ذلك يفيد البيان حيث قال: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لهُـــمْ أَنَّـــهُ الحَـــقُّ)

(فصلت:53) .ثم توعد من زعم أن ذلك لم يفده بيانا بقوله: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُـــل شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:53), فلا يشترط في العلم بوجود الله أن يبني على المقدمات المنطقيـــــة والأساليب النظرية, ومن الذي ينكر هذا إلا كل معاند ؟ أو يستبعده في العقل إلا كل جاحد ؟

لقد حكى الله عن الهدهد وهو طائر صغير أنه وحد الله واحتج على صحة توحيـــده بهـــذا الدليل, الذي توصل إليه من خلال النظر في الآفاق, فقال تعالى عن قوله: (أَلا يَسْـــجُدُوا للهِـــ الذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلنُونَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) (النمل:25).

ودلائل الربوبية في الآفاق آياتها أعظم وأكثر من كل دليل منطقي أو منهج فلسفي, فكـــل إنسان تظهر له من الدلائل المعينة التي يريه الله إياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون, فالله أخبرنا أنه سيري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العينية المشهورة المعقولة ما يبين أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق فيتطابق العقل والنقل ويتفق العيان والقـــرآن, وإذا كان القرآن حقا لزم كون الرسول والذي جاء به صدقا, وذلك يتضمن إثبات الصـــانع وتوحيده وأسماءه وصفاته وإثبات النبوات وإثبات المعاد وهذه هي أصول العلم والإيمان الـــتي تعلقت بها السعادة والنجاة.

أما دلالة الأنفس: فقد ذكرها الله بعد دلالة الآفاق فقال: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآَفَاقِ وَفِـــي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ) .ومن أعظم ما يدور في العالم الآن, مشروع القرن, أعظـــم مشاريع التاريخ, مشروع الجينيوم, أو خريطة الجينات البشرية, الحامض النووي للخلية دي إن إي, أو سر الحياة كما أطلقوا عليها عام 1953م, ويمتاز هذا الحامض في الخلية بأن له تركيبة واحدة في الإنسان, وهو عبارة عن سلمين لولبين ملتصقين وملتفين حول بعضـــهما البعـــض, وتتكون جوانب السلم من جزئيات السكر والفوسفور, وتتكون كل درجة من درجاته مـــن قاعدة نيتروجيه وتوجد أربعة أنواع من هذه القواعد التي تتوالى بطريقة معينـــة, وقـــد شـــبه الحامض الوراثى "النووي" بكتاب مؤلف من أبواب محددة والباب الواحد مكون من صفحات, وفي كل صفحة فقرات مكتوبة بكلمات من أحرف, ولا يزيد عدد الأحرف عن أربعة, هـــي المواد الأساسية التي خلقها الله سبحانه وتعالى في الجسم الإنساني والحيواني والنباتي, تصور لغة

من أربعة حروف كيميائية, موضوعة في تسلسل معين يؤدي إلى خلق البشـــر, والله ســـبحانه وتعالى خلقنا بتركيبة مبنية على هذه الحروف الأربعة.

نشر العلماء أول حلقة من خريطة الجينات البشرية في تقدم يبشر بإحداث ثورة في المفاهيم العلمية والطبية, تتوج جهودا مضنية بذلها علماء كثيرون من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيـــا واليابان والصين طوال السنوات العشر الماضية لفك شفرة الجينات الوراثية التي جعلـــت منـــا كائنات حية, الجينوم هو القائمة الكاملة من الجينات الوراثية المشفرة اللازمة لتكوين الكـــائن الحي, هناك 3.1 مليار حرف من الحامض النووي (دي إن إيه) .في كل خلية مـــن الخلايـــا البشرية البالغ التي عددها 100 تريليون خلية, الأسس النتروجينية الأربعة لحروف الحـــــامض النووي والمترتبة على شكل أزواج, تحمل المعلومات الكاملة لتكوين جميع الكائنات الحيـــة, إذا وضعت جميع جزيئات الحامض النووي في الجسم البشري سوية من نهايات أطرافهـــا, فإنهـــا تساوى مسافة ما بين الأرض إلى الشمس ذهابا وعودة 600 مرة, والمعلومات الموجـــودة في الخلية يمكن أن تملأ مجموعة من الكتب يصل ارتفاعها إلى 60 مترا أو 200 دليل هاتف كـــل واحد منها مؤلف من 500 صفحة.

دلالة الأنفس دلالة بليغة قال الله تعالى: (قُتِل الإنسان مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيل يَسَّرَهُ) (عبس:20) .وقال تعالى: (وَفِـــي أَنْفُسِـــكُمْ أَفَلا تُبْصِـــرُونَ) (الذاريات:21) .وقال: (يَا أَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) (الانفطار:8), وقال: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة:28)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلقَةٍ لِنُبَيِّنَ لكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَـــمّىً ثُـــمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفي وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلمَ مَنْ بَعْدِ علمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلنَا عَليْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِـــنْ كُـــلِ زَوْجٍ بَهِيجٍ, ذَلكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ, وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ) (الحج:7).

وقد جمع الله تعالى ذكر دلالتي النفوس والآفاق في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُل شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:53) .

ونحن نعلم بالضرورة أننا وجدنا أحياء قادرين عالمين ناطقين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن شيئا وأن أول وجودنا كان نطفة قذرة مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الاستواء, بحيث يمتنع في عقل كل عاقل, أن يكون منها بغير صانع حكيم ما يختلف أجناسا وأنواعا وأشخاصا.

أما الأجناس فكما نبه عليه قوله تعالى: (وَاللهُ خَلقَ كُل دَابَّة مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِه وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْليْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (النور:45), وأما الأنواع فنبه عليها بقوله: (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلقَةً فَخَلقَ فَسَوَّى فَجَعَل مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) (القيامة:39),

وأما الأشخاص فبقوله تعالى: (قُتِل الإنسان مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيل يَسَّرَهُ) (عبس:20), وبيان ذلك أنه خلق من نطفة فقدره مستوية الطبيعة, فكيف يكون منها ما يبصر, ومنها ما يسمع, ومنها ما يتذوق, ومنها ما يشم ؟ ومنها ما يحس ويتأثر, ومنها العظم الصلب ومنها الرخو اللب, ومنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع.

قال قتادة رحمه الله في قوله تعالي: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) (الإسراء:72) .قال: من عمي عما يرى من الشمس والقمر والليل والنهار وما يرى من الآيات و لم يصدق بها فهو عما غاب عنه من آيات الله أعمى وأضل سبيلا) .

انتهت المحاضرة ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السابعة (7) .

عنوان المحاضرة

(توحيد الربوبية وعلاقته بإثبات

الاستواء على عرشه)

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة السابعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السابعة (7) .

عنوان المحاضرة

(توحيد الربوبية وعلاقته بإثبات

الاستواء على عرشه)

من اللوازم الضرورية للإيمان بتوحيد الربوبية إفراد الله بالملك وإثبات الاستواء والفوقية, لأن إفراد الله بالخلق وتدبير الأمر, وتقديره للرزق يرتبط ارتباطا قويا بصفة الاستواء علي العـــرش, ولذلك سوف نتحدث عن استواء الملك علي عرشه من جانب ربوبيته لخلقه, وليس من جانب الأسماء والصفات, وقد سبق أن بينا أن توحيد الربوبية قائم على ركنيين اثنين:

أحدهما إفراد الله بالخلق والقدرة والتقدير, والثاني إفراده بالحكمة والتدبير كما قال: (أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِين) (الأعراف:24), (اللهُ خَالقُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الزمر:62) (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى الذِي خَلقَ فَسَوَّى وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى: 1/3) .فإذا كان توحيد الربوبية يقوم علي إفراد الله بالخلق والتدبير, فإن كثيرا مـــن معـــاني الربوبية ترتبط بهذين الركنين وتترتب عليهما, ومن أبرز هذه اللوازم المرتبطة بتوحيد الربوبيـــة إفراد الله بالملك والاستواء والفوقية, كيف ؟.

- **ما هي علة استحقاق الملك ؟**

علة استحقاق الملك أمران:

الأول صناعة الشيء وإنشائه, فالمخترع يأخذ براءة الاختراع, والمؤلف يأخذ حق التأليف والطبع, وقال البخاري: بَاب مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا وَرَأَى ذَلكَ عَليٌّ فِي أَرْضِ الخَرَابِ بِالكُوفَـــةِ مَوَاتٌ وَقَال عُمَرُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لهُ وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

ولا يمكن لملك من ملوك الدنيا أن يؤسس مله ويصنعه بمفرده, لا بد مـــن ظهير معين مـــن قرابته, أو حزبه وجماعته, أو إخوانه وقبيلته, لكن من الذي ساعد الحق في إنشاء الملك ومـــن الذي عاونه علي إيجاد هذا الخلق ومن الذي رفع السماء وفصلها عن الأرض ؟

فعند إنشاء الكون من الذي كان مع الحق (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلينَ عَضُداً) (الكهف:51) .

وعند البخاري من حديث عَمرانَ بن حُصينٍ أن النبيِّ ﷺ قال: (كان اللهُ ولم يكن شيء قبلهُ, وكان عرشه على الماء, ثم خلقَ السماواتِ والأرضَ, وكتب في الذكر كل شيء), فمن الذي حضر مع الحق عن بداية الخلق ؟.

أما العلة الثانية لاستحقاق الملك: دوام الحياة فدوام الحياة يؤدي إلى انتقال الملكية وثبوت التملك فشروط الإرث أربعة أولها: التحقق من موت المورث, وثانيها التحقق من حياة الوارث بعد موت مورثه ولو بلحظة, فدوام الحياة ولو للحظة يوجب انتقال الملكية إلي الغير, وإذا كان كل من علي الأرض زائل كما قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلال والإكرام) (الرحمن:27) (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الانبياء:35) (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِليْنَا تُرْجَعُونَ) (العنكبوت:57).

وماذا نقول إن كانت الحياة وصف ذاته والإحياء وصف فعله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ المُلكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) (غافر:16) .

(وَلا يَحْسَبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لهُمْ بَل هُوَ شَرٌّ لهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران: 180) .

(اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) (البقرة:255) .

(أَلمْ تَرَ إِلى الذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلكَ إِذْ قَال إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَال أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَال إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمِينَ) (البقرة:258).

(أَوْ كَالذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِهَا قَال أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَال كَمْ لبِثْتَ قَال لبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَال بَل لبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلى حِمَارِكَ وَلنَجْعَلكَ آيَةً للنَّاسِ وَانْظُرْ إِلى العِظَامِ

كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: 259).

إبراهيم عليه السلام بدافع الحب الذي هيمن على القلب أراد من ربه مزيدا من القرب, برؤيته لفعل الله في إحياء موتاه فقال: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ المَوْتَى قَال أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَال بَلَي وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلبِي قَال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَل على كُل جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة:260) .

قال المفسرون: أمره أن يأخذ غرابا وحمامة وديكا ويمامة, ثم قال له: أوثقهن واذبحهن وقطعهن, فقطعهن ونتف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن, وجعل على كل جبل منهن جزءا, وأخذ رؤوسهن بيده, ثم أمره الله تعالى أن يدعوهن فدعاهن, فجعل ينظر إلي الريش يطير إلي الريش, والدم يجتمع على الدم, والعظم يلتحم بالعظم, واللحم يلتصق باللحم, كل طائر أجزاؤه تلتئم وتنضم, حتى اكتمل البدن وتم, وقام كل طائر يسعى بين يديه بغير رأسه, ويرغب في التحامها بجسمه, إذا قدم له غير رأسه يأباه, فسبحان من خلقها وسواها, كل ذلك وإبراهيم عليه السلام ينظر إلي فعل الله وقدرته, ويتعجب من حكمته وقوته, (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (الأنعام:95) .ولذلك أمرنا أن نتوكل عليه وندعوه بإخلاص لأن من سواه ليس فيه وصف الله ودوام الحياة: (وَتَوَكَّل عَلى الحَيِّ الذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفي بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً) (الفرقان:58), فإذا مات الكل فلمن ينتقل الإرث والملك ؟ (وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران:180), (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفي عَلى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ المُلكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ) (غافر:16). فالملك لله في المبتدا عند إنشاء الخلق فلم يكن أحد سواه ؟ والملك لله في المنتهى عند زوال الأرض لأنه لن يبقى من الملوك سواه ؟ فهل يجرؤ أحد بعد ذلك أن يدعي شيئا لغير الله ؟

(قُل ادْعُوا الذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلكُونَ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لهُ) (سبأ: 22/23) .فالله عز وجل نفي جميع الوجوه التي يتذرع بها المشركون إلي الشرك في الربوبية

والعبودية معا فنفت الآية عن آلهتهم كل أوجه التأثير في الكون ممثلة في أربعة أمور:

أ – نفي الملك التام لا نعدام ربوبيتهم, فلا يخلقون في الكون شيئا ولا يدبرون فيه أمـــــرا, ومن ثم فله الملك كله وله الأمر كله, فقال تعالى: (لا يَمْلِكُونَ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي السَّـــــمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ) (سبأ:22).

ب – نفي المشاركة له في الملك بأن يكون لهم نصيب وله نصيب فربما يزعم زاعـــم أنهـــم اشتركوا سويا في الخلق والتقدير, فقال تعالى: (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ).

ح – نفي الظهير والمعين فقد يدعى بعض المشـــركين أن آلهتهـــم لا يملكـــون شـــيئا ولا يشاركون الله في الملك, ولكن يعاونوه في تدبير الخلق والقيام على شيءونه فقال: (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ).

د – نفي الشفاعة عنده إلا بإذنه لأنهم تعلقوا بها وقالوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلي اللهِــــ زُلفي) (الزمر:3), فقال سبحانه: (وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (سبأ:23).

والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى, وكلها تكشف عن نفسها وتفصح عـــن مـــدلولاتها بجلاء ووضوح, وتبين أنه لا خالق إلا الله ولا مدبر للكون سواه, ومن ثم فإنه المنفرد بالملـــك, فالمَلك هو المتصرف بالأمر والنهي في مملكته وهو القائم بسياسة خلقه إلي غايتهم وملكه هـــو الحق الدائم له بحق دوام الحياة.

واعلم أنك إذا وحدت ربك في الربوبية وأفردته بالخالقية والتدبيرات الكونية والشرعية, فإنه يلزمك أن تفرده بالملك والاستواء علي العرش, لأننا علمنا بالضرورة العقلية أن الذي يصـــــنع الشيء ويبتدعه, أو ينشئه ويخترعه له فيه من جهة الاستحقاق والملكية أمران اثنان:

الأول: ملكيته لما صنع من أشياء.

والثاني: حريته فيها يفعل بها ما يشاء, ولما كان الحق سبحانه وتعالى هو المنفـــرد بـــالخلق والتدبير, فإنه إلزاما ينفرد بالملك والتقدير, وينفرد بأنه المالك المستحق للملك.

ولما كان استواء الملك على عرشه فيه دلالة علي الإقرار له بالملك وتصريف الأمر, وكـــان كل ملك في الدنيا استواؤه علي عرشه من لوازم كمال ملكه, كان إثبات اســـتواء الله علـــى عرشه من لوازم توحيده من باب أولي فمن لوازم توحيد الربوبية إثبات علو الذات والفوقيـــة,

الاستواء علي العرش, ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالي: (طه مَا أَنْزَلنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لتَشْقَى إِلا تَذْكرَةً لَمنْ يَخْشَى تَترِيلا ممَّنْ خَلقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَات العُلا الرَّحْمَانُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى لهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْل فَإِنَّهُ يَعْلمُ السِّرَّ وَأَخْفي اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ لهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) (طه 5:1).

وقال أيضا: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّة أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُغْشِي الليْل النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ) (الأعراف:54) (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي ستَّة أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (يونس:3).

(اللهُ الذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لعَلكُمْ بِلقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (الرعد:2)

(قُل مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) (المؤمنون:86)

(اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ مَا لكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ) (السجدة:4)

(هُوَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يَعْلمُ مَا يَلجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد:4)

(فَإِنْ تَوَلوْا فَقُل حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ عَليْهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) (التوبة: 129) (فَتَعَالى اللهُ المَلكُ الحَقُّ لا إِلهَ إِلا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ) (المؤمنون:116).

ومن عظمة العرش ودلالته علي إثبات الملك, أن العرش ذكر في سورة النمل أربع عشرة مرة, فكل ملك من الملوك يتخذ لنفسه عرشا عظيما يدل على مترلته وقدره, فشتان بين عرش وعرش:

وها هي قصته العجيبة: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَال مَا لِي لا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ ليَأْتِيَنِي بِسُلطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَال أَحَطتُ بِمَا لمْ تُحِطْ بِهِ

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِ شَيْءٍ **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** وَجَدْتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلا يَسْجُدُوا للهِ الذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ **رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ** قَال سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الكَاذِبِينَ اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَل عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالتْ يا أيها المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلةً وَكَذَلكَ يَفْعَلُونَ ...

قَال الذِي عِنْدَهُ عِلمٌ مِنْ الكِتَابِ **أَنَا آتِيكَ بِهِ** قَبْل أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ **فَلمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا** عِنْدَهُ قَال هَذَا مِنْ فَضْل رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ **قَال نَكِّرُوا لهَا عَرْشَهَا** نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنْ الذِينَ لا يَهْتَدُونَ فَلمَّا جَاءَتْ قِيل **أَهَكَذَا عَرْشُكِ** قَالتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا العِلمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيل لهَا **ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ** لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَال إِنَّهُ **صَرْحٌ مُمَرَّدٌ** مِنْ قَوَارِيرَ قَالتْ رَبِّ إِنِّي ظَلمْتُ نَفْسِي وَأَسْلمْتُ مَعَ سُليْمَانَ للهِ رَبِّ العَالمِينَ) (النمل:) .

وملوك الدنيا مع أن ملكهم محدود زائل, واستحقاقهم للملك من قبل الحق, فهو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء: (قُل اللهُمَّ مَالكَ المُلكِ تُؤْتِي المُلكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: 26) .إلا أن ملوك الدنيا يبالغون في الحفاظ علي عروشهم ويجعلون قصورهم في الأماكن المرتفعة أو على الماء, ويفتخر كل منهم بأنه صاحب العرش والسلطة والقوة والهيمنة فهذا فرعون طاغوت عبد من دون الله إن ادعى لنفسه الملك فإنه يدعيه بغير حق, إما على قرية أو مدينة أو جزء قليل أو كثير من الأرض, كما قال فرعون: (أَليْسَ لِي مُلكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ) (الزخرف:51) .

لكن ملك فرعون وإن كان زائلا لم يخرج عن حدود مصر إلى الشرق أو الغرب أو سائر

الأرض فما بالنا بمالك الملك, الملك الذي تملك بحق جميع ما في السماوات وما في الأرض, ألا يدعو هذا الوصف جميع العقلاء إلى أن يقولوا بيقين وصدق وعن عقيدة حق: لا إلـــه إلا الله ؟ وهذا الشيطان رأس الطواغيت لما نزل إلي الأرض نصب عرشه علي الماء, فعند الإمام مســــلم يقول ﷺ: (**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُـــــمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَال ثُمَّ يَجِيءُ أَحَـــــدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَال فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ**).

فانظر إلي ملك الملوك وهو يصف عرشه, **بأنه عظيم** (فَإِنْ تَوَلوْا فَقُل حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ عَليْهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) (التوبة:129) .وصفه بالعظمة في مقابل تولي الخلق لأنه لما كان الاستواء علي العرش دليلا علي تولي الملك, ولو أعرض الخلق عن ملك الدنيا خلعــــوه من عرشه ونصبوا غيره, لأنه ما وصل إلى الملك إلا بهم, سواء بانتخاب أهله وعشيرته أو حزبه وجماعته, أما ملك الملوك لو أعرض عنه سائر الخلق فمن الذي يتغير ؟ أيتغير الملك أم المملوك, أيزول الخالق أم المخلوق ؟

(وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلوْا يَسْتَبْدِل قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالكُمْ) (محمـــــد: 38)

(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلى ذَلكَ قَـــدِيراً) (النســـاء:133) (وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَـــأَكُمْ مِـــنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) (الأنعام:133)

(أَلمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَـــأْتِ بِخَلـــقٍ جَدِيـــدٍ) (إبراهيم:19).

ووصفه بأنه كريم: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِليْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالى اللهُ المَلـــــكُ الحَقُّ لا إِلهَ إِلا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ) (المؤمنون:116) .

له حملة اليوم (الذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْـــدِ رَبِّهِـــمْ وَيُؤْمِنُـــونَ بِـــهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ للذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُل شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلماً فَاغْفِرْ للذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ) (غافر:7) .وله حملة يوم القيامة: (وَالمَلكُ عَلى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَـــــرْشَ

رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) (الحاقة:17) .

له قوائم كما ورد عند البخاري من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ◐ أن النبيِّ ﷺ قال: (الناسُ يصعَقون يومَ القِيامةِ فأكونُ أول مَن يُفيقُ, فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرشِ, فلا أدرِي أفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّور.

عرش الله أعلي المخلوقات وسقف الجنة: فعند البخاري من حديث أبي هريرةَ ◐, أن النبيَّ ﷺ قال: (من آمَنَ باللهِ وبرسوله وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقّاً على الله أن يُدخلهُ الجنَّة, جاهدَ في سبيلِ اللهِ أو جلسَ في أرضهِ التي وُلدَ فيها. فقالوا: يا رسول اللهِ, أفلا تُبَشِّرُ الناس ؟ قال: إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيل الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ)

عرش الله يهتز لعظائم الأمور فعند البخاري من حديث جابرٍ ◐ قال سمعت النبيَّ ﷺ يقول: (اهتزَّ العرش لموتِ سعدِ بن مُعاذ).

الشمس تسجد تحته روي البخاري من حديث أبي ذرّ ◐ أن النبيُّ ﷺ قال لأبي ذرّ حينَ غَرَبَتِ الشمسُ: (أتدري أينَ تَذهَبُ ؟ قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم, قال: فإنها تَذهب حتّى تَسجُدَ تحتَ العَرش, فتستأذنَ فيُؤذَنُ لها, ويوشكُ أن تَسجدَ فلا يُقبَلُ منها, وتستأذنَ فلاُ يؤذن لها, فيقالُ لها: ارجعي من حيثُ جئتِ, فتطلُعُ من مَغربها[1]. فذلك قوله تعالى: (والشمس تَجرِي لمستقرٍّ لها, ذلكَ تقديرُ العزيز العَليم) (يس: 83).

عرش الله من أثقل الأوزان عن الله وروي البخاري من حديث جُوَيْرِيَةَ ◐,(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلى؟ الصُّبْحَ, وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى؟, وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَال: (مَا زِلتِ عَلى الحَال التي فَارَقْتُك عَليْهَا ؟ قَالتْ: نَعَمْ. قَال النَّبِيُّ ﷺ: لقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلمَاتٍ, ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. لوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلتِ مُنْذُ اليَوْمِ لوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ, عَدَدَ خَلقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلمَاتِهِ

عرش الله يظل من شاء من خلقه تحت ظل عرشه وروى الترمذي وقال حديثٌ حسنٌ

[1] البخاري كتاب بدء الخلق, باب صفة الشمس والقمر بحسبان 3/1170(3027).

صحيحٌ وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي هُرَيْرَةَ ◐ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَنْظَــرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ لَهُ, أَظَلَهُ الله يَوْمَ القِيامَةِ تَحْتَ ظِلِ عرشِهِ, يَوْمَ لاَ ظِل إلاَّ ظِلُّهُ

وعند البخاري من حديث أبي هُرَيْرَةَ ◐ أن رسول الله ﷺ قال: (سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِله يومَ لا ظِل إلا ظِلُّهُ: الإَمامُ العادلُ, وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه, ورجلٌ قلبُه مُعَلقٌ في المســـاجد, وَرجُلانِ تَحابّا في الله اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه, ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ, ورجلٌ تَصدَّقَ أخفي حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفقُ يمينُه, ورَجُلٌ ذكرَ اللهَ خاليـــاً ففاضَتْ عَيناه).

كان ولا يزال على الماء: (وَهُوَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُــهُ عَلى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلئِنْ قُلتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُــولنَّ الــذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ) (هود:7) .

وعند البخاري من حديث أبي هريرةَ ◐ أن النبيِّ ﷺ قال: (إنَّ يمينَ اللهَ ملأى لايغيضـــها نفقة سحَّاء الليل والنهارَ, أرأيتم ما أنفَقَ منذُ خلقَ السماوات والأرضَ فإنه لم ينقــص مــا في يمينِهِ, وعرشه على الماء, وبيدِهِ الأخرى الفيضأو القبضيرفع ويخفِض).

فطالما أن وحدت ربك في الربوبية فلا بد من توحده في الملك والاستواء علي العــــرش ولا تسأل كيف استوى ؟

فالملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجـــود بـــل لا يستغني عنه لأن كل شيء سواه وجوده استمده من الله, ومالك الملك هو الذي ينفذ مشيئته في مملكته كيف شاء وكما شاء إيجادا وإعداما وإبقاء وإفناء.

فلا يبلغ العبد درجة التوحيد إلا إذا خلع عن نفسه رداء الربوبية واكتسي بثوب العبوديـــة, فعلم واعتقد أنه عبد في ملك سيده مستخلف في أرضه أمين على ملكه, قد ابتلاه فيما أعطاه, وامتحنه فيما خوله واسترعاه, أيرد الملك إلى المالك ؟ أم ينسب لنفسه أوصاف الخالق ؟

فتوحيد الربوبية لله يحتم علينا أن نؤمن بانفراد الله في ملكه وباستواء الله علي عرشه كلوازم لمعاني الربوبية هذا فضلا عن اتباعنا للطريقة السلفية في إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثامنة (8)

عنوان المحاضرة

(المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم)

عناصر ومفردات المحاضرة

- الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان.
- الأدلة على المرتبة الأولى.
- مراتب العلم الإلهي والأدلة عليه.
- علمه بالشيء قبل كونه وهو علم التقدير هو سر الله في خلقة.
- علمه بالشيء وهو في اللوح بعد كتابته وقبل إنفاذ مشيئته.
- علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه، وخلقه .
- علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه وإحاطته الشاملة .
- ارتباط العلم الإلهي في القرآن بالخلق والقدرة والتقدير وإما بالحكمة والتدبير.
- مثال للمواضع التي اقترن فيها اسمه العليم باسمه القدير.
- مثال للمواضع التي اقترن فيها اسمه العليم باسمه الحكيم.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- **حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثامنة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثامنة (8) .

عنوان المحاضرة

(المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم)

- **الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان:**

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، فأركان الإيمان حصرها رسول الله ﷺ في ستة أركان، روى الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر أنه قَال: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَـرُ بْنُ الخَطَّاب قَال: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلعَ عَليْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَليْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلسَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلى فَخِذَيْهِ وَقَال يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَـال رَسُولُ اللهِ ﷺ الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّـلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِليْهِ سَبِيلا قَال صَدَقْتَ قَال فَعَجِبْنَا لهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَال فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَال صَدَقْتَ قَال فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَال أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَال فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَال مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلمَ مِنَ السَّائِل قَال فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَال أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ قَال ثُمَّ انْطَلقَ فَلبِثْتُ مَليًّا ثُمَّ قَال لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ قُلتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ قَال فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلمُكُمْ دِينَكُمْ) [1].

فأركان الإِيمَانِ التي ذكرها رسول الله لجبريل وهو في صورة الأعرابي أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ

---

[1] البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام 3/1319 (3411) .

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وقد صدقه جبريل على ذلك.

وهذه الأركان حملت في ترتيبها معنا مقصودا، فالمعنى الموضوع بين أركان الإيمان، أن تؤمن بالله الذي أنزل ملائكته بكتبه على رسله ليحذروا العباد من اليوم الآخر، فإذا انتهى الناس بعد العرض والحساب، واستقروا في الآخرة للثواب والعقاب، عندها يتم قدر الله كما ورد في أم الكتاب، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذه حقيقة الإيمان بالقدر خيره وشره، فمن حديث عمرو بن العاص ⓿ الذي رواه الإمام مسلم في كتاب القدر أنه قَال: (سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ) [1].

وروى الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله ⓿ أن سُرَاقَة بْنَ مَالِك ⓿ قَال: (يَا رَسُول اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ فِيمَا العَمَلُ اليَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَال لا بَل فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ قَال فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَال: (فَقَال اعْمَلُوا فَكُل مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ) [2].

وقبل أن نبد في تفصيل الموضوع لا بد من التنبيه على أن توحيد الربوبية هو أساس الفهم الصحيح لقضية الإيمان بالقضاء والقدر، فالسلف يؤسسون فهمهم للقضاء والقدر على توحيد الربوبية، وإفراد الله بالخالقية، وما يلزم ذلك من صفات الله كالعلم والإدارة والقدرة، فيستحيل عندهم حدوث شيء أو فعل بدون علمه أو قدرته سبحانه وتعالى، فلا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعذب عن علمه معلوم، يفعل ما يريد، ويخضع لحكمه العبيد، ولا يجرى في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه إلا ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من المخلوقات أراد أن يكون، وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون، فهو سبحانه وتعالى عالم بما كان وما هو كائن وما سيكون وما لو كان كيف يكون .

فمن شروط صحة إيمان العبد أن يصدق بجميع أقدار الله تعالى خيرها وشرها، أنها من الله تعالى، سابقة في علمه جارية في خلقه بحكمه، فلا حول لهم عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوة

[1] مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 4/2044(2653).

[2] مسلم كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته 4/2040(2648).

لهم على طاعته إلا برحمته، ولا يستطيعون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا بمشيئته .

فتوحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله؟ أو إفراد الله بالخلق والتدبير، فلا لا خالق إلا الله، ولا مدبر للكون سواه، فالرب في اللغة هو من أنشأ الشيء شيئا فشيئا إلى حد التمام، وهو مبنى على التربية أو إصلاح شئون الآخرين ورعاية أمورهم، وأول ركن في توحيد الربوبية إفراد الله بالخلق والتقدير والتكوين وإنشاء الشيء من العدم، ومن ثم إفراده بلوازم ذلك من العلم والمشيئة والقدرة، والملك والغنى والقوة والإحياء والإبقاء والهداية، والرزق والإمداد والرعاية، والإفناء والإماتة والإعادة، والهيمنة والعزة والإحاطة، وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الأفعال لتخليق الشيء وتصنيعه، فالخالق هو الذي يستغني بنفسه فلا يحتاج إلى غيره، وأن يحتاج إليه كل من سواه .

- **ما المقصود بمراتب القدر؟**

هي المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة في علم التقدير إلى أن يكون مخلوقا واقعا بقدرة القدير ومشيئته.

من اللوازم المترتبة على إفراد الله بالخلق، إفراده بمراتب القضاء والقدر، ما المقصود بمراتب القدر؟ من المعلوم أن المُصَنِّعَ الذي يشيد البنيان لا بد أن يبدأ مشروعه أولا بفكرة في الأذهان ومعلومات مقننة بدقة وإتقان، درسها جيدا وقام فيها بتقدير حساباته وضبط أموره وإمكانياته، ثم يقوم بكتابة هذه المعلومات ويخط لها في بضع ورقات أنواعا من الرسومات التي يمكن أن يخاطب من خلالها مختلف الجهات، ثم يتوقف الأمر بعد ذلك على مشيئته وإرادته في التنفيذ وتوقيت الفعل إن توفرت لديه القدرة والإمكانيات، ثم يبدأ في التنفيذ إلى أن ينتهي البنيان كما قدر له في الأذهان، فهذه مراحل تصنيع الأشياء بين المخلوقات بحكم العقل والفطرة، فلا بد لصناعة الشيء من العلم والكتابة والمشيئة ومباشرة التصنيع والفعل، فالله سبحانه وله المثل الأعلى منفرد بمراتب القضاء والقدر، وهى عند السلف **المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة في علم التقدير أن يكون مخلوقا واقعا بقدرة القدير ومشيئته**، وهى عندهم أربع مراتب تشمل كل صغيرة وكبيرة في الوجود.

قال ابن القيم رحمه الله: مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

أربع مراتب: المرتبة الأولى علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية كتابته لها قبـــل كونها، المرتبة الثالثة مشيئته لها، والرابعة خلقه لها .

وسوف نتناول هذه المراتب بشيء من التفصيل لما لها من دور كبير في بيان حقيقة القضـــاء والقدر، فالمرتبة الأولى من مراتب القدر هي العلم السابق علم التقدير وحساب المقادير، تقدير كل شيء قبل تصنيعة وتكوينه، وتنظيم أمور المخلوقات قبل إيجادها وإمدادها، فهذا العلم هو التقدير الجامع التام وحساب النظام العام، الذي يسير عليه الكون من بدايته إلى نهايته، وهـــذا العلم اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمـــة، وخالفهم مجوس الأمة القدرية المعتزلة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها، وقد قـــال تعالى:

- **الأدلة على المرتبة الأولى؟**

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان:34) .

روى البخاري من حديث ابْنِ عُمَرَ ◐ أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلا اللَّهُ لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ وَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ) [1].

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ **لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ** مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الأنعام:60) وفيها مراتب العلم .

وعند الإمام أحمد من حديث لقِيطِ بْنِ عَامِرٍ ◐ أنه خَرَجَ وَافِدًا إِلى رَسُول اللَّهِ ﷺ فقـــال: (يَا رَسُول اللَّهِ مَا عِنْدَكَ مِنْ عِلمِ الغَيْبِ؟ فَضَحِكَ وَقَال: **ضَنَّ رَبُّكَ عَزَّ وَجَل بِمَفَاتِيحِ خَمْـــسٍ مِنَ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا اللَّهُ** وَأَشَارَ بِيَدِهِ قُلتُ وَمَا هِيَ قَال عِلمُ المَنِيَّةِ قَدْ عَلِمَ مَنِيَّةَ أَحَدِكُمْ وَلا

[1] البخاري كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله 1/ 351(992).

تَعْلمُونَهُ وَعِلمُ المَنِيِّ حِينَ يَكُونُ فِي الرَّحِمِ قَدْ عَلمَهُ وَلا تَعْلمُونَ وَعَلمَ مَا فِي غَدٍ وَمَا أَنْتَ طَاعِمٌ غَدًا وَلا تَعْلمُهُ وَعَلمَ اليَوْمَ الغَيْثَ يُشْرِفُ عَليْكُمْ آزِلينَ آدِلين – متعبين مثقلين بالذنوب – مُشْفِقِينَ فَيَظَل يَضْحَكُ قَال لقِيطٌ لنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا وَعَلمَ يَوْمَ السَّاعَةِ) [1].

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلمُهَا إِلا هُوَ) (الأنعام:59) مفاتح في اللغة الفصيحة جمع مفتح، ويقال مفتاح ويجمع مفاتيح، والمفتح عبارة عن كل ما يحل غلقا محسوسا كالقفل الموضوع على البيت أو يحل غلقا معقولا كالفهم والنظر .

و مَفَاتِحُ الغَيْبِ في الآية هي الأسرار التي بها يتم تكوين المخلوقات، كما يتوصل بالمفتاح إلى خزانة متينة تحتوى أسرار المشرعات الكبرى والمقتنيات العظمى، ولذلك قال بعضهم المفتاح مأخوذ من قول الناس افتح على كذا أي أعطني أو أعلمني ما أتوصل إليه به، فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك إلا لأنبيائه ورسله، بدليل قوله تعالى:

(**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلعَكُمْ عَلى الغَيْبِ** وَلكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران:179) .

ومن هنا نعلم أن الكهان والعرافين والمنجمين كاذبون على رب العالمين، في إدعائهم علم الغيب وإخبارهم عما يحدث للإنسان، وذلك لأنهم لا يخلقون شيئا في الملك، وليس لهم شركة مع الله في إنشاء الخلق، وليس لهم شيء في تدبير الأمر .

وفي صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلهُ عَنْ شَيْءٍ لمْ تُقْبَل لهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ ليْلةً**) [2]، والعراف هو الحازر الذي يرجم بالغيب، والمنجم الذي يدعى علم الغيب، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها، والكهانة ادعاء علم الغيب .

فالله عز وجل عنده مفاتح الغيب يَعْلمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلمُهَا، فذكر سقوط الورقة و لم يذكر إنشاءها، لأن ذلك أبلغ في الدلالة على علم

[1] أحمد حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر بن المنتفق رضي الله تعالى عنه 4/13(16251).

[2] مسلم كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان 4/1751(2230) .

الله، فعلم الله له مراتب:

- **مراتب العلم الإلهي والأدلة عليه:**

- قال ابن كثير في تفسيره 4/402 :(**إن الله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون**) /448، وقال: (وهو تعالى العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا إله إلا هو ولا رب سواه ولا راد لما قدره وأمضاه) 3/536. وقال: (والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة).

- وقال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: (إنك أنت علام الغيوب) (**يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن**) 6/346 .

- وقال الأشعري في الإبانة ص 20 (**وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون وما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون**) .

- وقال ابن تيمية : (**إن علم الله تعالى السابق محيط بالأشياء على ما هي عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون**). وقال أيضا في هداية الحيارى ص 159: (**عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وما تسقط من ورقة إلا بعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ولا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته**) .

- وقال الطحاوي : (**ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم**). وقال في شرح العقيدة الطحاوية ص 145 (**فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون**) .

- وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم 16/211: (**فهو سبحانه علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك لتفرده بعلم الغيوب**)

وقال الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول 3/920 عن مراتب القدر: (**المرتبة الأولى**

الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب) .

- **ويمكن بيان مراتب العلم على النحو التالي:**

1- **علمه بالشيء قبل كونه وهو علم التقدير هو سر الله في خلقة،** ضن به ربنا سبحانه وتعالى، لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو قولهم: **(عالم بما سيكون)** وهو المقصود بالمرتبة الأولى من مراتب القدر، وهو علم مفاتح الغيب وتقدير الأمور، كما قال تعالى: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان:34) (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) (الحج: 76) (قُل لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النمل: 65) (قُل أَنْزَلَهُ الذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (الفرقان:6) .

ومن حديث عَلِيٍّ بن أبي طالب ⓿ الذي ورواه البخاري ومسلم أنه قَال: (كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ – العود الصغير – فَنَكَّسَ –أطرق برأسه إلى الأرض – فَجَعَل يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِه – يعنى يضرب بها في الأرض ضربا خفيفا – ثُمَّ قَال: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَال رَجُلٌ يَا رَسُول اللهِ أَفَلا نَتَّكِلُ عَلى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَل، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْل السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلى عَمَل أَهْل السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْل الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلى عَمَل أَهْل الشَّقَاوَةِ، قَال رسول الله ﷺ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لعَمَل السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لعَمَل الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ

لليُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى) (الليل:7/10) [1].

2 - **علمه بالشيء وهو في اللوح** بعد كتابته وقبل إنفاذ مشيئته، وهو قولهم (**عالم بما لا يكون لو كان كيف يكون**) . فالله عز وجل كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، فالمخلوقات في اللوح عبارة عن كلمات، وتنفيذ ما في اللوح من معلومات تضمنتها الكلمات، مرهون بمشيئته في تحديد الأوقات المناسبة لأنواع الحكم والابتلاءات، وكل ذلك عن علمه بما في اللوح من حسابات وتقديرات، يقول تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) (الحج:70)، وقال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُل مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد: 23) .

قال ابن كثير في تفسيره: (يخبر سبحانه وتعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية أنه ما من مصيبة تحدث في الآفاق أو في النفوس إلا كتبها في اللوح المحفوظ، وقوله: (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) (الحديد:22) أي من قبل أن نخلق الخليقة.

وفي حديث مسلم: (كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلى المَاءِ) [2].

وعند أبي داود وصححه الشيخ الألباني: (إِنَّ أَوَّل مَا خَلقَ اللهُ تَعَالى القَلمَ فقال له: اُكْتُبْ، فقَال: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُب؟ قال: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُل شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) [3]، فعلمه بالمكتوب في اللوح أحد مراتب العلم .

قال تعالى (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُل آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ

---

[1] البخاري كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله 1/458(1296)، مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه 4/2039(2647).

[2] مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 4/ 2044(2653).

[3] صحيح أبو داود كتاب السنة، باب في القدر 2/ 637(4700).

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ **وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ** وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) الأنعام 26/28

3- **علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه،** وخلقه وتصنيعه، وهو قولهم :(**عالم بما هو كائن**) كما قال تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ) (**الرعد:8**).

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:30) (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) (الحج: 70) (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ) (سبأ:2)

(هُوَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يَعْلمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الحديد:4) (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (لنجم:32) .

4 - **علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه وإحاطته الشاملة** والكاملة بعد تمامه وفنائه، وهو قولهم :(**عالم بما كان**): فالله عز وجل لما قال: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ - للدلالة على الإحاطة بكل شيء من بدايته إلى نهايته - إِلا يَعْلمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِالليْلِ وَيَعْلمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إِليْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الأنعام:60) ولما قال (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) (البقرة:255) قال: (وَمَا خَلفَهُمْ) (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً).

(قَدْ عَلمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) (قّ:4) (أَوَلا يَعْلمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) (البقرة:77) (وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) (الأنعام:3) (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ) (التوبة:78) (أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (هود:5) (أَلا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النور:64) (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) (القصص:69) (وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (محمد:19) (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة:7) (قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران:29) (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُل فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود:6).

فالله عز وجل علم ما كان وما هو كائن وما سيكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون ، فهذه مراتب علم الله، والمرتبة الأولى من مراتب القدر هي العلم المرتبط بالتقدير والقدرة والخلق والصنعة، فعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير .

- **ارتباط العلم الإلهي في القرآن إما بالخلق والقدرة والتقدير وإما بالحكمة والتدبير.**

لما كان توحيد الربوبية في القرآن الكريم والسنة النبوية يقوم على ركنين أساسيين أو معنيين جامعين, عليهما يدور محور الدليل النقلي وهما:

الأول: إفراد الله بالخلق والقدرة التقدير, وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الأفعال, لتخليق الشيء وتصنيعه, وكمال إيجاده واختراعه.

الثاني: إفراد الله بالحكمة والتدبير، من تدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم, والقيام على شئوهم، والهداية إلي ما يصلحهم, والحكم بينهم في الدنيا والآخرة .

لما كان توحيد الربوبية يقوم على هذين الركنين كان العلم الإلهي مرتبطا أيضا بهذين

الركنين، فإما يرتبط بالخلق والقدرة والتقدير وهو العلم السابق المسمى بعلم التقدير، أو يرتبط بالحكمة والتدبير، وهو علم الإحاطة ، ولذلك إذا ذكرت معاني القدرة والخلق وباقي معاني الربوبية اقترن اسمه العليم باسمه القدير، وإذا ذكرت معاني الحكمة والأمر وأمور الشرائع والتدبير اقترن اسمه العليم باسمه الحكيم .

مثال للمواضع التي اقترن فيها اسمه العليم باسمه القدير:

1. قوله تعالى: (هُوَ الذي خَلقَ لكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَات **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) (البقرة:29) .
2. قوله تعالى: (قُل إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلمْهُ اللهُ وَيَعْلمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ **وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (آل عمران:29) .
3. قوله تعالى: (وَاللهُ خَلقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلمَ بَعْدَ عِلمٍ شَيْئاً **إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**) (النحل:70) .
4. قوله تعالى: (الذِي لهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلمْ يَتَّخِذْ وَلداً وَلمْ يَكُنْ لهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ وَخَلقَ كُل شَيْءٍ **فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**) (الفرقان:2) .
5. قوله تعالى: (اللهُ الذِي خَلقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ **وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ**) (الروم:54) .
6. قوله تعالى: (أَوَلمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ **إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً**) (فاطر:44) .
7. قوله تعالى: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ **تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**) (فصلت:12) .
8. قوله تعالى: (اللهُ الذِي خَلقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ **لِتَعْلمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلماً**) (الطلاق:12) .
9. قوله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لهُ وَلدٌ وَلمْ تَكُنْ لهُ صَاحِبَةٌ **وَخَلقَ كُل شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) (الأنعام:101) .

10. قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلاقُ العَلِيمُ**) (الحجر:86) .
11. قوله تعالى: (وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلمٍ شَيْئاً **إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**) (النحل:70) .
12. قوله تعالى: (اللهُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ **وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ**) (الروم:54) .
13. قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ **تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**) (يّس:38) .
14. قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَال مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنشَأَهَا أَوَّل مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الذي جَعَل لكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلهُم بَلى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ) (يّس: 81) .
15. قوله تعالى: (للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى: 49/50) .

مثال للمواضع التي اقترن فيها اسمه العليم باسمه الحكيم:

1. قول الله تعالى: (وعَلمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى الْمَلائِكَةِ فَقَال أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إِلا مَا عَلمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ **العَلِيمُ الحَكِيمُ**) (البقرة:32) .
2. قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لهُ وَلدٌ فَإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ وَلدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:11) .
3. قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلى اللهِ للذينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَليْهِمْ **وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:17) .

4. قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:24) .

5. قوله تعالى: (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ **عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (النساء:26) .

6. قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً**) (النساء:35) .

7. قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ **وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:92) .

8. قوله تعالى: (وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ القَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ **وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:104) .

9. قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ **وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:111) .

10. قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**) (النساء:170) .

11. قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ **حَكِيمٌ عَلِيمٌ**) (الأنعام:83) .

12. قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الأِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللهُ **إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**) (الأنعام:128) .

13. قوله تعالى: (وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة: 15) .

14. قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ **إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة:28) .

15. قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة: 60) .

16. قوله تعالى: (الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة:97) .

17. قوله تعالى: (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة:106) .

18. قوله تعالى: (لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الذي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة:110) .

19. قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ **إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (يوسف:6) .

20. قوله تعالى: (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً **إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) (يوسف:83) .

21. قوله تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ **إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) (يوسف:100) .

22. قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الذينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالذينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ

صَلاةِ العِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (النور:58) .

23. قوله تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (النور:59) .

24. قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ **حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) (النمل:6) .

25. قوله تعالى: (وَهُوَ الذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ **وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ**) (الزخرف: 84) .

26. قوله تعالى: (هُوَ الذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً**) (الفتح:4) .

27. قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ **إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**) (الذاريات:30) .

28. قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ **وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (الممتحنة:10) .

29. قوله تعالى: (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلاكُمْ **وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**) (التحريم:2) .

30. قوله تعالى: (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ **كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**) (الإنسان:30) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة التاسعة (9) .

عنوان المحاضرة

(المرتبة الثانية من مراتب القدر الكتابة)

عناصر ومفردات المحاضرة

- الأدلة على كتابة المقادير في اللوح المحفوظ من القرآن:
- الأدلة على كتابة المقادير في اللوح المحفوظ من السنة:
- هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟
- ما هو السر في أن ما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتغيير؟
- الدليل على أن ما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتغيير إتماما للحكمة.
- واللوح فوق العرش عند رب العرش .

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

- **حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة التاسعة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة التاسعة (9) .

عنوان المحاضرة

(المرتبة الثانية من مراتب القدر الكتابة)

تحدثنا في المحاضرة الماضية عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بمراتب القدر وعلمنا أن المقصود بمراتب القدر المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة قدرت في علم الله في الأزل إلى أن يصبح واقعا مخلوقا مشهودا، وهى عندهم أربع مراتب تشمل كل صغيرة وكبيرة في الوجود، وقد ضربنا لمراتب القدر مثلا بأن أي مشروع من المشروعات العملاقة، لا بد أن تبدأ بدراسة جدوى، وترتيب الأفكار في الأذهان، معلومات مدروسة بدقة وإتقان تقدر فيها الحسابات والإمكانيات، ثم بعد ذلك تكتب هذه المعلومات في بضع ورقات، وتوضع مختلف الرسومات التي يخاطب بها أصحاب المشرع مختلف الجهات، ثم يتوقف الأمر بعد ذلك على مشيئة من تتوفر لديه الإمكانيات، ثم يبدأ في التنفيذ إلى أن ينتهي المشرع وفق ما قدر له من حسابات .

هذه مراحل تصنيع الأشياء بحكم العقل والبديهيات، فلا بد لصناعة الشيء وتكوينه من العلم والكتابة والمشيئة ومباشرة التصنيع والفعل، فالله سبحانه وله المثل الأعلى منفرد بمراتب القضاء والقدر، وهى عند السلف كما ذكرنا المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة مقدرة في علم الله في الأزل إلى أن يصبح واقعا مخلوقا مشهودا، وهى عندهم أربع مراتب تشمل كل صغيرة وكبيرة في الوجود، وقد تحدثنا في المحاضرة الماضية عن المرتبة الأولى من مراتب القدر، وهى علم الله السابق، علم التقدير وحساب المقادير، تقدير كل شيء قبل تصنيعة وتكوينه، وتنظيم أمور الخلق قبل إيجاده وإمداده، واليوم نستكمل الموضوع ونتحدث عن المرتبة الثانية من مراتب القدر، المرتبة المتعلقة باللوح المحفوظ، مرتبة كتابة المعلومات، وتدوينها بالقلم في كلمات، فكل مخلوق مهما عظم شأنه أو دق حجمه، كتب الله ما يخصه في

اللوح المحفوظ، كتب تفصيل خلقه وإيجاده، وما يلزم لنشأته وإعداده وإمداده، وجميع ما يرتبط بتكوينه وترتيب حياته، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (**ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم**) .

- **الأدلة على كتابة المقادير في اللوح المحفوظ من القرآن:**

1. **(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التوبة:51).**
2. **(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:145).**
3. **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:36)**
4. **(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود:6)**
5. **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد:39)**
6. **(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً) (الإسراء:58)**
7. **(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (النمل:75)**
8. **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (سبأ:3)**

9. **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر:11)**

10. **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ (قّ:4)**

11. **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد:22).**

- **الأدلة على كتابة المقادير في اللوح المحفوظ من السنة:**

1. وروى أبو داود في سننه وصححه الشيخ الألباني من حديث (4692) عُبَادَةُ بنُ الصَّامت أنه قال لابْنِه: (يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لْمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَما أَخْطَأَكَ لْمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّل مَا خَلقَ الله تَعَالى القَلمَ فقال له: اْكْتُبْ، فقَال: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُب؟ قال: اْكْتُبْ مَقَادِيرَ كُل شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ على غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي) [1].

2. وروى الترمذي من حديث عبد الوَاحِدِ بن سُلَيمٍ ، قال: (قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بنَ أَبِي رَبَاحٍ فَقُلتُ لَهُ: يَا أَبَا محمدٍ، إِنَّ أَهْل البَصْرَةِ يَقُولُونَ فِي القَدَرِ، قال: يَا بُنَيَّ، أَتَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلتُ: نَعَمْ، قال: فَاقْرَأْ الزُّخْرُفَ قال: فَقَرَأْتُ: (حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا جَعَلنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لعَلكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لدَيْنَا لعَلِيٌّ حَكِيمٌ)، قال: أَتَدْرِي مَا أُمُّ الكِتَابِ ؟ قُلتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلمُ، قال: فَإِنَّهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ الله قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّماءَ وَقَبْل أَنْ يَخْلُقَ الأَرْضَ، فِيهِ أَنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَهْل النَّارِ، وَفِيهِ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ") [2].قال عَطَاءٌ: فَلقِيتُ الوَلِيدَ بنَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامتِ صَاحِبَ رسول الله ﷺ، فَسَأَلتُهُ: مَا كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ المَوْت؟ قال: دَعَانِي فَقَال: يَا بُنَيَّ اتَّقِ الله، وَاعْلمْ أَنَّكَ لنْ تَتَّقِيَ الله حَتَّى تُؤْمِنَ بِالله وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ كُلهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنْ مُتَّ عَلى غَيْرِ هَذَا دَخَلتَ النَّارَ، إِنِّي سَمِعْتُ رسول الله يقولُ: (إِنَّ أَوَّل مَا

---

[1] صحيح أبو داود كتاب السنة، باب في القدر 2/ 637(4700) .

[2] صحيح جمع الترمذي، باب في القدر 4/457(2155) .

خَلقَ اللهُ القَلمَ . فقال: اكْتُبْ، قال: مَا أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ القَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَـــائِنٌ إِلى الأَبَد) [1] .

3. وعند أحمد في المسند أن الوليد بن عبادة بن الصامت 0 قال: (أَوْصَاني أَبِي رَحِمَـــهُ اللهُ تَعَالى فَقَال: يَا بُنَيَّ أُوصِيكَ أَنْ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَإِنَّكَ إِنْ لمْ تُؤْمِنْ أَدْخَلكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى النَّارَ، قَال: وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (أَوَّلُ مَا خَلقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى القَلمُ ثُمَّ قَال لـــهُ اكْتُبْ قَال وَمَا أَكْتُبُ قَال فَاكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) [2]. أخبرنا الله عز وجل أنه قبل وجود السماوات والأرض كان العرش والماء، فقال تعالى: (وَهُوَ الذِي خَلَـــقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ) (هود:7).

4. وعند البخاري من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ 0 قَال رسول الله ﷺ: (كَانَ اللهُ وَلمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ ثُمَّ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَكَتَبَ فِي الـــذِّكْرِ كُـــل شَيْءٍ) [3] .

هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟

ثم خلق الله عز وجل بعد العرش والماء القلم واللوح، وقد اختلف العلماء هـــل القلـــم أول المخلوقات أو العرش؟

والصحيح أن العرش قبل القلم، لما ثبت في صحيح مسلم من عَبْد اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ 0 أنه قَال: (سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلى المَاءِ) [4]

وفي رواية الترمذي 2156 (قَدَّرَ اللهُ المَقَادِيرَ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِـــينَ أَلفَ سَنَةٍ) [5] . صحيح الجامع 4380

فهذا الحديث صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، أما ما جاء في حديث عُبَادَة بـــنُ

---

[1] مسند الطيالسي 1/79(577).
[2] أحمد حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه 5/317 (22759).
[3] البخاري كتاب التوحيد، باب { وكان عرشه على الماء }6/2699(6982).
[4] مسلم كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام 4/2044(2653).
[5] الترمذي باب في الرضا بالقدر 4/458(2156).

الصَّامِت ⓿: (إن أوَّل مَا خَلقَ الله تَعَالى القَلمَ فقال له: اُكْتُبْ، فقَال: رَبِّ وَمَاذَا أكْتُب؟ قال: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُل شَيْء حَتَّى تَقُومَ السَّاعَة) [1] فعلى معنيين عند العلماء:

الأول: أنه عند أول ما خلق القلم قال له اكتب؟ فقَال: رَبِّ وَمَاذَا أكْتُب؟ قال: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُل شَيْء .

المعنى الثاني: هو أول المخلوقات من هذا العالم بعد العرش والماء، إذ أن الحديث صريح في أن العرش سابق على التقدير، وأن التقدير مقارن لخلق القلم .

والأقلام التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ أنواع سوف نتحدث عنها بالتفصيل في أنواع التقدير والتدبير.

وعند البخاري من حديث 3342 ابْن عَبَّاسٍ وَأَبِي حَيَّةَ الأَنْصَارِيَّ أنهما كَانَا يَقُولان إن النَّبِي ﷺ قال ليلة المعراج: (ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلامِ حيث فَرَضَ اللهُ عَلي نبيه خَمْسِينَ صَلاةً ثم صارت خَمْسا في الفعل وخَمْسين في الأجر) [2].

ما هو السر في أن ما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتغيير؟

وما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتبديل أو التعديل والتغيير، فكل ما كتب فيه واقع لا محالة، كما قال تعالى: (قُل لنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّل المُؤْمِنُونَ) (التوبة:51) .

ما هو السر في عدم التغيير والتبديل؟ السر في عدم التغيير والتبديل، أن الخلق والتصنيع والتكوين قائم علي ما دون فيه، فالمخلوقات وسائر المصنوعات إلى قيام الساعة، أحكم الله غاياتها وقضى في اللوح أسبابها ومعلولاتها، فلا يتغير بنيان الخلق الذي حكم به الحق إلا بعد استكماله وتمامه، ولا يتبدل سابق الحكم في سائر الملك إلا بقيامه وكماله، وهذه مشيئة الله في خلقه، وما قضاه وقدره في ملكه، فالله عز وجل على عرشه في السماء يفعل ما يشاء، وبيده أحكام التدبير والقضاء، حكم بعدله أن يقوم الخلق على الابتلاء، ثم يتحول العالم إلى دار الجزاء، فالله عز وجل يخلق ما يشاء، ولكن حكمة سبقت فيما تم به القضاء، ولذلك ينبهنا الله

---

[1] أحمد حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه 5/317 (22759).

[2] البخاري كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء 1/135(342).

في بعض المواطن إلى هذه الحقيقة، وأنه سبحانه وتعالى قادر على أن يفعل ما يشاء، لـــولا مـــا دون في الكتاب من أحكام القضاء:

- **الدليل على أن ما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتغيير إتماما للحكمة.**

1. **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الـــدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّـــكُمْ فِيمَـــا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (الأنفال:68).**
2. **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلِفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّـــكَ لَقُضِـــيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس:19) .**
3. **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) (هود:110) .**
4. **(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) (الشورى:14) .**
5. **(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى:21) .**
6. **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّـــكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود: 119)**
7. **(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّـــةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة:13)**
8. **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنـــاً عَلَيْـــهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَـــا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِـــي مَـــا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُـــمْ بِمَـــا كُنْتُـــمْ فِيـــهِ**

تَخْتَلِفُونَ) (المائدة:**48**).

9. (**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمّىً لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**) (العنكبوت:**53**)

10. (**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**) (الحشر:**3**)

والعقلاء يعلمون أن العلماء من البشر، لو اجتمعوا على وضع خطة محكمة لبناء مشروع عملاق أو أي مشروع من المشروعات، درسوا فيها جميع الجوانب بمختلف المقاييس والدراسات، وراعوا في خطتهم الموازنة بين السلبيات والإيجابيات، ثم وضعوا تخطيطا محكما لا مجال فيه للإضافات، ثم انتهوا إلى تقرير شامل دونوه في كتاب كامل أو مجموعة من الملفات، ثم قدموا هذا المكتوب لإدرارة التنفيذ والمشروعات.

هل يصح بعد ذلك لعامل جاهل ينقصه العلم والفهم أن يعترض أو يغير أو يبدل في هذا المشروع الضخم؟ هل يصح أن يعبث فيه حسب هواه، أو يغير في تخطيطه على وفق ما يراه؟ فالله وله المثل الأعلى كتب مقادير كل شيء ورفعت الأقلام وجفت الصحف حتى يتم الخلق على ما قضى به الحق.

روى الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث 2516 ابْنِ عَبَّاسٍ ⓿ قَالَ: (كُنْتُ خَلفَ رَسُول اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَال يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلمُكَ كَلمَاتٍ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَل اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ وَلو اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَليْكَ رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) [1].

وفي المسند 2800 (**يَا غُلامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلا أُعَلمُكَ كَلمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ فَقُلتُ بَلى فَقَال احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِليْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلتَ فَاسْأَل اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ قَدْ جَفَّ القَلمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلوْ أَنَّ الخَلقَ كُلهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَليْكَ لمْ يَقْدِرُوا عَليْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ**

---

[1] الترمذي 4/667(2516) صحيح الجامع (7957) .

يَضُرُّوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْـــرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) [1].

فالمخلوقات ولله المثل الأعلى كمشروع عملاق كامل، موضوع على تخطيط محكم شامل، لا يصح الاعتراض عليه من قبل أحمق جاهل، روى الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله ⓿ أن سُرَاقَة بْنَ مَالِكٍ قَال ⓿: (يَا رَسُول اللهِ بَيِّنْ لنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلقْنَا الآنَ فِيمَا العَمَلُ اليَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَال لا بَل فِيمَا جَفَّـــتْ بِـــهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ قَال فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَال: (فَقَال اعْمَلُوا فَكُل مُيَسَّرٌ لعَمَلِهِ) [2].

روى البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ⓿ عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (التَقَى آدَمُ وَمُوسَى فَقَال مُوسَى لآدَمَ آنْتَ الذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ قَال آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالتِهِ وَاصْطَفَاكَ لنَفْسِهِ وَأَنْزَل عَليْكَ التَّوْرَاةَ قَال نَعَمْ قَال: أَتَلُومُنِي عَلى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَليَّ قَبْل أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً) [3].

ولا تعارض بين ذكر الأربعين وبين ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ⓿ أن رَسُول اللهِ ﷺ قَال: (كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْل أَنْ يَخْلُــقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلى المَاءِ) [4].

وذلك كما ذكر العلماء أن ابتداء المدة وقت الكتابة في الألواح خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ، وآخرها ابتداء خلق آدم، وقال ابن الجوزي: المعلومات كلها قد أحاط بها علم الله القديم قبل وجـــود المخلوقات كلها، ولكن كتابتها وقعت في أوقات متفاوتة.

وكذلك ما رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني 2882 من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ⓿ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلفَيْ عَامٍ أَنْزَل مِنْـــهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ وَلا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ ليَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ) [5] .

---

[1] أحمد، مسند عبد الله بن العباس 1/307(2804) .

[2] مسلم كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه 4/2040 (2648).

[3] البخاري كتاب التوحيد، باب قوله { وكلم الله موسى تكليما }6/2730(7077).

[4] مسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه 4/2040 (2648) .

[5] الترمذي في فضائل القرآن 5/159(2882)، صحيح الجامع (1799).

فالزمان السابق يختلف في مقداره عن الزمان اللاحق، فضلا عن الزمان الذي يسبق خلــــق السماوات والأرض ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(فالذي جاء به القرآن والتوراة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع أئمة أهل الكتـــاب، أن هذا العالم خلقه الله وأحدثه من مادة كانت مخلوقة قبله كما أخبر في القرآن أنـــه اســـتوى إلى السماء وهي دخان أي بخار فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها، وقد كان قبل ذلك مخلوق غيره كالعرش والماء، كما قال تعالى: (**وَهُوَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِـــتَّةِ أَيَّـــامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ**) (هود/7) وخلق ذلك في مدة غير مقدار حركة الشمس والقمر، كما أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والشمس والقمر هما من السموات والأرض وحركتهما بعد خلقهما والزمان المقدر بحركتهما وهو الليل والنهار التابعان لحركتهما إنما حدث بعد خلقهما، وقد أخبر الله أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيـــــام، فتلك الأيام مدة وزمان مقدر بحركة أخرى غير حركة الشمس والقمر) [1].

- **<u>اللوح فوق العرش عند رب العرش .</u>**

واللوح فوق العرش عند رب العرش لما ثبت عند البخاري 7554 من حديث أبي هُرَيْـــرَةَ ⓿ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْل أَنْ يَخْلُقَ الخَلقَ إِنَّ رَحْمَتِـــي سَـــبَقَتْ غَضَبِي فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**)

ويقول تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُل شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (يّس:12) فجمع الله في الآية بين كتابين اثنين، اللوح المحفوظ وهو الكتـــاب الســـابق لأعمالهم قبل وجودهم وخلقهم، والكتاب الحافظ لأعمالهم المقارن لأفعالهم، وأخبر قبل ذلـــك أنه يحييهم بعد ما أماتهم، يحييهم للبعث ويجازيهم بأعمالهم (**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَـــا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُل شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**) (يّس:12) .

وقال أنس وابن عباس: نزلت هذه الآية في بني سلمة أرادوا أن ينتقلوا إلى قـــرب المســـجد النبوي وكانت منازلهم بعيدة فلما نزلت قالوا بل نمكث مكاننا.

وروى مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ⓿، قَال: (خَلتِ البِقَاعُ حَوْل المَسْجِدِ . فَـــأَرَادَ

1

بَنُو سَلمَةَ أَنْ يَنْتَقلُوا إِلى قُرْبِ المَسْجد. فَبَلغَ ذلكَ رَسُول الله ﷺ . فَقَال لهُمْ: إِنَّهُ بَلغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقلُوا قُرْبَ المَسْجد قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُول الله قَدْ أَرَدْنَا ذلك، فَقَال: يَا بَنِي سَلمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ [1].

فقوله تعالى في سورة يس: (وَكُل شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (يس:12) يعني اللوح المحفوظ أو أم الكتاب أو الذكر الذي كتب فيه كل شيء، وقوله أَحْصَيْنَاهُ يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها، وحفظه لها، والإحاطة بعددها، واثباتها في اللوح .

ويقول تعالى: (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**) (الأنعام:38) .

وقد قيل إن الكتاب في قوله مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء، فإنه قال وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، وهذا يدل على أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والتدبير والتقدير، وأنها لم تخلق سدى بل لها حكم وعلل مدونة فيما قضى، قدر خلقها وأجلها واستوفي لها رزقها، وما تصير إليه، ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها، فقال: (ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام:38) فذكر مبدأها ونهايتها، وذكر بين المبدأ والنهاية قوله: (مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام:38) أي كلها قد كتبت وقدرت وأحصيت قبل أن توجد .

وقال تعالى: (حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا جَعَلنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لعَلكُمْ تَعْقِلُون وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لدَيْنَا لعَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الزخرف:4) أُمِّ الكِتَابِ هو اللوح المحفوظ كما قال ابن عباس، وأم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله والقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض كما قال تعالى: (بَل هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لوْحٍ مَحْفُوظٍ) (البروج:22) .

قال ابن القيم: (أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب) .

فكتابة العلم هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، ولك أن تتصور لو أن البشر، اجتمعوا على

---

[1] مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد 1/462(665).

كتابة ما يخص إنسانا واحدا أو مخلوقا واحد، من أمور العلم والتقدير التي تخص عدد خلاياه، وعدد نبضات القلب على مدار الوقت الذي يعيشه في هذه الحياة، وعدد ذرات الهواء في كل نفس أخرجته رئتاه، وما عدد ذرات الدم الذي سيره الله في مجراه، وما مقدار طعامه وشرابه، ورزقه الذي سيناله في دنياه، ثم عمله ومقدار الحسنات والسيئات التي قدمها لأخراه، أو اسأل المتخصصين عن عدد الكلمات التي كتبوا بها تنوع الشفرة الوراثية في الأحماض النووية في كل خلية بشرية، أو حيوانية أو نباتية؟

ستعلم أن البحر لو كان مِدَاداً لكَلِمَاتِ رَبِّي لَنفِدَ البَحْرُ قَبْل أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً، (قُل لوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لكَلِمَاتِ رَبِّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْل أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) (الكهف:109) (وَلوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (لقمان:27) فالكتاب الذي فوق العرش احتوى على الكلمات، والكلمات احتوت على المعلومات، وكل ذل ذلك مكتوب في اللوح قبل أن يخلق الله المخلوقات، أو قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

لكن هنا سؤال هام؟ نحن علمنا أن المرتبة الأولى من مراتب القدر هي العلم والمرتبة الثانية هي الكتابة في اللوح، والمرتبة الثالثة التي سنتحدث عنها هي المشيئة، ثم المرتبة الرابعة وهي الخلق والتنفيذ؟ السؤال لما ذا كتب الله المقادير؟ ألا يكفي علم الله وتقديره السابق؟ وهل الله ينسى حتى يتذكر بالكتابة في اللوح؟

والإجابة على ذلك أن الكتابة من لوازم كمال الحكمة، ومن الأمور الضرورية لقيام الحجة، وإذا كان الصانع الحكيم، لا يصنع إلا ومخطط الصناعة بين يديه، والمهندسون ينفذون ويشرفون عليه، ثم بعد ذلك يطابقون المصنوع علي دليل التصنيع وقياس الرسومات، ومراقبة الجودة تدقق في المواصفات وتطبيق القياسات، ولا يمكن أبدا الاستغناء عن الكتابة في مثل هذه الضروريات، أليست للخالق من باب أولي، فكتابة مقادير المخلوقات من لوازم الحكمة والكمال، ولا يحتاج إليها رب العزة والجلال، كما أنه لا يحتاج إلي خلقه ولا يفتقر إليهم بأي حال.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر ◐ عن النبي ﷺ عن رب العزة: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ

وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلى? أَتْقَى? قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذ?لكَ فِي مُلكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلى? أَفْجَرِ قَلبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلكَ مِنْ مُلكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لوْ أَنَّ أَوَّلكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِـــــدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُل إِنْسَانٍ مَسْأَلتَهُ، مَا نَقَصَ ذ?لكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَـــطُ إِذَا أُدْخِل البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَـــدَ خَيْـــراً فَليَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذ?لكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ) [1].

كما أن كتابة الأعمال والمقادير فيها قيام الحجة على الخلق، فربما يوجد أحمق كفرعـــون أو غيره يشكك في حكمة ربه (قَال فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولى قَال عِلمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِل رَبِّي وَلا يَنْسَى الذِي جَعَل لكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلكَ لكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَل مِنَ السَّـــمَاءِ مَـــاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى مِنْهَـــا خَلقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه:55).

والعبد يكون بين يدي الحق ويكذب ربه ويقسم علي أنه يقول الصدق: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُـــــ جَمِيعاً فَيَحْلفُونَ لهُ كَمَا يَحْلفُونَ لكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُـــمْ هُـــمُ الكَـــاذِبُونَ) (المجادلة:18) (ثُمَّ لمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَضَل عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأنعام:24)، (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَليْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثـــية:29) (وَكُل إِنْسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَليْـــكَ حَسِـــيباً) (الإســـراء:14) (وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلتَنَا مَال هَذَا الكِتَابِ لا يُغَـــادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلمُ رَبُّكَ أَحَداً) (الكهف:49) (اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يّس:65)

فالكتابة هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، ومراتب القدر العلم والكتابة والمشيئة والخلـــق، وقفنا عند الكتابة ونلتقي في المحاضرة القادمة بإذن الله مع المرتبة الثالثة مرتبة المشيئة .

---

[1] مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم 4/1994(2577) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة العاشرة (10) .

عنوان المحاضرة

(المرتبة الثالثة من مراتب القدر المشيئة)

عناصر ومفردات المحاضرة

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة العاشرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة العاشرة (10) .

عنوان المحاضرة

(المرتبة الثالثة من مراتب القدر المشيئة)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

قال ابن القيم رحمه الله: مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها، لم يؤمن بالقضاء والقدر أربع مراتب المرتبة الأولى علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة مشيئته لها، والرابعة خلقه لها.

والمقصود بمراتب القدر عند السلف المراحل التي يمر بها المخلوق من المقصود بمراتب القدر المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة قدرت في علم الله في الأزل إلى أن يصبح واقعا مخلوقا مشهودا، وهذه المراتب تشمل كل صغيرة وكبيرة في الوجود.

نتحدث اليوم إن شاء الله عن المرتبة الثالثة وهى مشيئة الله وإرادته الكونية، فالمرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر هي مرتبة المشيئة، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المترلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وجميع أدلة المعقول والمنقول، وليس في الوجود أمر إلا بمشيئة الله وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا أصل عقيدة التوحيد، وأساس بنيانها الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن .

التوحيد الحق أن يعلق العبد أفعاله علي مشيئة الله عز وجل في جميع الأوقات، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل فكل يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله .

التوحيد الحق أن يعلق الموحد أفعاله بمشيئة الله عز وجل في جميع الأوقات، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فقد علمنا نبينا ﷺ أن المسلم يقول فيما وقع من الأحداث ومضى انتهى: قدر الله وما شاء فعل، ولا يقول: لو كان كذا وكذا، لكان كذا وكذا، فلا راد لقضائه

ولا معقب لحكمه، لاسيما بعد نفاذ أمره ووقوعه، وإنما يجوز أن يقول ذلك فيما يستقبل، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كان كذا وكذا، لم يُصيبني كذا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) [1].

وهنا تأتي المحاجة التي حدثت بين آدم وموسي عليهما وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام، وموقف المسلم من الاحتجاج بالقدر ومشيئة الله علي معصيته فعند البخاري عن أبي هريرةَ ➊ عن النبيِّ ﷺ قال: (حاجَّ موسى آدَمَ فقال له: أنتَ الذي أخرجتَ الناسَ من الجنةِ بذَنبكَ وأشقَيتَهم، قال آدمُ: يا موسى أنتَ الذي اصطَفَاكَ اللهُ برسالاتِه وبكلامه، أتلومُني على أمر كتبهُ اللهُ عليّ قبل أن يَخلُقَني، أو قَدَّرَهُ عليَّ قبل أن يَخلُقني؟ قال رسولُ الله ﷺ: فحج آدمُ موسى) [2]، والاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره على المعصية له نوعان:

النوع الأول: وهو باطل عند السلف وهو الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره علي المعصية التي وقعت و لم يتب منها العبد أو ما زال قائما عليها وهذا هو مذهب الجبرية، يفعلون المنكر ويحتجون بقدر الله وأن ذلك فعله بهم ومشيئته التي لا يستطيعون دفعها كقولهم: (سَيَقُولُ الذِينَ أَشْرَكُوا لوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُل هَل عِنْدَكُمْ مِنْ عِلمٍ فَتُخْرِجُوهُ لنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ) (الأنعام:148) (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُل إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلمُونَ) (الأعراف:28) .

قال ابن الجوزي: (ومن جملة ما لبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا، أي لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه، فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعم الكائنات) [3] وقد احتج سارق على عمر ➊ بالقدر فقال وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره .

فالذين يعتقدون أن العبد مجبور على أفعاله قسرا، ولا فعل له أصلا كالريشة تحركها الريح

[1] مسلم كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله 4/2052(2664) .

[2] البخاري كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد 3/1251(3228) .

[3] .

في اتجاه الهواء، رفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص وأن الله يعذبهم على فعله لا على فعلهم وأعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصي التي نهى الله عنها في كتبه وعلى ألسنة رسله إذا عملوها صارت طاعات لأنهم يقولون أطعنا مشيئة الله الكونية فينا، وهذا كفر لم يسبقهم إليه إلا إمامهم إبليس اللعين، إذ يحتج على الله تعالى بحجتهم هذه فقال: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (الحجر:39) (قَال فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) (الأعراف:16) .

وقد جاء واحد من أهل الكتاب إلي شيخ الإسلام ابن تيمية يسأله عن القدر ويحتج به على معصيته فقال: أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة، إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم و لم يرضه مني فما وجه حيلتي، دعاني وسد الباب عني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي، قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذي فيه شقوتي، فإن كنت بالمقضي يا قوم راضيا فربي لا يرضى بشؤم بليتي، فهل لي رضا ما ليس يرضاه سيدي فقد حرت دلوني على كشف حيرتي، إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاص في إتباع المشيئة، وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي، فأجاب شيخ الإسلام الشيخ ابن تيمية مرتجلا الحمد الله رب العالمين سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش بارى البرية، فهذا سؤال خاصم الملأ العلا قديما به إبليس أصل البلية .

النوع الثاني: من الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره على المعصية، هو الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره علي المعصية التي وقعت، وتاب منها العبد، وندم علي فعلها، وهذا جائز مشروع، فعند البخاري من حديث أبي هريرة ● أن النبي ﷺ قال: (احتجَ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدمُ أنتَ أبونا، خيَّبتنا وأخرجتَنا من الجنَّة، قال له آدم: يا موسى اصطفاكَ اللهُ بكلامه وخطَّ لكَ بيده، أتلومني على أمر قدَّرَهُ الله عليَّ قبل أن يخلُقَني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدمُ موسى، فحجَّ آدمُ موسى، ثلاثاً) [1].

احتج علي موسي بالقدر وصح احتجاجه لأنه يجوز الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره علي المعصية التي وقعت، وتاب منها العبد، وندم علي فعلها، كالعاصي بعد توبته عندما يتذكر العصيان، فيحمد الله على نعمة الإسلام، ويقول قدر الله وما شاء فعل .

---

[1] البخاري كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد 3/1251(3228) .

هذا بالنسبة لرد الأمر وفعل العبد إلى مشيئة الله فيما مضي من أفعال وأحداث أما رد الأمر إلي المشيئة في الحاضر فهو كقول الله تعالي: (وَلَوْلا إِذْ دَخَلتَ جَنَّتَكَ قُلتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَل مِنْكَ مَالاً وَوَلداً) (الكهف:39) .

وهنا ينسب الموحد النعمة إلي المنعم ويرد الأمر فيها إلى مشيئة الله، فالعبد الصادق الموحد مؤمن بأن الله قائم بالقسط والتدبير، ومنفرد بالمشيئة والتقدير، يتولى تدبير شئون العالمين، وهو أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، لا يطمع في سواه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يشهد في العطاء إلا مشيئته، ولا يرى في المنع إلا حكمته، ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته، فعند ذلك يقول عندما يرى نعم الله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وقال شعيب: (قَال يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالفَكُمْ إِلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصلاح مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَليْهِ تَوَكَّلتُ وَإِليْهِ أُنِيبُ) (هود:88) .

روى النسائي وصححه الشيخ الألباني: (أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَال:إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وشئت وَتَقُولُونَ وَالكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شئت) [1].

وعند أحمد في المسند من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ⓿: (أَنَّ رَجُلا قَال يَا رَسُول اللهِ مَا شَاءَ اللهُ وشئت فَقَال جَعَلتَنِي للهِ عَدْلا بَل مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) [2].

روى الإمام مسلم وفي إثبات المشيئة المطلقة لرب العزة والجلال من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ⓿ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (قَال اللهُ عَزَّ وَجَل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلاَ يَقُولنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أُقَلبُ ليْلهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شئتُ قَبَضْتُهُمَا) [3].

وقوله: فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أي صاحبه ومقلبه بدليل قوله بعدها: أُقَلبُ ليْلهُ وَنَهَارَهُ، لأن بعض من لا تحقيق له في العلم زعم أن الدهر من أسماء الله، وهو غلط فإن الدهر مدة زمان الدنيا، وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله في الدنيا، ولا يخفي أن من سب الصنعة فقد سب صانعها، فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى، ومن سب ما يجري فيهما من الحوادث،

---

[1] النسائي كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة 7/6 (3773) .

[2] أحمد، مسند عبد الله بن العباس 1/214 (1839) .

[3] مسلم كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر 4/1762(2246) .

وذلك هو أغلب ما يقع من الناس، يقول بعضهم: لعنة الله على الأيام أو غير ذلك، فالـــدهر أو الليل والنهار لا فعل لهم ولا تأثير، بل كل شيء بمشيئة الله ومراده الكوني .

ويذكر الإمام الشافعي أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسببه عند المصائب الـــتي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك، فيقولون إنما يهلكنا الدهر، وهـــو تعـــاقب الليـــل والنهار، ويقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء، فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم، فقال رسول الله ﷺ لا تسبوا الدهر على أنه الذي يفنيكم، والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تســـبون الله تبارك وتعالى، فإنه فاعل هذه الأشياء .

أما رد الأمر إلي المشيئة في المستقبل: فهو كقول الله تعالى: (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَـــداً) (الكهف:24).

روى البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ أن رسول الله ﷺ قال: (قال سليمانُ بـــن داودَ عليهما السلام: لأطُوفنَّ الليلةَ بمائةِ امرأةٍ، تَلدُ كل امرأةٍ غلاماً يُقاتلُ في سبيل الله، فقـــال لـــه المَلكُ: قُل إن شاء الله، فلم يقُل وَنَسيَ، فأطافَ بِهنَّ، ولم تَلدْ منهُن إلا امرأةٌ نِصفَ إنسان، قال النبيُّ ﷺ: لو قال إن شاء اللهُ لم يَحنَثْ، وكان أرجَى لحاجَتِه) [1].

وفي رواية أخرى: (فلم تَحمل منهنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءت بشقِّ رجل، وأيمُ الذي نفـــسُ محمدٍ بيده، لو قال إن شاء الله لجاهَدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون) [2].

وروى البخاري من حديث ابن عبّاس رضيَ الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ دخل علـــى أعرابيّ يَعودُه، يقول ابن عباس ⓿: (وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل على مريض يَعوده قال له: لا بـــأس، طَهورٌ إن شاء الله، فقال الأعرابي للنبي: قلتَ طهور؟ كلا، بل هي حُمى تَفور، أو هي حُمـــى تثور على شيخ كبير، تُزيره القبور، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فَنَعم إذاً) [3].

فالرسول يقول للأعرابي: لا بأس طهور إن شاء الله، أي أن المرض يكفر الخطايا وهو طهور

---

[1] البخاري كتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي 5/2007(4944) .

[2] البخاري كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ6/2447(6263) .

[3] البخاري كتاب المرضى، باب عيادة الأعراب 5/2141(5332) .

لك من ذنوبك إن شاء الله، فإن حصلت العافية وتحقق الشفاء فقد حصلت الفائدتـــــان، وإلا حصل ربح التكفير، فرد الأعرابي على النبي منكرا وقائلا أي طهور بل هي حمـــى تفـــور أي حرارة الجسم تغلي وتثور، على شيخ كبير تزيره القبور، وكان الواجب على الأعرابي أن لا يرد دعاء النبي ويسأل الله العافية، فقال له رسول الله: (فنعم إذا) إذا أبيت طلب الشفاء فنعم يأتيك الموت والبلاء، فيحتمل أن يكون قوله (فنعم إذا) دعاء عليه، ويحتمل أن يكون خبرا عما يؤول مصيره إليه، وهناك من قال احتمال أن يكون النبي ﷺ علم أنه سيموت في هذا المرض فدعا له بأن تكون الحمى مطهرةً لذنوبه وخطاياه، وهناك من قال احتمال أن يكون النبي ﷺ أعلـــم الأعرابي بأنه سيموت أجابه وردا على أجابته، ولذلك ورد أن الأعرابي أصبح ميتا، فينبغي على المسلم حتى ولو كان مريضا أن يتلقى الموعظة بالقبول، ويحسن الجواب فيما يقول، طمعـــا في عفو الله وعافيته .

روى الإمام أحمد في مسنده (6398) من حديث ابن عمر ⓪ أن النبي ﷺ قـــال: (مَـــنْ حَلف فاسْتَثْنَى، فَإن شاء مَضَى، وإِن شَاءَ رَجَع غَيْرَ حَنِثٍ) [1] .

أجمع المسلمون على أن الحالف إذا استثنى في يمينه متصلا بها فقال لأفعلن كذا أو لا أفعله إن شاء الله، أجمعوا أنه لا يحنث إذا خالف ما حلف عليه، لأن من أصل أهل الإسلام أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، فإذا علق الحالف الفعل أو الترك بالمشيئة لم يحنث عند عـــدم المشـــيئة ولا تجب عليه الكفارة.

أما اللو المستقبلية التي تكون في القتال وإعداد الخطط أو عدم الاعتراض علـــى القـــدر فلا تدخل تحت النهي في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ⓪ الذي رواه مسلم (فَإنَّ لوْ تَفْتَحُ عَمَل الشَّـــيْطَانِ) [2] لأن النهي مقرون بوقوع الفعل وعدم تغيير شيء من القدر والرسول ﷺ يقول قبلها: (وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُل: لوْ أَنِّي فَعَلتُ كذا وكذا، لم يُصبني كذا، وَلَكِنْ قُل: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَـــاءَ فَعَل).

أما ما كان من أبي بكر الصديق ⓪ في الغار كما روى البخاري من حديث أنس أن أبـــا بكرٍ ⓪ قال: (قلت للنبيِّ ﷺ وأنا في الغارِ : لو أنَّ أحدَهم نظرَ تحت قَدَمَيه لأبصَرَنا . فقال:

---

[1] أحمد، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما 2/48(5093) .

[2] مسلم كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله 4/2052(2664) .

ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثُهما) [1] لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا.

وكذلك ما ورد عند البخاري من حديث عائشةَ رضيَ الله عنهم زوجِ النبيِّ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (ألم تَرَيْ أنَّ قومَكِ لما بَنُوا الكعبة اقتصَروا عن قواعدِ إبراهيمَ . فقلتُ: يا رسول الله ألا تَرُدُّها على قواعدِ إبراهيم؟ فقال: لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكفر) [2]

وعند البخاري عن أَنَسٍ ◐ قال: (مرَّ النبيُّ ﷺ بتمرةٍ مَسْقوطةٍ فقال: لولا أن تكونَ صَدَقَةً لأَكَلْتُها) [3] وعنده أيضا قال أبو هريرةَ ◐ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أَشُقَّ على أُمَّتِي لأمرتُهمْ بالسِّواكِ عندَ كل وُضوء) [4]، وما شابه ذلك.

فكله يدخل تحت لو المستقبلية ولا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه، لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته، وقوله صلى الله عليه وسلم: (فإن لو تفتح عمل الشيطان) أي يلقى في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان، فالذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله، والرضي بما قدر، والإعراض عما فات، أو عدم الالتفات لما فات، فإنه إذا ذكر فيما فاته من ذلك فقال لو أني فعلت كذا لكان كذا، جاءته وساوس الشيطان فلا تزال به حتى يفضي إلى الخسران، فيعارض بتوهم التدبير سابق المقادير، وهذا هو عمل الشيطان المنهي عن تعاطي أسبابه بقوله: (فلا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان) [5].

ما ورد في القرآن عن المشيئة وطلاقتها أنواع:

- **كل ما يجري في الكون إنما هو واقع بتقديره وبمشيئته**

وإخبار الله عن مطلق المشيئة يتنوع في القرآن، فتارة يخبرنا أن كل ما في الكون إنما هو بمشيئته. كما قال: (قُل اللهُمَّ مَالكَ الُملكِ تُؤْتِي الُملكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الُملكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِل مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولجُ الليْل فِي النَّهَارِ وَتُولجُ النَّهَارَ فِي

---

1 البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم 3/1337(3453) .

2 البخاري كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة 4/1630(4214) .

3 البخاري كتاب البيوع، باب ما يتنزه من الشبهات 2/725(1950) .

4 البخاري كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو 6/2645(6813) .

5 .

اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران:27) (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) (البقرة:105)، (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ) (البقرة: 269)، (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (النور:45) (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص:68)،ـ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ القَدِيرُ) (الروم:54) (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الشورى:12) . في كل هذه الآيات يخبرنا الله أن كل ما في الكون إنما هو بمشيئته.

- **أنه لو شاء لخلق الخلق على خلاف الواقع وأنا ما لم يشأ لم يكن.**

وتارة يخبرنا أن ما لم يشأ لم يكن، وأنه لو شاء لخلق الخلق على خلاف الواقع المشهود وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الموجود، وأنه لو شاء ما عصاه أحد من خلقه، وأنه لو شاء لجمعهم على ذكره، وجعلهم أمة واحدة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً) (النساء:133) (وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) (الأنعام:133) (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) (ابراهيم:19) (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) (:54) (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ البَاطِلَ وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (الشورى:24) (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (الشورى:33) (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً) (الإسراء:86) (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً) (الفرقان:51) (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة:13) (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً) (الإنسان:28) (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الأِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (الأنعام:

112) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس:99) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لجَعَل النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود: 119) .

- **الفرق بين مشيئة الله وإرادته أن المشيئة كونية والإرادة تكون كونية وشرعية**

ولا بد هنا أن نفرق بين الإرادة والمشيئة، فالإرادة تكون كونية وشرعية، أما المشيئة فهي كونية فقط ولا تأتي أبدا بالمعني الشرعي، المشيئة لا يمكن أن تتخلف، وقد أجمعت الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المترلة من عند الله، على أنه ليس في الوجود أمر إلا بمشيئة الله وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن .

ولذلك فإن العبد يعلق أفعاله على المشيئة وليس على الإرادة، فالتوحيد الحق أن يعلق العبد أفعاله علي مشيئة الله عز وجل في جميع الأوقات، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فكل يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن .

أما إرادة الله فهي على نوعين يدبر الله الخلق من خلالهما:

النوع الأول: إرادة كونية قدرية، وهى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، ما يحبه وما لا يحبه، وبها يصدر الأمر التقديري الجبري الحتمي يتحقق في جميع المخلوقات من الأرض إلى السماوات، يتحقق في الجن والإنس والملائكة، وكل ما في الكون على سبيل الخلق والإيجاد والإمداد والمتابعة، وهذا الأمر نافذ لا محالة، فلا يمكن صده أو رده، وهو شاهد لمعنى الربوبية .

النوع الثاني: إرادة شرعية إلهية يصدر بها أمر ابتلائي خاص للإنسان والجان، قد يلتزمان به وقد يمتنعان، وهذه الإرادة هي المتضمنة للمحبة والعبادة، من استجاب لها أحبه الله وقربه، وأكرمه ونعمه، ومن امتنع عن تنفيذها أبغضه الله وأبعده وعذبه .

وقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد فقال يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي فقال عمرو بن عبيد اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها عليه فقال

الأعرابي لا حاجة لي في دعائك قال و لم قال أخاف كما أراد أن لا تسرق فسرقت أن يريد ردها فلا ترد .

وروى عمرو بن الهيثم قال خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدري ومجوسي فقال القدري للمجوسي أسلم قال المجوسي حتى يريد الله، فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسي أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان هذا شيطان قوي، وفي رواية أنه قال فأنا مع الأقوى .

فالمشيئة كونية فقط ولذلك كل شيء بمشيئة الله، (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (الأنعام:83) (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ) (الأعراف: 100) (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف:76) (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف:110) (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً) (الإسراء:18) (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) (الأنبياء:9) (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلا يَرْجِعُونَ) (يّس:67) (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:52) (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ) (الزخرف:60) (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (محمد:30)

فالله عز وجل لا يجري في ملكه من خير أو شر، أو نفع أو ضر، أو حلو أو مر، أو غنى أو فقر، أو سر أو جهر أو وفاء أو غدر، أو نصح أو مكر، أو حركة أو سكون، أو قيام أو قعود، أو حياة أو موت، أو قبض أو بسط، أو إيمان أو كفر إلا بمشيئته، وعلمه وقدرته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

(لوْ نَشَاءُ لجَعَلنَاهُ حُطَاماً فَظَلتُمْ تَفكَّهُونَ) (الواقعة:65) (لوْ نَشَاءُ جَعَلنَاهُ أُجَاجاً فَلوْلا تَشْكُرُونَ) (الواقعة:70) (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلبَابِ) (البقرة:269) (ليْسَ عَليْكَ هُدَاهُمْ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ) (البقرة:272) (هُوَ الذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلهَ إِلا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (آل عمران:6) (قَال رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَال كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (آل عمران:40) (قَالتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلدٌ وَلمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَال كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران:47) (وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران:129) (لهُ مَقَاليدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُل شَيْءٍ عَليمٌ) (الشورى:12) .

سئل سهل بن عبد الله عن قوله تعالى: (وَإِذْ قُلنَا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ) (البقرة:34)، قال السائل: لما أمر إبليس بالسجود لآدم أراد منه ذلك أم لا؟ فقال سهل بن عبد الله: أراده و لم يرده، ويعني أنه أراده شرعا وإيجابا وتكليفا، و لم يرده كونا ووقوعا، فالله عز وجل لا يكون في ملكه إلا ما أراده كونا، فلو أراد وقع السجود كونا لوقع (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس:82) (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (هود:107)، فلما لم يقع السجود علمنا أنه لم يرد وقوعه، ولذلك تحقق في إبليس الأمران معا: إرادة الله له بالتكليف والتعبد، إرادة الله بأن لا يسجد، فإرادة الله على نوعين .

وكل أمر، أمر به الله عباده أراده بأمره الشرعي، ليكونوا مكلفين متعبدين، و لم يرده ممن لم يستجب و لم يمتثل بتدبيره الكوني، لأنه سبحانه وتعالى قال: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:40)، فأخبر أنه إذا أراد شيئا كونه، فالأمر الشرعي يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية، فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعا ودينا، وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا، كإيمان من أمره، و لم يوفقه للإيمان، فالأمر مراد له دينا لا كونا، وكذلك أمر خليله بذبح ولده، و لم يرده كونا وقدرا، وأمر رسوله بخمسين صلاة، و لم يرد ذلك كونا وقدرا، وكل ذلك لإظهار فضلهم، وتكليفهم وابتلائهم، فهذا أصل الابتلاء، يأمر الله تعالى بالشيء ويريد كون ضده وقد أراد الأمر به وحسب، وينهى عن الشيء ويريد كونه، وقد أراد

النهى عنه فقط .

والله في خلقه له الحجة البالغة لو شاء لهدي الناس أجمعين (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُل نَفْسٍ هُـــدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة:13) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَل النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَـــــةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود:119) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الحادية عشر (11)

عنوان المحاضرة

المرتبة الرابعة من مراتب القدر الخلق

عناصر ومفردات المحاضرة

- اتفقت الكتب الإلهية والأدلة العقلية إلا مجوس الأمة القدريـــــة على أن الله خالق كل شيء
- الجبرية أثبتوا التقدير والقدرة، وأنكروا الحكمة والرحمة .
- خلق الله الدنيا بأسباب وعلل تؤدي إلى نتائج ومعلـــــولات إظهارا لحكمته.
- منهج التوحيد ألا يتغافل الموحد عن قدرته بدعوى الانشغال في النظر إلى حكمته

وألا يتغافل عن شرعه وحكته بدعوى الانشغال في النظـــر إلى قدرته.

- المرتبة الرابعة وهي مرتبة الخلق يرد إليها خلـــق العلـــة بلا معلول.
- المرتبة الرابعة وهي مرتبة الخلق يرد إليها خلق المعلـــول بلا علة.
- التوكل على الله من آثار الإيمان بالمرتبة الرابعة مـــن مراتـــب القدر
- الأسباب يقلبها ربنا مثلها كمثل الآلة بيد الصانع.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- **حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الحادية عشرة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة العاشرة (11)

عنوان المحاضرة

المرتبة الرابعة من مراتب القدر الخلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

قال ابن القيم رحمه الله: مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها، لم يؤمن بالقضاء والقدر أربع مراتب المرتبة الأولى علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة مشيئته لها، والرابعة خلقه لها.

واليوم نتحدث عن المرتبة الرابعة من مراتب القدر وهى مرتبة خلق الأشياء وتكوينها، وتصنيعا وتنفيذها، على وفق ما قدر لها بمشيئة الله في اللوح المحفوظ .

• اتفقت الكتب الإلهية والأدلة العقلية إلا مجوس الأمة القدرية على أن الله خالق كل شيء

الخالق عند أهل التوحيد واحد، وما سواه مخلوق، فالله عز وجل هو خالق كل شيء، وهذا الأمر متفق عليه بين الرسل، اتفقت عليه الكتب الإلهية، والفطرة البشرية، وجميع الأدلة العقلية، ولم يخالف في ذلك إلا مجوس الأمة من القدرية، حيث زعموا أن العبد يخلق فعله من دون الله وقدرته، فأخرجوا أفعال العباد عن تقدير الله وربوبيته، ولم يوحدوا الله في مشيئته، فجعلوا العباد هم الخالقون لأفعالهم، فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالا، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلما، ولا الكافر كافرا، ولا المصلي مصليا، وإنما ذلك يعود إلي قدرة العبد ومشيئته.

وفي المقابل لضلالهم وبدعتهم، ظهرت طائفة ترد على بدعتهم ببدعة تقابلها، وقابلوا باطلهم وبدعتهم ببدعة تماثلها، فقالوا بل العبد في أفعاله مسير مجبور، ولا تأثير له فيها وإنما هو ملزم مقهور، وغلا بعضهم فقال أفعال العبد هي عين أفعال الرب، (إِنَّ اللَّهَ لا

يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (يونس:44)، ولا ينسب الفعل إلى العبد إلا على سبيل المجاز.

وزعم هؤلاء الجاهلون أن الله سبحانه يلوم العبد ويعاقبه، ويخلده في النار ويعذبه، على أمور لم يكتسبها العباد، فالعباد مسيرون لا مخيرون، فوصفوا الله بأنه يظلم الكافرين، وأنه لا يحق له أن يعذب المشركين، تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا.

هذا قول الجبرية في مقابل قول القدرية، وكلاهما باطل وشر معلوم، وفيهما من الباطل بدلالة اللزوم ما أنكره أهل السنة والجماعة، فمذهب أهل السنة والجماعة مذهب الحق لأن اعتقادهم وسط وهذا هو شأنهم، فالوسطية وصفهم كما قال تعالى في مدحهم: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (البقرة:143) فأهل السنة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، لا ينظرون بعين واحدة، كالأعور الذي يرى من وجهة واحدة، وإنما ينظرون بعينين سليمتين يرون الأمور فيها باعتدال، ولا يردون شيئا مما قاله رب العزة والجلال.

كما أنهم يقدمون سنة نبيهم على عقولهم وآرائهم، فأهل السنة يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات، ويؤمنون بخلقه وتكوينه لجميع الكائنات، وينزهون الله عز وجل أن يكون في ملكه شيء

لا يقدر عليه، أو أن مشيئته أو إرادته الكونية لا تقع عليه، ويثبتون العلم والتقدير السابق على الخلق، وأن العباد يعملون على ما وفق ما قدره الحق، وأن ما جف به القلم في اللوح عند الله، واقع محتوم بالمشيئة وقدرة الله، وأنهم لا يشاءون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا من بعد علمه وكتابته ومشيئته وتنفيذ صنعته، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا عام لكل ما خلق وما يخلق وما سيخلق، (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ) (الملك:14) .

فالقدر عند السلف مبني على أمرين اثنين: التقدير والقدرة، فبدايته في التقدير، وهو العلم السابق علم التقدير وحساب المقادير، تقدير كل شيء قبل تصنيعه وتكوينه، وتنظيم أمور الخلق قبل إيجاده وإمداده، فهذا العلم هو التقدير الجامع التام، وهو حساب النظام العام، الذي يسير عليه الكون بمنتهى الإتقان من بدايته إلى نهايته، كما قال تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام:59) .

فبداية القدر في التقدير ونهايته في القدرة وتحقيق المقدر، قدرة الله تعالى على تحقيق ما علمه، وما كتبه، وما شاء خلقه وتكوينه،

فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بعلمه، وبعد كتابته ومشيئته وقدرته، فبداية القدر العلم والتقدير، والنهاية في القدرة، ولذلك يقول تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً) (الأحزاب:38) .

ويذكر العلامة ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين أن القضاء والقدر منشؤه عن علم الرب وقدرته، ولهذا قال الإمام أحمد القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من أحمد غاية الاستحسان، وقال: إنه شفي بهذه الكلمة وأفصح بها عن حقيقة القدر، ولهذا كان المنكرون للقدر فرقتين، فرقة كذبت بالعلم السابق ونفته، وهم غلاتهم الذين كفرهم السلف والأئمة وتبرأ منهم الصحابة، وفرقة جحدت كمال القدرة وأنكرت أن تكون أفعال العبادة مقدورة لله تعالى، وصرحت بأن الله لا يقدر عليها، فأنكر هؤلاء **كمال قدرة الرب وأنكرت الأخرى كمال علمه**.

- **الجبرية أثبتوا التقدير والقدرة، وأنكروا الحكمة والرحمة .**

وقابلتهم الجبرية فجاءت على إثبات القدرة والعلم، وأنكرت الحكمة والرحمة، ولهذا كان مصدر الخلق والأمر، والقضاء والشرع عن علم الرب وعزته وحكمته، ولهذا يقرن تعالى بين الاسمين من هذه الثلاثة كثيرا – العليم والعزيز والحكيم – كقوله: (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (النمل:6) وقال:

(تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ) (الزمر:1) وقال في سورة فصلت (ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ) (الأنعام:96) بعد ذكر تخليق العالم وترتيبه لمعاني الحكمة، فكما لا يخرج مقدور عن علمه وقدرته ومشيئته، فهكذا لا يخرج عن حكمته وحمده .

- **خلق الله الدنيا بأسباب وعلل تؤدي إلى نتائج ومعلولات إظهارا لحكمته.**

والله عز وجل خلق الدنيا بأسباب تؤدي إلى نتائج، وعلل تؤدي إلى معلولات، السبب والنتيجة، أو العلة والمعلول مخلوقان بمراتب القدر سواء ارتبط المعلول بعلته أو انفصل عن علته، أو ارتبط السبب بنتيجته أو انفصل عن نتيجته، فالعلل والأسباب سواء ترابطت أو انفصلت فلا يؤثر ذلك في تعلقها بمراتب القدرة، ولكن العلل والأسباب ترابطها أو انفصالها ظاهر عن كمال الحكمة.

وبيان ذلك أن الله بنى الحياة على ترابط الأسباب بحيث لا يخلق النتيجة إلا إذا خلق السبب فيها، ولا يخلق المعلول إلا إذا خلق علته، فلا يخلق النبتة إلا إذا خلق البذرة أو الحبة، ولا يخلق الثمرة إلا إذا خلق النبتة، لا يخلق الابن إلا إذا أوجد الأب والأم.

ومن هنا ظهرت الأسباب للعقلاء كابتلاء يصح من خلاله العمل بأحكام البديهيات، وحكم التجارب والأوليات، فأهل اليقين ينظرون إلى الأسباب ويعلمون أن الله خلقها بمراتب القدر، فيجدون أن الله عز وجل تارة ينسب الفعل إليه لأنه الخالق بتقدير وقدرة، وتارة ينسب الفعل إليهم عند دعوتهم إلي العمل بمقتضى الشريعة والعقل والحكمة، فمرة يقول في بيان التقدير والقدرة: (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**) (الواقعة: 64) وقال أيضا: (**فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**) (عبس)، فنفي عن الناس أفعالهم، وتأثير الأسباب في رزقهم، وأثبت لنفسه الأفعال وتصريف الأسباب، لأنه الخالق في الحقيقة، الذي علم وكتب وشاء وخلق، قدر كل شيء بعلمه، وكتبه في أم الكتاب بقلمه، وأمضاه بمشيئته، وخلقه بقدرته.

ثم أمر الناس أن يخذوا بالأسباب التي خلقها، وأحكم لهم تدبيرها، عملا بشرع الله كما قال جل في علاه: (**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ**) (يوسف:47) ويقول أيضا: (**يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**)

(الفتح:29) فسماهم زراعا وقال تزعون، وسماهم كفارا لأنهم يضعون البذرة يغيبون البذرة في الأرض ويغطونها، وذلك لأننا في دار ابتلاء وامتحان، والأخذ بالأسباب حتم على بني الإنسان، فهم مستخلفون في ملكه، مخولون في أرضه، فطالبنا بالعمل والإنفاق، ليصل كل منا إلي ما قدره من الأرزاق: (**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**) (الحديد:7) .

ومن ثم فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ولا بد أن يجتازها الإنسان، وهو في هذه الدار بالخيار، حر بين جنة أو نار، كل ذلك ليؤول الناس إلى مصيرهم بعد الحساب، ويتم ما قدره الله في أم الكتاب: (**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**) (الشورى:7) فكل ميسر لما خلق له، وكل سينال ما قدر له .

فالله عز وجل قد أظهر الدنيا أسبابا ونسب الفعل إلي أهلها لإظهار حكمته عند دعوتهم لتوحيد الله بالعبودية، وينسب الفعل ويثبته لنفسه في موضع آخر لإظهار قدرته عند دعوتهم لتوحيد الله بالربوبية، فقال تعالى: (**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**) (السجدة:11) فنسب التوفي إلى الملك الذي كلفه بمباشرة الأسباب وقال أيضا: (**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) (الأنعام: 61) عند الاحتضار الملائكة يجتمعون وعلى مد البصر من الميت يجلسون، ثم يقومون بجذب الروح إلى الحلقوم، وعندها يأتي ملك الموت ليخرجها إلى الجنة أو عذاب الهون: (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**) (الأنعام: من الآية 93).

ثم نفي الأسباب وتأثيرها، والملائكة وتدبيرها، وأظهر نفسه وفعله، وخلقه وتدبيره وأمره، فقال تعالى: (**الله يتوفى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**) (الزمر:42، ليعلم الجميع كيف يوحدون الله في الربوبية من جهة، وكيف يوحدون الله في العبودية من جهة أخري .

وكذلك قال سبحانه في تفصيل أحكام الشرع وتكليف العباد بالأمر، ابتلاءا لهم في هذه الدار، وانتقالا منها إلى دار القرار، فكلفهم بالقتال فقال: (**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) (البقرة:190) (**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (البقرة:244) (**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ**

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ولأُدْخلنَّهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (آل عمران:195) .

كلفهم بالقتال وجعله للمؤمنين اختبار وقال أيضا: (**وَقَاتلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**) (التوبة:36) (**لا يَسْتَوِي منْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ منْ قَبْل الفَتْحِ وَقَاتَل أُولئكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً منَ الذينَ أَنْفَقُوا منْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) (الحديد:10) (**قَاتلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْديكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**) (التوبة:14)، كل ذلك يكلفهم بتوحيد العبودية لله، وأن يطيعوا الله ويجاهدوا في سبيل الله، إظهارا للشرائع والأحكام، وتحقيقا لمعاني التوحيد والإسلام.

ثم قال في توحيد الربوبية ونسبة الفضل إليه في انتصارهم على أعدائهم: (**فَلمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلهُمْ**) (الأنفال:17) حتى لا ينسبوا الفضل إلى أنفسهم ولا يدخل العجب بالنفس إلى عقيدتهم فيقولون انتصرنا وعبرنا بقوتنا وقدرتنا وقتالنا وخبرتنا وحنكة قائدنا لولاه لهزمنا وغير ذلك من تدندن عليه النفس الأمارة، فالله ما نسب إليهم الأسباب إلا لأن الشرائع تتعلق بها، أما هي في حقيقتها فالله

هو خالقها والمدبر لأمرها، وهو الموفق والكفيل الذي تكفل بهـــــا، فقال تعالي: (**وَمَا رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكِنَ اللهَ رَمَى**) (الأنفال:17) .

- **منهج التوحيد ألا يتغافل الموحد عن قدرته بدعوى الانشغال في النظر إلى حكمته، وألا يتغافل عن شرعه وحكته بدعوى الانشغال في النظر إلى قدرته.**

والله عز وجل قد أظهر الدنيا أسبابا ونسب الفعل إلي أهلهـــــا لإظهار حكمته، ونسب الفعل وأثبته لنفسه في موضع آخر إظهارا لقدرته، فلا يتغافل العبد عن قدرته بدعوى الانشغال في النظر إلى حكمته، وأن الأسباب حاكمة على مشيئة الله وقدرته، صارمة لا يمكن أن يتخلف المعلول فيها عن علته، فالله عـــز وجـــل يخلـــق بأسباب وبغير أسباب إن خلق بأسباب فهي العادات، وإن خلـــق بغير أسباب فهي خوارق العادات أو الكرامات والمعجزات .

الثمرة يخلقها الله بعد خلق النبتة ويربط خلق الثمـــرة بوجـــود النبتة، ويمكن أن يخلق الثمرة من غير نبتة ودون وجودها، فهـــذه مريم قال الله في شأنها: (**كُلمَا دَخَل عَليْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَـــدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَال يَا مَرْيَمُ أَنَّى لك هَذَا قَالتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَـــابٍ**) (آل عمـــران:37) يقـــول المفسرون: كانت ترزق بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء

في الصيف، وهى قد علمت أن الذي يخلقها بأسباب يخلـــق بغير أسباب، ويرزق بحساب من العبد أو بغير حساب.

ولذلك كان من قوة يقينها أن الله اختارهـــا لأعظـــم ابتلاء، ستحمل على غير عادة النساء، وتلد عيسى كمعلـــول بغير علـــة ونتيجة بلا سبب **(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلنَا إِلَيْهَا رُوحَنَـــا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنـــتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّـــى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَـــالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْـــرًا مَقْضِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّـــاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا)** (مريم)

ما المقصود بقوله هين؟ هل هناك شيء يعز خلقه على الخـــالق أبدا، ولكن الأسباب يخلقها الله بمراتب القدر، ومراتب القـــدر في الخلق بأسباب ومن خلال العادات أكثر من مراتب القدر في الخلق بغير أسباب ومن خلال خوارق العادات، الولد في الأسباب يوجد من أب وأم، فالأب له أربع مراتب والأم كذلك والولد كـــذلك فجموع المراتب اثنتا عشرة مرتبة، أما الولد في حالة عيسى فقـــد

وجد من أم بلا أب، فجموع المراتب ثمان مراتب، فأيهما أهـــون العادات أو خوارق العادات؟ وأهون من ذلك خلق آدم مـــن غير أب ولا أم.

ولذلك قال تعالي في إجمال الخلق: (**وَهُوَ الذي يَبْدأُ الخَلقَ ثُــمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَليْهِ وَلهُ المَثَلُ الأَعْلى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**) (**الروم: 27**) (**أَوَليْسَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلهُمْ بَلى وَهُوَ الخَلاقُ العَليمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الذِي بِيَــدِهِ مَلكُوتُ كُل شَيْءٍ وَإِليْهِ تُرْجَعُونَ**) (**يّس: 83**) .

- **المرتبة الرابعة وهي مرتبة الخلق يرد إليها خلق العلــــة بلا معلول.**

فقد يخلق العلة ولا يخلق معلولها، كما فعــل بــإبراهيم عليــه السلام: (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلينَ قُلنَا يَــا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْرَاهِيمَ**) (**الأنبياء: 69**) (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) (**العنكبوت: 24**) أضرموا نارا لا

يقوى الطير على المرور من فوقها، توفرت لهم العلة ولكـــن الله لم يخلق معلولها .

البخاري عن أَنَسِ بنِ مالكٍ ⓿: (أنَّ يَهودِيَّةً أتَتِ النـــبيَّ ﷺ بشاةٍ مَسمومَةٍ فأكَلَ منها فجيءَ بها، فقيل: ألا نقتُلُها؟).

وفي رواية مسلم: (فَجِيءَ بِهَا إِلى رَسُول الله ﷺ . فَسَأَلَهَا عَنْ ذلكَ؟ فَقَالتْ: أَرَدْتُ لأَقْتُلكَ . قَالَ: مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلطَكِ عَلـــى ذَاك، أَوْ قَال: عَليَّ قَال قَالُوا: أَلاَ نَقْتُلها؟ قَال لاَ).

وعند البخاري من حديث عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ⓿ قَـــال سَـــمِعْتُ عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ: (لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ قَال: لَيْتَ رَجُلا مِـــنْ أَصْحَابِي صَالحًا يَحْرُسُنِي اللَيْلة إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلاحٍ فَقَال مَـــنْ هَذَا فَقَال أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لأَحْرُسَكَ وَنَـــامَ النَّبِـــيُّ ﷺ).

وعند البخاري أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ⓿: (أَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَزَا مَـــعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَدْرَكَتْهُمْ القَائلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العضَاه فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العضَاه - شجرة ذات شوك- يَسْتَظلونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَل النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لا يَشْعُرُ بِهِ، فَقَال النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي فَقَال مَنْ يَمْنَعُـــكَ

قُلتُ اللهُ فَشَامَ السَّيْفَ، قيل فنزلت (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلغْ مَا أُنْــــزِل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلغْتَ رِسَالتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِــــنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ) (المائدة:67)).

- **المرتبة الرابعة وهي مرتبة الخلق يرد إليها خلق المعلول بلا علة.**

وقد يخلق المعلول بلا علة، كما فعل بناقة صالح: (**وَإِلى ثَمُــــودَ أَخَاهُمْ صَالحاً قَال يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لكُمْ مِنْ إِله غَيْــرُهُ قَــدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِه نَاقَةُ اللهِ لكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُل فِــي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) (الأعراف: 73) (قَال هَذِه نَاقَةٌ لهَا شِرْبٌ وَلكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) (الشعراء: 155) (فَقَال لهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا) (الشمس:13) (فَعَقَرُوهَا فَقَال تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِــكَ وَعْــدٌ غَيْــرُ مَكْذُوبٍ) (هود:65) (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادمِينَ) (الشــعراء: 157) (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَليْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) (الشمس:14) .

وعند البخاري من حديث عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكــرٍ ⓿: (أنَّ أصحابِ الصُّفَّةِ كانوا أُناساً فُقراءَ، وأَنَّ النبيَّ ﷺ قال: (مَن كان

عندَهُ طعامُ اثنين فليَذْهَبْ بثالث، وإنْ أَربعٌ فخامسٌ أو سادس) . وإنَّ أَبا بكرٍ جاءَ بثلاثة فانطلقَ النبيُّ ﷺ بعشَرة . قال: فهوَ أَنــــا وَأَبي وَأُمي ـــ فلا أدري قال: وامرأتي ـــ وخادمٌ بينَنا وبينَ بَيـــتِ أبي بكر . وإنَّ أَبا بكرٍ تَعشَّى عندَ النبيِّ ﷺ ثم لبِثَ حيثُ صُليَتِ العشاءُ، ثم رجعَ فلبثَ حتّى تعَشَّى النبيُّ ﷺ، فجاءَ بعدَ ما مضى منَ الليل ما شاءَ اللهُ . قالت له امرأَتهُ: وما حبَسكَ عن أضـــيافِكَ ـــ أو قالت ضيفكَ ـــ؟ قال: أَوَ ما عَشيتيهم؟ قالت: أَبَوا حتّـــى تَجيء، قد عُرِضوا فأَبَوا . قال: فذهبتُ أَنا فاختبأْتُ . فقال: يـــا غُنثَرُ ـــ الثقيل الوخيم طويل البال، فجدَّعَ وسَبَّ، دعا عليه بقطع الأنف وغيره من الأعضاء والسب الشتم ـــ وقال: كُلوا لا هَنيّاً . فقال: وَاللهِ لا أَطعَمُه أبداً . وأَيمُ اللهِ، ما كنا نأْخُذُ من لُقمة إلاّ رَبا من أَسْفلها أكثرُ منها . قال: يعني حتى شَبِعُوا، وصارتْ أَكثَرَ مما كانت قبل ذلك . فنظرَ إليها أبو بكرٍ فإذا هيَ كما هيَ أو أكثرُ . فقال لامرأته: يا أُختَ بني فِراسٍ ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّة عيني، لهيَ الآنَ أَكثرُ منها قبل ذلكَ بثلاثِ مرّاتٍ . فأَكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلكَ منَ الشيطانِ ـــ يعني يَمينَهُ ـــ ثمَّ أَكل منها لُقمةً، ثمَّ حَملها إلى النبيِّ ﷺ فأصبحتْ عندَه . وكان بينَنا وبينَ قومٍ عَقدٌ، فمضى الأجلُ ففرَّقَنا اثْنَيْ عشرَ رجُلاً معَ كل رجلٍ منهم أُناسٌ اللهُ أعلم كم مَع كل رجُلٍ، فأكلوا منها أجمعون)، أَو كما قال .

وعند البخاري من حديث أَنَسٍ ◯ قَال: (أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ فَجَعَل المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِه فَتَوَضَّأَ القَوْمُ قَال قَتَادَةُ قُلتُ لأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ قَال ثَلاثَ مِائَةٍ أَو قريبا من ذلك) .

- **التوكل على الله من آثار الإيمان بالمرتبة الرابعة من مراتب القدر**

فمن آثار الإيمان بالمرتبة الرابعة من مراتب القدر إفراد الله بتقدير الأرزاق والعطاء، والتوكل عليه في الشدة والرخاء، فأول أركان التوكل علي الله، اعتقاد العبد أنه لا خالق إلا الله ولا مدبر للكون سواه، واعتقاد الموحد أن الرب الذي يرزق بأسباب قادر على أن يرزق من غير أسباب، وكلاهما عند المؤمنين في الإيمان سيان، طالما أن الله هو الخالق المدبر في أي وضع كان، ولذلك فإن التوكّل من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقرّبين، يقول تعالى وهو أحسن القائلين: (**إن الله يحبّ المتوكلين**) (آل عمران 159)، وقال الله عزّ وجل: (**وَعَلى الله فَلْيَتَوَكَّل الْمُتَوَكِّلُونَ**)، وقال جلت قدرته: (**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ منْ حَيْثُ لا يَحْتَسبُ وَمَنْ يَتَوَكَّل عَلى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالغُ أَمْرِه قَدْ جَعَل اللهُ لكُل شَيْءٍ قَدْراً**) (الطلاق:3).

ومعني فهو حسبه أي كافيه مما سواه، فمن كان الله تعالى كافيه فهو شافيه ومعافيه، ويكفيه عمّا هو فيه، يقول تعالى: (**أليس الله بكَاف عَبْدَهُ**) (الزمر:36)، ومن فوض أمره إلى الله وقاه ونجاه، كما قال مؤمن آل فرعون: (**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**) (غافر:44) فلما فوض أمره إلى الله، وعلم أنه لا مدبر للكون سواه، قال تعالى في الآية التي بعدها (**فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآل فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ**) (غافر:45) .

إذا علم العبد الذليل أن الملك الكبير، قائم بالقسط والتدبير، ومنفرد بالمشيئة والتقدير، عنده خزائن كل شيء، وكل شيء عنده بمقدار، لا يتزله إلا بقدر معلوم، وعلم أن الوكيل الكفيل قابض على نواصي الملك، وله خزائن السماوات والأرض، فأيقن العبد أن ربه في يده ملكوت كل شيء بحق وصدق، وأنه يملك السمع والأبصار، ويقلب القلوب كما يقلب الليل على النهار، وأنه يتولى تدبير شئون العالمين، وأنه أحكم الحاكمين وخير الرازقين، إذا علم العبد ذلك أيقن أن الملك الكبير من فوق عرشه، كفيل بأمره ورزقه، يغنيه من فضله وقربه، واعتمد عليه في كل شيء، ووثق به دون كل شيء، وقنع منه بأدنى شيء، وصبر علي ما ابتلاه به في

هذه الحياة، وهنا لا يطمع العبد في سواه، ولا يرجو إلا إيـــاه، ولا يشهد في العطاء إلا مشيئته، ولا يرى في المنع إلا حكمته، ولا يعاين في القبض والبسط إلا قدرته، عند ذلك حقت للعبد معاني التوحيد في عبادته، وصدق في إسلامه وشهادته، ووحـــد الله في ربـــوبيته، فعرف أن المخلوق لا حول ولا قوة له إلا بخالقه وأن طلب الرزق يكون عند معبوده ورازقه، كما قال الله عز وجـــل: (**إِنَّ الـــذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادُ أَمْثَالُكُمْ**) (الأعراف:194) وقـــال: (**إِنَّ الذينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دَونِ اللهِ لاَ يَمْلكُونَ لكُمْ رِزْقَاً فَابْتَغُوا عِنْـــدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ**) (العنكبوت:17) .

فالعبد المؤمن الذي توكل علي الله حقا، علم أن الله الذي يرزق بأسباب قادر على أن يرزق من غير أسباب، وأن الذي شق البحر لموسى عليه السلام هو الذي سيره، وما كان ضرب البحر بالعصـــا في عرفنا، كافيا من جهة الأسباب التي وضعها الله لنا، لشقه طريقا في البحر يبسا آمنا، ولكن اليقين بالذي خلقنا ودبر أمرنا، يجعـــــل التوكل عليه منجاه، كما قال جل في علاه: (**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ منْ حَيْثُ لا يَحْتَسبُ وَمَنْ يَتَوَكَّل عَلى اللهِ فَهُـــوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَل اللهُ لكُل شَيْءٍ قَدْراً**) (الطلاق:3) وقال سبحانه وتعالى: (**أَليْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**) (الزمر:36 ومـــــن

فوض أمره إلى الله، وقاه ونجاه كما قال مؤمن آل فرعون متوكلا على الله: (**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**) (غافر:44) فلما فوض أمره إلى الله قال في الآية بعدها: (**فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآل فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ**) (غافر:45) .

والله عز وجل لما قال عن تسيير الإنسان في البر والبحر: (**هُوَ الذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ**) (يونس:22) وجدنا الناس بتسيير البحر لم يتأثروا، وبقدرة الخالق لم يعتبروا، ولكن لما سمعوا قول الله عز وجل: (**فَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلقَ فَكَانَ كُل فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ**) (الشعراء:63) تعجبوا وآمنوا .

وزكريا عليه السلام لما رأى في مريم وأحوالها قدرة الله في تعطيل الأسباب، وأنها ترزق في المحراب بألوان الطعام في غير موعده وبغير حساب، (**هُنَالكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَال رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**) (آل عمران:38) زكريا الذي انقطعت به أسباب الإنجاب عند سائر العقلاء، وزوجته عاقر يستحيل أن تلد في مقاييس الأطباء، دعا ربه بهذا الدعاء: (**رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ**) (الأنبياء:89) (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَل الرَّأْسُ شَيْبًا وَلمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنْ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا) .

فإذا علم العبد أن الخالق الرازق هو الله، ركن إليه وتوكل عليه، وأعطى الناس ما يليق بها من العطاء، كل على ما يستحقه من الجزاء، وتعامل معهم انطلاقا من دعوة الإسلام، وتحقيقا لما ورد عن نبينا عليه الصلاة والسلام (**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**) وهو حديث صحيح رواه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وعند الترمذي وقال حسنٌ صحيحٌ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أيضا أن رَسُول الله قال: (مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ الله) .

فالصادق في توحيده وتوكله، لا يحمد مخلوقا ولا يذمه لأجل أنه أعطاه أو منعه، لأنه يعلم يقينا أن الله عز وجل هو المعطي الأوّل قبل

إجراء الأسباب على أيديهم، فلم يشكر من كان سببا في رزقه إلا لأن الله مدحهم وأمره بشكرهم، وإن ذم الذين كانوا سببا في رزقه أو مقتهم، فلأجل مخالفتهم لله وموافقتهم لهوى أنفسهم، فالله عـــز وجل مدح المنفقين وذم الممسكين، **(الذينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَل فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنيُّ الحَميدُ)** (الحديد:24) **(وَلا يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْله هُوَ خَيْراً لهُمْ بَـــل هُوَ شَرٌّ لهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخلُوا به يَـــوْمَ القيَامَـــة وَللهِــ ميرَــاثُ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** (آل عمران:180) .

وقد وكل الله ملكين يترلان من السماء وكلهم بالدعاء لمن أنفق من مال الله، والدعاء على كل من بخل علـــى عبـــاد الله، فعنـــد البخاري من حديث أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: **(ما مِن يومٍ يُصبحُ العبادُ فيه إلاَّ مَلكان يَترِلان فيقولُ أحدُهما: اللهمَّ أعطِ مُنفقاً خَلفا، ويَقولُ الآخَـــرُ: اللهـــمَّ أعـــطِ مُمسِكاً تلفاً)**، فحسن التوكل على الله من آثار الإيمـــان بتوحيـــد الربوبية، وسبب في سعة الرزق وإدراك الراحة النفسية.

ألا ترى الطير لا تملك خزائن لقوهَا، وليس لها من الرزق إلا ما قدره الله بسعيها، روى الترمذي وقال حسن صحيح، من حديث عُمَرَ بن الخطاب قال: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ يَقُولُ: **(لوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلتُمْ**

عَلى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه، لرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصـــــاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً) .

والله عز وجل يقول: (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِـــي الأَرْضِ إلاَّ عَلَـــى اللهِ رِزْقُهَا**) (هود:6) (**وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَـــا وَإِيَّاكُمْ**) (العنكبوت:60) فالمتوكل على الله قد علم يقينا أن كل ما يناله من الخير والعطاء، فهو رزقه من رب السماء، وأن رزقه قـــد قسمه الله له فيما حكم به القضاء، وأن ما ناله من الأحكام سيصله لا محالة بالتمام، وأن ما قسمه الله له في المكتوب أزلا، لن يكـــون لغيره من الخلق أبدا .

والله عزّ وجل متصف بالقدرة والحكمة ومن أسمـــائه القـــدير الحكيم، فبالقدرة خلق الأشياء وأوجدها وهداها وســيرها وهـــذا توحيد الربوبية، وبالحكمة رتب الأسباب ونتائجها وابتلانا لنأخـــذ بها تحقيقا لتوحيد العبودية، فالمتوكل على الله الحق لا بد أن يتقلب في إيمانه بالله بين حكمته وقدرته، وعدله ومشـــيئته، فلا يســـقط الشرائع والأحكام، ويتغاضى عن تمييز الحلال من الحرام، لاحتجاجه بمشيئة الله وقدرته، وأن الخلائق مسيرون على جـــبر إرادتـــه، ولا مناص من الدخول في ظل ربوبتة، فيعطل اسم الله الحكيـــم ومـــا تضمنه الاسم من وصف الحكمة .

وفي المقابل أيضا فإن المتوكّل على الله حقا لا يجعـــل الأشـــياء والأسباب حاكمة أو ضارة نافعة، فيشرك في توحيد الله بالربوبية، فالله قدير والقدرة صفته، هو المعطى الرقيب، المحســـن الحســـيب، الذي خلق وفعل وجعل، لا شريك له في أسمائه، ولا ظهير لــــه في أحكامه، كما قال عزّ وجل في محكم كلامه: (**إن الحكـــم إلا لله**) (يوسف:40) وقال تعالى: (**وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدا**) (الكهف: 26)، وقال أيضا في مخاطبة المشركين من خلقه: (**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الذينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِـــ لا يَمْلكُونَ لكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لـــهُ إِليْهِ تُرْجَعُونَ**) (العنكبوت:17) .

فالمتوكل إذا نظر إلي قدرة الله في الأشياء، وأنه منفـــرد بـــالخلق والتدبير، وقائم بالملك والتقدير، نظر أيضا إلي وجوه الحكمــــة في إظهار الأسباب وتصريفها، وابتلاء العباد بتقليبها، والأخذ بها على وجه الضرورة واللزوم، وإيقاع الأحكام على المحكوم، فمن وافـــق الشرائع والسنن استحق من الله الثواب، ومن خالف وابتدع استحق من الله العقاب، ليصل الكل في النهاية إلى ما دون في أم الكتـــاب، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

هكذا كان ابتلاء العباد من خلال إيمانهم بتوحيد الربوبية من جهة وتوحيد العبودية من جهة أخرى: (**فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**) (الزمر:49) فتنة لأنه نظر إلى الأسباب في تقلبها وتغافل عن مصرفها ومقلبها، فالله عز وجل لما جعل الناس مختلفين في الأرزاق على اختلاف أنواعها، كالمال والصحة والذكاء، والولد والجمال والنساء، وما أشبه ذلك من ألوان النعيم أو الشقاء، بين أن ذلك فعله بهم للاختبار والابتلاء، فقال تعالى: (**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**)، فظن الجاهلون الغافلون من الأغنياء، أن سعة الرزق محبة كتبت لهم في القضاء، حتى لو خالفوا السنة والمحجة البيضاء، وظن الجاهلون الغافلون من الفقراء، أن ضيق الرزق إهانة لهم في أم الكتاب، وأن الله قضي لهم بالوقوف ذلا على الأبواب.

وكل ذلك من قلة العلم وسوء الفهم، وكل ذلك يعبر عن الجهل بحقيقة الحياة، فالإهانة تظهر للغني في ماله، إذا لم يكرم اليتيم ويطعمه، ولا يعطي المسكين ويحرمه، ويكتز المال ويحبه ويعظمه،

و لم يعلم أنه فتنة فيقاومه، كما قال خالقه ومنظمه: (**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**)، وقال سبحانه: (**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**) وقال أيضا: (**وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلي اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**)، فابتلي الله الرسل بأممهم، وابتلي الأمم برسلهم، وابتلي الحكام بشعوبهم، وبتلي المحكومين بحكامهم، وابتلي الأزواج بزوجاتهم، وابتلي الآباء بأبنائهم، وابتلي القوي بالضعيف، وابتلي الضعيف بالقوي، وهكذا في المجتمع الواحد تتنوع المستويات، وتتعدد للجميع أنواع الابتلاءات، تحقيقا للحكمة التي أراد الله عز وجل أن يخلقهم من أجلها، وإظهارا للقدرة التي كلفهم بتوحيد الربوبية من خلالها، فالمتوكل على الله قائم بأحكام الشريعة ملتزم بتوحيد العبودية، موقن بأحكام القدرة وتوحيد الربوبية، يعمل بشرع الله ويؤمن بقدر الله .

وقد أخبر الله تعالى أنه هو الرزاق، كما أنه الخالق الذي أمات وأحيا، فقرن بين هذه الأفعال الأربعة في موضع واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة، وترابط الشرع والقدر، فقال سبحانه وتعالى: (**اللهُ الذي خَلقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) (الروم:4،، فكما

أن الله هو وحده الخالق الذي يحيي ويميت، فكذلك هـــو وحـــده الرزاق، فتنبه لذلك جيدا ألا ترى أنك لا تقـــول: خلقني أبي وإن كان سببا في وجودك ؟ ولا تقول أحياني أبي وإن كـــان ســـببا في حياتك، ولا تقول أماتني فلان وإن كان وسيلة في الإحياء والقتل، لأن هذا شرك ظاهر اشتهر قبحه للعقلاء من الموحـــدين فـــتركوه وانتقوا الألفاظ في التعبير عن أرادوه .

ولذلك قال الله تعالى: (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الخَالقُونَ**) (الواقعة:58-59، وكذلك قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُـــمْ مَـــا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُـــونَ) (الواقعـــة:63-64، فأضاف الإمناء والحرث إلينا، لأنها أعمال ونحن عبيدٌ عمال، ولأنها صفاتنا وأحكامها عائدة علينا، وأضاف الخلق والزرع إليـــه لأنهـــا آيات عن قدرته وحكمته والله هو القادر الحكيم، فالمتوكّل أيقن أنه لم يكن غير الله قادرا أن يخلقه، فلما خلقه الله أيقن أنه يكن غير الله قادرا أن يرزقه (**هَل مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ**) (فاطر:3) فالله عز وجل نفي الرزق عن سواه كما نفي الخلق عمن سواه .

إن في إعطاء هذا المال فتنة، وفي منعه فتنة، يغدو الرجل إلى ابن عمه، فيسأله حاجة كتب الله في اللوح قضاءها عنده، فيعطيه مـــا أراد، وهو في حقيقة ما كتب في اللوح لا يملك منعه، فيعطيه مـــا

كتب الله له في سابق العلم، فيظل يشكره ويعظمه، ويبالغ في وصفه بغير حق، ويثني عليه بما لا يستحق، ثم يعود إليه مرة أخرى فيسأله حاجة لم تكتب له في اللوح ولم يجعل الله قضاءها عنده، فلا يعطيه ما أراد، لا يعطيه ما كتب الله أنه ليس له في سابق العلم، فيظل يذمه ويسبه، ويقذفه في ماله وعرضه ويذكره بكل سوء وشر، ألا إن في إعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة .

قال بعض المفسرين في معنى قوله تعالى: (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إلاّ وَهُمْ مُشركُون**) (يوسف:106) قال مؤمن بالإقرار أن الله هو المقدر المدبر، ومشرك في الاعتماد على الأسباب ورد الأفعال والتأثير إليها.

- **الأسباب يقلبها ربنا مثلها كمثل الآلة بيد الصانع.**

وإنما مثل الأسباب التي يقلبها ربنا، كمثل الآلة بيد الصانع، ألا ترى أنه لا يقال: السيف ضرب العنق ولا السوط ضرب العبد وإنما يقال: السياف ضرب العنق، وفلان ضرب فلانا بالسوط، وإن كانت هذه الأشياء أسبابا مباشرة للأفعال إلا أنها آلةٌ بيد صانعها، وكذلك الخليقة يباشرون الأسباب في ظاهر النظر عند البشر، والله من ورائهم محيط ومتوحد في الربوبية، هو القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة .

وإنما ذكر الله تعالى الأسباب لأن الأسماء تتعلق بها وأحكام الشرع عائدة عليها بالثواب والعقاب، فذكرها لكي لا تعود الأحكام على الحاكم سبحانه وتعالى، يقول تعالى: (**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ**) (النحل:96)، فالجميع عنده وفي خزائنه، إلا أنه أضاف الدنيا إلينا لرجوع الأحكام علينا، وليزهدنا فيها، وأضاف الآخرة إليه تفضيلا لها وترغيبا لنا فيها، وكما أخبر عن عيسى: (**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بِإِذْنِي**) (المائدة: من الآية 110) وقال أيضا: (**وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً**) (النساء:8) فجعل عيسى خالقا إذ خلق الله على يده، وجعل العبد رازقا لما أجرى على يده من رزق غيره، وكقوله لمريم: (**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخلة تُساقِطْ عَلَيْكَ رُطَباً جَنِيًّا**) (مريم:25)، وقد علمت أن الرطب لم يتساقط بهزها، ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجرى أسباب الرزق بيدها نتيجة صبرها على بليتها.

وعند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ قَال: (**أَصْدَقُ بَيْت قَالهُ الشَّاعِرُ أَلا كُل شَيْءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ**) فنفي ما سوى الله على اعتبار القدرة وتوحيد الربوبية لا على

اعتبار الحكمة وتوحيد العبودية، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم أن الحياة التي ابتلانا الله بها هي أسباب حق تؤدي إلي نتائج صدق، ثم لم يمنعه ذلك أن قال أصدق بيت قاله الشاعر: أَلا كُل شَيْءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ، إيثاراً منه للتوحيد وتوحيدا للمتوحد .

فأول أركان التوكل علي الله اعتقاد العبد أنه لا خالق إلا الله ولا مدبر للكون سواه، واعتقاد الموحدين أن الرب الذي يرزق بأسباب قادر على أن يرزق من غير أسباب، وكلاهما عند المؤمنين سـيان طالما أنه الخالق المدبر في الوضعين.

أما الركن الثاني فهو الأخذ بالأسباب وعدم التواكل فلا يضـرّ التصرف والتكسب لمن صحّ توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله قال الله سبحانه: (وَجَعَلنَا النَّهَارَ مَعَاشاً) (النبأ: 11، وقال تعالى: (**وَجَعَلنَا لكُمْ فيهَا مَعَايِشَ قَليلاً مَا تَشْكُرُونَ**) (الأعـراف: 10)

وفي صحيح ابن حبان من حديث عمرو بن أمية عن أبيـه أنـه قال: (**قال رَجُلٌ للنبيِّ: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّـلُ ؟ قـال: اعْقِلهـا وَتَوَكَّل**).

وقد كان الصانع بيده عن سلفنا أحبّ إليهم من التاجر، والتاجر أحبّ إليهم من البطال، فالمتوكل يعلم أن الله تعالى قـــد جعـــل في الأسباب منافع خلقه ومفاتح رزقه وخزائن حكمته، وعلم أنه مقتد في ذلك لنبيه متبعٌ لسنته، فهو في تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه الشبهة في توكله فساكنها وتواكل على غيره، فالتكسب خير من ذل السؤال والحاجة، والتارك للتكسب سالك على غير السنة، طريقه طريق البدعة، وعن البخاري من حديث أبي هريرةَ أن النــبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (**لأنْ يأخُذَ أحدُكم حَبلهُ ثم يَغـــدو إلى الجَبَل فيَحْتَطِبَ فيبيعَ فيأكل ويَتصدَّق خير لهُ من أنْ يسأل الناس**)

.

ولا يضرّ الادخار مع صحة التوكل إذا كان مدخرا لله وفيـــه، وكان ماله موقوفا على رضا مولاه لا مدخرا لحظوظ نفسه وهواه، فهو حينئذ مدخر على اعتبار حقوق الله التي أوجبها عليه، فإذا رآها بذل ماله فيها، والقيام بحقوق الله لا ينقص ذلك من إيمـــان العبـــد ودرجته بل يزيده علوّاً في مكانته، من ادّخر لعياله ليسكن قلـــوبهم ويذرهم أغنياء، فهو كريم في ادخاره قائم بحكم ربه راع لرعيته التي هو مسئول عنها .

فأول أركان التوكل علي الله اعتقاد العبد أن الرازق هو الله وأنه لا خالق ولا مدبر للكون سواه، والركن الثاني هو الأخذ بالأسباب وعدم التواكل ومراعاة الشرع والالتزام بحدود الله.

أما الركن الثالث والأخير فهو الرضا بالنتائج والسعادة بما قسمه الله إن أعطاه شكر وإن منعه صبر، فيعلم بعد السعي والكسب أن الحياة ابتلاء من الله وأن السعيد من وفقه إلى طاعته وتقواه كما قال سليمان لما حقق الله له مبتغاه: (**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي**) فالفضل ليس لي ولا لجندي، وإنما هو فضل ربي، وقد استرعاني في ملكه واستخلفني (**لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**) فوجب على الموحدين الصادقين في توكلهم على الله إن ابتلاهم الله بفقر بعد سعي أن يتمنوا السعادة للآخرين، وأن يسألوا رب العالمين، أن يمنحهم من فضله وعطائه ومدده ونعمائه.

فمن ابتلاه الله بالفقر فلم يصبر على بلواه، لم يأخذ إلا ما قدره الله، وسوف يهان في الدنيا والآخرة، سيجمع بين التعاستين، ويهينه الله مرتين، مرة في الدنيا بحقده وحرمانه ومرة في الآخرة بعذابه وكفرانه، (**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ**

مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (الزمر:7) **(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)** (الشورى: 43) **(قُلْ يَا عِبَادِ الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** (الزمر:10)، فالحياة ابتلاء وامتحان والتفاضل بين الناس مرهون بالإيمان (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، فالأتقى هو الأفضل، وإن كان غنيا شاكرا، أو كان فقيراً صابراً، لأن الله أسقط الغني والفقر من ميزان الكرامة والإهانة، وجعل الميزان ميزان الإيمان وأداء الأمانة، فالفقر والغني فعل الله وابتلاؤه للإنسان، والحساب عند الله على مدي كسب العبد للإيمان وقد روي الإمام مسلم بسنده عن رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم أنه قال: **(عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له)** .

فهذه حقيقة التوكل وأركانه، ووصف حال المتوكل وإيمانه جعلنا الله من صفوة المتوكلين الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقد ثبت في وصفهم أنهم هُم الذين لا يَسْترْقون، ولا يَتطيرون، ولا

يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثانية عشر (12)

عنوان المحاضرة

القضاء المبرم والتقدير الحتمي المظهر للقدرة

(التقدير الأزلي والميثاقي)

عناصر ومفردات المحاضرة

- أنواع التقدير عند السلف خمسة أنواع .
- لماذا التنوع في أنواع القضاء والتقدير بين المبرم والمعلق؟
- تنوع الأقلام والتعدد في تدوين الأحكام؟
- النوع الثاني من أنواع التقدير المظهر للقدرة هو التقدير الميثاقي .
- لماذا أخذ الله الميثاق علي آدم وذريته؟
- لماذا أنسانا الله الميثاق فلا يذكره إنسان؟
- ما الحكمة من إخبار الرسل عن وقوعه وهل يكفي الميثاق لإقامة الحجة؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثانية عشرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثانية عشر (12)

عنوان المحاضرة

القضاء المبرم والتقدير الحتمي المظهر للقدرة

(التقدير الأزلي والميثاقي)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فحديثنا اليوم بإذن الله عن معتقد السلف الصالح في أنواع التقدير التي نظم الله عز وجل الكون من خلالها، وكيف رتبها من تقدير عام يشمل المخلوقات بأسرها، إلى تقدير خاص يتعلق بآحاد المخلوقات وأفرادها، فأنواع التقدير عند السلف خمسة أنواع: تقدير أزلي وتقدير ميثاقي، وتقدير عمري، وتقدير حولي أو سنوي، وتقدير يومي.

- **أنواع التقدير عند السلف خمسة أنواع .**

والمقصود بأنواع التقدير تنظيم أمور الكون من خلال مجموعة من التقديرات تتعلق بجميع المخلوقات أو بعضها، عمومها وخصوصها، فهناك تقدير أزلي عام مدون في اللوح المحفوظ، وشامل لكل أمر سيحدث لجميع المخلوقات بلا استثناء، وقد قضاه الله وقدره في أم الكتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

ومن أنواع التقدير أيضا التقدير الميثاقي وهو تقدير خاص بالإنسانية جمعاء، قدر الله فيه أهل النعيم والشقاء، وكان ذلك وقت أخذ الميثاق على آدم وذريته، وإشهادهم وهم في عالم الذر أن يوحدوا الله في ربوبيته، فقد قدر الله الفريقين وميز النوعين وخلق بعضهم للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، وخلق بعضهم للنار وبعمل أهل النار يعملون، وهذا التقدير أخص من الأول وداخل فيه، وهذان التقديران أعني الأزلي والميثاقي، لا يقبلان المحو والتبديل، ولا يخضعان للإضافة والتغيير، ولا يطلع عليهما ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يُعلم عنهما شيئا إلا بعد حدوثهما، ووقوع ما قدره الله فيهما .

أما التقدير الثالث فهو أخص من التقدير الثاني، ويسمى بالتقدير العمري، ويشمل مجموعة

الأوامر التي يُكَلف بكتابتها الملك الموكل بالنطفة في الرحم، مما يخص عمر كل إنسان، ورزقـــه وشقي هو أم سعيد، والتقدير الرابع يسمى بالتقدير السنوي، وهو أخص من الثالث، ويشـــمل مجموعة الأوامر السنوية التي تصدر من الله لملائكته في ليلة القدر مما يخص حياة الناس وموتهم، وتصنيف أرزاقهم على قدر أعمالهم، كل ذلك علي مدار عام كامل.

وهناك نوع خامس من أنواع التقدير يسمى بالتقدير اليومي، وهو أخص من الرابع ويشمل مجموعة الأوامر اليومية التي تصدر في شأن الناس وحياتهم لحظة بلحظة .

وهذه التقديرات الثلاثة أعني التقدير العمري والسنوي واليومي، هي **القضاء المعلق والتقدير الابتلائي المظهر للحكمة**، وهي تقبل المحو والإثبات والتغيير، وتتولاها الملائكة المكرمـــون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكنهم لا يعلمون إن كان ما صدر لهم من أوامر وأحكام يتطابق مع ما كتب في اللوح من تقدير أزلي أو يتطابق مع ما صدر مـــن أحكـــام في التقدير الميثاقي أم لا، فهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يطلعون علي مـــا دونـــه الله في أم الكتاب .

- **لماذا التنوع في أنواع القضاء والتقدير بين المبرم والمعلق؟**

هذه أنواع التقدير عند السلف سوف نتناول شرحها بالتفصيل، وبيان الاعتقاد فيها بالدليل، ونبدأ اليوم بإذن الله تعالى بشرع النوع الأول من التقدير وهو التقدير الأزلي، وقبـــل أن نبـــدأ هناك سؤال، لماذا هذا التنوع في أنواع التقدير لماذا جعل الله عز وجل تقديرا أزليـــا وتقـــدير ميثاقيا، وتقدير عمريا، وتقدير حوليا أو سنويا، وتقدير يوميا؟ ألا يكفي التقـــدير المـــدون في اللوح المحفوظ؟

والجواب أن الله عز وجل حكيم في صنعه، والحكمة صفته، ومقتضي الحكمة أن تقع الصنعة على وجه الكمال والإتقان، والإبداع التام الذي يبهر العقلاء ويحير الأذهان، كما نبه سبحانه على ذلك في القرآن فقال تعالى: (صُنْعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُل شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: 88)، فالصناعة تتطلب الخبرة والحكمة، لاسيما المشروعات العملاقة الضـــخمة، ولله المثـــل الأعلى، بناء أي مشروع يتطلب تقديرا عاما شاملا كاملا، لا يدع صغيرة أو كـــبيرة إلا بين فيها الأمر بيانا مفصلا، ثم بعد ذلك وعند التنفيذ والتكوين، يقسم التقدير المكتوب في العموم

والجملة والمجموع، إلى تقديرات في الخصوص تتعلق بكل جزء من أجزاء المشروع، وكل جزء من أجزاء المشروعات العملاقة يقسم أيضا إلى أجزاء أخص وأخص، وكل جزء له من التقدير ما يخصه حسب الزمان والمكان الذي يتم فيه الإنشاء والبنيان، فقد تتغير أحكام الزمان والمكان بتغير أحوالها، فمكان يقتضي أن يكون العمل فيه بالنهار لأن الطقس مثلا مشمس حار، ومكان يتطلب التأخير بعض الشيء لهطول الأمطار.

وهكذا تتفاعل منظومة العمل في إتمام المشروع ثم إعداد تقرير عن كل موضوع بحيث إذا رفع كل تقرير إلى الإدارة العليا يتوافق مع التقدير العام بمنتهى الإتقان والتوافق التام، لا خلل في الأمور صغيرها وكبيرها، علامة الجودة على جميع المصنوعات وأجزائها، هكذا يكون الكمال في الصنعة، وهكذا تكون الأعمال الناتجة عن الحكمة والخبرة، ولا أحد ينكر ذلك بين العقلاء، فالله عز وجل له المثل الأعلى في السماء: (وَهُوَ الذِي يَبْدأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (الروم:27) فالعزيز هو الذي تعزز بقدرته وغناه فلا يفتقر إلى أحد سواه والحكيم هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بكمال القدرة، وبالغ الخبرة، ومطلق الحكمة، فإذا كان هذا شأن المشروعات العملاقة الضخمة، فهل بعد إنشاء الكون مشروع، وهل بعد بناء الخلق لتوحيد الحق موضوع؟

من أجل ذلك كان التنوع في أنواع التقدير فجعل الله عز وجل تقديرا أزليا عاما شاملا وتقدير ميثاقيا يتناول الإنسانية تناولا كاملا، وتقدير عمريا يخص حياة كل إنسان علي حدة، وتقدير حوليا يخص سنة واحدة، وتقديرا يوميا لمتابعة التنفيذ في مشرع الخلق لحظة بلحظة، وكلمة كلمة، إلى أن ينتهي العالم كما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

- **تنوع الأقلام والتعدد في تدوين الأحكام؟**

ولذلك تنوعت الأقلام، وتعدد تدوين الأحكام، فمن ذلك **القلم الأول** الذي جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، روى الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله ⓿ أن سُرَاقَة بْنَ مَالِكٍ ⓿ قَال: (يَا رَسُول اللهِ ﷺ بَيِّنْ لنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلقْنَا الآنَ فِيمَا العَمَلُ اليَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَال لا بَل فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ قَال فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَال: (فَقَال اعْمَلُوا فَكُل مُيَسَّرٌ لعَمَلهِ) .

روى الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ◐ قَال: (كُنْتُ خَلفَ رَسُول اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَال يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلمُكَ كَلمَاتٍ احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَل اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ وَلوِ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَليْكَ **رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**) [1].

وقد جاءت الأقلام في هذه الأحاديث وغيرها مجموعة فدل ذلك على أن **للمقادير أقلاما غير القلم الأول** الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ، قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه عقيدة الطحاوي:

(والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة: القلم الأول العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح، والقلم الثاني: خبر خلق آدم وهو قلم عام أيضا لكن لبني آدم ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم – وهو يشير إلي التقدير الميثاقي الذي سنتحدث عنه بإذن الله في محاضرة مستقلة –، والقلم الثالث حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة، والقلم الرابع الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة) .

إشارة إلى قول نبينا المصطفي ﷺ: (رُفِعَ القَلمُ عَنْ ثَلاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حتى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حتى يَشِبَّ وَعَنِ المَعْتُوهِ حتى يَعْقِل، وفي رواية رُفِعَ القَلمُ عَنْ الغُلامِ حتى يَحْتَلمَ). وهو حديث صحيح رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني .

فأول أنواع التقدير: التقدير الأزلي وهو ما أشار إليه الإمام الطحاوي بقوله: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم)، روى أبو داود في سننه وصححه الشيخ الألباني من حديث (4692) عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ ◐ أنه قال لابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيْمَانِ حَتَّى تَعْلمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لمْ يَكُنْ ليُخْطِئَكَ، وَما أَخْطَأَكَ لمْ يَكُنْ ليُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: إنَّ أَوَّل مَا خَلقَ اللهُ تَعَالى القَلمَ فقال له: اكْتُبْ، فقَال: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُب؟ قال: اكْتُبْ

[1] الترمذي 4/667(2516) صحيح الجامع (7957) .

مَقَادِيرَ كُل شَيْء حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هذَا فَلَيْسَ مِنِّي).

روى البخاري من حديث أبي هريرةَ ⓿ أنه قال: قلتُ: (يا رسول الله، إني رجلٌ شابٌّ، وأنا أخافُ على نفسي العَنَتَ ولا أجد ما أتزوجُ به النساء، فسكَتَ عني، ثم قلتُ مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلتُ مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلتُ مثل ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: يا أبا هريرةَ جفَّ القلم بما أنتَ لاقٍ فاختصِ على ذلكَ أو ذَر) . وعلى ما يبدو أن النبي أذن فيه ثم حرمه لما تكرر طلبه من الكثيرين.

وهذا الحديث أورده البخاري في باب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّبَتُّل وَالخِصَاء، والمراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة، ووصفت مريم بالبتول لانقطاعها عن التزويج إلى العبادة، والخصاء هو الشق على الأنثيين أو الخصيتين وانتزاعهما، وعند البخاري من حديث قَيْسٍ ابن أبي حازم قَال: قَال عَبْدُ اللهِ ابن مسعود: (كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ وَلَيْسَ لنَا شَيْءٌ فَقُلنَا أَلا نَسْتَخْصِي فَنَهَانَا عَنْ ذَلكَ).

قوله (ألا نستخصي) أي ألا نستدعي من يفعل لنا الخصاء أو نعالج ذلك بأنفسنا، وقوله (فنهانا عن ذلك) هو نهى تحريم بلا خلاف في بني آدم لما فيه من المفاسد وتعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه إبطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر النعمة، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال.

قال القرطبي: الخصاء في غير بني آدم ممنوع في الحيوان إلا لمنفعة حاصلة في ذلك كتطييب اللحم أو قطع ضرر عنه، وقال النووي: يحرم خصاء الحيوان غير المأكول مطلقا، وأما المأكول فيجوز في صغيره دون كبيره .

وقوله (فاختص على ذلك أو ذر) في رواية أخري عند الطبري (فاقتصر على ذلك أو ذر) ومعناه اقتصر على الذي أمرتك به أو اتركه وافعل ما ذكرت من الخصاء، وأما اللفظ الذي وقع في الأصل فمعناه فافعل ما ذكرت أو اتركه واتبع ما أمرتك به.

وعلى الروايتين فليس الأمر فيه لطلب الفعل بل هو للتهديد، وهو كقوله تعالى (وقل الحق

من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) والمعنى إن فعلت أو لم تفعل فلا بد من نفوذ القدر، وليس فيه تعرض لحكم الخصاء.

وشاهدنا من الحديث قوله (جف القلم بما أنت لاق) أي نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ فبقي القلم الذي كتب به جافا لا مداد فيه لفراغ ما كتب به .

وقد كان توقيت كتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، لما ثبت في صحيح مسلم من عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ 0 أنه قَال: (سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَة، وَعَرْشُهُ عَلى المَاءِ) وفي رواية الترمذي (قَدَّرَ اللهُ المَقَادِيرَ قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ).

وما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتبديل، أو التعديل والتغيير، فكل ما كتب فيه واقع لا محالة، كما قال تعالى: (قُل لنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلى اللهِ فَليَتَوَكَّل المُؤْمِنُون) (التوبة:51).

قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْل أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) (الحديد:22) وقال: (وَلقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالحُونَ) (الأنبياء:105)، وقال: (لكُل أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ) (الرعد:39) .

- **النوع الثاني من أنواع التقدير المظهر للقدرة هو التقدير الميثاقي :**

النوع الثاني من أنواع التقدير هو التقدير الميثاقي، هذا التقدير تم عند أخذ الميثاق على بنى آدم في عالم الذر، ويشمل أحكام التدبير التي حدد الله من خلالها أهل الجنة والنار، يوم مسح على ظهر آدم واستخرج ذريته وخلق بعضهم للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، وخلق بعضهم للنار وبعمل أهل النار يعملون، وهذا التقدير أخص من التقدير الأزلي .

ورد في القرآن والسنة ما يبين أن الله عز وجل أخذ عهدا وميثاق علي الإنسانية جمعاء، يقول تعالي: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا

مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) (لأعراف:173) .

وهذا التقدير الميثاقي قدر الله فيه سعادة العباد وشقاوتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول، ومن حديث عمر ‌: (أن النبي ‌ سُئِل عَنْ قوله تعالي: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ) (الأعراف:172)، فَقَال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل خَلقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِه، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فقَال: خَلقْتُ هَؤُلاءِ للجَنَّة وَبعَمَل أَهْل الجَنَّة يَعْمَلُون، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَال: خَلقْتُ هَؤُلاءِ للنَّار وَبعَمَل أَهْل النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَال رَجُلٌ: يَا رَسُول الله، فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَال رَسُولُ الله: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل إِذَا خَلقَ العَبْدَ للجَنَّة اسْتَعْمَلهُ بِعَمَل أَهْل الجَنَّة حَتَّى يَمُوتَ عَلى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَال أَهْل الجَنَّة فَيُدْخِلهُ بِه الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلقَ العَبْدَ للنَّارِ اسْتَعْمَلهُ بِعَمَل أَهْل النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَال أَهْل النَّارِ، فَيُدْخِلهُ بِهِ النَّارَ) [1] وهذا الحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنة وقال عنه الشيخ الألباني هو صحيح.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ ‌ أنه قَال: (قَال لِي عِمْرَانُ بْنُ الحُصَيْنِ ‌: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ اليَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيه، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى؟ عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِه مِمَّا أَتَاهُمْ بِه نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتِ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلتُ: بَل شَيْءٌ قُضِيَ عليْهِمْ، وَمَضَى؟ عَلَيْهِمْ . قَال: فَقَال: أَفَلاَ يَكُونُ ظُلماً؟ قَال: فَفَزِعْتُ مِنْ ذلكَ ؟ فَزَعاً شَدِيداً . وَقُلتُ: كُل شَيْءٍ خَلقُ الله وَمِلكُ يَدِه . فَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . فَقَال لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلتُكَ إِلاَّ لأَحْزِرَ عَقْلكَ . إِنَّ رَجُليْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُول الله ‌ . فَقَالاَ: يَا رَسُول الله أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ اليَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيه، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى؟ فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِه مِمَّا أَتَاهُمْ بِه نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَال: لاَ . بَل شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى؟ فِيهِمْ . وَتَصْدِيقُ ذ?لكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَل: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) .

وروى الترمذي وحسنه الألباني من حديث شُفَيٍّ بنِ مَاتِعٍ عن عَبْدِ الله بن عَمْرٍو ‌ قَال: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ‌ وفي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَال: أَتَدْرُونَ ما هَذَانِ الكِتَابَانِ؟ فَقُلنَا: لا يا رسول الله إِلاَّ أَنْ تُخْبِرَنَا، فقال للذي في يَدِهِ اليُمْنَى: هذا كِتَاب مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيه أَسْمَاءُ أَهْل

[1] أبو داود كتاب السنة، باب في القدر 2/639(4703) .

الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثم أُجْمِل عَلى آخرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَداً . ثم قال للذي في شِمَاله هذا كتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فيه أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبائِهِمْ وَقَبَائِلهِمْ ثم أُجْمِل عَلى آخرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَداً . فقال أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يا رسول الله إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فقال: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِل أي عَمَلٍ وإِنَّ صاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لهُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ وإِنْ عَمِل . أَيَّ عَمَلٍ . ثم قال رسولُ الله بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُما ثم قال: فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ، فَرِيقٌ في الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ في السَّعِيرِ).

وقال أبي بْنِ كَعْبٍ ⓿ قال في معنى قوله تعالي: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ) (الأعراف:173) يقول أبي: (جَمَعَهُمْ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلمُوا، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ العَهدَ وَالمِيثَاقَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَال: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَليْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ عَلَيْه السَّلام، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ، لمْ نَعْلمْ بِهَذَا، اعْلمُوا أَنهُ لا إِلهَ غَيرِي، وَلا رَبَّ غَيْرِي، فَلا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَإِنِّي سَأُرْسِلُ إِليْكُمْ رُسُلي يُذَكِّرُونَكُمْ عَهدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنْزِلُ عَليْكُمْ كُتُبِي، قَالُوا: شَهِدْنَا بِأَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلهُنَا، لا رَبَّ لنَا غَيْرُكَ، فَأَقَرُّوا بِذَلكَ). أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وصححه الذهبي، أن

- **لماذا أخذ الله الميثاق علي آدم وذريته؟**

نحن لا ندري كيف تم ذلك؟ أو كيف أوقفهم الله بين يديه كالذر؟ لكنا نؤمن بذلك لأن الله أخبرنا به، سؤال: لماذا أخذ الله الميثاق علي آدم وذريته؟ ولو حاولنا التماس العلة التي من أجلها أخذ الميثاق علي الذرية، لوجدنا من خلال الآية وما ورد في السنة وأقوال السلف أن ذلك كان لتعريف الحقوق بين الخالق والمخلوق، وبيان دورهم ووظيفتهم التي من أجلها كرمهم الله ورفع درجتهم وميزهم عن غيرهم، وأنهم مستخلفون في أرضه، أمناء في ملكه ليبلوهم أيهم أحسن عملا . فعرفهم جميعا حق الله عليهم وحقهم عليه، فحق الله عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحقهم عليه ألا يعذبهم إذا فعلوا ذلك، أشهدهم على أنفسهم وسألهم جميعا ألست بربكم؟ قالوا: بلى، إقرارا منهم لما انفرد به من معاني العبودية، وأنه منفرد

بالخلق والأمر وتوحيد الربوبية، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، وهو وحده مالك الملك لأنه وحده خالق الكل، منفرد بإنشاء العالم وتنظيمه على هذه الهيئة البديعة، فالله عز وجل لن يقبل منهم أن يتخذوا شريكا له في ملكه، أو منازعا له في تدبير خلقه، ولن يقبل المساس بتوحيده أبدا، كما قال سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) (النساء:48) وقال تعالى أيضا: (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً) (النساء:116) .

وقال عن عيسى عليه السلام (يَا بَنِي إِسْرائيل اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة:72) فالشرك لكونه ظلما عظيما أخذ الله العهد والميثاق على الإنسانية قبل نزولهم إلى الأرض، فإن ادعى أحد بعد ذلك أن الله له شريك في الملك أو له معين في تدبيره السماوات والأرض، فقد وقع في الظلم العظيم وعطل دوره و لم يوفق في الابتلاء والامتحان، ولن يفلح وقتها احتجاج بالنسيان، أو ادعاء التبعية للآباء في سالف الزمان، فالله عز وجل أخذ عليهم الميثاق ليعلمهم جميعا بأنه منفرد بالملك والربوبية وله العلو في الشأن والقهر والفوقية، لا يقبل شريكا معه في العبودية، ولا يقبل أن يتشبه به أحد في معنى من معاني الربوبية. فلما أشهدهم الله على أنفسهم بالتوحيد ونبذ الشرك، أقروا أمام ربهم بأنه المنفرد بالملك، وأنه خالقهم المتفرد بتدبير شئونهم، وأنه لا حول ولا قوة لهم إلا بمعونة الله وهدايته، وأنهم لا ينسبون شيئا من ملكه لهم أو لغيرهم إلا على سبيل الأمانة والابتلاء، فالأمر لله في كونه على سبيل الربوبية وتصريف خلقه، والأمر لله في شرعه على سبيل العبودية وتنفيذ حكمه.

- **لماذا أنسانا الله الميثاق فلا يذكره إنسان؟**

حدثت وقت أخذ العهد والميثاق على الذرية أمور تتعلق بأنواع التقدير، وما رتبه الله في خلقه من أمور الصنعة ولوازمها من علوم التدبير، ولو أن الله أبقي في ذاكرة الإنسان أحداث الميثاق بالتفصيل، لبطلت حكمة الله في خلقه، وتعطل سر إخفائه لقضائه وقدره، فالقدر سر الله في خلقه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولمزيد من البيان فإن تقدير الله لأمور الإنسان، وكذلك سائر الأشياء والأوامر والأحكام التي صدرت بالمشيئة الإلهية في قضائه الكوني والتي ستقع لا محالة رتبها الله عز وجل على عدة أنواع، فعند أخذ الميثاق على بني آدم

في عالم الذر حدث نوع من أنواع التقدير حدد الله فيه المصير الذي يؤول إليه أهل الجنة والنار، وهذا التقدير الميثاقي مع التقدير الأزلي كما تقدم لا يقبلان المحو والإثبات والتغيير، ولا يطلـــع عليهما ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا يُعلمان إلا بعد وقوعهما .

ولو أن إنسانا علم ما حدث في التقدير الميثاقي عند أخذ العهد علي الذرية، وبقيت أحداثه في ذاكرته حاضرة غير منسية لتعطلت معاني الحكمة الإلهية في خلق الإنسان، كيف يكلفنا الله بالشرائع والأحكام وكل منا يعلم مصيره إن كان من أهل الجنة أو النار؟ ومن هنـــا ظهـــرت حكمة الله في إخفاء تفاصيل الأحداث التي وقعت يوم أخذ الميثاق، فالعلة إذا في عدم تـــــذكر الميثاق إخفاء المقدر وذلك حتى تظهر معاني الحكمة الإلهية.

- **ما الحكمة من إخبار الرسل عن وقوعه وهل يكفي الميثاق لإقامة الحجة؟**

والجواب والله أعلم أن ذلك أيضا لإظهار الحكمة في نشأة الكون وبداية وانسجام الفطرة مع الشريعة وتعريف الحقوق بإقام الحجة علي العباد، والله عز وجل لأنه أنسانا الميثاق ببــــالغ كرمه وحكمته، فإنه لن يعذب أحدا إلا بعد إرسال الرسل، وتذكيرهم بأحكام الله في خلقـــه وما شرعه لهم في ملكه .

علي الرغم من حدوث الميثاق وفطرة الخلق على التوحيد، وما ورد عنـــد البخـــاري مـــن حديث أبي هريرة ◐ أن النبي ﷺ قال: (ما من مَولود إلاَّ يولدُ على الفِطرةِ، فأَبَواهُ يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانهِ أو يُمجِّسانهِ، كما تُنْتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها مِن جَدْعاءَ؟).

وعلي الرغم مما ثبت في السنة من مقت الله للمشركين الذين ماتوا في الجاهلية إلا أن الله قد أخبر أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث إليهم رسولا، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لوْلا أَرْسَلتَ إِليْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْل أَنْ نَذل وَنَخْزَى) (طه:134) (وَلوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لوْلا أَرْسَلتَ إِليْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الُمؤْمِنِينَ) (القصص:47) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معقبا علي هذه الآيات: " فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث إليهم رسولا، وبين أنهم قبل الرسول كانوا قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة " .

فمن فضل الله عز وجل على عباده أنه لا يكلفهم أمرا ولا يكتب عليهم وزرا إلا إذا بلـــغ العبد سن الاحتلام، واستوعب المعني الذي ورد في الكلام، وأدرك شيئا من رسالة الإســـلام، وقد ثبت مرفوعا أنه قد رُفِعَ القَلمُ عَنْ الغُلامِ حتى يَحْتَلمَ، وعن النَّائِمِ حتى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ المَعْتُوهِ حتى يَعْقِل، وقال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (الإسراء:15) .

فالإنسان مسئول عن السبب في جهله، فإن كان الجهل من كسبه وفعله وإعراضه وكبره، فهو محاسب على كل معصية وقع فيها بجهله، سواء كانت المخالفة مخالفة عظيمة تـــؤدي إلي الخلود في النار، أو كانت المخالفة كبيرة تحت مشيئة الله، إن شاء غفرها لعبده وإن شاء عـــذبه بذنبه، أما إذا انقطعت به الأسباب وانسدت في وجهه الأبواب، ولم يتمكن من معرفة ما نزل في الكتاب بعد الطلب والبحث والسؤال ولم يعص الله فيما قال: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء:7)، فهو باتفاق معذور بجهله لا يؤاخذ على ذنبه لأن الجهل ليـــس مـــن كسبه، بل هو من تقدير الله وفعله فالحق سبحانه وتعالي لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة، وإعراضه عن الهداية إلي الضلالة، لئلا يكون له حجة على الله في نفي العدالة، ومعلوم من السنة أنه لا أحد أحب إليه العذر من الله .

والميثاق وإن كانت الحجة لا تقوم به بمفرده، ولكن الله من حكمته أنه يذكر المشركين بـــه يوم القيامة فيذكرونه، فعند البخاري من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ◐ أَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَقُولُ اللهُ تَعَالى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لوْ أَنَّ لكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَـــدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلبِ آدَمَ، أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلا أَنْ تُشْرِكَ بِي) .

والخلاصة أن النوع الأول من التقدير هو التقدير الأزلي وهو التقدير العام المدون في اللـــوح المحفوظ، التقدير الشامل الذي يتعلق بكل ما سيحدث في جميع المخلوقات، قدره في أم الكتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهناك نوع آخر مـــن التقـــدير يتعلـــق بالإنسانية وتقرير المصير، فقدر منهم فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وهذا التقدير أخص مـــن الأول، كلاهما لا يقبلان تغييرا ولا تبديلا إظهارا لقدرة الله وحكمته .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثالثة عشر (13)

عنوان المحاضرة

القضاء المعلق والتقدير الابتلائي المظهر للحكمة

(التقدير العمري والسنوي واليومي)

عناصر ومفردات المحاضرة

- الدليل على التقدير العمري
- الجمع بين الروايات في ميقات التقدير العمري
- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في القضاء المبرم والمعلق
- التقدير السنوي من أنواع التقدير المعلق
- التقدير اليومي من أنواع التقدير المعلق
- لم يخلق الله الخلق وينعزل عنه كما زعم الفلاسفة

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثالثة عشرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثالثة عشر (13)

عنوان المحاضرة

القضاء المعلق والتقدير الابتلائي المظهر للحكمة

(التقدير العمري والسنوي واليومي)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد علمنا أن تقدير الله لمخلوقاته أنواع، النوع الأول هو التقدير الأزلي وهو التقدير العام المدون في اللوح المحفوظ، التقدير الشامل الذي يتعلق بكل ما سيحدث في جميع المخلوقات، وهناك نوع آخر من التقدير يتعلق بالإنسانية وتقرير المصير، فقدر الله منهم فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وهذا التقدير أخص من الأول، فأنواع التقدير عند السلف خمسة أنواع، تقدير أزلي، وتقدير ميثاقي، وتقدير عمري، وتقدير سنوي، وتقدير يومي.

واليوم بإذن الله تعالى نتحدث عن النوع الثالث من أنواع التقدير وهو التقدير العمري، الذي يتعلق بكل إنسان على حدة، وقت نفخ الروح وهو في بطن أمه، هذا التقدير يكتب فيه أربعة أمور: أولا رزقه، وثانيا: أجله، وثالثا: عمله، ورابعا: أهو شقي أو سعيد؟ فالتقدير العمري تقدير شقاوة العبد وسعادته، ورزقه ومنيته، وعمله في دنيته، وسائر ما يلقاه في هذه الحياة.

الدليل على التقدير العمري

الدليل على التقدير العمري: ما رواه البخاري ومسلم من حديث **عَبْد الله بن مسعود** ⓿ أنه قال: (حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) .

وعند مسلم عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ⓿ يَقُولُ: (الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الغِفَارِيُّ فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ ، قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ: فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلاَ يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلاَ يَنْقُصُ) .

وعند مسلم من حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ ⓿، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، يَقُولُ: (إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ **أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** . ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَسِبْتُهُ قَالَ: الَّذِي يَخْلُقُهَا: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيَجْعَلُهُ اللهُ ذَكَرا أَوْ أُنْثَى ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ . ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ؟ مَا أَجَلُهُ؟ مَا خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدا) .

وعند البخاري ومسلم من حديث **أنس بن مالك** ⓿عنِ النبيِّ ﷺ قال: (وَكل الله بالرحمِ مَلكا فيقول: أي ربِّ نُطفةٌ أي رب علقة، أي رب مضغة. فإذا أراد الله أن يَقضيَ خَلقَها قال: أي ربِّ ذكرٌ أم أُنثى، أشَقيٌّ أم سعيد؟ فما الرزق، فما الأجَل؟ فيُكتَب كذلك في بطنِ أمِّه) .

دلت هذه الأحاديث مجتمعة على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه، واختلفت في وقت هذا التقدير، وهذا هو التقدير العمري الذي يأتي بعد التقدير الأول السابق على خلق السماوات والأرض وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم.

الجمع بين الروايات في ميقات التقدير العمري

وفي حديث **ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما** من حصول النطفة في الرحم، وحديث أنس غير مؤقت، وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقت فيه التقدير بأربعين يوما، وفي لفظ آخر بأربعين ليلة وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة.

وكثير من الناس يظن التعارض بين الروايات ولا تعارض بينهما بحمد الله، فالملائكة تتابع تخليق الإنسان عبر مراحل تكوينه داخل الرحم، فالملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقة.

وأما الملك الذي ينفخ فيه، فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة، فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

وهذا عمل آخر غير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة، ولهذا قال في حديث ابن مسعود ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، وأما الملك الموكل بالنطفة فذلك قائم معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال، فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق، ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما، فهو تقدير بعد تقدير، فاتفقت أحاديث النبي ﷺ وصدق بعضها بعضا، ودلت كلها على إثبات التقدير العمري .

ويقول تعالى عن خلق الإنسان في بطن أمه: (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) (نوح:14) .

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلالة مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالقِينَ) (المؤمنون:14) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلقَةٍ لِنُبَيِّنَ لكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفي وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لكَيْلا يَعْلمَ مَنْ بَعْدِ عِلمٍ شَيْئاً) (الحج:5).

(وَاللهُ خَلقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) (فاطر: 11) .

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في القضاء المبرم والمعلق

سُئِل ابن تيمية عَنْ قَوْله تَعَالى: (هُوَ الذِي خَلقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً

عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) (الأنعام:2) وقَوْله تَعَالَى: (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلا فِي كِتَابٍ) (فاطر:11). وقَوْله تَعَالَى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد: 39) هَلِ الْمَحْوُ وَالإِثْبَاتُ فِي اللوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَالكِتَابِ الذي جَاءَ فِي الصَّحِيحِ (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدُهُ عَلى عَرْشِهِ) الحَدِيثَ . وَقَدْ جَاءَ: (جَفَّ القَلَمُ) فَمَّا مَعْنَى ذَلِكَ فِي الْمَحْوِ وَالإِثْبَاتِ؟ . وَهَل شُرِعَ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَقُول: " اللهُمَّ إنْ كُنْت كَتَبْتنِي كَذَا فَامْحُنِي وَاكْتُبْنِي كَذَا فَإِنَّك قُلت: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ).

وَهَل صَحَّ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَدْعُو بِمِثْلِ هَذَا؟ وَهَل الصَّحِيحُ عِنْدَكُمْ أَنَّ العُمْرَ يَزِيدُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ؟ أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ .

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (ثُمَّ قَضَى أَجَلا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) (الأنعام:2) فَالأَجَلُ الأَوَّلُ هُوَ أَجَلُ كُل عَبْدٍ ؛ الذِي يَنْقَضِي بِهِ عُمُرُهُ وَالأَجَلُ الْمُسَمَّى عِنْدَهُ هُوَ: أَجَلُ القِيَامَةِ العَامَّةِ . وَلِهَذَا قَال: (مُسَمًّى عِنْدَهُ) فَإِنَّ وَقْتَ السَّاعَةِ لا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ كَمَا قَال: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِيهَا لِوَقْتِهَا إلا هُوَ) (الأعراف:187) . بِخِلافِ مَا إذَا قَال: (مُسَمًّى) كَقَوْلِهِ: (إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) (البقرة 282) إذْ لَمْ يُقَيِّدْ بِأَنَّهُ مُسَمًّى عِنْدَهُ فَقَدْ يَعْرِفُهُ العِبَادُ . وَأَمَّا أَجَلُ الْمَوْتِ فَهَذَا تَعْرِفُهُ الْمَلائِكَةُ الذِينَ يَكْتُبُونَ رِزْقَ العَبْدِ وَأَجَلهُ وَعَمَلهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ . كَمَا قَال فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ❶ قَال: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ -: إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلقَةً مِثْل ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْل ذَلِكَ ثُمَّ يُبْعَثُ إليْهِ الْمَلكُ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلهُ وَعَمَلهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ) فَهَذَا الأَجَلُ الذِي هُوَ أَجَلُ الْمَوْتِ قَدْ يُعَلِمُهُ اللهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ . وَأَمَّا أَجَلُ القِيَامَةِ الْمُسَمَّى عِنْدَهُ فَلا يَعْلمُهُ إلا هُوَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) فَقَدْ قِيل إنَّ الْمُرَادَ الجِنْسُ أَيْ مَا يُعَمَّرُ مِنْ عُمُرِ إنْسَانٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِ إنْسَانٍ، ثُمَّ التَّعْمِيرُ وَالتَّقْصِيرُ يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا يَطُولُ عُمْرُهُ وَهَذَا يَقْصُرُ عُمُرُهُ فَيَكُونُ تَقْصِيرُهُ نَقْصًا لهُ بِالنِّسْبَةِ إلى غَيْرِهِ كَمَا أَنَّ الْمُعَمَّرَ يَطُولُ عُمُرُهُ وَهَذَا يَقْصُرُ عُمُرُهُ فَيَكُونُ تَقْصِيرُهُ نَقْصًا لهُ بِالنِّسْبَةِ إلى غَيْرِهِ كَمَا أَنَّ

التَّعْميرَ زِيَادَةٌ بالنِّسْبَة إلى آخرَ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لهُ فِي أَثَرِهِ فَليَصِل رَحِمَهُ).

وَقَدْ قَال بَعْضُ النَّاسِ: إنَّ المُرَادَ بِهِ البَرَكَةُ فِي العُمُرِ بِأَنْ يَعْمَل فِي الزَّمَنِ القَصِيرِ مَا لا يَعْمَلُهُ غَيْرُهُ إلا فِي الكَثِيرِ قَالُوا: لأَنَّ الرِّزْقَ وَالأَجَل مُقَدَّرَان مَكْتُوبَان . فَيُقَالُ لهَؤُلاءِ تلكَ البَرَكَةُ . وَهِيَ الزِّيَادَةُ فِي العَمَل وَالنَّفْعِ . هِيَ أَيْضًا مُقَدَّرَةٌ مَكْتُوبَةٌ وَتَتَنَاوَلُ لجَمِيعِ الأَشْيَاءِ .

وَالجَوَابُ المُحَقَّقُ: أَنَّ اللهَ يَكْتُبُ للعَبْد أَجَلا فِي صُحُفِ المَلائكَة فَإِذَا وَصَل رَحِمَهُ زَادَ فِي ذَلكَ المَكْتُوب . وَإِنْ عَمِل مَا يُوجِبُ النَّقْصَ نَقَصَ مِنْ ذَلكَ المَكْتُوب، وَنَظِيرُ هَذَا مَا فِي التِّرْمذيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّ آدَمَ لَمَّا طَلَبَ مِنَ اللهِ أَنْ يُرِيَهُ صُورَةَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّته، فَأَرَاهُ إيَّاهُمْ فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلا لهُ بَصِيصٌ فَقَال مَنْ هَذَا يَا رَبِّ؟ فَقَال ابْنُك داود . قَال: فَكَمْ عُمُرُهُ؟ قَال أَرْبَعُونَ سَنَةً . قَال: وَكَمْ عُمْرِي؟ قَال: أَلفُ سَنَة . قَال فَقَدْ وَهَبْت لهُ مِنْ عُمْرِي ستِّينَ سَنَةً، فَكَتَبَ عَلَيْه كِتَابٌ وَشَهِدَتْ عَليْهِ المَلائكَةُ، فَلمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَال: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي ستُّونَ سَنَةً، قَالُوا: وَهَبْتهَا لابْنِك داود . فَأَنْكَرَ ذَلكَ فَأَخْرَجُوا الكتَابَ) .

قَال النَّبِيُّ ﷺ فَنَسِيَ آدَمَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَجَحَدَ آدَمَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَرُوِيَ أَنَّهُ كَمَّل لآدَمَ عُمُرَهُ ولداود عُمُرَهُ، فَهَذَا داود كَانَ عُمُرُهُ المَكْتُوبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ جَعَلهُ ستِّينَ وَهَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ⓿ أَنَّهُ قَال: اللهُمَّ إنْ كُنْت كَتَبْتنِي شَقِيًّا فَامْحُنِي وَاكْتُبْنِي سَعِيدًا فَإِنَّك تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ، وَاَللهُ سُبْحَانَهُ عَالمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لمْ يَكُنْ لوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ ؛ فَهُوَ يَعْلمُ مَا كَتَبَهُ لهُ وَمَا يَزِيدُهُ إيَّاهُ بَعْدَ ذَلكَ وَالمَلائكَةُ لا عِلمَ لهُمْ إلا مَا عَلمَهُمْ اللهُ وَاَللهُ يَعْلمُ الأَشْيَاءَ قَبْل كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا ؛ فَلهَذَا قَال العُلمَاءُ: إنَّ المَحْوَ وَالإِثْبَاتَ فِي صُحُفِ المَلائكَة وَأَمَّا عِلمُ اللهِ سُبْحَانَهُ فَلا يَخْتَلفُ وَلا يَبْدُو لهُ مَا لمْ يَكُنْ عَالمًا بِهِ فَلا مَحْوَ فِيهِ وَلا إثْبَاتَ.

التقدير السنوي من أنواع التقدير المعلق

يقول تعالى: (إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيْلةِ القَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلةُ القَدْرِ لَيْلةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُل أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلعِ الفَجْرِ) (القدر).

ويقول أيضا: (حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا أَنزَلنَاهُ فِي لَيْلةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُل

أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأَوَّلِينَ بَل هُمْ فِي شَكٍّ يَلعَبُونَ) (الدخان: 1/9)

ومن فضل ليلة القدر أنها يفرق فيها كل أمر حكيم، فتتريل الملائكة والروح فيها بكل أمر من التقدير السنوي فيأمر الله الكتبة بأوامر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها، ومن فضائلها أنَّ من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدَّم من ذنبه كما جاء عند البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ يَقُمْ ليلةَ القَدْرِ، إيمانا واحْتِسابا، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه).

قال ابن كثير رحمه الله: (أي يكثر تترل الملائكة في هذه الليلة؛ لكثرة بركتها، والملائكة يتترلون مع تتريل البركة والرحمة كما يتترلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيما له، وأمَّا الروح فقد قيل المراد به هاهنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وقيل: هم ضرب من الملائكة) (ابن كثير 8/255)، كما أن الله وصفها بأنها سلام، قال تعالى: (سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلعِ الْفَجْرِ) (القدر:5)

لقد أخفي الله سبحانه وقت هذه الليلة لحكمة عظيمة، يقول ابن قدامة رحمه الله: قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها ويجدوا في العبادة طمعا في إدراكها، كما أخفي ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليكثروا في الدعاء في اليوم كله، وأخفي الأجل وقيام الساعة ليجد الناس في العمل حذرا منها.

ونظرا لأن ليلة القدر يتم فيها التقدير السنوي، وهو تقدير يتعلق بالأسباب فإن الله شرع في أيامها الطاعة والصيام والاعتكاف القيام، فإن المقادير فيها ترتب على الطاعات، وتتترل الملائكة بتقديرات سنوية مرتبطة بالاجتهادات والعبادات، وكثرة الذكر والدعاء، كل ذلك يؤثر في التقدير العمري والسنوي واليومي.

وهذه التقديرات تقبل التغير والمحو والإثبات، لأنها أسباب والأسباب يدفع بعضها كابتلاءات يحدثها الله لسائر المخلوقات، فالله عز وجل قد يفرج في ليلة القدر كرب عبد اجتهد في طاعته، وأخلص في عبادته، وقام معتكفا في ليلته التي وافقت ليلة القدر، وربما تكون الطاعة ليلة القدر

سببا في تحقيق أمنيته، كمن تمنى إدارك حجته أو عمرته، أو أن ييسر الله الأسباب حتى يـــرزق بولد من زوجته، أو يتمنى شفاء مرضه وستر عورته، أو ينجيه من الإفلاس في تجـــارته أو غير ذلك من ابتلاء العبد في دنيته، فالله عز وجل يقول: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّل عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَل اللهُ لِكُــل شَــيْءٍ قَدْراً) (الطلاق:3) .

فرتب الله المقادير على أنواع، أنواع تقبل التغيير لحكمة التدبير، وأنواع لا يطلع عليها ملك مقرب أو نبي مرسل، يقول تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) (الطلاق:4) (ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلهُ إِليْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لهُ أَجْراً) (الطلاق:5) .

وقد جعل الله إجابة الدعاء مرتبطة بالطاعة والمحبة والخوف والرجاء، ولما ذكر الله الصـــيام، والصيام يكثر فيه الاعتكاف والقيام، ذكر الله إجابة الدعاء فقال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الـــذِي أُنْزِل فِيهِ القُرْآنُ هُدىً للنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ ...وَإِذَا سَأَلكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَليَسْتَجِيبُوا لِي وَليُؤْمِنُــوا بِــي لعَلهُـــمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة:186) فليلة القدر تنظم فيها المقادير على مدار العام.

والله عز وجل أخبر أن فيها يفرق كل أمر حكيم أي يفصل الله ويبين ويبرم كل أمر حكيم، فأمر الله لملائكته ارتبط بحكمته، وحكمته في ترتيب أنواع التقدير تظهر الكمـــال في حســـن التدبير وتتريل المقادير.

ذكر شيخ الإسلام أن القرآن نزل من عند الله على نبيه محمد ﷺ، وأن ذلك لا ينافي مـــا جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) أنـــه أنزلـــه إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث، ولا ينـــافي أنـــه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لوْحٍ مَحْفُـــوظٍ) (البروج:21/22) وقال تعالى: (إِنَّهُ لقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّـــرُونَ) (الواقعة:77/79) وقال تعالى: (كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) (عبس 11/16) وقال تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لدَيْنَا لعَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الزخرف:4) فان كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة،

لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلـــك، وإذا كان قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن يترله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها، كما ثبت ذلك في صريح الكتـــاب والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملوها، فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه، فلا يكون بينهما تفاوت .

التقدير اليومي من أنواع التقدير المعلق

وكذلك أيضا التقدير اليومي هذه التقديرات العمرية والسنوية واليومية، تقبل المحو والإثبات والتغيير، وتتولاها الملائكة المكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكنهم لا يعلمون إن كان ما صدر لهم في هذه التقديرات من أوامر وأحكام يطابق ما كتب في اللوح من تقدير أزلي أو يطابق ما صدر من أحكام في التقدير الميثاقي؟ فهم لا يعلمون إلا ما علمهـــم الله ولا يطلعون علي ما دونه الله في أم الكتاب .

فالله عز وجل له المثل الأعلى أتقن كل شيء بكمال حكمته، ورتب أمور التقدير في ملكه وصنعته، فكما تطلبت الصنعة ببالغ الحكمة تقديرا أزليا عاما شاملا، وتقدير ميثاقيـــا يتنـــاول الإنسانية تناولا كاملا، وتقدير عمريا يخص حياة كل إنسان علي حدة، وتقديرا حوليا يخـــص سنة واحدة، كذلك فإنها تتطلب تقديرا يوميا وحساب ختاميا، لمتابعة التنفيذ في مشرع الخلق لحظة بلحظة، وكلمة كلمة، إلى أن ينتهي العالم كل يوم كما كتبه الله في اللوح المحفوظ .

لم يخلق الله الخلق وينعزل عنه كما زعم الفلاسفة

إن الله لم يخلق الخلق وينعزل عنه كما قالت الفلاسفة، ولكن الله عز وجل من فوق العرش يرى خلقه ويسمعهم، لقد كان من دوافع الشرك وأسبابه تصور المشركين ابتعاد الخالق عـــن المخلوق، بمعنى أنّهم كانوا يظنون أن الله بعيد عن المخلوقين لا يسمعهم، ولا تبلغه دعوتهم ولا تصله استغاثتهم، ولذلك اختاروا وسائل ظنوا أنها تتكفل بإيصال أدعيتهم إليه، وكـــأن الله في استوائه على عرشه كما يظنون يشبه استواء الإنسان، ولا يمكن الوصول إليه إلا عـــن طريـــق الوسائط، كما رسمها لهم الشيطان، ومن أجل ذلك عبدوا القديسين والملائكة والجان، وقدسوا

الأرواح وصورها في أصنام وأوثان، وبالغوا في ادعاء تأثيرها على الإنسان، وأنها تقوم بالوساطة وتوصيل الشكوى إلى الرحمن.

وقد أبطل الله تلك التصوّرات الشركية، والاعتقادات الوثنية، فبين في كثير من الآيات القرآنية أنه أقرب يسمع السر وأخفي وهو علام الغيوب، يقلب القلوب من فوق عرشه، يعز من شاء في خلقه ويذل من شاء في ملكه .

(قُل اللهمَّ مَالكَ المُلكِ تُؤْتِي المُلكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِل مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران:26)

(قُل اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلفُونَ) (الزمر:46)

تقدير أزلي وتقدير ميثاقي، وتقدير عمري، وتقدير حولي أو سنوي، وتقدير يومي ختامي، يرتب الله من خلال أنواع التقدير أمور المخلوقات.

لقد أبطل الحق سبحانه وتعالى في كتابه تفويض غير الله في ملكه، ومنع وصف غيره بالتدبير لخلقه إلا بأمره وإذنه فلا قطبية ولا غوثية، ولا وتدية ولا بدلية، كما هي عقيدة الكثير من الصوفية، يعتقدون في أن القطب يتحكم في جزء من الكون، أبطل القرآن نظرية الأقطاب أو الغوثِ المناوب أو الآلهة الصغار نصفها مخلوقة لله ونصفها من خصائص الإله .

والله عز وجل وصف نفسه بأنه يدبر أمور الخلق وحده، وأنه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه يقول: (أَلمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالفُلكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لرءوف رَحِيمٌ) (الحج:65) (إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلئِنْ زَالتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَليما غَفُورا) (فاطر:41) .

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (يونس:3) .

(اللهُ الذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُل يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لعَلكُمْ بِلقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (الرعد:2) .

لقد جعل الله عز وجل الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وتسيير الكواكب والأفلاك، وتنظيم الشمس والقمر أفعالا مختصة به وحده، وأنكر القرآن بشدة كل فكرة تقضي بإشراك غيره في إيجاد مصنوعاته، وكل فكرة تقول بتفويض التدبير المطلق إلى مخلوقاته: (قُلِ ادْعُوا الذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ) (سبأ:23).

النقطة الأساسية في خطأ المشركين تتمثل في أنّهم قاسوا تدبير العالم على تدبير رب الأسرة لأُمور عائلته أو صاحب الإدارة لمؤسسته مستخدمين قياس التمثيل أو قياس الشمول، وقد وقعوا في الشرك بسبب ذلك، فالله عز وجل تدبيره للعالم ليس كتدبير حاكم البلاد بالنسبة إلى مواطنيه، أو رب البيت بالنسبة إلى أهله وساكنيه، لأن تدبير المخلوق للمخلوق يتم بإصدار الأوامر، ربما دون علم بما تم أو يتم، وربما ينعدم كمال الأمر والإتقان فيما تم، وربما لا يوجد سلطان على من توجه له الأمر، أما التدبير الإلهي فهو إدامة الخلق والإيجاد، وأسبقية العلم على الأمر والإمداد، والإحاطة التامة بكل قائم على الترتيب والإعداد، لا يغيب عنه مثقال ذرة في كونه، ولا يخفي شيء عن مطلق علمه، لا غالب لأمره ولا معقب لحكمه: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس:61) ويقول تعالى عن كمال علمه في محاسبة خلقه وعلمه بكل عبد وفعله سواء قبل وجوده أو بعده: (وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَي بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء:47) وقال لقمان لابنه وهو يعظه: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (لقمان:16) .

إنّ التدبير مأخوذ من مادة دبر أي تابع وواصل وعقب، وحقيقة التدبير أن خالق العالم جعل الأسباب والعلل بحيث يأتي المعلول في دبر علته، والنتيجة في دبر سببها، وعقيب حدوثها وتحقيق علتها، بحيث تأتي أجزاء الكون وراء بعضها تباعا، وبحيث يؤثر بعضها في البعض الآخر، حتى يصل كل موجود إلى كماله المناسب، وهدفه المطلوب، فالأمر كله لله في خلقه عن

مشيئة وكتابة وعلم، والتدبير كله لله في كونه عن تقدير وقدرة، إن ترابط في أجزاء الكـــون، وتأثير بعضها في بعض يدل على خضوعها لحاكمية حاكم واحد، يحكم كل مـــا في العـــالم ويقوده تحت نظام واحد، وخطة واحدة محكمة، بتقدير أزلي محكم، قدر فيه مقـــادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها، وأمر الملائكة بكتابتها في تقـــديرات أخـــري قبـــل أن يعملوها وبعد أن يعملوها، والله عز وجل يقابل بين الكتابة التي تتقدم على الوجود، والكتابـــة حال التنفيذ والوجود، والكتابة المتأخرة عقب الوجود، فلا يكون في النهاية تفاوت أو اختلاف .

فالتقدير اليومي في قياس الأولى كالحساب الختامي، الذي توفق فيه الأشياء بتمام خلقها على التقدير الأزلي، (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام: 59) ويقول سبحانه: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَليْكُمْ شُهُودا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَال ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّـــمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس:61) فالله علم الأشياء وكتبها، وقدر وجدها وشاءها (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُـــل فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود:6) تقدير عام وتقدير خاص لا يَضِل رَبِّي وَلا يَنْسَى (قَال عِلمُهَا عِنْـــدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِل رَبِّي وَلا يَنْسَى) (طه:52) (أَلمْ تَعْلمْ أَنَّ اللهَ يَعْلمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) (الحج:70) (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (النمل:75) (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْل أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) (الحديد:22) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الرابعة عشر (14)

عنوان المحاضرة

أنواع التدبير

(العمل بالتدبير الشرعي والإيمان بالتدبير الكوني)

عناصر ومفردات المحاضرة

- أساس الفهم السلفي للقضاء والقدر وعلاقته بأفعال العباد
- الإيمان بنوعين من تدبير الله في ملكه
- ما المقصود بالتدبير الكوني؟
- ما المقصود بالتدبير الشرعي؟
- القضاء في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- الحكم في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- ما الفرق بين الحكم والقضاء؟
- الأمر في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- الإرادة في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- هل الأمر الشرعي والإرادة الكونية متلازمان أم لا ؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.net- www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الرابعة عشر (14)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الرابعة عشر (14)

عنوان المحاضرة

(التسليم بالتدبير الشرعي والإيمان بالتدبير الكوني)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

أساس الفهم السلفي للقضاء والقدر وعلاقته بأفعال العباد

الإيمان بنوعين من تدبير الله في ملكه

فإن العبد لا يصل إلى مرضاة الله حتى يسلم له بنوعين من التدبير في ملكه: **تدبير كوني وتدبير شرعي**، هذان التدبيران هما أساس الفهم السلفي لموضوع القضاء والقدر وعلاقته بأفعال العباد وحريتهم، واستطاعتهم ومسئوليتهم، فمن اهتدى إلى الفرق بين النوعين نجاه الله من ضلالات الجبرية والقدرية، فالجبرية اعتمدوا التدبير الكوني وتجاهلوا التدبير الشرعي، والقدرية المعتزلة اعتمدوا التدبير الشرعي وتجاهلوا التدبير الكوني، أما المنهج السلفي فقد سلم لله بالنوعين وآمن بالتدبير الكوني والتدبير الشرعي .

ما المقصود بالتدبير الكوني؟

التدبير الكوني هو قضاء الله وقدره، وفعله في خلقه، تدبير قدري حتمي الوقوع، جبري واقع على كل مصنوع، لا يمكن لأحد في العالم رده، ولا يمكن للإنسان صده، ما شاء الله فيه كان، وما لم يشأ لم يكن، تدبير متعلق بربوبية الله لخلقه، وهو كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره، وفعله وأمر، وحكمه الجاري في ملكه، لا خروج لأحد عن تدبيره الكوني، ولا غالب لأمره القدري، من الذي يقوي أن ينازع الله في مشيئته، مهما بلغ في قوته وقدرته، فالسلف الصالح أثبتوا لله تدبيرا كونيا شاملا للكون بما فيه، وأثبتوا قدرة الله على جميع المخلوقات، ومشيئته العامة في جميع الموجودات، ونزهوا الله عن أن يكون في

ملكه ما لا يقدر عليه، ولا تقع مشيئته عليه، وأن العباد يعملون على ما قـــدره الله وقضـــاه، وفرغ منه قبل وجود الحياة، وأنهم لا يشاءون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه، ومشيئته وخلقـــه، فلا يتحرك ذرة فما فوقها، إلا بمشيئته وعلمه وقدرته، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة إلا بالله على الحقيقة . فالتدبير الكوني هو قضاء الله وقدره، وفعله في خلقه، لا يمكن لأحد في العـــالم رده، ولا يمكن للإنسان صده، تدبير حتمي الوقوع، واقع على كل مصنوع .

ما المقصود بالتدبير الشرعي؟

أما التدبير الشرعي الديني، فهو تدبير تكليفي اختياري، تدبير خاص بشريعة وهداية وبيان، تدبير من الله لصالح الجن والإنسان، تدبير يظهر من خلاله معاني الكفر والإيمان، ويتميز مـــن خلاله أهل العصيان وأهل الإيمان، ويترتب عليه الثواب والعقاب، والعرض والحساب، والنعيم والعذاب .هذا التدبير الإنسان مخير فيه، يمكن أن يطيع الله فيه أو يعصيه، ومخالفته لله فيه.

ولا يعني ذلك أن العبد يخرج عن التدبير الكوني أو أن مشيئة العبد غلبت مشـــيئة الـــرب، سبحانه لا يفني ولا يبيد ولا يكون في ملكه لا ما يريد، (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَـــ كَانَ عَليماً حَكيماً) (الإنسان:30) (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ) (التكوير:29) (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّـــي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُل شَيْءٍ عِلماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ) (الأنعام:80) شاء بحكمتـــه أن يخلـــق النـــاس لعبادته، وأن يكونوا بين طريقين مخيرين بين نجدين، وأن يصيروا في الآخرة فريقين، فريـــق في الجنة وفريق في السعير، وهذا مقتضي التدبير، ومنتهى الكمال في التقدير، تدبير كوني وتـــدبير شرعي . (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَل النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (هود:118)

التدبير الشرعي هو الذي ورد ذكره في الحديث القدسي عن البخاري من حديث أبي هريرة ✪ أن النبي ﷺ قال: (إن اللهَ قال: من عادَى لي وَليّاً فقد آذَنْته بالحرب، وما تقـــرَّب إليَّـــ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترَضْته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حـــتى أُحبـــه) فالتدبير الشرعي متعلق بالإلوهية وتوحيد العبودية، والعبد مطالب فيه بإتباع الشريعة، وهـــذا التدبير قد يخالفه الفجار، ويعصيه الفساق والكفار .

ونحن إذا طالعنا القرآن والسنة وجدنا الأدلة علي نوعي التدبير بمنتهى البيـــان والتفصـــيل،

فالتدبير الذي قضاه الله وحكم به وأراده وكتبه وأمر به، وكذلك الإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والهدية ينقسم إلى تدبير كوني متعلق بخلقه، وإلى تدبير ديني متعلق بشرعه .

القضاء في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

القضاء في كتاب الله نوعان: نوع يتعلق بالتدبير الكوني وآخر يتعلق بالتدبير الشرعي.

فمن الكوني القدري قوله تعالى: (**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ** مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (سبأ:14) .

ومن التدبير الشرعي الديني: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا** إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً) (الإسراء: 23) وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه، أي أمر وشرع، ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله تعالى.

وقوله في القضاء الكوني:(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ **وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) (البقرة:117) .

ومن القضاء المتعلق بالتدبير الشرعي الديني: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً **مِمَّا قَضَيْتَ** وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء:65).

ومن **القضاء الكوني القدري** المتعلق بالتدبير الكوني قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ **قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ** مُسَمّىً عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) (الأنعام:2).

(إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ **لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً** لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (لأنفال:42)

ومن القضاء المتعلق **بالتدبير الشرعي** الديني: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ **إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ** أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) (الأحزاب:36) .

ومن القضاء الكوني: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) (الأنفال:44) .

(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ **لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ** فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (يونس:11).

(قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا **وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً**) (مريم:21) . (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ **إِذَا قَضَى أَمْراً** فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (مريم:35) . (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ **حَتْماً مَقْضِيّاً**) (مريم:71) .

ومن القضاء لا يندرج تحت الكوني أو الشرعي: (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا **فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي** هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (طه:72).

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً** زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً) (الأحزاب:37).

(قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ **أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ** فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (القصص:28) .

ومن القضاء الكوني القدري قوله تعالى: (اللهُ يتوفى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا **فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ** وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر:42) . (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ **فَإِذَا قَضَى أَمْراً** فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (غافر:68). (**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ** فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (فصلت:12) .

الحكم في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

والحكم أيضا في كتاب الله نوعان: حكم يتعلق بالتدبير الكوني وآخر يتعلق بالتدبير الشرعي، **فالكوني** كقوله: (قَالَ رَبِّ **احْكُمْ بِالْحَقِّ** وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (الأنبياء:112) أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك بدليل ما قبلها : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

إلا رَحْمَةً للعَالمينَ قُل إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلهُكُمْ إِلهٌ وَاحدٌ فَهَل أَنْتُمْ مُسْلمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُل آذَنْتُكُمْ عَلى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلمُ الجَهْرَ منَ القَوْل وَيَعْلمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لعَلهُ فتْنَةٌ لكُمْ وَمَتَاعٌ إِلى حِينٍ **قَال رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ** وَرَبُّنَا الرَّحْمَانُ المُسْتَعَانُ عَلى مَا تَصِفُونَ) (الأنبياء:112) .

والحكم الديني المتعلق **بالتدبير الشرعي** كقوله: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَل مَعَهُمُ **الكتَابَ بالحَقِّ ليَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ** فيمَا اخْتَلفُوا فيه وَمَا اخْتَلفَ فيه إلا الذينَ أُوتُوهُ منْ بَعْد مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الذينَ آمَنُوا لمَا اخْتَلفُوا فيه منَ الحَقِّ بِإِذْنِه وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة:213).

ومثال **الحكم الكوني** أيضا: (فَلمَّا اسْتَيْأَسُوا منْهُ خَلصُوا نَجِيّاً قَال كَبِيرُهُمْ أَلمْ تَعْلمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَليْكُمْ مَوْثقاً منَ الله وَمنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لي أَبِي **أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لي** وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ) (يوسف:80) .

ومثال **الحكم الشرعي**: (أَلمْ تَرَ إِلى الذينَ أُوتُوا نَصِيباً منَ الكتَاب يُدْعَوْنَ إِلى كتَاب الله **ليَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** ثُمَّ يَتَوَلى فَرِيقٌ منْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (آل عمران:23) .

ومثال **الحكم الكوني** أيضا: (قُل إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ منْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ به مَا عنْدي مَا تَسْتَعْجلُونَ به **إِن الحُكْمُ إِلا لله** يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلينَ) (الأنعام:57) .

ومثال **الحكم الشرعي**: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمنُونَ **حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا** شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجدُوا فِي أَنْفُسهمْ حَرَجاً ممَّا قَضَيْتَ وَيُسَلمُوا تَسْليماً) (النساء:65) . (إِنَّا أَنْزَلنَا إِليْكَ الكتَابَ بالحَقِّ **لتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ** بمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ للخَائنينَ خَصِيماً) (النساء:105) (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعُقُود أُحلتْ لكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلى عَليْكُمْ غَيْرَ مُحلي الصَّيْد وَأَنْتُمْ حُرُمٌ **إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**) (المائدة:1) .

ومثال الحكم الكوني أيضا: (وَإِنْ كَانَ طَائفَةٌ منْكُمْ آمَنُوا بالذي أُرْسلتُ به وَطَائفَةٌ لمْ يُؤْمنُوا فَاصْبرُوا **حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْننَا** وَهُوَ خَيْرُ الحَاكمينَ) (الأعراف:87) .

ومثال **الحكم الشرعي**: (سَمَّاعُونَ للكَذب أَكَّالُونَ للسُّحْت **فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ** أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ **حَكَمْتَ فَاحْكُمْ** بَيْنَهُمْ بالقسْط إِنَّ اللهَ يُحبُّ المُقْسطينَ) (المائدة:42). (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فيهَا حُكْمُ الله ثُمَّ يَتَوَلوْنَ

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (المائدة:43) .

ومثال **الحكم الكوني** أيضا: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ **أَلا لَهُ الحُكْمُ** وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ) (الأنعام:62) لأن الله قال قبلها: (وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) (الأنعام:61) .

ومثال **الحكم الشرعي**: (**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ** بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (المائدة:49) (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً** لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50) .

ومن **الحكم الكوني**: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ **إِنِ الحُكْمُ إِلا للهِ** عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ) (يوسف:67). (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا **وَاللهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ** وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ) (الرعد:41) .

ومن **الحكم الكوني الشرعي** (وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ **لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ** تُرْجَعُونَ) (القصص:88) . (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ **فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ** ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (الشورى:10) . (وَاصْبِرْ **لِحُكْمِ رَبِّكَ** فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) (الطور:48)، (**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً) (الإنسان:24) .

ما الفرق بين الحكم والقضاء؟

القضاء الكوني يستصدر منه الأحكام الكونية، أما القضاء الشرعي فهو كالحكم الشرعي فالحكم الشرعي قد يكون واجب أو مندوبا أو مباحا أو مكروا أو محرما، وكذلك القضاء الشرعي (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ) (الإسراء:23) فعبادة الله وحده تتمثل في تنفيذ أحكامه، والحكم الشرعي قد يكون واجب أو مندوبا أو مباحا أو مكروا أو محرما.

الأمر في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

ومثال **الأمر الكوني**: (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا

مِنْ قَبْلُ وَكَانَ **أَمْرُ اللهِ قَدَراً** مَقْدُوراً) (الأحزاب:38). (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ **كُل أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً** مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (الدخان:5). (تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ **رَبِّهِمْ مِنْ كُل أَمْرٍ**) (القدر:4). (وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالتَقَى المَاءُ عَلَى **أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**) (القمر:12). (إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً** أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (يونس:24). (حَتَّى إِذَا **جَاءَ أَمْرُنَا** وَفَارَ التَّنُّورُ قُلنَا احْمِل فِيهَا مِنْ كُل زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ) (هود:40) .

ومثال **الأمر الشرعي**: (الذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ** أَنْ يُوصَل وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) (البقرة:27). (قُل **أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ** وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُل مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) (الأعراف: 29). (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا **عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ** وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ) (الأعراف:77). (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَل اللهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلا للهِ **أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ). (يوسف:40) .

ومثال الأمر لا كوني ولا شرعي: (وَتِلكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلهُ وَاتَّبَعُوا **أَمْرَ كُل جَبَّارٍ** عَنِيدٍ). (هود:59). (فَاتَّبَعُوا **أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ** بِرَشِيدٍ). (هود:97)

ومثال **الأمر الكوني**: (وَلمَّا **جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا** هُوداً وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) (هود:58) موعد العذاب الذي قدره الله على عاد، وكذلك قوله في قوم لوط والقرية التي كانت تفعل الخبائث (فَلمَّا **جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلنَا عَالِيَهَا** سَافِلهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ) (هود:82) (قَال سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَال لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ **أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ** وَحَال بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ) (هود:43) ومثال الأمر الكوني: (قَالتْ يَا وَيْلتَى أَأَلدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا **أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ** رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْل البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود:73) (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ **قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ** وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) (هود:76) .

ومثال **الأمر الشرعي**: (وَالذينَ يَصلُونَ **مَا أَمَرَ اللهُ به** أَنْ يُوصَل وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَاب) (الرعد:21) (وَالذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله منْ بَعْد ميثَاقه وَيَقْطَعُونَ **مَا أَمَرَ اللهُ به** أَنْ يُوصَل وَيُفْسدُونَ في الأَرْضِ أُولئكَ لَهُمُ اللعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد:25) (وَإِذْ قُلنَا للمَلائكَة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْليسَ كَانَ منَ الجنِّ **فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه** أَفَتَتَّخذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ منْ دُوني وَهُمْ لكُمْ عَدُوٌّ بئْسَ للظَّالمينَ بَدَلاً) (الكهف:50) (وَإِنْ طَائفَتَان منَ المُؤْمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى فَقَاتلُوا التي تَبْغي **حَتَّى تَفيءَ إلى أَمْرِ الله** فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلحُوا بَيْنَهُمَا بالعَدْل وَأَقْسطُوا إِنَّ اللهَ يُحبُّ المُقْسطينَ) (الحجرات:9) (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) (الذاريات:44) (**ذَلكَ أَمْرُ الله أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ** وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاته وَيُعْظمْ لهُ أَجْراً) (الطلاق:5) (وَكَأَيِّنْ منْ قَرْيَةٍ عَتَتْ **عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُله** فَحَاسَبْنَاهَا حسَاباً شَديداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً) (الطلاق:8)

ومثال الأمر لا كوني ولا شرعي: (وَلا تُطيعُوا **أَمْرَ المُسْرفينَ**) (الشعراء:151) (إِنْ تُصبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصبْكَ مُصيبَةٌ يَقُولُوا **قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا** منْ قَبْلُ وَيَتَوَلوْا وَهُمْ فَرحُونَ) (التوبة: 50)

ومثال **الأمر الشرعي**: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا **وَاللهُ أَمَرَنَا بهَا قُل** إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلى الله مَا لا تَعْلمُونَ) (لأعراف:28) (إِنَّ **اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْل** وَالإِحْسَان وَإِيتَاءِ ذي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعظُكُمْ لعَلكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:90) (وَإِذَا قيل لهُمُ اسْجُدُوا للرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ **أَنَسْجُدُ لمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ** نُفُوراً) (الفرقان:60) (وَإِذْ قَال مُوسَى لقَوْمه **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا** بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخذُنَا هُزُواً قَال أَعُوذُ بالله أَنْ أَكُونَ منَ الجَاهلينَ) (البقرة:67)

ومثال الأمر لا كوني ولا شرعي: (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَتَّبعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ **فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ**) (النور:21) .

ومثال الأمر الكوني: (**وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحدَةٌ** كَلمْحٍ بالبَصَرِ) (القمر:50) (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ** شَيْئاً أَنْ يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يّس:82) (وَقَال الذي اشْتَرَاهُ منْ مصْرَ لامْرَأَته أَكْرمي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخذَهُ وَلداً وَكَذَلكَ مَكَّنَّا ليُوسُفَ في الأَرْضِ وَلنُعَلمَهُ منْ تَأْويل الأَحَاديث وَاللهُ **غَالبٌ عَلى أَمْرِه** وَلكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ) (يوسف:21) (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ

مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّل عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ **إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** قَدْ جَعَل اللهُ لِكُل شَيْءٍ قَدْراً) (الطلاق:3) .

ومثال **الأمر الشرعي**: (إِنَّ **اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ** تُؤَدُّوا الأَمَانَات إِلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْل إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) (النساء:58) (قُل إِنِّي **أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّل** مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام:14) (لا شَرِيكَ لهُ **وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ** وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:163) (**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (هود:1121) (**قُل إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ** وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِليْهِ أَدْعُو وَإِليْهِ مَآبِ) (الرعد:36) .

ومثال الأمر لا كوني ولا شرعي: (قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ **وَالأَمْرُ إِليْكِ** فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) (النمل:33) .

ومثال الأمر الكوني الشرعي: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً **أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا** فِيهَا فَحَقَّ عَليْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) (الإسراء:16) يعقب ابن القيم على الآية بأن هذا أمر يتعلق بالتقدير الكوني وليس أمرا يتعلق بالتدبير الديني الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والمعنى قضينا ذلك وقدرناه، وقالت طائفة بل هو أمر ديني، والمعنى أمرناهم بالطاعة فخالفونا، وفسقوا والقول الأول أرجح.

ومثال الأمر الكوني الشرعي أيضا: (**أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ**) (الأعراف:54) لأن الله قال قبلها وبعدها (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُغْشِي الليْل النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ) (الأعراف:54) .

الإرادة في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

والإرادة في كتاب الله نوعان، نوع يتعلق بالتدبير الكوني وآخر يتعلق بالتدبير الشرعي.

تطبيق على نوعي الإرادة في النصوص التالية. قوله تعالي: (لقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُل فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً **إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ** المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) (المائدة:17) . (إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ **وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ** سُوءاً فَلا مَرَدَّ لهُ وَمَا لهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (الرعد:11) .

(وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً **فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا** أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) (الكهف:82) . (**فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ** فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً) (الإسراء:103) (**وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ** الأَخْسَرِينَ) (الأنبياء:70) (قُل مَنْ ذَا الذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ **إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً** أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً) (الأحزاب:17) .

(**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً** أَنْ يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يّس:82) . (وَلئِنْ سَأَلتَهُمْ مَنْ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُل أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ **إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ** هَل هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ **أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ** هَل هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُل حَسْبِيَ اللهُ عَليْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ) (الزمر:38) .

(شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِل فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَليَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ**) (البقرة:185) (وَلكِنَّ اللهَ **يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**) (البقرة:253) .

(وَاللهُ **يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَليْكُمْ** وَيُرِيدُ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) (النساء: 27) فلو كانت هذه الإرادة كونية لو وقعت التوبة من جميع المكلفين. (**يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ** وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً) (النساء:28) .

(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ أُحِلتْ لكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلى عَليْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ **إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**) (المائدة:1) .

(يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلكُمْ إِلى الكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ **مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَل عَليْكُمْ مِنْ حَرَجٍ** وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَليْكُمْ لعَلكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة:6) .

(**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ** أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَل أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة:91) (**وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ** فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ) (الأنفال:62) .

(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ** وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال:67) (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي **إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ** لَكُمْ إِنْ كَانَ **اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ** هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (هود:34) .

(خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**) (هود: 107) (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا **جِدَاراً يُرِيدُ** أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً) (الكهف:77) .

قوله تعالى (إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ **إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**) (الحج:14) (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ** عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب:33) .

هل الأمر الشرعي والإرادة الكونية متلازمان أم لا ؟

وبهذا البيان التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة، هل هما متلازمان أم لا؟ سئل سهل بن عبد الله عن قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة:34)، قال السائل: لما أمر إبليس بالسجود لآدم أراد منه ذلك أم لا؟ فقال سهل: أراده و لم يرده.

(يعني أنه أراده شرعا وإظهارا عليه إيجابا وتكليفا، و لم يرده منه وقوعا ولا كونا، إذ لا يكون في ملكه إلا ما أراد الله تعالى، فلو أراد كونه لكان ولو أراده فعلا لوقع بقوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فلما لم يكن، عُلم أنه لم يرده، فقد كان الأمران معا: إرادته بالتكليف والتعبد، إرادته بأن لا يسجد) .

فإرادة الله على نوعين يدبر الله الخلق من خلالها على وجهين:

الوجه الأول: إرادة كونية قدرية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، ما يحبه وما لا يحبه، وبها يصدر الأمر التقديري الجبري الحتمي يتحقق في جميع المخلوقات من الأرض إلى السماوات، يتحقق في الجن والإنس والملائكة، وكل ما في الكون على سبيل الخلق والإيجاد والإمداد والمتابعة، وهذا الأمر نافذ لا محالة، فلا يمكن صده أو رده، وهو شاهد لمعنى الربوبية .

الوجه الثاني: إرادة شرعية إلهية يصدر بها أمر ابتلائي خاص للإنسان والجان، قد يلتزمان به وقد يمتنعان، وهذه الإرادة هي المتضمنة للمحبة والعبادة، من استجاب لها أحبه الله وقربه، وأكرمه ونعمه، ومن امتنع عن تنفيذها أبغضه الله وأبعده وعذبه .

وكل أمر، أمر به الله عباده أراده بأمره الشرعي، ليكونوا مكلفين متعبدين، ولم يرده ممن لم يستجب ولم يمتثل بتدبيره الكوني، لأنه سبحانه وتعالى قال: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:40)، فأخبر أنه إذا أراد شيئا كونه، فالأمر الشرعي يستلزم الإرادة الدينية، ولا يستلزم الإرادة الكونية، فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعا ودينا، وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا، كإيمان من أمره، ولم يوفقه للإيمان، فالأمر مراد له دينا لا كونا، وكذلك أمر خليله بذبح ولده، ولم يرده كونا وقدرا، وأمر رسوله بخمسين صلاة، ولم يرد ذلك كونا وقدرا، وكل ذلك لإظهار فضلهم، وتكليفهم وابتلائهم، فهذا أصل الابتلاء، يأمر الله تعالى بالشيء ويريد كون ضده وقد أراد الأمر به وحسب، وينهى عن الشيء ويريد كونه، وقد أراد النهي عنه فقط .

والله في خلقه له الحجة البالغة لو شاء لهدي الناس أجمعين (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة:13) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود:119) .

وقد سألنا: ماذا لو فرضنا أن إبليس أراد أن يسجد فهل سيسجد أم لا؟ والجواب أنه لن يسجد ولكن يصبح من المستجيبين الخاضعين العابدين، فالحساب على الإرادة والنية، روي البخاري من حديث عمر بنَ الخَطّابِ ◐ أنه قال: سَمِعْتُ رَسول اللهِ ﷺ يَقولُ: (إِنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لكُلِ امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إِلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إِلى ما هاجَرَ إِليه) .

وروي البخاري من حديث أنسِ بن مالك ◐ أنَّ رسول الله ﷺ رجعَ من غزوةِ تبوكَ فدَنا من المدينة فقال: (إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما سرتم مَسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا مَعَكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حَبَسَهمُ العُذر) .

فالله لا يحاسبنا عن فعله بنا ولكن يحاسبنا عن فعلنا تجاه شرعه وفعله، فالقدرة بيده وهو الذي أقدرنا، فلو أعجزنا عجزنا وأعذرنا، (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ

عُسْرٍ يُسْراً) (الطلاق:7) (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِل عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلى الذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ) (البقرة:286) .

فالله أمرنا أن نحفظ شرعة ونلتزم بتدبيره الشرعي على قدر استطاعتنا ووسعنا، وهو سيحفظنا بقضائه وقدره علي قدر نيتنا وطاعتنا، يقول تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجاً) (الطلاق:2) (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) (الطلاق:4) (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد:7) (إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِبٌ وَلهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلكُمْ أَمْوَالكُم هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَل فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلوْا يَسْتَبْدِل قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالكُمْ) (محمد:38) (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً فَعَليْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل: 106) .

روي البخاري من حديث أنس عن معاذ بن جبل ⓿ قال: (كنت رديفُ النبي ﷺ فقال: (يا معاذ، قلت: لبيكَ وسَعدَيك ثم قال مثله ثلاثاً هل تَدري ماحقُّ اللهِ على العباد؟ قلت: لا . قال: حق اللهِ على العباد أن يَعبدوهُ ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعةً فقال: يا معاذ، قلتُ: لبيكَ وسَعدَيك . قال: هل تدري ماحقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم) .

وروي الترمذي وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ أن ابن عَبَّاسٍ ⓿، قال: (كُنْتُ خَلفَ النبيِّ ﷺ يَوْماً، فَقَال: يَا غُلامُ، إِنِّي أُعَلمُكَ كلِمَات: احفظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظ الله تجدْهُ تجاهَكَ، إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، وَإِن اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَليْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُف) .

أمثلة لعقيدة من لا يفرقون بين التدبير الكوني والشرعي

يقول أحد الجبرية الذين لا يفرقون بين التدبير الكوني والشرعي، ويقولون هو تدبير كوني فقط: ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أيها الرائي – ألقاه في اليم مكتوفا وقال

له إياك، إياك أن تبتل بالماء .

ويذكر ابن القيم أن بعضهم قد ذكر له ما يخاف من إفساده فقال لي خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره، وصعد رجل يوما على سطح دار له فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما فقال الغلام إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك فقال لعلمك بالقضاء والقدر أحب إلي من كل شيء أنت حر لوجه الله .

ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول القضاء والقدر فقال يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أو تركت السنة وأخذت بمذهب ابن عباس، فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال لولاك لضللت .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الخامسة عشر (15)

عنوان المحاضرة

(الصديق والزنديق بين التسيير والتخيير)

عناصر ومفردات المحاضرة

- الهداية في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- مناظرة في الهداية مع القاضي عبد الجبار المعتزلي
- الكتابة في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- التحريم في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- الإذن في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- الجعل في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- البعث في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- الإرسال في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي
- بيان حال الصديق في التسيير والتخيير؟
- بيان حال الزنديق في التسيير والتخيير؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.net- www.alridwany.com

- **حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الخامسة عشر (15)**

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الخامسة عشر (15)

عنوان المحاضرة

(الصديق والزنديق بين التسيير والتخيير)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

الهداية في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

الهداية في كتاب الله كونية وشرعية (ذَلِكَ **هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:88) (يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ **يَهْدِي بِهِ اللهُ** مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة:16) (لَيْسَ عَلَيْكَ **هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (البقرة:272) (إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:9) (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ التِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ للهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ **يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة:142) (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأحقاف:30) (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الأحقاف:32) .

وبلغ بعض هؤلاء الجبرية أن عليا لما أمر بقتل الخوارج يوم النهروان قال للقتلى: بؤسا لكم لقد ضركم من غركم، فقيل له: من غرهم؟، فقال: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأماني، فقال هذا القائل الجبري: كان علي قدريا وإلا فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك

الموارد .

(إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِل وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (النحل:37) (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ **وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى** صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران:101) (وَأَمَّا **ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلى الهُدَى** فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (فصلت:17) (اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَال لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النور: 35) (قُلنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ** فَلا خَوْفٌ عَليْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة:38) .

واجتمع جماعة من هؤلاء يوما فتذاكروا القدر فجرى ذكر الهدهد وقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيل **فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ** أَلا يَسْجُدُوا للهِ الذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلنُونَ) (النمل:25)، فقال كان الهدهد قدريا أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله .

(**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي** مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلمُ بِالمُهْتَدِينَ) (القصص:56) (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الأِيمَانُ وَلكِنْ جَعَلنَاهُ نُوراً **نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ** مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى:52) (قَال اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا **يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ** اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِل وَلا يَشْقَى) (طه:123) (وَمَنْ يُضْلل اللهُ فَمَالهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر:23) (**مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي** وَمَنْ يُضْلل فَأُولئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) (لأعراف:178) .

مناظرة في الهداية مع القاضي عبد الجبار المعتزلي

دخل القاضي عبد الجبار المعتزلي على أبي إسحاق الإسفراييني السلفي، فقال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال أبو إسحاق: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي عبد الجبار المعتزلي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ فقال أبو إسحاق: أيعصى ربنا قهرا، فقال القاضي عبد

الجبار المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء؟ فقال أبو إسحاق: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فالله يختص برحمته من يشاء، فانقطع وبهت و لم يجد جوابا .

الكتابة في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

(يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا **كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ** فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة:178) (**كُتِبَ عَلَيْكُمْ** إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ) (البقرة:180) (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** كَمَا كُتِبَ عَلَى الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 183) (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُل إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ **لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ** وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:154) (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ** وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:216) (أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلأ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَل **عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ** القِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة:246) (وَإِذَا جَاءَكَ الذينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُل سَلامٌ عَلَيْكُمْ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ** الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:54)

(قُل لَنْ يُصِيبَنَا إِلا **مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا** هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) (التوبة:51) (**كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ** أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (المجادلة:21) .

ورأى آخر رجلا يفجر بامرأته فقال: ما هذا فقالت؟ هذا قضاء الله وقدره، فقال: الخيرة فيما قضى الله فلقب بالخيرة فيما قضى الله وكان إذا دعي به غضب .

وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللوم؟ ولو خلي لسجد؟ ولكن منع وأخذ يقيم عذره. فقال بعض الحاضرين: تبا لك سائر اليوم أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن .

(وَلَقَدْ أَرْسَلنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلكَ وَجَعَلنَا لهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لرَسُول أَنْ يَأْتيَ بآيَـــةٍ إلا بإذْن الله **لكُل أَجَلٍ كتَابٌ**) (الرعد:38) (منْ أَجْل ذَلكَ **كَتَبْنَا عَلى بَني إسْرائيل** أَنَّهُ مَنْ قَتَل نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَل النَّاسَ جَميعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّــاسَ جَميعاً وَلقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بالبَيِّنَات ثُمَّ إنَّ كَثيراً منْهُمْ بَعْدَ ذَلكَ في الأَرْضِ لُمسْرفُونَ) (المائدة: 32) .

التحريم في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

(**حُرِّمَتْ عَليْكُمْ** أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ ...) (النساء:23) (قَال **فَإنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَليْهِمْ** أَرْبَعينَ سَنَةً يَتيهُونَ في الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلى القَوْمِ الفَاسقينَ) (المائدة:26) (**حُرِّمَتْ عَليْكُمُ المَيْتَةُ** وَالدَّمُ وَلحْمُ الخنْزير وَمَا أُهل لغَيْرِ الله ...) (المائدة:3) (فَبظُلمٍ منَ الذينَ هَادُوا **حَرَّمْنَا عَليْهِمْ طَيِّبَات** أُحلتْ لهُمْ وَبصَدِّهمْ عَنْ سَبيل الله كَثيراً) (النساء:160) (وَعَلى الذينَ هَادُوا **حَرَّمْنَا كُل ذي ظُفُرٍ** وَمنَ البَقَر وَالغَنَم حَرَّمْنَا عَليْهمْ شُحُومَهُمَا إلا مَــا حَمَلَــتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلطَ بعَظْمٍ ذَلكَ جَزَيْنَاهُمْ ببَغْيهمْ وَإنَّا لصَادقُونَ) (الأنعــام:146) (وَمَا لكُمْ أَلا تَأْكُلُوا ممَّا ذُكرَ اسْمُ الله عَليْه **وَقَدْ فَصَّل لكُمْ مَا حَرَّمَ عَليْكُمْ** إلا مَا اضْــطُررْتُمْ إليْه وَإنَّ كَثيراً ليُضلونَ بأَهْوَائهمْ بغَيْرِ علمٍ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلمُ بالمُعْتَدينَ) (الأنعام:119) (ثَمَانيَةَ أَزْوَاجٍ منَ الضَّأْن اثْنَيْن وَمنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ قُل آلذَّكَرَيْن حَرَّمَ أَم الأُنْثَيَيْن أَمَّا اشْتَمَلتْ عَليْه أَرْحَــامُ الأُنْثَيَيْن نَبِّئُوني بعلمٍ إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ) (الأنعام:143) (قُل تَعَالوْا **أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ** عَليْكُمْ أَلا تُشْركُوا به شَيْئاً وَبالوَالدَيْن إحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ منْ إمْلاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإيَّــاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحشَ مَا ظَهَرَ منْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي **حَرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ** ذَلكُمْ وَصَّاكُمْ به لعَلكُمْ تَعْقلُونَ) (الأنعام:151) (**وَحَرَّمْنَا عَليْه المَرَاضعَ منْ قَبْلُ** فَقَالتْ هَل أَدُلكُمْ عَلى أَهْل بَيْت يَكْفُلُونَهُ لكُمْ وَهُمْ لهُ نَاصحُونَ) (القصص:12) (قُل **إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحشَ** مَا ظَهَرَ منْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإثْمَ وَالبَغْيَ بغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْركُوا بالله مَا لمْ يُنَزِّل به سُلطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلى الله مَا لا تَعْلمُونَ) (الأعراف:33) (قَاتلُوا الذينَ لا يُؤْمنُونَ بالله وَلا باليَوْم الآخرِ **وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ** وَلا يَدينُونَ دينَ الحَقِّ منَ الذينَ أُوتُوا الكتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجزْيَةَ عَنْ يَــدٍ

وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة:29) (الذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الـذي يَتَخَبَّطُـهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبا **وَأَحَل اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا** فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلفَ وَأَمْرُهُ إِلى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُونَ) (البقرة:275)

الإذن في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلى مُلكِ سُليْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُليْمَانُ وَلكِنَّ الشَّـيَاطِينَ كَفَـرُوا يُعَلمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِل عَلى المَلكَيْنِ بِبَابِل هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ** وَيَتَعَلمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلقَدْ عَلمُوا لمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لـهُ فِـي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لوْ كَانُوا يَعْلمُونَ) (البقرة:102) (قُل أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَل اللهُ لكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً **قُل آللهُ أَذِنَ** لكُمْ أَمْ عَلـى اللهِ تَفْتَـرُونَ) (يونس:59) (قَال الذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلةٍ غَلبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً **بِإِذْنِ اللهِ** وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة:249) (**أُذِنَ للذِينَ يُقَاتَلُونَ** بِأَنَّهُمْ ظُلمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لقَدِيرٌ) (الحج:39) (فِي بُيُوتٍ **أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ** وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَال) (النور:36) (وَرَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائيل أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ **فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ** وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَةً لكُمْ إِنْ كُنْتُـمْ مُـؤْمِنِينَ) (آل عمران:49) (وَمَا كَانَ لنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا **بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً** مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:145) (أَمْ لهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهُمْ مِنَ الدِّينِ **مَا لمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ** وَلوْلا كَلمَةُ الفَصْل لقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالمِينَ لهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ) (الشورى:21) (وَالبَلدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ **بِإِذْنِ رَبِّهِ** وَالذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِـداً كَذَلكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) (الأعراف:58) (تُؤْتِي أُكُلهَا **كُل حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَـا** وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَال للنَّاسِ لعَلهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (إبراهيم:25) (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ **إِلا بِإِذْنِ اللهِ** وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلبَهُ وَاللهُ بِكُل شَيْءٍ عَليمٌ) (التغابن:11).

الجعل في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

جعل إذا أضيفت إلي الله فهي على معنيين: **المعني الأول هو المعني الكوني معني الخلق والتقدير والتكوين والتدبير الذي يقع لا محالة**، كقوله تعالى: (أَلَمْ **نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا** وَالجِبَال أَوْتَادًا وَخَلقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلنَا الليْل لبَاسًا وَجَعَلنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) (النبأ:6/13) (**وَجَعَل الظُّلُمَات** وَالنُّورَ) (الأنعام:1)، وقوله تعالى: (**وَجَعَلنَا مِنَ المَاءِ** كُل شيء حَي أَفَلا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء:30)، (**وَجَعلنَا فِي الأَرْضِ** رَوَاسِي أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لعَلهُمْ يَهْتَدُونَ) (الأنبياء: 31)، وقوله: (**وَجَعَلنَا السَّمَاءَ** سَقْفًا مَحْفُوظًا) (الأنبياء:32) .

المعني الثاني لجعل إذا أضيفت إلى الله هو المعني الشرعي الديني الذي يحتوي على منهج المكلفين وشريعة المسلمين ويبين طريق عبادهم وصلاح دنيتهم، وهذا قد يقع وقد لا يقع كقوله تعالى: (**فَمَا جَعَل اللهُ** لكُمْ عَليْهِمْ سَبِيلا) (النساء:90) أي لم يجعل لكما حكما شرعيا في قتالهم لأن الآيات تقول (وَدُّوا لوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْليَاءَ حتى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيل اللهِ فَإِنْ تَوَلوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَليًّا وَلا نَصِيرًا، إِلا الذِينَ يَصِلُونَ إِلي قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلوْ شَاءَ اللهُ لسَلطَهُمْ عَليْكُمْ فَلقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلقَوْا إِليْكُمْ السَّلمَ **فَمَا جَعَل اللهُ لكُمْ عَليْهِمْ سَبِيلا**، سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُل مَا رُدُّوا إِلي الفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلقُوا إِليْكُمْ السَّلمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ **وأولئكم جَعَلنَا لكُمْ** عَليْهِمْ سُلطَانًا مُبِينًا) (النساء:91) وكقوله تعالى: (**لِكُل جَعَلنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً** وَمِنْهَاجًا وَلوْ شَاءَ اللهُ لجَعَلكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِنْ ليَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلي اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة:48) وكقوله: (**مَا جَعَل اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ** وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلةٍ وَلا حَامٍ وَلكِنَّ الذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون) (المائدة:103) وكقوله: (وَآتَيْنَا مُوسَي الكِتَابَ **وَجَعَلنَاهُ هُدًي لِبَنِي** إِسْرَائِيل أَلا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا) (الإسراء:2)، (الحَمْدُ للهِ الذِي أَنزَل على عَبْدِهِ الكِتَابَ **وَلمْ يَجْعَل لهُ عِوَجَا**) (الكهف:1) (إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيل اللهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ **الذِي جَعَلنَاهُ للنَّاسِ** سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلحَادٍ بِظُلمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَليمٍ) (الحج:25) (**وَلكُل أُمَّةٍ جَعَلنَا مَنْسَكًا** ليَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ على مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ) (الحج:34) (**وَالبُدْنَ جَعَلنَاهَا لكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ** لكُمْ

فِيهَا خَيْرٌ) (الحج:36) (**لِكُلِ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا** هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ) (الحج: 67) (**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ على شَرِيعَةٍ مِنْ الأَمْرِ** فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ لا يَعْلَمُونَ) (الجاثية: 18)، ومن هذا الباب قوله تعالى: (**إِنَّا جَعَلنَاهُ قُرْآنًا** عَرَبِيًّا لعَلكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف:3) أي أنزل كلامه وشريعته بلغة العرب، وقد بين الله السبب فقال: (**وَلوْ جَعَلنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا** لقَالُوا لوْلا فُصِّلتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُل هُوَ للذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَليْهِمْ عَمًى) (فصلت:44).

لكن الخليفة المأمون وأتباعه من المعتزلة لبسوا الأمور وخلطوا معنى الجعل فجعل الكوني بالمعني الشرعي والشرعي بالمعني الكوني اسمع ماذا يقول في رسالته: (وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه، الذي جعله لما في الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدي: (**إِنَّا جَعَلنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**) (الزخرف:3)، فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: (الحَمْدُ للهِ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ **وَجَعَل الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**) (الأنعام:1)، فجعل الأولى بمعني شرع والثانية بمعني خلق فأراد أن يسوى بينهما .

أما جعل إذا أضيفت لمخلوق فلا تكون بمعني خلق وليست بالمعني الكوني ولا بالمعني الشرعي، كقوله تعالى: (**أَجَعَلتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ** وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيل اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمِينَ) (التوبة:19): (وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَليمٌ) (البقرة:224) (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ** فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِين) (البقرة:19) فجعل هنا لا يمكن أن تكون بمعني خلق أبدا، وليس كل ما جعله الله فقد خلقه كما زعم المأمون .

البعث في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

(مَا خَلقُكُمْ **وَلا بَعْثُكُمْ** إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (لقمان:28) (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا **وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ**) (الحج:7) (وَقَال لهُمْ نَبِيُّهُمْ **إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لكُمْ** طَالُوتَ مَلكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لهُ المُلكُ عَليْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلكِ مِنْهُ وَلمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَال قَال إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَليْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلمِ وَالجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَليمٌ) (البقرة:247) (قُل هُوَ القَادِرُ **عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَليْكُمْ عَذَاباً** مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لعَلهُمْ يَفْقَهُونَ) (الأنعام:65).

الإرسال في كتاب الله نوعان نوع كوني وآخر شرعي

(وَهُوَ الذِي **أَرْسَل الرِّيَاحَ بُشْراً** بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه وَأَنْزَلنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً) (الفرقان: 48) (**هُوَ الذِي أَرْسَل رَسُولهُ بِالهُدَى** وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُله وَلوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ) (التوبة:33) (كَمَا **أَرْسَلنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ** يَتْلُو عَليْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلمُكُمْ مَا لمْ تَكُونُوا تَعْلمُونَ) (البقرة:151) (أَلمْ تَرَ **أَنَّا أَرْسَلنَا الشَّيَاطِينَ** عَلى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً) (مريم:83) (**وَلئِنْ أَرْسَلنَا رِيحاً** فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لظَلوا مِنْ بَعْدِه يَكْفُرُونَ) (الروم:51) (وَمَا **أَرْسَلنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ** إِلا قَال مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلتُمْ بِه كَافِرُونَ) (سبأ: 34) (إِذْ **أَرْسَلنَا إِليْهِمُ اثْنَيْنِ** فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِليْكُمْ مُرْسَلُونَ) (يّس:14) (وَفِي عَادٍ إِذْ **أَرْسَلنَا عَليْهِمُ الرِّيحَ** العَقِيمَ) (الذاريات:41) (إِنَّا **أَأَرْسَلنَا عَليهِمْ رِيحاً** صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) (القمر:19) (**إِنَّا أَرْسَلنَا عَليْهِمْ** حَاصِباً إِلا آل لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) (القمر:34) (**وَلقَدْ أَرْسَلنَا نُوحاً** وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد:26) (إِنَّا **أَرْسَلنَا عَليْهِمْ** صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) (القمر:31).

بيان حال الصديق في التسيير والتخيير؟

سئل سهل بن عبد الله التستري عمن قال: أنا كالباب لا أتحرك إلا أن يحركوني، فقال: لا يقول هذا إلا صديق أو زنديق، وهو يشير إلى انضباط الإرادة أو إسقاطها، فإن ضبطها كان صديقا، وإن أسقطها كان زنديقا، ومعنى ذلك أنه إذا وافقت إرادته إرادة الله الشرعية وإرادة الله الكونية كان مؤمنا مستقيما، جاهد بعزم إرادته في العمل بشريعته وانضبط عليها فوفقه الله بمشيئته وإرادته الكونية، ومن هنا يظهر لنا معنى التوفيق، فالتوفيق هو اتفاق الإرادات، إرادة العبد مع إرادة الرب الشرعية وإرادته الكونية، وهذه الحالة تكون في المؤمن دون الكافر، وقد عبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة ➊: (إن اللهَ قال: من عادَى لي وَليّاً فقد آذَنْته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترَضْته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي

يبصر به ويدَه التي يبطِش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سـألني لأَعطينـه، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترَدُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه المـوتَ وأنـا أكـرَه مَساءته).

والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيهـا، بـأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه من الوقوع فيما يكره، من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظـر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعي إلى الباطل برجله .

ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا أن يحييه حياة طيبة، فهو سبحانه وتعـالى صـادق الوعد الذي لا يخلف وعده وأي حياة أطيب من حياة، اجتمعت فيها همـوم العبـد كلهـا، وصارت هما واحدا في مرضات الله، فأقبل بقلبه على ربه واجتمعت إرادته بقوة عزمه، فصـار ذكر ربه، ومنتهى حبه، في الشوق إلى لقائه والأنس بقربه، وهو المتولي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته، وأفكاره ونيته، بل خطرات قلبه تتعلق بربه، فان سكت، سكت بالله وإن نطق، نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشى، وبـه يتحـرك، وبـه يسكن، وبه يحيى، وبه يموت، وبه يبعث.

فأسباب محبة الله محصورة في أمرين: أداء فرائضه والتقرب إليه بنوافله، وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب مما تقرب إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله، فإذا صار محبوبا لله، زاده الله بفضله محبة أخرى، فوق المحبة الأولى، فشـغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير الله، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبـة الله أبدا، فصار ذكر الله وطاعته مثله الأعلى وحبه الأقوى، صار مالكا لزمام قلبه، مستوليا على روحه، ولا ريب أن هذا المحب إن سمع، سمع لمحبوبه وإن أبصر أبصر به وإن بطش بطش بـه، وإن مشى مشى به .

والحديث خص بالذكر السمع والبصر واليد والرجل، لأن هذه الآلات هـي آلات الفعـل ومداخل الوعي، فالسمع والبصر يحركان في القلب الإرادة أو والكره، ويبعثـان فيـه الحـب والبغض، فعند ذلك تتحرك اليدان والرجلان، فإذا كان سمع العبد بالله وبصره محفوظا بحفظ الله وتوفيقه، كان محفوظا في حبه وبغضه، وحفظه الله في بطشه ومشيه

وتأمل قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجلـه التي يمشي بها) تجد معية خاصة بين العبد وربه مقتضاها كمال المراقبة، ومعية خاصة بين الرب

وعبده مقتضاها الحفظ والمتابعة، معية التوفيق يمنحها لعبده من فوق عرشه، تتوافق فيهـــا إرادة العبد مع اختيار الرب وتدبيره الشرعي وكذلك مع تقدير الرب وتدبيره الكوني، وهذه المعيـــة هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى:(إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذينَ كَفَـــرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِه لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَل اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَل كَلِمَةَ الذينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيـــمٌ) (التوبة:40) وقوله تعالى:(وَالذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـــبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَـــعَ الُمحْسِـــنِينَ) (العنكبوت:69) وقوله:(إِنَّ اللهَ مَعَ الذينَ اتَّقَوْا وَالذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل:128) وقوله: (وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَـــعَ الصَّـــابِرِينَ) (الأنفال:46) وقوله: (قَال كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء:62) فمتى كان العبد قائمـــا بالله على حفظ التدبير الشرعي لا يخرج قيد أنملة عن قضائه الشرعي وفقه الله بتدبيره الكوني، وعند ذلك هانت عليه المشاق، وانقلبت المخاوف في حقه أمانا، فبالله تهون الصعاب، ويصبح العسير سهلا، والبعيد قريبا، وبالله تزول والهموم والأحزان، ولا يبقى غم مع الإيمان، فلا هـــم مع الله ولا غم مع الله ولا حزن مع الله .

ومن إكرام الله لعبده الصديق أن الله قال في شأنه: (وإنْ سألني لأَعطينـــه، ولئن اســـتعاذ بي لأعيذَنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه المـــوتَ وأنـــا أكـــرَه مَساءته).

أكرم عبده الصديق بإجابة الدعاء، فالمسلم الذي يوافق شرع الله أكرمه الله بإجابة الـــدعاء روى البخاري من حديث جابرِ بنِ سَمُرةَ ⓿ أنه قال: (شَكا أهلُ الكوفةِ سَعداً إلى عمرَ ⓿ وزعموا أنه لا يُحسنُ أن يُصلي، فعزَلهُ – وكان عمر بن الخطاب ⓿ قد أمر ســـعد بـــن أبي وقاص ⓿ على قتال الفرس في سنة أربع عشرة ففتح الله العراق على يديه، ثم دخل الكوفـــة سنة سبع عشرة واستمر عليها أميرا إلى سنة عشرين أو إحدى وعشرين، فشكاه أهلُ الكوفـــة إلى عمرَ ⓿، فعزَلهُ، واستعمل عليهم عمار ابن ياسر، استعمل عمارا على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض) ، انتهى، وكأن تخصيص عمار بالذكر لوقوع التصريح بالصلاة دون غيرها مما وقعت فيه الشكوى – فأَرسل إِليه عمر ابن الخطـــاب ⓿ فقال له: يا أبا إسحاق إنَّ هؤلاء يَزعُمونَ أنَّكَ لا تُحسنُ تُصلي، قال أبو إِسحاقَ: أمّا أنا واللهِ فإني كنتُ أُصلي بهم صلاةَ رسول اللهِ ﷺ ما أخرِمُ عنها، أُصلي صلاةَ العِشاءِ فأَركُدُ في

الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ في الأُخرَيَينِ، قال: ذاكَ الظنُّ بكَ يا أبا إسحاقَ، فأَرسل معه رجُلاً أو رجــالاً إلى الكوفةِ فسأل عنه أهل الكوفة ، و لم يَدَعْ مسجداً إلاّ سأل عنه، وَيُثنونَ مَعروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبسٍ، فقامَ رجلٌ منهم يُقالُ له أُسامةُ بنُ قَتادةَ يُكْنى أَبا سَعدةَ قال: أمّا إذ نَشَدْتَنا فإنَّ سَعداً كان لا يَسيرُ بالسريَّة، ولا يَقسِمُ بالسَّويَّة، ولا يَعدلُ في القَضيَّة، قال سعدٌ: أَما وَاللهِ لأدْعوَنَّ بثَلاثٍ: اللهمَّ إن كان عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رِياءً وَسُمعةً فأَطِل عمرَهُ، وَأَطِــل فَقــرَهُ، وَعَرِّضْهُ بالفِتَنِ، فاستجاب الله دعاءه وحقق نداءه، وكان هذا الرجل في آخر حياته إذا سُــئل يقول: شَيخٌ كبيرٌ مَفتون، أصابَتْني دَعوةُ سعد، قال عبدُ الملك: فأنا رأيتُه بعدُ قد سَقطَ حاجباهُ عَلى عَينيهِ منَ الكِبَرِ، وإنه ليَتعرَّضُ للجواري في الطُّرقِ يغمزهُنَّ) .

ثم يقول في الحديث: (وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترَدُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه المــوتَ وأنا أكرَه مَساءته) كيف ينسب التردد إلى الله؟ والجواب عن ذلك أن التردد فعل من أفعال الله تعالى وأفعاله سبحانه فيها الكمال والجمال، وتشهد لحكمته بالعظمة والجلال، فالتردد يكــون كمالا في موضع ونقصا في آخر، فلو كان التردد عن جهل وقلة علم وعدم إحكام للأمر كان التردد نقصا وعيبا، وإن كان التردد لإظهار الفضل والمحبة في مقابل إنفاذ الأمر وتحقيقة الحكمة كان التردد كمالا ولطفا وعظمة وهو المقصود في الحديث، فالصديق هو من وافق بإرادته إرادة الله الشرعية والكونية .

بيان حال الزنديق في التسيير والتخيير؟

أما الزنديق فهو الذي أثبت القدر محتجا به على الشرع محاربا له به نافيا عن العبد قدرتة التي منحه الله إياها ونفي أمره سبحانه ونهيه، فقد نفي الحكمة عن أفعال ربه ونسب الظلم والعبث إليه كالجبرية.

قيل لبعض هؤلاء الجبرية أليس هو يقول: (ولا يرضى لعباده الكفر) فقال دعنا من هذا رضيه وأحبه وأراده ومن أفسدنا غيره. ومر جبري بلص مقطوع اليد على بعــض هــؤلاء، فقــال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها. وقيل لبعضهم: أترى الله كلف عباده مالا يطيقون ثم يعذبهم عليه؟، قال: والله قد فعل ذلك، ولكن لا نجسر أن نتكلم. وأراد رجل مــــن هؤلاء السفر فودع أهله وبكى، فقيل: استودعهم الله واستحفظهم إياه، فقال: ما أخاف عليهم غيره.

يقول ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: عاتبت بعض شيوخ هؤلاء الجبرية، فقال لي: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراد له، فأي شيء أبغض منه، قال: فقلت له: إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من في الكون وعاداهم ولعنهم فأحببتهم أنت وواليتهم، أكنت وليا للمحبوب أو عدوا له؟ قال: فكأنما ألقم حجرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السادسة عشر (16)

عنوان المحاضرة

(القدر حجة عند المصائب لا عند المعائب)

- متى نحتج بالقدر؟ القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب
- العلاقة بين فعل العبد وفعل الرب على أربعة أنواع

1- الطاعة تمت بإرادة الله الكونية وموافقة العبد للشرعية والفضل ينسب لله

2- المعصية ينسب فيها الفعل إلى كسب العبد وإن تم الفعل بقدر الله

3- المصيبة التي وقعت بقدر الله كعلة لابتلاء العبد في موافقته للإرادة الشرعية.

4- المعصية التي تاب العبد منها كما حدث في احتجاج آدم وموسى

- سُؤَالٌ عَنْ الْقَدَرِ أَوْرَدَهُ أَحَدُ عُلَمَاءِ الذِّمِّيِّينَ على ابن تيمية

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.net- www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة السادسة عشر (16)

بسم الله الرحمن الرحيم
دورة منة القدير بميت الرخا غربية
المحاضرة السادسة عشر (16)
عنوان المحاضرة
(القدر حجة عند المصائب لا عند المعائب)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

متى نحتج بالقدر؟ القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب

اعتقاد أهل الإيمان وأهل البصيرة في نصوص القرآن أن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب، فأهل الإيمان يثبتون القضاء والقدر، وينسبون وجود جميع الكائنات إلى مشيئة ربها، وإلى قدرة خالقها، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك، ولم يؤمن بالله عز وجل، ولم يعرفه حق المعرفة، فالله عز وجل جعل للعبد إرادة واختيارا، وفعلا وقدرة واستطاعة، وابتلاه في الدنيا بين طريقين وهداه إلى النجدين، إما إلى نجد الكفر والعصيان، وإما إلى نجد الطاعة والإيمان.

العلاقة بين فعل العبد وفعل الرب على أربعة أنواع

وموقف العبد من قدر الرب، أو العلاقة بين فعل العبد وفعل الرب، تأتي في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ على أربعة أنواع:

أولا: الطاعة، والطاعة تتم بإرادة الله الكونية، وموافقة العبد للإرادة الله الشرعية، فتتوافق الإرادات، ويظهر توفيق الرب للعبد، والفعل هنا ينسب إلى الله، فعل الطاعة ينسب الفضل فيها إلى الله، فهو الذي وفق العبد إلى طاعته، وحقق له مراده بفضله ومنته، فالفضل لله، وإن كان فعل الطاعة بإرادة العبد وكسبه، وسيجازى عند ربه على فعله، لكن الفضل في الطاعة ينبغي أن ينسب إلى الله.

1- الطاعة تمت بإرادة الله الكونية وموافقة العبد للشرعية والفضل ينسب لله

فالذين قالوا أسلمنا منة على نبيهم، رد الله الفضل في إسلامهم إلى منته، يقول تعالي:

(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَليَّ إِسْلامَكُمْ بَل اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ للإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الحجرات:17)

ويقول تعالي: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ) (النساء:79) سواء كان حسنة بالإرادة الكونية أو الإرادة الشرعية، فالفضل لله في طاعة عبده، ويجب على العبد أن ينسب الفضل إلى ربه، فهو الذي حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُول اللهِ لوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لعَنِتُّمْ وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِليْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِليْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات:7).

وقال أهل الجنة: (وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الأعراف:43) الباء سببية وليست للعوض والمقابلة.

روى البخاري من حديث أبي سلمةَ بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أن النبيِّ ﷺ قال: (سَدِّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحداً الجنةَ عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدَني الله بمغفرة ورحمة)

وعند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: يَا رَسُول اللهِ وَلاَ أَنْتَ؟ قَال: وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ) .

فدخول الجنة بسبب العمل لكن العمل لا يقابل في المعادلة الجزاء، فالجنة منحة من الله لأهل التقوى منحهم أياها بفضله، كما أنه أيضا وفقهم في الدنيا إلى الإيمان والتقوى بفضله، فهم يعلمون أنه لا حول ولا قوة لهم إلا بمعونة ربهم، فالعبد لا ينتقل ولا يحول من حال إلى حال إلا بالله، ولا قوة للإنسان على فعل شيء من الطاعة إلا بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله كلمة عظيمة، وكتر من كنوز الجنة.

كما ثبت عند الإمام البخاري من حديث أبي موسى ؓ قال: (كنّا مع النبيِّ ﷺ في سَفَر، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، اربَعوا على أنفُسِكم، فإنكم

لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً) [1] .

يقول أبو موسى ❶: (ثُمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: يا عبد الله بن قيْس، قل لا حول ولا قوةَ إلا بالله، فإنها كنزٌ مِنْ كنوز الجنة، أو قال: ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله) .

فالطاعة ينسب الله فيها الفضل إلى نفسه، ويمنح الأجر فيها لعبده، حتى لا يتعالى بقوته دون ربه: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال:17) (لقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَليْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَليْتُمْ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَل اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ وَأَنْزَل جُنُوداً لمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الذِينَ كَفَرُوا وَذَلكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ) (التوبة:26) (وَلقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لعَلكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران:123) (وَمَا جَعَلهُ اللهُ إِلا بُشْرَى لكُمْ وَلتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ) (آل عمران:126).

(وتَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ) (الشورى:22) (سَابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ للذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلهِ ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ) (الحديد:21) (لئَلا يَعْلمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْل اللهِ وَأَنَّ الفَضْل بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْل العَظِيمِ) (الحديد:29) (فَانْقَلبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران:174) وهذا منطق الموحدين ينسبون الفضل إلى رب العالمين: (قَال هَذَا مِنْ فَضْل رَبِّي ليَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:40)

2- المعصية ينسب فيها الفعل إلى كسب العبد وإن تم الفعل بقدر الله

النوع الثاني من موقف العبد تجاه قدر الرب وفعله، أو النوع الثاني من العلاقة بين فعل العبد

---

[1] البخاري كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة 5/2346(6021).

وفعل الرب، المعصية، والمعصية ينسب فيها الفعل إلى كسب العبد، وإن تم الفعل بقدرة الـرب ومشيئته، قال عن الطاعة: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ) وقال عن المعصية: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (النساء:79) فالمعصية لا يصح أن ينسبها العبد إلى الـرب، فهـذا فعـل المشركين الذين قال الله فيهم: (سَيَقُولُ الذينَ أَشْرَكُوا لوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْـرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَـا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلكَ كَذَّبَ الذينَ مِنْ قَبْلهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُل هَل عِنْـدَكُمْ مِـنْ عِلـمٍ فَتُخْرِجُوهُ لنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ) (الأنعام:148) (وَقَال الذينَ أَشْرَكُوا لوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَـذَلكَ فَعَل الذِينَ مِنْ قَبْلهِمْ فَهَل عَلى الرُّسُل إِلا البَلاغُ المُبِينُ) (النحل:35).

وقال تعالى: (وَإِذَا قِيل لهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَال الذِينَ كَفَرُوا للذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (يّس:47) (وَقَالُوا لوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لهُمْ بِذَلكَ مِنْ عِلمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ) (الزخرف:20) .

فهؤلاء المحتجون بالقدر على سقوط الأمر والنهي من جنس المشركين المكـذبين للرسـل، وهؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، فنسب المعصية إليهـم فقال: (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلفُونَ بِـاللهِ إِنْ أَرَدْنَـا إِلا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً) (النساء:62) .

(فَمَا لكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَل اللهُ وَمَنْ يُضْلل اللهُ فَلنْ تَجِدَ لهُ سَبِيلاً) (النساء:88) (إِنَّا أَنْزَلنَا إِليْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ للخَائِنِينَ خَصِيماً) (النساء:105) (وَمَنْ يَقْتُل مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَليْهِ وَلعَنَهُ وَأَعَدَّ لهُ عَذَاباً عَظِيماً) (النساء:93) .

وقد قال في الطاعة: (فَلمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَـ رَمَـى وَليُبْليَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَليمٌ) (لأنفال:17)، فنسب القتل إليه عند الطاعة، ونسبه إليهم عند المعصية، قال تعالي: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلهِمْ قُلُوبُنَا غُلفٌ بَل طَبَعَ اللهُ عَليْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَليلاً) (النسـاء:155) (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لعَنَّاهُمْ وَجَعَلنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) (المـائدة:13)

(قُل إِنْ ضَللتُ فَإِنَّمَا أَضِل عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِليَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) (سبأ:50) (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى:30).

وهنا يأتي معنى الإضلال لأن الإضلال من الشرود وعدم الاتفاق، إرادة العبد خالفت إرادة الله الشرعية ووافقت الإرادة الكونية، فباعتبار مخالفته الشرعية نقول ضل، وننسب المعصية إليه، وباعتبار وقوع الإرادة الكونية الحتمية نقول أضله الله: (فَإِنْ لمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ فَاعْلمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَل مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمِينَ) (القصص: 50) (بَل اتَّبَعَ الذِينَ ظَلمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَل اللهُ وَمَا لهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الروم:29) (قُل إِنْ ضَللتُ فَإِنَّمَا أَضِل عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِليَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) (سبأ:50) (وَلقَدْ أَضَل مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيراً أَفَلمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (يّس:62).

والمعصية وإن كانت بقدر الله إلا أنه لا يجوز أن يحتج فيها بالقدر، وأنه مسير في ذلك مجبور، فإن من فعل ذلك كان من أهل الزندقة، كالذي رأى لصا مر عليه وهو مقطوع اليد مقام عليه الحد، فقال: مسكين مظلوم أجبره الله على السرقة ثم قطع يده عليها، فصاحب هذا الاعتقاد الفاسد لا يكون إلا ظالما متناقضا، إذا آذاه غيره أو ظلمه طلب معاقبته والمبالغة في جزائه والانتقام منه، و لم يعذره بالقدر وبحجة أنه مسير مجبور، وإذا كان هو الظالم لغيره احتج هو لنفسه بالقدر، وادعى أنه مسير مجبور.

فلا يحتج أحد بالقدر على معصيته إلا لإتباع الهوى، وحجته باطلة داحضة فاسدة، لا حق معه ولا دليل، ولذلك لما احتج المشركون بالقدر على شركهم، بين الله كذبهم وقال لهم: (قُل هَل عِنْدَكُمْ مِنْ عِلمٍ فَتُخْرِجُوهُ لنَا) (الأنعام:148) .

(سَيَقُولُ الذِينَ أَشْرَكُوا لوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُل هَل عِنْدَكُمْ مِنْ عِلمٍ فَتُخْرِجُوهُ لنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ) (الأنعام:148).

ولهذا كان هؤلاء المشركون المحتجون بالقدر إذا عاداهم أحد قابلوه وقاتلوه وعاقبوه وانتقموا منه و لم يقبلوا حجته، إذا قال لهم لو شاء الله ما عاديتكم بل هم دائما يعيبون من ظلمهم واعتدى عليهم ولا يقبلون احتجاجه بالقدر أبدا، فلما جاءهم الحق من ربهم أخذوا يدافعون

ذلك بالقدر، ويقولون نحن مسيرون في شركنا وذنوبنا وقد رضي الله الشرك لنـــا، فصـــاروا يحتجون على ترك الشرع، بما لا يقبلونه على أنفسهم.

وهؤلاء يعلمون أنهم لو اعتدوا على محارم أمير أو وزير، لأصابهم عقابه الشـــديد، فـــامتثلوا خوفا على أنفسهم من الوعيد، الذي يتوعدهم به مخلوق، و لم يمتثلوا خوفا من ملك الملـــوك، فانتهكوا محارم الله وتركوا ما فرضه عليهم في هذه الحياة، فبئست العقيدة التي يكون فيها أمـــر المخلوق أعظم عندهم من أمر الله، ونهي المخلوق أعظم عندهم من نهي الله، وحـــق المخلـــوق أعظم عندهم من حق الله.

3- المصيبة التي وقعت بقدر الله كعلة لابتلاء العبد في موافقته للإرادة الشرعية.

النوع الثالث في موقف العبد تجاه قدر الرب، أو النوع الثالث من العلاقة بين فعـــل العبـــد وفعل الرب، المصيبة التي وقعت بقدر الله كعلة لابتلاء العبد في موافقته للإرادة الشرعية قال الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلبَهُ وَاللهُ بِكُـــل شَـــيْءٍ عَليـــمٌ) (التغابن:11)

قال ابن مسعود ⓿ هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، فالسعيد يستغفر من المعائب ويصبر على المصائب كما قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْـــدَ اللهِـــ حَـــقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الذِينَ لا يُوقِنُونَ) (الروم:60) (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لذَنْبِكَ وَسَـــبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالأَبْكَارِ) (غافر:55) .

والشقي يجزع عند المصائب، رجل ما ولده دون البنات، وصدمت سيارته دون السيارات، والشقي يحتج بالقدر على المعائب، طالما أصابني ذلك فلن أصلي.

(كُل نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِليْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء:35) (وَكَذَلكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَليْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَليْسَ اللهُ بِأَعْلمَ بِالشَّاكِرِينَ) (الأنعام: 53) فالله عز وجل خلق الدنيا للامتحان والابتلاء، ولا بد لكي يقوم الابتلاء علـــى قاعـــدة وأساس أن تحدث الفوارق بين الناس، ليبلو بعضهم ببعض كما قال تعالى: (وَهُوَ الذِي جَعَلكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام/165) (قَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلكَ

وَبَلوْنَاهُمْ بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئاتِ لعَلهُمْ يَرْجِعُونَ) (الأعراف:168)

(فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَال إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلى عِلمٍ بَل هِيَ فِتْنَةٌ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلمُونَ) (الزمر:49).

قال الله تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَال هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً) (النساء:78).

4- المعصية التي تاب العبد منها كما حدث في احتجاج آدم وموسى

رابعا المعصية التي تاب العبد منها كما حدث في احتجاج آدم وموسى روى البخاري من حديث أبي هريرةَ ⓿ أن النبيِّ ﷺ قال: (احتجَ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يـا آدمُ أنـتَ أبونا، خيَّبتنا وأخرجتَنا من الجنَّة قال له آدمُ: يا موسى اصطفاكَ اللهُ بكلامه وخطَّ لكَ بيـده، أتلومني على أمر قدَّرَهُ الله عليَّ قبل أن يخلُقَني بأربعين سنة؟ فحـجَّ آدمُ موسـى، فحـجَّ آدمُ موسى، ثلاثاً) .

وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى فقال موسى: أنت آدم الـذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قـال موسـى بأربعين عاما قال آدم هل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني علـى أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى) .

وربما يقول قائل آدم احتج بالقدر على معصيته، وموسى لامه بعد توبته، وجواب ذلك أن موسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه، كما أن الله بعـد توبته اجتباه وهداه واصطفاه، كما أن آدم عليه السلام أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء، والمحنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة، المحنة التي

نالت الذرية، ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة، وفي لفظ خيبتنا، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب أي أتلومني على مصيبة قدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة.

ومثال ذلك من عصى ربه وتاب ثم يتذكر معصيته مع بعض أصحابه فيقول قدر الله وما شاء فعل، (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُل مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَال هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلنَاكَ للنَّاسِ رَسُولاً وَكَفى بِاللهِ شَهِيداً) (النساء:79) .

(قُل لوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَليْهِمُ القَتْلُ إِلى مَضَاجِعِهِمْ وَليَبْتَليَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَليُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:154) .

سُئِل أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ تيمية عَنْ الخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ وَالقَدَرِ الكَوْنِيِّ؛ وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيِّ. فَأَجَابَ: الحَمْدُ للهِ. اعْلمْ أَنَّ اللهَ خَالقُ كُل شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَليكُهُ لا رَبَّ غَيْرُهُ وَلا خَالقَ سِوَاهُ؛ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لمْ يَشَأْ لمْ يَكُنْ؛ وَهُوَ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ وَبِكُل شَيْءٍ عَليمٌ؛ وَالعَبْدُ مَأْمُورٌ بِطَاعَةِ اللهِ؛ وَطَاعَةِ رَسُوله؛ مَنْهِيٌّ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ؛ وَمَعْصِيَةِ رَسُوله؛ فَإِنْ أَطَاعَ كَانَ ذَلكَ نِعْمَةً مِنْ اللهِ أَنْعَمَ بِهَا عَليْهِ؛ وَكَانَ لهُ الأَجْرُ وَالثَّوَابُ بِفَضْل اللهِ وَرَحْمَته، وَإِنْ عَصَى كَانَ مُسْتَحِقًّا للذَّمِّ وَالعِقَابِ؛ وَكَانَ للهِ عَليْهِ الحُجَّةُ البَالغَةُ؛ وَلا حُجَّةَ لأَحَدٍ عَلى اللهِ؛ وَكُلُّ ذَلكَ كَائِنٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ لكِنَّهُ يُحِبُّ الطَّاعَةَ وَيَأْمُرُ بِهَا؛ وَيُثِيبُ أَهْلهَا عَليْهَا وَيُكْرِمُهُمْ؛ وَيُبْغِضُ المَعْصِيَةَ وَيَنْهَى عَنْهَا؛ وَيُعَاقِبُ أَهْلهَا عَليْهَا وَيُهِينُهُمْ. وَمَا يُصِيبُ العَبْدَ مِنْ النِّعَمِ فَإِنَّ اللهَ أَنْعَمَ بِهَا عَليْهِ؛ وَمَا يُصِيبُهُ مِنْ الشَّرِّ فَبِذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ. كَمَا قَال تَعَالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) وَقَال تَعَالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) أَيْ مَا أَصَابَكَ مِنْ خِصْبٍ وَنَصْرٍ وَهُدًى فَاَللهُ أَنْعَمَ بِهَا عَليْك؛ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ جَدْبٍ وَذُلٍّ وَشَرٍّ فَبِذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ؛ وَكُلُّ الأَشْيَاءِ كَائِنَةٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلقِهِ فَلا بُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ العَبْدُ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ؛ وَأَنْ يُؤْمِنَ بِشَرْعِ اللهِ وَأَمْرِهِ. فَمَنْ نَظَرَ إلى الحَقِيقَةِ القَدَرِيَّةِ وَأَعْرَضَ عَنْ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالوَعْدِ وَالوَعِيدِ كَانَ مُشَابِهًا للمُشْرِكِينَ؛ وَمَنْ نَظَرَ إلى الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَكَذَّبَ

بالقَضَاءِ وَالقَدَرِ كَانَ مُشَابِهًا للمَجُوسيِّينَ، وَمَنْ آمَنَ بِهَذَا وَهَذَا، وَإِذَا أَحْسَنَ حَمدَ اللهَ؛ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللهَ؛ وَعَلمَ أَنَّ ذَلكَ كُلهُ بقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِه فَهُوَ منْ الْمُؤْمنينَ. فَإِنَّ آدَمَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَّما أَذْنَبَ تَابَ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَهَدَاهُ، وَإِبْليسُ أَصَرَّ وَاسْتَكْبَرَ وَاحْتَجَّ بالقَدَرِ؛ فَلعَنَهُ وَأَقْصَاهُ، فَمَنْ تَابَ كَانَ آدَميًّا، وَمَنْ أَصَرَّ وَاحْتَجَّ بالقَدَرِ كَانَ إبليسيا، فَالسُّعَدَاءُ يَتَّبِعُونَ أَبَاهُمْ آدَمَ، وَالأَشْقيَاءُ يَتَّبعُونَ عَدُوَّهُمْ إِبْليسَ. فَنَسْأَلُ اللهَ العَظيمَ أَنْ يَهْديَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ. صِرَاطَ الذينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ منْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ. وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالحينَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَال الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ حَديثُ عَليٍّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ الْمخرَجُ فِي الصَّحيحِ لَّما طَرَقَهُ النَّبيُّ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ وَفَاطمَةَ – وَهُمَا نَائمَان – فَقَال (أَلا تُصَليَان فَقَال عَليٌّ يَا رَسُول الله إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بيَد الله إنْ شَاءَ أَنْ يُمْسكَهَا وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُرْسلهَا؛ فَوَلى النَّبيُّ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ وَهُوَ يَضْربُ بيَده عَلى فَخذه وَهُوَ يَقُولُ (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جدَلا) هَذَا الحَديثُ نَصٌّ فِي ذَمِّ مَنْ عَارَضَ الأَمْرَ بالقَدَرِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: (إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بيَد الله) إلى آخره. اسْتنَادٌ إلى القَدَرِ فِي تَرْك امْتثَال الأَمْرِ، وَهيَ فِي نَفْسهَا كَلمَةُ حَقٍّ، لكنْ لا تَصْلُحُ لمُعَارَضَة الأَمْرِ بَل مُعَارَضَةُ الأَمْرِ فيهَا منْ بَابِ الجَدَل الْمذْمُومِ الذي قَال اللهُ فيه: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) وَهَؤُلاءِ أَحَدُ أَقْسَامِ " القَدَريَّةِ " وَقَدْ وَصَفَهُمْ اللهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْموْضعِ بِالْمجَادَلة البَاطلة.

وقال ابن تيمية: "وَمَنْ احْتَجَّ بِالقَدَرِ عَلى الْمعَاصي فَحُجَّتُهُ دَاحضَةٌ، وَمَنْ اعْتَذَرَ به فَعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُول، بَل هَؤُلاءِ الضَّالُّونَ. كَمَا قَال فيهِمْ بَعْضُ العُلمَاءِ: أَنْتَ عنْدَ الطَّاعَة قَدَريٌّ وَعنْدَ الْمعْصيَة جَبْريٌّ، أَيُّ مَذْهَبٍ وَافَقَ هَوَاكَ تَمَذْهَبْتَ به. فَإِنَّ هَؤُلاءِ إذَا ظَلمَهُمْ ظَالمٌ، بَل لوْ فَعَل الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُونَهُ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لمْ يَعْذُرُوهُ بالقَدَرِ، بَل يُقَابلُوهُ بالحَقِّ وَالبَاطلِ، فَإِنْ كَانَ القَدَرُ حُجَّةً لهُمْ فَهُوَ حُجَّةٌ لهَؤُلاءِ، وَإِنْ لمْ يَكُنْ حُجَّةً لهَؤُلاءِ لمْ يَكُنْ حُجَّةً لهُمْ؛ وَإِنَّمَا يَحْتَجُّ أَحَدُهُمْ بالقَدَرِ عنْدَ هَوَاهُ وَمَعْصيَة مَوْلاهُ، لا عنْدَ مَا يُؤْذيه النَّاسُ وَيَظْلمُونَهُ. وَأَمَّا الْمؤْمنُ فَهُوَ بالعَكْسِ فِي ذَلكَ إذَا آذَاهُ النَّاسُ نَظَرَ إلى القَدَرِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَإِذَا أَسَاءَ هُوَ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ. كَمَا قَال تَعَالى: (فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَاسْتَغْفرْ لذَنْبكَ) فَالْمؤْمنُ يَصْبرُ عَلى الْمصَائب وَيَسْتَغْفرُ منْ الذُّنُوبِ وَالْمعَايبِ، وَالْمنَافقُ بالعَكْسِ لا يَسْتَغْفرُ منْ ذَنْبه بَل يَحْتَجُّ بالقَدَرِ، وَلا يَصْبرُ عَلى مَا أَصَابَهُ، فَلهَذَا يَكُونُ شَقيًّا فِي الدُّنْيَا وَالآخرَةِ؛ وَالْمؤْمنُ سَعيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخرَة. وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلمُ".

- **سُؤَالٌ عَنْ القَدَرِ أَوْرَدَهُ أَحَدُ عُلمَاءِ الذِّمِّيِّنَ على ابن تيمية**

فَقَال:

أَيَا عُلمَاءَ الدِّينِ، ذِمِّيُّ دِينِكُمْ تَحَيَّرَ دُلُّوهُ بِأَوْضَحِ حُجَّة

إذَا مَا قَضَى رَبِّي بِكُفْرِي بِزَعْمِكُمْ وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي، فَمَا وَجْهُ حِيلتِي؟

دَعَانِي، وَسَدَّ البَابَ عَنِّي، فَهَل إلى دُخُولِي سَبِيلٌ؟ بَيِّنُوا لي قَضِيَّتِي

قَضَى بِضَلالي، ثُمَّ قَال: ارْضَ بالقضا فَمَا أَنَا رَاضٍ بِالذِي فِيهِ شِقْوَتِي

فَإِنْ كُنْتُ بِالمَقْضِيِّ يَا قَوْمُ رَاضِيا فَرَبِّي لا يَرْضَى بِشُؤْمِ بَلِيَّتِي

فَهَل لِي رِضَا، مَا لَيْسَ يَرْضَاهُ سَيِّدِي فَقَدْ حِرْتُ دُلُّونِي عَلى كَشْفِ حِيرَتِي

إذَا شَاءَ رَبِّي الكُفْرَ مِنِّي مَشِيئَةً فَهَل أَنَا عَاصٍ فِي اتِّبَاعِ المَشِيئَةِ؟

وَهَل لِي اخْتِيَارٌ أَنْ أُخَالفَ حُكْمَهُ؟ فَبِاللهِ فَاشْفُوا بِالبَرَاهِينِ عِلتِي

فَأَجَابَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَحْمَد ابْنُ تيمية مُرْتَجِلا الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ:

1. **سُؤَالُكَ يَا هَذَا، سُؤَالُ مُعَانِدٍ مُخَاصِمِ رَبِّ العَرْشِ، بَارِي البَرِيَّةِ**
2. **فَهَذَا سُؤَالٌ، خَاصَمَ المَلأَ العُلا قَدِيمًا بِهِ إِبْلِيسُ، أَصْلُ البَلِيَّةِ**
3. **وَمَنْ يَكُ خَصْمًا للمُهَيْمِنِ يَرْجِعَنْ عَلى أُمِّ رَأْسٍ هَاوِيًا فِي الحَفِيرَةِ**
4. **وَيُدْعَى خُصُومُ اللهِ يَوْمَ مُعَادِهِمْ إلى النَّارِ طَرًّا، مَعْشَرَ القَدَرِيَّةِ**
5. **سَوَاءٌ نَفَوْهُ، أَوْ سَعَوْا لِيُخَاصِمُوا بِهِ اللهَ، أَوْ مَارَوْا بِهِ للشَّرِيعَةِ**
6. **وَأَصْلُ ضَلالِ الخَلقِ مِنْ كُلِ فِرْقَةٍ هُوَ الخَوْضُ فِي فِعْلِ الإِلهِ بِعِلةِ**
7. **فإنهمو لَمْ يَفْهَمُوا حِكْمَةً لهُ فَصَارُوا عَلى نَوْعٍ مِنْ الجَاهِلِيَّةِ**
8. **فَإِنَّ جَمِيعَ الكَوْنِ أَوْجَبَ فِعْلهُ مَشِيئَةُ رَبِّ الخَلقِ بَارِي الخَلِيقَةِ**
9. **وَذَاتُ إِلهِ الخَلقِ وَاجِبَةٌ بِمَا لهَا مِنْ صِفَاتٍ وَاجِبَاتٍ قَدِيمَةِ**
10. **مَشِيئَتُهُ مَعَ عِلمِهِ، ثُمَّ قُدْرَةٌ لوَازِمُ ذَاتِ اللهِ قَاضِي القَضِيَّةِ**
11. **وَإِبْدَاعُهُ مَا شَاءَ مِنْ مُبْدعَاتِهِ بِهَا حِكْمَةٌ فِيهِ وَأَنْوَاعُ رَحْمَةِ**
12. **وَلسْنَا إِذَا قُلنَا جَرَتْ بِمَشِيئَةٍ مِنْ المُنْكِرِي آيَاتِهِ المُسْتَقِيمَةِ**
13. **بَل الحَقُّ أَنَّ الحُكْمَ للهِ وَحْدَهُ لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ الذِي فِي الشَّرِيعَةِ**
14. **هُوَ المَلكُ المَحْمُودُ فِي كُلِ حَالةٍ لهُ المُلكُ مِنْ غَيْرِ انْتِقَاصٍ بِشِرْكَةِ**

15. فَمَا شَاءَ مَوْلانَا الإلهُ، فَإِنَّهُ يَكُونُ. وَمَا لا لا يَكُونُ بحيلة

16. وَقُدْرَتُهُ لا نَقْصَ فِيهَا، وَحُكْمُهُ يَعُمُّ. فَلا تَخْصِيصَ فِي ذِي القَضِيَّةِ

17. أُرِيدَ بِذَا أَنَّ الحَوَادِثَ كُلهَا بِقُدْرَتِهِ كَانَتْ، وَمَحْضِ المَشِيئَةِ

18. وَمَالِكُنَا فِي كُل مَا قَدْ أَرَادَهُ لهُ الحَمْدُ حَمْدًا يَعْتَلِي كُل مدحة

19. فَإِنَّ لهُ فِي الخَلقِ رَحْمَتَهُ سَرَتْ وَمَنْ حَكَمَ فَوْقَ العُقُول الحَكِيمَة

20. أُمُورًا يَحَارُ العَقْلُ فِيهَا إِذَا رَأَى مِنْ الحِكَمِ العُلَيَا وَكُل عَجِيبَةِ

21. فَنُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ عَزَّ بِقُدْرَةِ وَخَلقٍ وَإِبْرَامِ لحُكْمِ المَشِيئَةِ

22. فَنُثْبِتُ هَذَا كُلهُ لإِلهِنَا وَنُثْبِتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْ كُل حِكْمَةِ

23. وَهَذَا مَقَامٌ طَالمَا عَجَزَ الأُولى نَفَوْهُ وَكَرُّوا رَاجِعِينَ بِحِيرَةِ

24. وَتَحْقِيقُ مَا فِيه بِتَبْيِينِ غَوْرِه وَتَحْرِيرِ حَقِّ الحَقِّ فِي ذِي الحَقِيقَةِ

25. هُوَ المَطْلبُ الأَقْصَى لوُرَّادِ بَحْرِهِ وَذَا عُسْرٍ فِي نَظْمِ هذي القَصِيدَةِ

26. لحَاجَتِه إلى بَيَانٍ مُحَقِّقٍ لأَوْصَافِ مَوْلانَا الإِلهِ الكَرِيمَةِ

27. وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَى، وَأَحْكَامِ دِينِهِ وَأَفْعَالِه فِي كُل هذي الخَلِيقَةِ

28. وَهَذَا بِحَمْدِ اللهِ قَدْ بَانَ ظَاهِرًا وَإِلهَامُهُ للخَلقِ أَفْضَلُ نِعْمَةِ

29. وقد قِيل فِي هَذَا وَخَطٌّ كِتَابه بَيَانُ شِفَاءِ للنُّفُوسِ السَّقِيمَةِ

30. فَقَوْلُكَ: لمَ قَدْ شَاءَ؟ مِثْلُ سُؤَالِ مَنْ يَقُولُ: فَلمَ قَدْ كَانَ فِي الأَزَليَّةِ

31. وَذَاكَ سُؤَالٌ يُبْطِلُ العَقْلُ وَجْهَهُ وَتَحْرِيمُهُ قَدْ جَاءَ فِي كُل شِرْعَةِ

32. وَفِي الكَوْنِ تَخْصِيصٌ كَثِيرٌ يَدُلُّ مَنْ لهُ نَوْعُ عَقْلٍ: أَنَّهُ بِإِرَادَةِ

33. وَإِصْدَارُهُ عَنْ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ أَوْ القَوْلُ بِالتَّجْوِيزِ رَمْيَةُ حِيرَةِ

34. وَلا رَيْبَ فِي تَعْليقِ كُل مُسَبَّبٍ بِمَا قَبْلهُ مِنْ عِلةٍ موجبية

35. بَل الشَّأْنُ فِي الأَسْبَابِ، أَسْبَابُ مَا تَرَى وَإِصْدَارُهَا عَنْ الحُكْمِ مَحْضُ المَشِيئَةِ

36. وَقَوْلُكَ: لمَ شَاءَ الإِلهُ؟ هُوَ الذِي أَزَل عُقُول الخَلقِ فِي قَعْرِ حُفْرَةِ

37. فَإِنَّ المَجُوسَ القَائِلِينَ بِخَالقٍ لنَفْعٍ، وَرَبٍّ مُبْدِعٍ للمَضَرَّةِ

38. سُؤَالُهُمْ عَنْ عِلةِ السِّرِّ، أَوْقَعَتْ أَوَائِلهُمْ فِي شُبْهَةِ الثنوية

39. وَإِنَّ ملاحيد الفَلاسِفَةِ الأُولى يَقُولُونَ بِالفِعْلِ القَدِيمِ لعلة

40. بَغَوْا عِلةً للكَوْنِ بَعْدَ انْعِدَامِهِ فَلمْ يَجِدُوا ذَاكُمْ، فَضَلُّوا بِضَلةِ

41. وَإِنَّ مبادي الشَّرِّ فِي كُل أُمَّةٍ ذَوِي ملةٍ مَيْمُونَةٍ نَبَوِيَّةِ

42. بخوضهمو فِي ذَاكُمْ، صَارَ شِرْكُهُمْ وَجَاءَ دُرُوسُ البَيِّنَاتِ بِفَتْرَةِ

43. وَيَكْفِيكَ نَقْضًا أَنَّ مَا قَدْ سَأَلتَهُ مِنْ العُذْرِ مَرْدُودُ لدَى كُل فِطْرَة

44. فَأَنْتَ تَعِيبُ الطَّاعِنِينَ جَمِيعَهُمْ عَلَيْكَ، وَتَرْمِيهِمْ بِكُل مَذَمَّة

45. وَتَنْحَلُ مَنْ وَالاكَ صَفْوَ مَوَدَّةٍ وَتُبْغِضُ مَنْ ناواك مِنْ كُل فِرْقَة

46. وَحَالُهُمْ فِي كُل قَوْلٍ وَفِعْلة كَحَالكَ يَا هَذَا بِأَرْجَحِ حُجَّة

47. وَهَبْكَ كَفَفْتَ اللوْمَ عَنْ كُل كَافِرٍ وَكُل غَوِيٍّ خَارِجٍ عَنْ مَحَبَّة

48. فَيَلزَمُكَ الإِعْرَاضُ عَنْ كُل ظَالمٍ عَلى النَّاسِ فِي نَفْسٍ، وَمَالٍ، وَحُرْمَة

49. وَلا تَغْضَبَنْ يَوْمًا عَلى سَافِكٍ دَمًا وَلا سَارِقٍ مَالا لصَاحِبِ فَاقَة

50. وَلا شَاتِمٍ عِرْضًا مَصُونًا، وَإِنْ عَلا وَلا نَاكِحٍ فَرْجًا عَلى وَجْهِ غِيَّة

51. وَلا قَاطِعٍ للنَّاسِ نَهْجَ سَبِيلهِمْ وَلا مُفْسِدٍ فِي الأَرْضِ فِي كُل وجهة

52. وَلا شَاهِدٍ بالزُّورِ إِفْكًا وَفِرْيَةً وَلا قَاذِفٍ للمُحْصَنَاتِ بِزَنْيَة

53. وَلا مُهْلكٍ للحَرْثِ وَالنَّسْل عَامِدًا وَلا حَاكِمٍ للعَالمِينَ بِرِشْوَة

54. وَكُفَّ لسَانَ اللوْمِ عَنْ كُل مُفْسِدٍ وَلا تَأْخُذَنْ ذَا جرمة بِعُقُوبَة

55. وَسَهِّل سَبِيل الكَاذِبِينَ تَعَمُّدًا عَلى رَبِّهِمْ، مِنْ كُل جَاءٍ بِفِرْيَة

56. وَإِنْ قَصَدُوا إِضْلال مَنْ يَسْتَجِيبُهُمْ بِرَوْمِ فَسَادِ النَّوْعِ

57. ثُمَّ الرِّيَاسَةِ وَجَادِل عَنْ المَلعُونِ، فِرْعَوْنَ، إِذْ طَغَى فَأُغْرِقَ فِي اليَمِّ انْتِقَامًا بِغَضْبَة

58. وَكُل كَفُورٍ مُشْرِكٍ بِإِلهِهِ وَآخَرَ طَاغٍ كَافِرٍ بِنُبُوَّة

59. كَعَادٍ، ونمروذ، وَقَوْمٍ لصَالحٍ وَقَوْمٍ لنُوحٍ، ثُمَّ أَصْحَابِ أَيْكَة

60. وَخَاصِمْ لمُوسَى، ثُمَّ سَائِرَ مَنْ أَتَى مِنْ الأَنْبِيَاءِ مُحْيِيًا للشَّرِيعَة

61. عَلى كَوْنِهِمْ قَدْ جَاهَدُوا النَّاسَ إِذْ بَغَوْا وَنَالُوا مِنْ المَعَاصِي بَليغَ العُقُوبَة

62. وَإِلا فَكُلُّ الخَلقِ فِي كُل لفْظَةٍ وَلحْظَةِ عَيْنٍ، أَوْ تَحَرُّكِ شَعْرَة

63. وَبَطْشَةِ كَفٍّ، أَوْ تَخَطِّي قُدَيمَةٍ وَكُل حَرَاكٍ، بَل وَكُل سَكِينَة

64. هُمو تَحْتَ أَقْدَارِ الإِلهِ وَحُكْمِهِ كَمَا أَنْتَ فِيمَا قَدْ أَتَيْتَ بِحُجَّة

65. وَهَبْكَ رَفَعْتَ اللوْمَ عَنْ كُل فَاعِلٍ فِعَال رَدًى، طَرْدًا لهَذِي المَقِيسَة

66. فَهَل يُمْكِنُ رَفْعُ المَلامِ جَمِيعِهِ عَنْ النَّاسِ طَرًّا عِنْدَ كُل قَبِيحَة؟

67. وَتَرْكُ عُقُوبَاتِ الذِينَ قَدْ اعْتَدَوْا وَتَرْكُ الوَرَى الإِنْصَافَ بَيْنَ الرَّعِيَّة

68. فَلا تُضْمَنَنْ نَفْسٌ وَمَالٌ بِمِثْلِهِ وَلا يُعْقَبَنْ عَادٌ بِمِثْل الجَرِيمَة

69. وَهَل فِي عُقُول النَّاسِ، أَوْ فِي طِبَاعِهِمْ قَبُولٌ لقَوْل النَّذْل: مَا وَجْهُ حِيلتِي؟

70. وَيَكْفِيكَ نَقْضًا مَا بِجِسْمِ ابْنِ آدَمَ صَبِيٍّ، وَمَجْنُونٍ، وَكُل بَهِيمَة

71. مِنْ الأَلَمِ المَقْضِيِّ فِي غَيْرِ حِيلةٍ وَفِيمَا يَشَاءُ اللهُ أَكْمَلُ حِكْمَة

72. إذَا كَانَ فِي هَذَا لهُ حِكْمَةٌ، فَمَا يُظَنُّ بِخَلقِ الفِعْلِ، ثُمَّ العُقُوبَةِ؟

73. وَكَيْفَ، وَمِنْ هَذَا عَذَابٌ مُوَلَّدٌ عَنْ الفِعْلِ، فِعْلِ العَبْدِ عِنْدَ الطَّبِيعَةِ؟

74. كَآكِلِ سُمٍّ، أَوْجَبَ المَوْتَ أَكْلُهُ وَكُلٌّ بِتَقْدِيرٍ لِرَبِّ البَرِيَّةِ

75. فَكُفْرُكَ يَا هَذَا؛ كَسُمٍّ أَكَلتَهُ وَتَعْذِيبُ نَارٍ. مِثْلُ جَرْعَةِ غُصَّة

76. أَلسْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الدَّارِ مَنْ جَنَى يُعَاقَبُ. إمَّا بالقضا. أَوْ بِشِرْعَةٍ؟

77. وَلا عُذْرَ للجَانِي بِتَقْدِيرِ خَالِقٍ كَذَلِكَ فِي الأُخْرَى بلا مَثْنَوِيَّة

78. وَتَقْدِيرُ رَبِّ الخَلقِ للذَّنْبِ مُوجِبٌ لِتَقْدِيرِ عُقْبَى الذَّنْبِ إلا بِتَوْبَةِ

79. وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ المَتَابِ لِرَفْعِهِ عَوَاقِبَ أَفْعَالِ العِبَادِ الخَبِيثَة

80. كَخَيْرٍ بِهِ تُمْحَى الذُّنُوبُ. وَدَعْوَةٍ تُجَابُ مِنْ الجَانِي. وَرَبِّ شَفَاعَةِ

81. وَقَوْلُ حَلِيفِ الشَّرِّ: إنِّي مُقَدَّرٌ عَليَّ. كَقَوْلِ الذِّئْبِ: هذي طَبِيعَتِي

82. وَتَقْدِيرُهُ للفِعْلِ يَجْلبُ نِقْمَةً كَتَقْدِيرِهِ الأَشْيَاءَ طَرًّا بِعِلةِ

83. فَهَل يَنْفَعَنْ عُذْرُ المَلُومِ. بِأَنَّهُ كَذَا طَبْعُهُ. أَمْ هَل يُقَالُ لِعَثْرَةِ؟

84. أَمْ الذَّمُّ وَالتَّعْذِيبُ أَوْكَدُ للذي طَبِيعَتُهُ فِعْلُ الشُّرُورِ الشَّنِيعَةِ؟

85. فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُجَابَ بِمَا عَسَى يُنْجِيكَ مِنْ نَارِ الإِلهِ العَظِيمَة

86. فَدُونَكَ رَبُّ الخَلقِ، فَاقْصِدْهُ ضَارِعًا مُرِيدًا لأَنْ يَهْدِيَكَ نَحْوَ الحَقِيقَةِ

87. وَذَلِّل قِيَادَ النَّفْسِ للحَقِّ، وَاسْمَعَنْ وَلا تُعْرِضَنْ عَنْ فِكْرَةٍ مُسْتَقِيمَة

88. وَمَا بَانَ مِنْ حَقٍّ فَلا تَتْرُكَنَّهُ وَلا تَعْصِ مَنْ يَدْعُو لأَقْوَمِ شِرْعَةِ

89. وَدَعْ دِينَ ذَا العَادَاتِ، لا تَتْبَعَنَّهُ وَعُجْ عَنْ سَبِيلِ الأُمَّةِ الغَضَبِيَّة

90. وَمَنْ ضَل عَنْ حَقٍّ فَلا تَقْفُوَنَّهُ وَزِنْ مَا عَليْهِ النَّاسُ بالمعدلية

91. هُنَالِكَ تَبْدُو طَالعَاتٌ مِنْ الهُدَى تُبَشِّرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالحَنِيفِيَّة

92. بِمِلةِ إبْرَاهِيمَ. ذَاكَ إمَامُنَا وَدِينِ رَسُولِ اللهِ خَيْرِ البَرِيَّةِ

93. فَلا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ دِينًا سِوَى الذي بِهِ جَاءَتْ الرسل الكِرَامُ السَّجِيَّة

94. وَقَدْ جَاءَ هَذَا الحَاشِرُ الخَاتَمُ الذي حَوَى كُل خَيْرٍ فِي عُمُومِ الرِّسَالة

95. وَأَخْبَرَ عَنْ رَبِّ العِبَادِ بِأَنَّ مَنْ غَدَا عَنْهُ فِي الأُخْرَى بِأَقْبَحِ خَيْبَة

96. فهذي دلالاتُ العِبَادِ لحَائِرٍ وَأَمَّا هُدَاهُ فَهُوَ فِعْلُ الرُّبُوبِيَّة

97. وَفَقْدُ الهُدَى عِنْدَ الوَرَى لا يُفِيدُ مَنْ غَدَا عَنْهُ، بَل يَجْرِي بلا وَجْهِ حُجَّة

98. وَحُجَّةُ مُحْتَجٍّ بِتَقْدِيرِ رَبِّهِ تَزِيدُ عَذَابًا، كَاحْتِجَاجِ مَرِيضَةِ

99. وَأَمَّا رِضَانَا بِالقَضَاءِ فَإِنَّمَا أُمِرْنَا بِأَنْ نَرْضَى بِمِثْلِ الْمُصِيبَةِ

100. كَسَقَمٍ، وَفَقْرٍ، ثُمَّ ذُلٍّ، وَغُرْبَةٍ وَمَا كَانَ مِنْ مُؤْذٍ، بِدُونِ جَرِيمَةِ

101. فَأَمَّا الأَفَاعِيلُ التِي كُرِهَتْ لَنَا فَلا تُرْتَضَى، مَسْخُوطَةً لَمَشِيئَةِ

102. وَقَدْ قَال قَوْمٌ مِنْ أُولِي العلمِ: لا رِضًا بِفِعْلِ المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ الكَبِيرَةِ

103. وَقَال فَرِيقٌ: نَرْتَضِي بِقَضَائِهِ وَلا نَرْتَضِي المَقْضِيَّ أَقْبَحَ خَصْلَةِ

104. وَقَال فَرِيقٌ نَرْتَضِي بِإِضَافَةِ إِلَيْهِ. وَمَا فِينَا فَنُلقِي بِسَخْطَةِ

105. كَمَا أَنَّهَا للرَّبِّ خَلقٌ، وَأَنَّهَا لِمَخْلُوقِه، لَيْسَتْ كَفِعْلِ الغَرِيزَةِ

106. فَنَرْضَى مِنْ الوَجْهِ الذي هُوَ خَلقُهُ وَنَسْخَطُ مِنْ وَجْهِ اكْتِسَابِ الخَطِيئَةِ

107. وَمَعْصِيَةُ العَبْدِ الْمُكَلفِ تَرْكُهُ لِمَا أَمَرَ المَوْلى، وَإِنْ بِمَشِيئَةِ

108. فَإِنَّ إِلهَ الخَلقِ حَقٌّ مَقَالُهُ بِأَنَّ العِبَادَ فِي جَحِيمٍ وَجَنَّةِ

109. كَمَا أَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ هَكَذَا بَل البُهْمُ فِي الآلامِ أَيْضًا وَنِعْمَةِ

110. وَحِكْمَتُهُ العُلْيَا اقْتَضَتْ مَا اقْتَضَتْ مِنْ ال فُرُوقِ بِعِلمٍ ثُمَّ أَيْدٍ وَرَحْمَةِ

111. يَسُوقُ أُولِي التَّعْذِيبِ بِالسَّبَبِ الذي يُقَدِّرُهُ نَحْوَ العَذَابِ بِعِزَّةِ

112. وَيَهْدِي أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ نَعِيمِهِمْ بِأَعْمَالِ صِدْقٍ، فِي رَجَاءٍ وَخَشْيَةِ

113. وَأَمْرُ إِلهِ الخَلقِ بَيْن مَا بِهِ يَسُوقُ أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ السَّعَادَةِ

114. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَثَّرَتْ أَوَامِرُهُ فِيهِ بِتَيْسِيرِ صَنْعَةِ

115. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ لَمْ يَنَل بِأَمْرٍ وَلا نَهْيٍ بِتَقْدِيرِ شِقْوَةِ

116. وَلا مَخْرَجٌ للعَبْدِ عَمَّا بِهِ قُضِيَ وَلَكِنَّهُ مُخْتَارُ حُسْنٍ وَسَوْأَةِ

117. فَلَيْسَ بِمَجْبُورٍ عَدِيمِ الإِرَادَةِ وَلَكِنَّهُ شَاءَ بِخَلقِ الإِرَادَةِ

118. وَمِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ: خَلقُ مَشِيئَةٍ بِهَا صَارَ مُخْتَارَ الهُدَى بِالضَّلالَةِ

119. فَقَوْلُكَ: هَل اخْتَارَ تَرْكًا لِحِكْمَةٍ؟ كَقَوْلِكَ: هَل اخْتَارَ تَرْكَ المَشِيئَةِ؟

120. وَأَخْتَارُ أَنْ لا اخْتَارَ فِعْلَ ضَلالَةٍ وَلَوْ نِلتُ هَذَا التَّرْكَ فُزْتُ بِتَوْبَةِ

121. وَذَا مُمْكِنٌ، لكِنَّهُ مُتَوَقِّفٌ عَلى مَا يَشَاءُ اللهُ مِنْ ذِي المَشِيئَةِ

122. فَدُونَكَ فَافْهَمْ مَا بِهِ قَدْ أَجَبْتَ مِنْ مَعَانٍ إِذَا انْحَلتْ بِفَهْمِ غَرِيزَةٍ

123. أَشَارَتْ إِلى أَصْلٍ يُشِيرُ إِلى الهُدَى وَللهِ رَبُّ الخَلقِ أَكْمَلُ مِدْحَةِ

124. وَصَلى إِلهُ الخَلقِ جَل جَلالُهُ عَلى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ البَرِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السابعة عشر (17)

عنوان المحاضرة

(شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ابن تيمية)

البحث المطلوب

شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ابن تيمية في سبع صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

(شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ابن تيمية)

- **سُؤَالٌ عَنْ القَدَرِ من أَحَدُ عُلمَاءِ الذِّمَّة لابن تيمية؟**

أَيَا عُلمَاءَ الدِّينِ، ذِمِّيُّ دِينِكُمْ ... تَحَيَّرَ دُلُّوهُ بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ

إِذَا مَا قَضَى رَبِّي بِكُفْرِي بِزَعْمِكُمْ ... وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي، فَمَا وَجْهُ حِيلَتِي؟

دَعَانِي، وَسَدَّ البَابَ عَنِّي، فَهَل إلى ... دُخُولِي سَبِيلٌ؟ بَيِّنُوا لي قَضِيَّتِي

قَضَى بِضَلالِي، ثُمَّ قَال: ارْضَ بالقضا ... فَمَا أَنَا رَاضٍ بِالَذِي فِيهِ شِقْوَتِي

فَإِنْ كُنْتُ بِالمَقْضِيِّ يَا قَوْمُ رَاضِيَا ... فَرَبِّي لا يَرْضَى بِشُؤْمِ بَلِيَّتِي

فَهَل لِي رِضَا، مَا لِيْسَ يَرْضَاهُ سَيِّدِي ... فَقَدْ حِرْتُ دُلُّونِي عَلى كَشْفِ حِيرَتِي

إِذَا شَاءَ رَبِّي الكُفْرَ مِنِّي مَشِيئَةً ... فَهَل أَنَا عَاصٍ فِي اتِّبَاعِ المَشِيئَةِ؟

وَهَل لِي اخْتِيَارٌ أَنْ أُخَالفَ حُكْمَهُ؟ ... فَبَالله فَاشْفُوا بِالبَرَاهِينِ عِلتِي

فَأَجَابَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَحْمَد ابْنُ تيمية الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ:

1. سُؤَالُكَ يَا هَذَا، سُؤَالُ مُعَاندٍ ... مُخَاصِمِ رَبِّ العَرْشِ، بَارِي البَرِيَّةِ
2. فَهَذَا سُؤَالٌ، خَاصَمَ المَلأَ العُلا ... قَدِيمًا بِهِ إِبْلِيسُ، أَصْلُ البَلِيَّةِ
3. وَمَنْ يَكُ خَصْمًا للمُهَيْمِنِ يَرْجِعَنْ ... عَلى أُمِّ رَأْسٍ هَاوِيًا فِي الحَفِيرَةِ
4. وَيُدْعَى خُصُومُ اللهِ يَوْمَ مِعَادِهِمْ ... إلى النَّارِ طُرًّا، مَعْشَرَ القَدَرِيَّةِ
5. سَوَاءٌ نَفَوهُ، أَوْ سَعَوْا لِيُخَاصِمُوا ... بِهِ اللهَ، أَوْ مَارَوْا بِهِ للشَّرِيعَةِ
6. وَأَصْلُ ضَلال الخَلقِ مِنْ كُل فِرْقَةٍ ... هُوَ الخَوْضُ فِي فِعْل الإِله بِعلةِ
7. فإنهمو لَمْ يَفْهَمُوا حِكْمَةً لهُ ... فَصَارُوا عَلى نَوْعٍ مِنْ الجَاهِلِيَّةِ
8. فَإِنَّ جَمِيعَ الكَوْنِ أَوْجَبَ فِعْلهُ ... مَشِيئَةُ رَبِّ الخَلقِ بَارِي الخَلِيقَةِ
9. وَذَاتُ إِلهِ الخَلقِ وَاجِبَةٌ بِمَا ... لهَا مِنْ صِفَاتٍ وَاجِبَاتٍ قَدِيمَةِ
10. مَشِيئَتُهُ مَعَ عِلمِهِ، ثُمَّ قُدْرَةٌ ... لوَازِمُ ذَاتِ اللهِ قَاضِي القَضِيَّةِ
11. وَإِبْدَاعُهُ مَا شَاءَ مِنْ مُبْدِعَاتِهِ ... بِهَا حِكْمَةٌ فِيهِ وَأَنْوَاعُ رَحْمَةِ
12. وَلسْنَا إِذَا قُلنَا جَرَتْ بِمَشِيئَةٍ ... مِنْ المُنْكِرِي آيَاتِهِ المُسْتَقِيمَةِ
13. بَل الحَقُّ أَنَّ الحُكْمَ للهِ وَحْدَهُ ... لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ الذِي فِي الشَّرِيعَةِ
14. هُوَ المَلكُ المَحْمُودُ فِي كُل حَالةٍ ... لهُ المُلكُ مِنْ غَيْرِ انْتِقَاصٍ بِشِرْكَةِ
15. فَمَا شَاءَ مَوْلانَا الإِلهُ، فَإِنَّهُ ... يَكُونُ. وَمَا لا لا يَكُونُ بِحِيلةِ
16. وَقُدْرَتُهُ لا نَقْصَ فِيهَا، وَحُكْمُهُ ... يَعُمُّ. فَلا تَخْصِيصَ فِي ذِي القَضِيَّةِ
17. أُرِيدَ بِذَا أَنَّ الحَوَادِثَ كُلهَا ... بِقُدْرَتِهِ كَانَتْ، وَمَحْضِ المَشِيئَةِ
18. وَمَالكُنَا فِي كُل مَا قَدْ أَرَادَهُ ... لهُ الحَمْدُ حَمْدًا يَعْتَلِي كُل مِدحة
19. فَإِنَّ لهُ فِي الخَلقِ رَحْمَتَهُ سَرَتْ ... وَمَنْ حَكَمَ فَوْقَ العُقُول الحَكِيمَةِ

20. أُمُورًا يَحَارُ العَقْلُ فِيهَا إِذَا رَأَى ... مِنْ الحِكَمِ العُلْيَا وَكُل عَجِيبَةِ

21. فَنُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ عَزَّ بِقُدْرَةٍ ... وَخَلقٍ وَإِبْرَامٍ لِحُكْمِ المَشِيئَةِ

22. فَنُثْبِتُ هَذَا كُلهُ لإِلهِنَا ... وَنُثْبِتُ مَا فِي ذَاكَ مِنْ كُل حِكْمَةِ

23. وَهَذَا مَقَامٌ طَالَمَا عَجزَ الأُولى ... نَفَوْهُ وَكَرُّوا رَاجِعِينَ بِحيرَةِ

24. وَتَحْقِيقُ مَا فِيه بِتَبْيِينِ غَوْرِه ... وَتَحْرِيرِ حَقِّ الحَقِّ فِي ذِي الحَقِيقَةِ

25. هُوَ المَطْلبُ الأَقْصَى لوُرَّادِ بَحْرِه ... وَذَا عُسْرٍ فِي نَظْمِ هذي القَصِيدَةِ

26. لحَاجَتِه إلى بَيَانٍ مُحَقِّقٍ ... لأَوْصَافِ مَوْلاَنَا الإِلهِ الكَرِيمَةِ

27. وَأَسْمَائِه الحُسْنَى، وَأَحْكَامِ دِينِه وَأَفْعَالِه فِي كُل هذي الخَلِيقَةِ

28. وَهَذَا بِحَمْدِ اللهِ قَدْ بَانَ ظَاهِرًا ... وَإِلهَامُهُ للخَلقِ أَفْضَلُ نِعْمَةِ

29. وقد قِيل فِي هَذَا وَخَطُّ كِتَابِه ... بَيَانُ شِفَاءٍ للنُّفُوسِ السَّقِيمَةِ

30. فَقَوْلُكَ: لِمَ قَدْ شَاءَ؟ مِثْلُ سُؤَالِ مَنْ ... يَقُولُ: فَلِمَ قَدْ كَانَ فِي الأَزَلِيَّةِ

31. وَذَاكَ سُؤَالٌ يُبْطِلُ العَقْلُ وَجْهَهُ ... وَتَحْرِيمُهُ قَدْ جَاءَ فِي كُل شِرْعَةِ

32. وَفِي الكَوْنِ تَخْصِيصٌ كَثِيرٌ يَدُلُّ مَنْ ... لهُ نَوْعُ عَقْلٍ: أَنَّهُ بِإِرَادَةِ

33. وَإِصْدَارُهُ عَنْ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ ... أَوْ القَوْلُ بِالتَّجْوِيزِ رَمْيَةُ حِيرَةِ

34. وَلا رَيْبَ فِي تَعْلِيقِ كُل مُسَبَّبٍ ... بِمَا قَبْلهُ مِنْ عِلةٍ موجبية

35. بَل الشَّأْنُ فِي الأَسْبَابِ، أَسْبَابُ مَا تَرَى ... وَإِصْدَارُهَا عَنْ الحُكْمِ مَحْضُ المَشِيئَةِ

36. وَقَوْلُكَ: لِمَ شَاءَ الإِلهُ؟ هُوَ الذي ... أَزَل عُقُول الخَلقِ فِي قَعْرِ حُفْرَةِ

37. فَإِنَّ المَجُوسَ القَائِلِينَ بِخَالقٍ ... لنَفْعٍ، وَرَبٍّ مُبْدِعٍ للمَضَرَّةِ

38. سُؤَالُهُمْ عَنْ عِلةِ السِّرِّ، أَوْقَعَتْ ... أَوَائِلهُمْ فِي شُبْهَةِ الثنوية

39. وَإِنَّ ملاحيد الفَلاسِفَةِ الأُولى ... يَقُولُونَ بِالفِعْلِ القَدِيمِ لعِلةِ

40. بَغَوْا عِلةً للكَوْنِ بَعْدَ انْعِدَامِه ... فَلمْ يَجِدُوا ذَاكُمْ، فَضَلُّوا بِضَلةِ

41. وَإِنَّ مبادي الشَّرِّ فِي كُل أُمَّةٍ ... ذَوِي ملةٍ مَيْمُونَةٍ نَبَوِيَّةِ

42. بخوضهم فِي ذَاكُمو، صَارَ شِرْكُهُمْ ... وَجَاءَ دُرُوسُ البَيِّنَات بِفَتْرَةِ

43. وَيَكْفِيكَ نَقْضًا أَنَّ مَا قَدْ سَأَلتَهُ ... مِنْ العُذْرِ مَرْدُودٌ لدَى كُل فِطْرَةِ

44. فَأَنْتَ تَعِيبُ الطَّاعِنِينَ جَمِيعَهُمْ ... عَلَيْكَ، وَتَرْمِيهِمْ بِكُل مَذَمَّةِ

45. وَتَنْحَلُ مَنْ وَالاكَ صَفْوَ مَوَدَّةٍ ... وَتُبْغِضُ مَنْ ناواك مِنْ كُل فِرْقَةِ

46. وَحَالُهُمْ فِي كُل قَوْلٍ وَفِعْلةٍ ... كَحَالكَ يَا هَذَا بِأَرْجَحِ حُجَّةِ

47. وَهَبْكَ كَفَفْتَ اللوْمَ عَنْ كُل كَافِرٍ ... وَكُل غَوِيٍّ خَارِجٍ عَنْ مَحَبَّةِ

48. فَيَلزَمُكَ الإِعْرَاضُ عَنْ كُل ظَالمٍ ... عَلى النَّاسِ فِي نَفْسٍ، وَمَالٍ، وَحُرْمَةِ

49. وَلا تَغْضَبَنْ يَوْمًا عَلى سَافِكٍ دَمًا ... وَلا سَارِقٍ مَالا لصَاحِبِ فَاقَةِ

50. وَلا شَاتِمٍ عِرْضًا مَصُونًا، وَإِنْ عَلا ... وَلا نَاكِحٍ فَرْجًا عَلى وَجْه غِيَّةِ

51. وَلا قَاطِعٍ للنَّاسِ نَهْجَ سَبِيلهِمْ ... وَلا مُفْسِدٍ فِي الأَرْضِ فِي كُل وجهة

52. وَلا شَاهِدٍ بِالزُّورِ إِفْكًا وَفِرْيَةً ... وَلا قَاذِفٍ للمُحْصَنَاتِ بِزَنْيَةِ

53. وَلا مُهْلكٍ للحَرْثِ وَالنَّسْل عَامِدًا ... وَلا حَاكِمٍ للعَالمِينَ بِرِشْوَةِ

54. وَكُفَّ لسَانَ اللوْمِ عَنْ كُل مُفْسِدٍ ... وَلا تَأْخُذَنْ ذَا جرمة بِعُقُوبَةِ

55. وَسَهِّل سَبِيل الكَاذِبِينَ تَعَمُّدًا ... عَلى رَبِّهِمْ، مِنْ كُل جَاءٍ بِفِرْيَةِ

56. وَإِنْ قَصَدُوا إِضْلال مَنْ يَسْتَجِيبُهُمْ ... بِرَوْمِ فَسَادِ النَّوْعِ ثُمَّ الرِّيَاسَةِ

57. وَجَادِل عَنْ المَلعُونِ، فِرْعَوْنَ، إِذْ طَغَى ... فَأُغْرِقَ فِي اليَمِّ انْتِقَامًا بِغَضْبَةِ

58. وَكُلِ كَفُورٍ مُشْرِكٍ بِإِلهِهِ ... وَآخَرَ طَاغٍ كَافِرٍ بِنُبُوَّةِ

59. كَعَادٍ، ونمروذ، وَقَوْمٍ لصَالحٍ ... وَقَوْمٍ لنُوحِ، ثُمَّ أَصْحَابِ أَيْكَةِ

60. وَخَاصِمْ لمُوسَى، ثُمَّ سَائِرِ مَنْ أَتَى ... مِنْ الأَنْبِيَاءِ مُحْيِيًا للشَّرِيعَةِ

61. عَلى كَوْنِهِمْ قَدْ جَاهَدُوا النَّاسَ إِذْ بَغَوْا ... وَنَالُوا مِنْ المَعَاصِي بَلِيغَ العُقُوبَةِ

62. وَإِلا فَكُلُّ الخَلقِ فِي كُل لفْظَةٍ ... وَلَحْظَةِ عَيْنٍ، أَوْ تَحَرُّكِ شَعْرَةِ

63. وَبَطْشَةِ كَفٍّ، أَوْ تَخَطِّي قُدِيمَةٍ ... وَكُل حَرَاكٍ، بَل وَكُل سَكِينَةِ

64. همو تَحْتَ أَقْدَارِ الإِلهِ وَحُكْمِه ... كَمَا أَنْتَ فِيمَا قَدْ أَتَيْتَ بِحُجَّةِ

65. وَهَبْكَ رَفَعْتَ اللوْمَ عَنْ كُل فَاعِلٍ ... فِعَالا رَدًى، طَرْدًا لهذي المَقِيسَةِ

66. فَهَل يُمْكِنُ رَفْعُ المَلامِ جَمِيعِه ... عَنْ النَّاسِ طَرًّا عِنْدَ كُل قَبِيحَةِ؟

67. وَتَرْكُ عُقُوبَاتِ الذِينَ قَدْ اعْتَدَوْا ... وَتَرْكُ الوَرَى الإِنْصَافَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ

68. فَلا تُضْمَنَنْ نَفْسٌ وَمَالٌ بِمِثْله ... وَلا يُعْقَبَنْ عَادٌ بِمِثْل الجَرِيمَةِ

69. وَهَل فِي عُقُول النَّاسِ، أَوْ فِي طِبَاعِهِمْ ... قَبُولٌ لقَوْل النَّذْل: مَا وَجْهُ حِيلتِي؟

70. وَيَكْفِيكَ نَقْضًا مَا بِجِسْمِ ابْنِ آدَمَ ... صَبِيٍّ، وَمَجْنُونٍ، وَكُل بَهِيمَةِ

71. مِنْ الأَلمِ المَقْضِيِّ فِي غَيْرِ حِيلةٍ ... وَفِيمَا يَشَاءُ اللهُ أَكْمَلُ حِكْمَةِ

72. إِذَا كَانَ فِي هَذَا لهُ حِكْمَةٌ، فَمَا يُظَنُّ بِخَلقِ الفِعْل، ثُمَّ العُقُوبَةِ؟

73. وَكَيْفَ، وَمِنْ هَذَا عَذَابٌ مُوَلَّدٌ ... عَنْ الفِعْل، فِعْل العَبْد عِنْدَ الطَّبِيعَةِ؟

74. كَآكِل سُمٍّ، أَوْجَبَ المَوْتَ أَكْلُهُ ... وَكُلٌّ بِتَقْدِيرٍ لرَبِّ البَرِيَّةِ

75. فَكُفْرُكَ يَا هَذَا؛ كَسُمٍّ أَكَلتَهُ ... وَتَعْذِيبُ نَارٍ. مِثْلُ جَرْعَةِ غُصَّةِ

76. أَلسْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الدَّارِ مَنْ جَنَى ... يُعَاقَبُ. إِمَّا بِالقضا. أَوْ بِشِرْعَةِ؟

77. وَلا عُذْرَ للجَانِي بِتَقْدِيرِ خَالقٍ ... كَذَلكَ فِي الأُخْرَى بِلا مَثْنَوِيَّةِ

78. وَتَقْدِيرُ رَبِّ الخَلقِ للذَّنْبِ مُوجِبٌ ... لتَقْدِيرِ عُقْبَى الذَّنْبِ إِلا بِتَوْبَةِ

79. وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ المَتَابِ لرَفْعِهِ ... عَوَاقِبَ أَفْعَال العِبَاد الخَبِيثَةِ

80. كَخَيْرٍ بِهِ تُمْحَى الذُّنُوبُ. وَدَعْوَةٍ ... تُجَابُ مِنْ الجَانِي. وَرَبِّ شَفَاعَةِ

81. وَقَوْلُ حَلِيفِ الشَّرِّ: إِنِّي مُقَدَّرٌ ... عَليَّ. كَقَوْل الذِّئْبِ: هذي طَبِيعَتِي

82. وَتَقْدِيرُهُ للفِعْل يَجْلبُ نِقْمَةً ... كَتَقْدِيرِهِ الأَشْيَاءَ طُرًّا بِعِلةِ

83. فَهَل يَنْفَعَنْ عُذْرُ المَلُومِ. بِأَنَّهُ ... كَذَا طَبْعُهُ. أَمْ هَل يُقَالُ لِعَثْرَةِ؟

84. أَمْ الذَّمُّ وَالتَّعْذِيبُ أَوْكَدُ للذي ... طَبِيعَتُهُ فِعْلُ الشُّرُورِ الشَّنِيعَةِ؟

85. فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُجَابَ بِمَا عَسَى ... يُنْجِيكَ مِنْ نَارِ الإِلهِ العَظِيمَةِ

86. فَدُونَكَ رَبُّ الخَلقِ، فَاقْصِدْهُ ضَارِعًا ... مُرِيدًا لأَنْ يَهْدِيَكَ نَحْو الحَقِيقَةِ

87. وَذَلل قِيَادَ النَّفْسِ للحَقِّ، وَاسْمَعَنْ ... وَلا تُعْرِضَنْ عَنْ فِكْرَةٍ مُسْتَقِيمَةِ

88. وَمَا بَانَ مِنْ حَقٍّ فَلا تَتْرُكَنَّهُ ... وَلا تَعْصِ مَنْ يَدْعُو لأَقْوَمِ شِرْعَةِ

89. وَدَعْ دِينَ ذَا العَادَاتِ، لا تَتْبَعَنَّهُ ... وَعُجْ عَنْ سَبِيل الأُمَّةِ الغَضَبِيَّةِ

90. وَمَنْ ضَل عَنْ حَقٍّ فَلا تَقْفُوَنَّهُ ... وَزِنْ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ بالمَعْدلية

91. هُنَالِكَ تَبْدُو طَالعَاتٌ مِنْ الهُدَى ... تُبَشِّرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالحَنِيفِيَّةِ

92. بِمِلةِ إِبْرَاهِيمَ. ذَاكَ إِمَامُنَا ... وَدِينِ رَسُول اللهِ خَيْرِ البَرِيَّةِ

93. فَلا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ دِينًا سِوَى الذي ... بِهِ جَاءَتْ الرسل الكِرَامُ السَّجِيَّةِ

94. وَقَدْ جَاءَ هَذَا الحَاشِرُ الخَاتَمُ الذي ... حَوَى كُل خَيْرٍ فِي عُمُومِ الرِّسَالةِ

95. وَأَخْبَرَ عَنْ رَبِّ العِبَادِ بِأَنَّ مَنْ ... غَدَا عَنْهُ فِي الأُخْرَى بِأَقْبَحِ خَيْبَةِ

96. فهذي دِلالاتُ العِبَادِ لِحَائِرٍ ... وَأَمَّا هُدَاهُ فَهُوَ فِعْلُ الرُّبُوبِيَّةِ

97. وَفَقْدُ الهُدَى عِنْدَ الوَرَى لا يُفِيدُ مَنْ ... غَدَا عَنْهُ، بَل يَجْرِي بِلا وَجْه حُجَّةِ

98. وَحُجَّةُ مُحْتَجٍّ بِتَقْدِيرِ رَبِّهِ ... تَزِيدُ عَذَابًا، كَاحْتِجَاجِ مَرِيضَةِ

99. وَأَمَّا رِضَانَا بِالقَضَاءِ فَإِنَّمَا ... أُمِرْنَا بِأَنْ نَرْضَى بِمِثْل المُصِيبَةِ

100. كَسَقَمٍ، وَفَقْرٍ، ثُمَّ ذُلٍّ، وَغُرْبَةِ ... وَمَا كَانَ مِنْ مُؤْذٍ، بِدُونِ جَرِيمَةِ

101. فَأَمَّا الأَفَاعِيلُ التي كُرِهَتْ لنَا ... فَلا تُرْتَضَى، مَسْخُوطَةً لِمَشِيئَةِ

102. وَقَدْ قَال قَوْمٌ مِنْ أُولِي العِلمِ لا رِضًا ... بِفِعْل المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ الكَبِيرَةِ

103. وَقَال فَرِيقٌ: نَرْتَضِي بِقَضَائِهِ ... وَلا نَرْتَضِي المَقْضِيَّ أَقْبَحَ خِصْلةِ

104. وَقَال فَرِيقٌ نَرْتَضِي بِإِضَافَةٍ ... إليْهِ. وَمَا فِينَا فَنُلقِي بِسَخْطَةِ

105. كَمَا أَنَّهَا للرَّبِّ خَلقٌ، وَأَنَّهَا ... لِمَخْلُوقِهِ، لَيْسَتْ كَفِعْل الغَرِيزَةِ

106. فَنَرْضَى مِنْ الوَجْهِ الذِي هُوَ خَلقُهُ ... وَنَسْخَطُ مِنْ وَجْهِ اكْتِسَابِ الخَطِيئَةِ

107. وَمَعْصِيَةُ العَبْدِ المُكَلفِ تَرْكُهُ ... لِمَا أَمَرَ المَوْلى، وَإِنْ بِمَشِيئَةِ

108. فَإِنَّ إِلهَ الخَلقِ حَقٌّ مَقَالُهُ ... بِأَنَّ العِبَادَ فِي جَحِيمٍ وَجَنَّةِ

109. كَمَا أَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ هَكَذَا ... بَل البُهْمُ فِي الآلامِ أَيْضًا وَنِعْمَةِ

110. وَحِكْمَتُهُ العُليَا اقْتَضَتْ مَا اقْتَضَتْ مِنْ ال ... فُرُوقِ بِعِلمٍ ثُمَّ أَيْدٍ وَرَحْمَةِ

111. يَسُوقُ أُولِي التَّعْذِيبِ بِالسَّبَبِ الذِي ... يُقَدِّرُهُ نَحْوَ العَذَابِ بِعِزَّةِ

112. وَيَهْدِي أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ نَعِيمِهِمْ ... بِأَعْمَال صِدْقٍ، فِي رَجَاءٍ وَخَشْيَةِ

113. وَأَمْرُ إِلهِ الخَلقِ بَيِن مَا بِهِ ... يَسُوقُ أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ السَّعَادَةِ

114. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل السَّعَادَةِ أَثَّرَتْ ... أَوَامِرُهُ فِيهِ بِتَيْسِيرِ صَنْعَةِ

115. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْل الشَّقَاوَةِ لمْ يَنَل ... بِأَمْرٍ وَلا نَهْيٍ بِتَقْدِيرِ شِقْوَةِ

116. وَلا مَخْرَجٌ للعَبْدِ عَمَّا بِهِ قُضِي ... وَلكِنَّهُ مُخْتَارُ حُسْنٍ وَسَوْأَةِ

117. فَليْسَ بِمَجْبُورٍ عَدِيمِ الإِرَادَةِ ... وَلكِنَّهُ شَاءَ بِخَلقِ الإِرَادَةِ

118. وَمِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ خَلقُ مَشِيئَةٍ ... بِهَا صَارَ مُخْتَارَ الهُدَى بِالضَّلالةِ

119. فَقَوْلُكَ: هَل اخْتَارُ تَرْكًا لِحِكْمَةٍ؟ ... كَقَوْلكَ: هَل اخْتَارُ تَرْكَ المَشِيئَةِ؟

120. وَأَخْتَارُ أَنْ لا اخْتَارُ فِعْلَ ضَلالةٍ ... وَلوْ نِلت هَذَا التَّرْكَ فُزْتُ بِتَوْبَةِ

121. وَذَا مُمْكِنٌ، لكِنَّهُ مُتَوَقِّفٌ ... عَلى مَا يَشَاءُ اللهُ مِنْ ذِي المَشِيئَةِ

122. فَدُونَك فَافْهَمْ مَا بِهِ قَدْ أُجَبْتَ مِنْ ... مَعَانٍ إِذَا انْحَلتْ بِفَهْمِ غَرِيزَةِ

123. أَشَارَتْ إِلى أَصْلٍ يُشِيرُ إِلى الهُدَى ... وَللهِ رَبُّ الخَلقِ أَكْمَلُ مِدْحَةِ

124. وَصَلى إِلهُ الخَلقِ جَل جَلالُهُ ... عَلى المُصْطَفَى المُخْتَارِ خَيْرِ البَرِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثامنة عشر (18)

عنوان المحاضرة

الفرار من القدر إلى القدر أفرارا

من قدر الله يا عمر؟

- كيف فهم الصحابة العلاقة بين القدر وتأثير الأخذ بالأسباب؟
- لا عدوى ولا طيرة وفر من المجذوم فرارك من الأسد
- حكم الرجل المبتلى الذي سكن في دار بين قوم أصحاء.
- القدر وعلاقته بالاستسقاء بالأنواء.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.net- www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثامنة عشر (17)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثامنة عشر (18)

عنوان المحاضرة

الفرار من القدر إلى القدر أفرارا

من قدر الله يا عمر؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...

فإن القضاء والقدر أمر حتمي، وتدبير كوني، ومشيئة واقعة لا محالة، سواء أخذ المرء بالأسباب أو ترك الأخذ بها، فالمقضي واقع لا محالة، وإنما الأخذ بالأسباب لإظهار الحكمة في توجيه الخطاب، وإيضاح الأحكام من واجب واستحباب، وحرام ومكروه ومتروك لذوي الألباب، فعلى الأحكام يترتب الثواب والعقاب، والعرض والحساب والنعيم والعذاب، فالأسباب قدرها الله عز وجل بحيث يدفع بعضها بعضا، ويتوالى بعضها إثر بعض، وكلها بخلق الله وقدرته، وعلمه ومشيئته، وهذا اعتقاد السلف الصالح في علاقة القدر بالأسباب، يأخذون بها ويؤمنون بما دون في أم الكتاب.

- **كيف فهم الصحابة العلاقة بين القدر وتأثير الأخذ بالأسباب؟**

روى الإمام البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **خَرَجَ إِلى الشَّأْمِ** – سنة سبع عشرة ليتفقد فيها أحوال الرعية وأمرائهم وكان ذلك بعد ذهابه لبيت المقدس في السنة التي قبلها – **حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ** – قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز – **لقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ** – وأصحابه هم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص – **فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ** – المسمى طاعون عمواس وفيها بؤرة انتشار المرض– **قَال ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَال عُمَرُ ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ** – وهم الذين صلوا إلى القبلتين – **فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلفُوا، فَقَال بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَال**

بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ وَلا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلى هَذَا الوَبَاءِ.

فَقَال : ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَال: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلكُوا سَبِيل المُهَاجِرِينَ وَاخْتَلفُوا كَاخْتِلافِهِمْ.

فَقَال ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَال: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ – الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح – **فَدَعَوْتُهُمْ فَلمْ يَخْتَلفْ مِنْهُمْ عَليْهِ رَجُلانِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلى هَذَا الوَبَاءِ. فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَليْهِ .**

قَال أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟

فَقَال عُمَرُ : لوْ غَيْرُكَ قَالهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ – لم أتعجب منه ولكني أتعجب منك مع علمك وفضلك كيف تقول هذا؟ أو لو أن غيرك ممن لا فهم له إذا قال ذلك يعذر؟ – **نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلى قَدَرِ اللهِ.**

أَرَأَيْتَ لوْ كَانَ لكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لهُ عُدْوَتَانِ – العدوة هو المكان المرتفع من الوادي وهو شاطئه – **إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَليْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ.**

قَال: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَال: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلمًا سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَليْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ). قَال فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ.

فلامحيص للإنسان عما قدر الله له وعليه، لكن أمرنا الله تعالى بالحذر من المخاوف والمهلكات، وباستفراغ الوسع في التوقي من المكروهات.

قال ابن جرير الطبري: (ولا نعلم خلافا أن الكفار أو قطاع الطرق، إذا قصدوا بلدة، وكان لا طاقة لأهلها بهم، فلهم أن يتنحوا من بين أيديهم فرارا، وإن كانت الآجال المقدرة لا تزيد ولا تنقص) .

وقول رسول الله ﷺ: (**إذا سمعتم به بأرض فلا تَقدموا عليه، وإذا وَقع بأرض وأنتم بها**

فلا تخرُجوا فِراراً منه) .

يعني أنه إذا كان الوباء بأرض فلا يقدم عليه أحد أخذا بالحزم والحذر والتحرز من مواضع الضرر، ودفعا للأوهام المشوشة لنفس الإنسان، وفي الدخول عليه الهلاك، وذلك لا يجوز في حكم الله تعالى، فإن صيانة النفس عن المكروه واجبة، وكذلك الخوف من سوء الاعتقاد: بأن يقول القائل لولا دخولي في هذا المكان لما نزل بي مكروه.

أما النهي عن الفرار منه فقيل: إنما نهي عن الفرار منه لأن الكائن بالموضع الذي فيه الوباء، لعله قد أخذ بحظ منه لاشتراك أهل ذلك الموضع في سبب ذلك المرض العام، فلا فائدة لفراره بل يضيف إلى ما أصابه من مباديء الوباء مشقات السفر، فتتضاعف الآلام ويكثر الضرر، فيهلكون بكل طريق ويطرحون في كل فجوة ومضيق.

قال ابن مسعود الطاعون فتنة على المقيم والفار، فأما الفار فيقول: فبفراري نجوت، وأما المقيم فيقول أقمت فمت.

وعند البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون **فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلهُ اللهُ رَحْمَةً للمُؤْمِنِينَ فَليْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلدِهِ صَابِرًا يَعْلمُ أَنَّهُ لنْ يُصِيبَهُ إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لهُ إِلا كَانَ لهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**.

فالإسلام جاء بحسن الاعتقاد في الله، والإيمان قضائه وقدره، وجاء أيضا بمقتضى العقل والأخذ بالأسباب.

- **لا عدوى ولا طيرة وفر من المجذوم فرارك من الأسد**

روى البخاري من حديث أبي هريرة ◐ أن رسول الله ﷺ قال: (**لا عدْوَى ولا طيرَةَ، ولا هامَةَ ولاَ صفَرَ، وفِرَّ من المَجْذُومِ كما تفرُّ الأسد**) .

فالنبي ﷺ أراد بقوله (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) نفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية من الاعتقادات الباطلة التي تؤثر في القلب، وتضعف حسن الظن بالله، بل قد تزيله، وقد يكون معها نسبة الله جل وعلا إلى النقص، إما بنفي القدرة، وإما بالشرك، فقد يجعل

شريكا آخر معه في العبادة أو في التأثير، ومن هنا قال رسول الله ﷺ (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) فقوله: (لا عدوى) يعني لا عدوى مؤثرة بطبعها لأن أهل الجاهلية، كانوا يعتقدون أن العدوى تؤثر بنفسها تأثيرا لا مرد له، وتأثيرا لا صارف له.

وقوله ﷺ: (لا عدوى) لا ينفي أصل وجود العدوى، وهي انتقال المرض من المريض إلى الصحيح بسبب المخالطة بينهما، فإن الانتقال بسبب المخالطة حاصل ملاحظ مشهود، لكنه ﷺ بقوله: (لا عدوى) لا ينفي أصل وجودها، وإنما ينفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية في العدوى، فالمرض لا ينتقل من المريض إلى الصحيح عند مخالطة الصحيح للمريض بنفسه، وإنما انتقاله وإصابة الصحيح بالمرض عند المخالطة إنما هو بقضاء الله وبقدره، وقد يكون الانتقال وقد لا يكون، فليس كل مرض معد يجب أن ينتقل من المريض إلى الصحيح، بل إذا أذن الله بذلك انتقل، وإذا لم يأذن لم ينتقل، فهو واقع بقضاء الله وقدره، فالعدوى أو انتقال المرض، من المريض للصحيح سبب من الأسباب التي يحصل بها قضاء الله وقدره، لكنها ليست لازما حتميا كما كان يعتقد أهل الجاهلية، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في الأخذ بالأسباب: (لا يورد ممرض على مصح، ولا يُورد ممرض على مصح).

روي مسلم من حديث ابن شهاب أن أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ⓞ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُول اللهِ قَال: (**لاَ عَدْوَى ؟ ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّهُ قَال: لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلى مُصِحٍ. قَال أَبُو سَلمَةَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ⓞ يُحَدِّثُهُمَا كِلتَيْهِمَا عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ، ثُمَّ صَمَتَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلهِ: لاَ عَدْوَى، وَأَقَامَ عَلى أَنْ لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلى مُصِحٍ، قَال أبو سلمة بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَال الحَارِثُ بْنُ أَبِي ذِبَابٍ (وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ ⓞ: قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُكَ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تُحَدِّثُنَا مَعَ هَذَا الحَدِيثِ حَدِيثاً آخَرَ. قَدْ سَكَتَّ عَنْهُ. كُنْتَ تَقُولُ: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ عَدْوَى، فَأَبَى، أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلكَ، وَقَال: لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلى مُصِحٍ فَمَا رَآهُ الحَارِثُ فِي ذَلكَ حَتَّى غَضِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ ⓞ فَرَطَنَ بِالحَبَشِيَّةِ. فَقَال للحَارِثِ: أَتَدْرِي مَاذَا قُلتُ؟ قَال: لاَ. قَال أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلتُ: أَبَيْتُ. قَال أَبُو سَلمَةَ: وَلعمْرِي لقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ⓞ يُحَدِّثُنَا أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: لاَ عَدْوَى، فَلاَ أَدْرِي أَنَسِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ، أَوْ نَسَخَ أَحَدُ القَوْليْنِ الآخَرَ؟**) .

ومعنى لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلى مُصِحٍ، أن الإبل المريضة لا تورد على الإبل الصحيحة، لأن

الخلطة سبب لانتقال المرض من الإبل المريضة إلى الصحيحة، وهذا فيه إثبات لوجود العدوى، ولكنه إثبات لسبب، والسبب يتقى، لأنه قد يحصل منه المكروه، كما أنه إذا باشر المرء أسباب الهلاك حصل له الهلاك بقدر الله، كما أنه إذا أكل حصل له الشبع، وإذا شرب حصل له الري، فذلك كله لأنها أسباب.

وقال ﷺ: (وفرَّ من المجذوم فرارك من الأسد). لأن المخالطة سبب لانتقال المرض من المجذوم إلى الصحيح، وأكل مرة مع الجذوم وأدخل يده معه في الطعام، ليبين أن العدوى لا تنتقل بنفسها، وأن المرء أيضا يجب عليه ألا يباشر أسباب الهلاك، ويجب عليه أيضا أن يتوكل على الله حق التوكل، وأن يعلم أن ما قدر الله لا بد وأنه كائنٌ لا محالة.

فانتقال المرض ليس بأمر حتمي وإنما هو سبب، والذين يمضي العلل بمعلولاتها والمسببات بأسبابها هو الله جل وعلا، الذي بيده ملكوت كل شيء، ثم قال ﷺ بعد قوله: (لا عدوى) قال: (ولا طيرة) لأن الطيرة التشاؤم (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَال طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَل أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) (النمل:47) والطيرة أمرٌ كان يعتقده أهل الجاهلية، بل ربما لم تسلم منه نفسٌ.

وروى الترمذي وقال حديث حسن صحيح وصححه الألباني عن عبد الله بن مسعود ❶ أن رسول الله ﷺ قال: (**الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْك ، وَمَا مِنَّا إلاّ ولكنَّ الله يُذْهِبُهُ بالتَّوَكُّل**) وقوله ﷺ: (ما منا إلا) يعني ما منا إلا تخالط الطيرة قلبه، ولهذا نجد أن أكثر الناس ربما وقع في أنفسهم بعض ظن السوء وبعض التشاؤم إما بريح مقبلة وإما بسواه.

وإذا أراد بعضهم السفر ورأى شيئا يكرهه ظن أنه سيصيبه هلاك لأنه أصابه نوع تطير، والمؤمن يجب عليه أن يتوكل على الله حق التوكل كما صلى الله عليه وسلم: (ولكن الله يذهبُه بالتوكل)، فالطيرة باطلة ولا أثر للأسباب إلا بقضاء وقدر.

ثم قال ﷺ: (**ولا هامة**) وذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أن الذي قتل يظل طائر على قبره يصيح بالأخذ بثأره، وبعضهم يعتقد أن الهامة طائر تدخل فيه روح الميت فتنتقل بعد ذلك إلى حي آخر، فمنع النبي ﷺ ذلك، لمنافاته توحيد الله بأفعاله، وهي اعتقادات جاهلي لا أصل لها.

ثم قال ﷺ: (ولا صفر) أكثر أهل العلم إلى أن معنى قوله ﷺ: (ولا صفر) يعني لا تشاءموا

بشهر صفر وهو الشهر المعروف بعد شهر الله المحرم، فقد كانوا في الجاهلية يتشاءمون بصفر ويعتقدون أنه شهر فيه حلول المكاره والمصائب، فلا يتزوج من أراد الزواج في شهر صفر لاعتقاده أنه لا يوفق، ومن أراد تجارة فإنه لا يمضي صفقته في شهر صفر لاعتقاده أنه لا يربح، ومن أراد التحرك والمضيّ في شئونه البعيدة عن بلده فإنه لا يذهب في ذلك الشهر لاعتقاده أنه شهر تحصل فيه المكاره والموبقات، ولهذا أبطل ﷺ هذا الاعتقاد الزائف فشهر صفر شهر من أشهر الله، وزمان من أزمنة الله، لا يحصل الأمر فيه إلا بقضاء الله وقدره، و لم يختص الله هذا الشهر بوقوع مكاره ولا بوقوع مصائب، بل حصلت في هذا الشهر أمور تاريخية عظمى وانتصارات عظيمة للمسلمين.

وفي حديث: (**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**) زيادات أخرى كقوله ولا نوء ولا غول، فالحاصل من الروايات ستة أشياء: العدوى والطيرة والهامة والصفر والغول والنوء، والأربعة الأول قد أفرد البخاري لكل واحد منها ترجمة مستقلة، وأما الغول فقال الجمهور: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات تتراءى للناس وتتغول لهم تغولا أي تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطل ﷺ ذلك، وأما النوء فقد كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا، فأبطل ﷺ ذلك بأن المطر إنما يقع بإذن الله لا بفعل الكواكب، وإن كانت العادة جرت بوقوع المطر في ذلك الوقت، لكن بإرادة الله تعالى وتقديره، لا صنع للكواكب في ذلك.

قال ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث: (قالوا حديثان متناقضان رويتم عن النبي ﷺ أنه قال: لا عدوى ولا طيرة، وقيل له إن النقبة تقع بمشفر البعير، فيجرب لذلك الإبل، قال فما أعدى الأول ثم رويتم لا يورد ذو عاهة على مصح وفر من المجذوم فرارك من الأسد، وأتاه رجل مجذوم ليبايعه على الإسلام، فأرسل إليه البيعة وأمره بالانصراف و لم يأذن له، وقال: الشؤم في المرأة والدار والدابة، قالوا: وهذا كله مختلف لا يشبه بعضه بعضا) .

فهم يشيرون إلى حديث البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: (لا عَدْوَى ولا صَفَرَ ولا هامة، فقال أعرابيٌّ: يا رسول الله، فما بالُ الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البَعيرُ الأجربُ فيُجْرِبها؟ فقال رسولُ الله ﷺ فمنْ أعدَى الأوَّل؟) .

وحديث مسلم بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ، قَال: (**كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**) .

وقد ذكر أبو محمد ابن قتيبة أنه ليس في هذا اختلاف، ولكل معنى منها وقت وموضع، فإذا وضع موضعه زال الاختلاف، فعدوى الجذام، فإن المجذوم يشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته، وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم، فتضاجعه في شعار واحد فيوصل إليها الأذى، وربما جذمت، والأطباء تأمر أن لا يجالس المسلول ولا المجذوم) .

وكذلك النقبة أو القرحة تكون بالبعير وهو جرب رطب فإذا خالط الإبل أو حاكها وأوى في مباركها وصل إليها بالماء الذي يسيل منه وبالنطف نحو ما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه النبي ﷺ لا يورد ذو عاهة على مصح.

- **حكم الرجل المبتلى الذي سكن في دار بين قوم أصحاء.**

وسئل ابن تيمية عن رجل مبتلى سكن في دار بين قوم أصحاء فقال بعضهم لا يمكننا مجاورتك ولا ينبغي أن تجاور الأصحاء فهل يجوز إخراجه فأجاب نعم لهم أن يمنعوه من السكن بين الأصحاء فإن النبي قال: لا يورد ممرض على مصح فنهى صاحب الإبل المريضة أن يوردها على صاحب الإبل الصحاح مع قوله لا عدوى ولا طيرة وكذلك روى أنه لما قدم مجذوم ليبايعه أرسل إليه بالبيعة و لم يأذن له في دخول المدينة.

كما أن الأمر بالفرار من المجذوم كالفرار من الأسد ليس للوجوب، بل للشفقة، لأنه ﷺ كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأي وجه كان، ويدلهم على كل ما فيه خير، أما الطاعون يترل ببلد فيخرج منه خوف العدوى. وقد قال ﷺ إذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا منه وإذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد إذا كان فيه كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله ينجيكم من الله ويريد بقوله وإذا كان ببلد فلا تدخلوه أن مقامكم في الموضع الذي لا طاعون فيه اسكن لقلوبكم وأطيب لعيشكم، ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم أو الدار فينال الرجل مكروه أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها.

وروى البخاري عن ابن عمرَ رضي الله عنه قال: (**ذكروا الشؤمَ عندَ النبيِّ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: إن كان الشؤم في شيء ففي الدارِ والمرأة والفرَس**) .

أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم (من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمسكن السوء،

والمركب السوء) وفي رواية لابن حبان (المركب الهني، والمسكن الواسع).

- **القدر وعلاقته بالاستسقاء بالأنواء.**

روى البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَال : (**صَلى لنَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ الليْلةِ، فَلمَّا انْصَرَفَ أَقْبَل عَلى النَّاسِ فَقَال: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَال رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ قَال: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَال مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَال بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**) .

وفي صحيح مسلم عن ابن عَبَّاسٍ: (**قَال مُطِرَ النَّاسُ عَلى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ أَصْبَحَ مِنْ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ قَالُوا هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ وَقَال بَعْضُهُمْ لقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا قَال فَنَزَلتْ هَذِهِ الْآيَةُ " فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لقَسَمٌ لوْ تَعْلمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالمِينَ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ") .

قال ابن الجارود في المنتقى :

(قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي أَخْبَرَ أَنَّ مِنْ عِبَادِهِ مُؤْمِنًا بِهِ وَهُوَ مَنْ أَضَافَ الْمَطَرَ إِلى فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَأَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِالْقُدْرَةِ عَلى ذَلكَ هُوَ اللهُ تَعَالى دُونَ سَبَبٍ وَلا تَأْثِيرٍ لكَوْكَبٍ وَلا لغَيْرِهِ فَهَذَا الْمُؤْمِنُ بِاللهِ تَعَالى كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُكَذِّبُ قُدْرَتَهُ عَلى شَيْءٍ مِنْ ذَلكَ وَيَجْحَدُ أَنْ يَكُونَ لهُ فِيهِ تَأْثِيرٌ وَأَنَّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ أَصْبَحَ كَافِرًا بِهِ وَهُوَ مَنْ قَال مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَأَضَافَ الْمَطَرَ إِلى النَّوْءِ وَجَعَل لهُ فِي ذَلكَ تَأْثِيرًا وَلِلْكَوْكَبِ فِعْلا).

قال تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشرِكُون) (يوسف:106)، فلا بد من الإقرار بأن الله هو الذي قدر ودبر، وأن الأسباب التي يقلبها ربنا، مثلها كمثل الآلة بيد الصانع، ألا ترى أنه لا يقال: السيف ضرب العنق ولا السوط ضرب العبد وإنما يقال: السياف ضرب العنق، وفلان ضرب فلانا بالسوط، وإن كانت هذه الأشياء أسبابا مباشرة للأفعال إلا أنها آلةٌ بيد صانعها، وكذلك الخليقة يباشرون الأسباب في ظاهر النظر عند البشر، والله من ورائهم

محيط متوحد في الربوبية، هو القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة.

وإنما ذكر الله تعالى الأسباب لأن الشرائع تتعلق بها والأحكام عائدة عليها بالثواب والعقاب، فالعبد لا بد أن يعتقد أنه لا خالق إلا الله ولا مدبر للكون سواه، وأن الرب الذي يرزق ويشفي ويحي ويميت بأسباب قادر على أن يرزق ويشفي ويحي ويميت من غير أسباب، فالأخذ بالأسباب ركن من أركان التوكل على الله فلا يضر التصرف في أسباب العيش والتكسب في أسباب الرزق والأخذ بأسباب الشفاء والنجاة من الهلاك لمن صحّ توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص ذلك من حاله.

وعند الترمذي وحسنه الألباني وفي صحيح ابن حبان أيضا عن أنس بن مالك أن رَجُلا قال للنبيِّ ﷺ: (**أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قالَ: اعْقِلها وَتَوَكَّل**) .

فالموحد يعلم أن الله تعالى قد جعل في الأسباب منافع خلقه ومفاتح رزقه وخزائن حكمته، وعلم أنه مقتد في ذلك بنبيه متبعٌ لسنته.

قال ابن تيمية: (بين صلى الله عليه وسلم أن الأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر فقيل له: "**أرأيت رقى نسترقي بها وتقى نتقي بها وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله**". فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد. ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقض في العقل والأعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع . فعلى العبد أن يكون قلبه متعمدا على الله لا على سبب من الأسباب. والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة. فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله. كما يؤدى الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جُنَّة الحرب. ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد. ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذمون. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان** ").

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة التاسعة عشر (19)

عنوان المحاضرة

النازعان والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

- المقصود بالقلب في اللغة.
- ما المقصود بالقلب الذي ورد في القرآن والسنة ؟
- وصف القلب الموجود في الصدر
- استشكال حول تعريف القلب وجوابه .
- التشابه في الأركان بين الجانب الغيبي والجانب المحسوس من القلب .
- منطقة حديث النفس مصدر الخواطر والأفكار ومحل الإلهام في الإنسان
- الدليل على أن منطقة حديث النفس في القلب؟
- الركن الأول في منطقة حديث النفس النازعان
- هوى القلب يتعلق بمشتهيات الدنيا .
- كيف يمكن التعرف على خواطر الخير والشر والتمييز بينهما ؟
- مذاهب الناس في الشهوة والاشتهاء.

أولا : مذهب المغالين في الشهوات والقائلين : نشتهي ألا تنتهي.

ثانيا: مذهب المغالين في محو الشهوات والقائلين : نشتهي ألا نشتهي.

ثالثا: مذهب السلف والاعتدال القائلين : نشتهي ولكن نحتمي.

- كيف يتخلص من وقع في الهوى وأدمن الاستجابة لهواه ؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

- **حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة التاسعة عشر (19)**

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة التاسعة عشر (19)

عنوان المحاضرة

النازعان والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، من يهد الله فهو المهتدى، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه ودربه إلى يوم الدين. أما بعد ..

تحدثنا عن مراتب القدر وعلمنا أن المقصود بهذه المراتب عند السلف، المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة في علم الله في الأزل إلى أن يصبح واقعا مخلوقا مشهودا، وهى عندهم أربع مراتب تشمل كل صغيرة وكبيرة في الوجود، المرتبة الأولى علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة مشيئته لها، والرابعة خلقه لها وإيجادها.

ثم تحدثنا عن أنواع التقدير وبينا أنها خمسة أنواع: تقدير أزلي، وتقدير ميثاقي، وتقدير عمري، وتقدير حولي أو سنوي، وتقدير يومي، وبينا أيضا أن المقصود بأنواع التقدير هي عمليه تنظيم أمور الكون من خلال تلك التقديرات التي تتعلق بجميع المخلوقات أو تتعلق ببعضها في عمومها وخصوصها، وأن هذا التنوع في أنواع التقدير إنما هو لإظهار حكمة الله في خلقه، فالله عز وجل حكيم في صنعه، والحكمة صفته، ومقتضى الحكمة أن تقع الصنعة على وجه الكمال والإتقان.

ثم تحدثنا أيضا عن أنواع التدبير، وبينا أن تدبير الله لخلقه نوعان: النوع الأول، تدبير كوني، وهو قضاء الله وقدره، وفعله في خلقه، تدبير قدري حتمي الوقوع، تدبير جبري واقع على كل مصنوع، لا يمكن لأحد رده أو صده، ما شاء الله فيه كان، وما لم يشأ لم يكن، تدبير متعلق بربوبية الله لخلقه.

أما النوع الثاني فهو التدبير الشرعي الديني، وهو تدبير تكليفي اختياري، تدبير خاص بشريعة

وهداية وبيان، تدبير من الله لصالح الجن والإنسان، تدبير يظهر من خلاله معاني الكفر والإيمـــان، ويتميز من خلاله أهل العصيان وأهل الإيمان، ويترتب عليه الثواب والعقاب، والعرض والحساب، والنعيم والعذاب .

وعلمنا أيضا أن السلف الصالح يؤسسون فهمهم للقضاء والقدر على توحيد الربوبية، وإفـــراد الله بالخالقية، فيستحيل عندهم حدوث شيء أو فعل بدون علم الله وقدرته، فهو سبحانه وتعالى عالم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لو كان كيف يكون .

ومن شروط صحة إيمان العبد أن يصدق بجميع أقدار الله تعالى خيرها وشرها، أنهـــا مـــن الله تعالى، سابقة في علمه جارية في خلقه، واقعة بحكمه، فلا حول له عن معصيته إلا بعصـــمته، ولا قوة له على طاعته إلا برحمته، ولا يستطع لنفسه ضرا ولا نفعا إلا بمشيئته .

وهذا الجانب الذي ذكرناه من مراتب القدر، وأنواع التقدير والتدبير، نرد به على كل قدري ينفي تقدير الله السابق، وينفي خلقه لكل صغيرة وكبيرة في العالم، سواء كانت خيرا أو شـــــرا، إيمانا أو كفرا، فالمعتزلة الذين قالوا إن العبد يخلق فعله، كذبوا على ربهم بجهلهم، إثباتا لقـــدرتهم وتعظيما لنفوسهم، حيث نسبوا إلى أنفسهم أنهم يشاركون الله في الخلق والتقدير، ولم يؤمنوا بأن الله هو المنفرد بالخلق والتدبير.

كما قال تعالى: (**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي الليْل النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ**) (الأعراف:54) .

- **خلق الاختيار في الإنسان من مظاهر الحكمة الإلهية:**

واليوم نبدأ معكم حديثنا عن خلق الاختيار في الإنسان ومقومات الحرية والمسئولية وكيف أنها من مظاهر الحكمة الإلهية، وأدلة اختياره للكفر والإيمان، ردا على الجبرية الذين يقولـــون بـــأن الإنسان مسير مجبور، وليس له اختيار مقبول أو جزاء معقول، وذلك حتى نره الكمال في تركيب الإنسان، وكيف ابتلاه بين الكفر والإيمان، وأنه يقلب فؤاده بين إصبعين من أصابع الرحمن، كل ذلك مع كمال العدل ومنتهى الفضل، يتقلبون بين عدله وحكمته، وقدرته ومشيئته، وحجتـــه البالغة في فعله بخلقه، فحديثنا اليوم عن النازعين، والخواطر النفسية التي تنبعـــث مـــن الطرفين، والإنسان له الخيار بحرية تامة في اتباع هذين الجانبين، إرادته وكسبه بين نجدين اثنين، نجـــد الخير

والطاعة والإيمان، ونجد الشر والكفر والعصيان .

- **المقصود بالقلب في اللغة:**

خلاصة المعاني اللغوية في معنى القلب تتمثل في عدة أمور:

1. القلب يأتي بمعنى المضغة المودعة في الصدر نحو الجانب الأيسر.
2. ويأتي القلب بمعني التقليب فقلب الشيء هو صرفه من وجه إلى آخر وقلب الإنسان سمي بذلك لكثرة تقلبه.
3. وكذلك يأتي القلب بمعني اللب والخلاصة، فقلب كل شيء لبه وخلاصته وقلب الإنسان هو خلاصة ما فيه.
4. وكذلك يأتي القلب بمعني البحث والنظر في عواقب الأمور تقول: أقلب الموضوعات وأبحثها وأنظر في عواقبها وهذه أيضا صفة قلب الإنسان .

- **ما المقصود بالقلب الذي ورد في القرآن والسنة ؟**

هل هو القلب الذي نراه أم أنه قلب أخر في مكان آخر؟ والجواب على ذلك، أن القلب الذي ورد في القرآن والسنة هو هذه المضغة الكائنة في الصدر نحو الجانب الأيسر هذه المضغة بذاتها، وأدلة ذلك من القرآن قوله تعالى:

(**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) (الحج:46) .

وقوله: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (غافر:18) .

وقوله: (**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) (الزمر:22) .

وقوله: (**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**) (الأحزاب:4) .

وقوله : (**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) (النحل:106) .

وقوله : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) (الأحزاب:10) .

أما الأدلة من السنة على أنه هذه المضغة الكائنة في الصدر، ما ورد عند البخاري من حـــديث النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: (**أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلهُ أَلا وَهِيَ القَلبُ**).

وعند البخاري أيضا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِي الله عَنْهمَـــا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَة أُسْرِيَ بِه، فجاء في حديثه ﷺ : (بَيْنَمَا أَنَا فِى الحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَال فِى الحِجْرِ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِى آت فَقَدَّ قَال وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِه إِلى هَـــذِه فَقُلـــتُ للجَارُودِ وَهْوَ إِلى جَنْبِى مَا يَعْنِى بِه قَال مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِه إِلى شِعْرَتِه، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّـــه إِلى شِعْرَتِه فَاسْتَخْرَجَ قَلبِى، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِل قَلبِى ثُمَّ حُشِـــىَ، ثُـــمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْل وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ) .

وفي صحيح مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِك أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلعَبُ مَـــعَ الغِلمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عن قَلبِه فَاسْتَخْرَجَ القَلبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلقَةً فَقَـــال هَـــذَا حَـــظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلهُ فِي طَسْت مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِه وَجَاءَ الغِلمَانُ يَسْعَوْنَ إِلى أُمِّه يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِل فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللوْنِ قَال أَنس: وَقَـــدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِه.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ لعَلهُ قَال عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِه قَال قَال نَبِيُّ اللهِ ﷺ « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْت بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ أَحَدُ الثَّلاَثَـــة بَيْـــنَ الرَّجُليْنِ. فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِى فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فَشُرِحَ صَدْرِى إِلى كَـــذَا وَكَذَا ». قَال قَتَادَةُ فَقُلتُ للذِى مَعِى مَا يَعْنِى قَال إِلى أَسْفَل بَطْنِه « فَاسْتُخْرِجَ قَلبِى فَغُسِل بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حُشِىَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّة أَبْيَضَ يُقَالُ لهُ البُرَاقُ فَـــوْقَ الحِمَـــارِ وَدُونَ البَغْل يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِه فَحُملتُ عَليْه ثُمَّ انْطَلقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ فَقِيل مَنْ هَذَا قَال جِبْرِيلُ. قِيل وَمَنْ مَعَكَ قَال مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم. قِيل وَقَدْ بُعِثَ إِليْه قَال نَعَمْ قَال فَفَتَحَ لنَا وَقَال مَرْحَبًا بِه وَلنِعْمَ المَجِىءُ جَاءَ قَال فَأَتَيْنَا عَلى آدَمَ .. الحديث.

وعند مسلم من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْد قَال: (بَعَثَنَا رَسُول اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّة، فَأَدْرَكْتُ رَجُلا فَقَال: لا إِلهَ إِلا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلكَ، فَذَكَرْتُهُ للنَّبِيِّ ﷺ، فَقَال رَسُـــول اللهِـــ

ﷺ : أَقَال لا إِلهَ إلا اللهُ وَقَتَلتَهُ ؟ قَال قُلتُ: يَا رَسُول الله إِنَّمَا قَالهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قَال: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالهَا أَمْ لا ؟ فَمَا زَال يُكَرِّرُهَا عَليَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلمْتُ يَوْمَئِذٍ) .

- **وصف القلب الموجود في الصدر**

يتألف القلب من أربع غرف من الأُذَيْنَة اليسرى والبُطَين الأيسر. والأذينة اليُمنى والبُطين الأيمن، والغرف اليسرى، تحوي الدم الأحمر القاني، واليمنى تحوي الدم الأسود القاتم. والقلب يتركب كذلك من طبقات:

1- غشاء خارجي يغلف القلب هو التأمور.

2- وطبقة عضلية.

3- غشاء باطني، هو الشفاف الذي يغطي القلب من الباطن.

4- حجاب يفصل القلب الأيسر ذو الدم الأحمر القاني عن القلب الأيمن ذو الدم الأسود القاتم.

5- أوعية تصب في الأذينة اليسرى، وهي الأوردة الرئوية تحمل الدم الأحمر القاني المملوء بالأكسجين والمواد الغذائية.

6- أوعية تصب في الأذينة اليمنى وهي الوريد الأجوف العلوي والسفْلي، ويحملان الدم الأسود الممتلئ بثاني أوكسيد الفحم.

7- أوعية في البطين الأيسر، وهو شريان الأبهر الذي يحمل الدم الأحمر القاني إلى كل جزء من الجسم، حتى القلب نفسه يأخذ منه بالأوعية الأكليلية، والشريان الرئوي الذي ينشأ من البطين الأيمن، ليذهب بالدم الأسود إلى الرئة فيتصفى هناك بالمبادلات الغازية.

8- يتألف القلب من مركز تنبيه، ومولد ذاتي هي العقدة الجيبية، وتوضع في جدار الأذينة وتسمى عند علماء التشريح بصانع الخطى، تصل بواسطة حبل عصبي إلى العقدة الأذينية البطينية، ومنها حزمة عصبية تسمى حزمة هيس، تتفرع إلى الغصن الأيسر والغصن الأيمن يتفرعان إلى أغصان بوركنج التي تتوزع في عضلات البطينين.

- **استشكال حول تعريف القلب وجوابه .**

إذا كان القلب هو المضغة التي في الصدر فكيف أمكن استبداله دون تغير في شخصية الإنسان؟

بعض الأمور العملية: استطاع الأطباء إيقاف القلب تماما عن العمل لإصلاح ثقب في جداره بتاريخ 6 مايو 1953م بأمريكا.

تم تشغيل الجسم بآلة صناعية تحل محل القلب لمدة وصلت إلى خمس ساعات، وفي جنوب إفريقيا قام د/برنارد في 3-12-1967م بزراعة قلب امرأة سوداء توفيت في حادث لرجل أبيض، وكثرت هذه العمليات لدرجة أن السعودية مثلا أجري فيها 82 عملية حتى شهر يونية 1999م.

في أحد هذه العمليات تم زراعة قلب رجل فلبيني مسيحي توفي بموت دماغي لرجل سعودي مسلم، ولم يتغير السعودي المسلم في عقيدته وتعرف إلى أهله وبنيه وزوجته ولم يغير دينه إلى المسيحية . فإذا كان القلب هو المضغة التي في الصدر فكيف أمكن استبداله دون تغير في شخصية الإنسان؟

وجواب الإشكال أنه لما كان الإنسان الواحد مكونا من جانبين أحدهما مادي محسوس والآخر روحي غيبي، فإن القلب كذلك مكون من جانبين أحدهما مادي محسوس والآخر روحي غيبي، وهو الموجود في الصدر والمشار إليه في الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية. الجانب المحسوس جانب جبري مرئي لنا يمثل آلة منتظمة لضخ الدم في سائر الجسم ويمكن استبداله، أما الجانب الغيبى من القلب فهو جانب اختياري يمثل هوية الإنسان ويتبع الروح في خصائصها فلا يمكن استبداله أو ذهابه إلا بذهاب الروح.

- **التشابه في الأركان بين الجانب الغيبي والجانب المحسوس من القلب** .

مجمل ما ورد في الأدلة القرآنية والنبوية يظهر وجه الشبه الكبير بين الجانبين . فالجانب المحسوس من القلب عبارة عن عضو عضلي مرن، ينقسم إلى منطقتين، منطقة علوية، وتحتوى على أذين أيمن وأذين أيسر، ومنطقة سفلية، وتحتوى على بطين أيمن وبطين أيسر، وبين المنطقة العلوية والسفلية صمامان يمثلان عامل الأمان في ضخ الدم، فالقلب يضخ خمسة لترات في الساعة أو 7200 لتر من الدم إلى سائر البدن يوميا. ويبدأ عمله من بداية الأسبوع الرابع للجنين ويستمر دون توقف حتى الموت.

وزن القلب لدى الشخص البالغ لا يزيد عن ثلث كيلو جرام وحجمه في حجم قبضة اليد، عدد نبضات القلب في العام الواحد يزيد عن أربعين مليون نبضة، حتى الآن لا يعرف السر في العمل الميكانيكي للقلب غير أنها إرادة الله من فوق عرشه .

أما الجانب الغيبى من القلب فهو أساس كل فعل إرادي يتم في جسم الإنسان، وينقسم الجانب

الغيبى إلى منطقتين، المنطقة الأولى وهى مركز الخواطر وحديث النفس وتحتـــوى علـــى ركنين، النازعين والهاتفين، أما المنطقة الثانية فهي منطقة الكسب وأعمال القلوب وتحتوى علــــى ركنين اثنين، أعمال الخير وأعمال الشر، وبين المنطقتين صمام الأمان ويتمثل في العقل وذاكرة الإنسان .

وما يهمنا الآن دراسة الجانب الغيبى من القلب دراسة تفصيلية: فالقلب يحتوى على منطقـــتين كما ذكرنا، منطقة حديث النفس ومنطة العمل والكسب.

- **منطقة حديث النفس مصدر الخواطر والأفكار ومحل الإلهام في الإنسان**

ولنبدأ أولا بمنطقة حديث النفس، هذه المنطقة هى مصدر الخواطر والأفكار ومحل الإلهــــام في الإنسان، وهذه المنطقة لا حساب علي ما يدور فيها من الخواطر أيا كان.

وذلك لما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلي الله عليــــه وسلم قال: (**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**) وقال قَتادةُ: إذا طلق في نفسه فليس بشيءٍ، ولقوله تعالى ناسخا المساءلة عن حديث النفس: (لا يُكَلفُ اللَّهُـــ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة:286) .

وعند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أنه قَال لَمَّا نَزَلتْ عَلى رَسُول اللَّهِـــ ﷺ (**لِلَّهِـــ مَـــا فِـــي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِـــرُ لِمَـــنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ**) . قَال أبو هُرَيْرَة فَاشْتَدَّ ذَلكَ عَلى أَصْـــحَابِ رَسُول اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُول اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلى الرُّكَبِ فَقَالوا: أَيْ رَسُول اللهِ كُلفْنَا مِنَ الأَعْمَال مَا نُطِيقُ، الصَّلاةَ وَالصِّيَامَ وَالجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلتْ عَليْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطِيقُهَا .

قَال رَسُول اللهِ ﷺ : (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولوا كَمَا قَال أَهْل الكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَل قُولوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِليْكَ المَصِيرُ) .

قَالوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِليْكَ المَصِيرُ، فَلمَّا اقْتَرَأَهَا القَوْمُ ذَلتْ بِهَا أَلسِنَتُهُمْ فَـــأَنْزَل اللهُ فِي إِثْرِهَا : (آمَنَ الرَّسُول بِمَا أُنْزِل إِليْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِـــهِ وَكُتُبِـــهِ وَرُسُلهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلهِ وَقَالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِليْكَ المَصِيرُ) .

فَلمَّا فَعَلوا ذَلكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالى فَأَنْزَل اللهُ عَزَّ وَجَل: (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَـــا كَسَبَتْ وَعَليْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَال: نَعَمْ (رَبَّنَا وَلا تَحْمِل عَليْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلتَهُ عَلى الذِينَ مِنْ قَبْلنَا) قَال: نَعَمْ (رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلنَا مَا لا طَاقَةَ لنَا بِهِ) قَال: نَعَـــمْ

(وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلى القَوْمِ الكَافِرِينَ) قَال: نَعَمْ .

- **الدليل على أن منطقة حديث النفس في القلب؟**

وربما يسأل سائل ويقول: ما هو الدليل على أن منطقة حديث النفس في القلب؟ والجواب هو ما ورد في الحديث القدسي الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول اللهُ تَعَالى: (**أَعْدَدْتُ لعِبَادِي الصَّالحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلبِ بَشَرٍ**).

وروي البخاري أيضا من حديث أبي هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (**إذا نُودِيَ للصَّلاةِ أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ حتى لا يَسمعَ التَّأْذينَ، فإذا قُضِيَ النِّداءُ أقبل، حتّى إذا ثُوِّبَ بالصلاةِ أدبرَ، حتّى إذا قُضِي التثويبِ أَقبل حتى يَخْطُرَ بينَ المرءِ ونفسه يقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا لما لم يَكنْ يَذكرُ حتّى يَظل الرجلُ لا يَدرِي كم صلى**) .

وهذه الرواية وردت بلفظ آخر عند البخاري بينت أن منطقة حديث النفس في القلب: (**إذا نُوديَ بالصلاة أدْبَرَ الشيطانُ ولهُ ضُراط، فإذا قُضيَ أقبَلَ، فإذا ثُوِّبَ بها أدبَر، فإذا قُضيَ أقبل حتى يَخطِرَ بين الإنسانِ وقلبه فيقولُ: اذكُرْ كذا وكذا، حتى لا يَدري أثلاثاً صلى أم أربَعاً، فإذا لم يَدرِ ثلاثاَ صلى أو أربعاً سَجَدَ سجدتَي السَّهْو**) .

وعند البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: (**بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ لهُ فَانْطَلَقْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ قَضَيْتُهَا فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَلمْتُ عَليْهِ فَلمْ يَرُدَّ عَليَّ فَوَقَعَ فِي قَلبِي مَا اللهُ أَعْلمُ بِهِ فَقُلتُ فِي نَفْسِي لعَل رَسُول اللهِ ﷺ وَجَدَ عَليَّ أَنِّي أَبْطَأْتُ عَليْهِ ثُمَّ سَلمْتُ عَليْهِ فَلمْ يَرُدَّ عَليَّ فَوَقَعَ فِي قَلبِي أَشَدُّ مِنْ المَرَّةِ الأُولى ثُمَّ سَلمْتُ عَليْهِ فَرَدَّ عَليَّ فَقَال إِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أَرُدَّ عَليْكَ أَنِّي كُنْتُ أُصَلي وَكَانَ عَلى رَاحِلتِهِ مُتَوَجِّهًا إِلى غَيْرِ القِبْلةِ**) .

وفي حديث وابصة الأسدي الذي رواه أحمد والدارمى وهو حديث حسن قال: (أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلاّ سألته عنه وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، قالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: دعوني فأدنو منه فإنه أحبّ الناس إليّ أن أدنو منه، قال: دعوا وابصة، أدن يا وابصة ــ مرتين أو ثلاثاً ــ قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: يا وابصة أخبرك أو تسألني ؟ قلت: لا، بل أخبرني ؟ فقال: جئت تسألني عن البر والإثم ؟ فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرات، البر ما اطمأنت إليه النفس

والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)، وقد بوب الإمام مسـلم في صحيحه، بَاب تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالخَوَاطِرِ بِالقَلبِ إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ .

- **الركن الأول في منطقة حديث النفس النازعان**

الركن الأول في منطقة حديث النفس النازعان وهما غريزتان متقابلتان ونازعان متضادان ليس لأحدهما غلبة على الآخر، تنبعث منهما الخواطر في الجنان وقلوب العباد بين أصبعين من أصـابع الرحمن، الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان ومبعث التقوى والإيمان، والثاني ويسمى نازع الشر والهوى ومبعث الفجور في الإنسان.

والدليل على النازعين، ما ورد في قوله تعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) (الشمس:10).

قال ابن الجوزي: (الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جـبير: ألزمهـا فجورهـا وتقواها. وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور) .

قال ابن القيم في مدارج السالكين: (هيأ الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه مـن الأهليـة والاستعداد ثم ذكر هذه الآية ثم قال: أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى، وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارا، ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها ورفعها بآدابه الـتي أدب بهـا رسله، وأنبياءه وأولياءه، وهي التقوى، ثم حكم بالشقاء على من دسـاها فأخفاهـا وحقرهـا وصغرها وقمعها بالفجور).

قال ابن كثير: (أي إنما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه).

وموضع الاستدلال أنه لما كان الإله هو المألوه المعبود الذى يطاع في أمره عن رغبة ومحبـة، فإن هوى النفس يأمر الإنسان من خلال الخواطر والأفكار التي يبثها في القلـب، فـإن أطاعـة الإنسان في معصية الله وسارع في مرضاة نفسه وهواه فقد عبده واتخذه إلها .

قال ابن القيم : (فاذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها وإذا أراد زوالهـا عنه خذله حتى عصاه بها. ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله كأنه مستثني من هذه الجملة أو مخصوص من هذا العموم).

قال ابن تيمية: (إذا أحب عبدا ألهمه التوبة والأستغفار فلم يصر على الذنوب ومن ظـن أن

الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة بل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) أولياء الرحمن وأوليـــاء الشـــيطان ص 102 .

وقال : (فإذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه دعاءه والاستعانة به وجعل استعانته ودعاءه سببا للخير الذي قضاه له كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هـــم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه). اقتضاء الصراط – (1 / 358)

قال تعالى: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَـــيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل:19)

وعند الترمذى وحسنه عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أن النبي قال لحصين :(قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِى رُشْدِى وَأَعِذْنِى مِنْ شَرِّ نَفْسِى) .

وأغلب المفسرين على أن الله ابتلى الإنسان بإيجاد نازعين في النفس أحدهما للفجور والآخـــر للتقوى، والنازعان كائنان في منطقة حديث النفس، نازع الخير يلهمه الله خواطر الخير التي تدعوه إلى الآخرة وتحضه على تقوى الله، ونازع الشر يلهمه الهوى خواطر الشر ويحضه على الرغبة في المشتهيات حتى يعبد من دون الله، النازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشـــرها بهـــذه المنطقة .

نازع الشر هو مصدر الشهوات في الإنسان وغايته الحياة الدنيا، فالهوى يدفع النفس ونـــازع الشر فيها إلى التعلق بالحياة الدنيا ومشتهياتها حتى يعبد الإنسان هواه، كما قال تعالى: (أَفَرَأَيْـــتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَهُ اللهُ عَلى عِلمٍ) (الجاثية:23).

- **هوى القلب يتعلق بمشتهيات الدنيا .**

وقد يسأل سائل عن الدليل على أن هوى القلب يتعلق بمشتهيات الدنيا ؟ والجواب ما ورد في قوله في سورة (آل عمران:14) : (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَـــاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُـــــ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**) .

قال أبو السعود في تفسيره: (الشهوة نزوعُ النفس إلى ما تريده والمراد هاهنا المشتهَيات، عبّر عنها بالشهوات مبالغةَ كونِها مشتهاةً مرغوباً فيها كأنها نفسُ الشهوات أو إيذاناً بانْهمـــاكِهم في

حبها بحيث أحبوا شهواتِها ... والمزيِّنُ هو الباري سبحانه وتعالى إذ هو الخالقُ لجميع الأفعال والدواعي والحكمةُ في ذلك ابتلاؤهم، قال تعالى : " إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلى الارض زِينَةً لَها لنَبْلُوَهُمْ " الآية، فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كونِ تعاطيها على نهج الشريعةِ الشريفة ووسيلةً إلى بقاء النوع) .

قال ابن كثير: (يخبر تعالى عما زُيِّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام، قال : "مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلى الرِّجَال مِنَ النِّساء". فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، .. وقوله عليه السلام : (الدُّنْيَا مَتَاع، وخَيْرُ مَتَاعِهَا المرْأةُ الصَّالحةُ، إنْ نَظَرَ إليْها سَرَّتْهُ، وإنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْه، وإنْ غَابَ عَنْها حَفِظَتْه في نَفْسهَا وَمَالِه") .

وفي تفسير اللباب لابن عادل : (والعامة على بناءِ زُيِّنَ للمفعول، والفاعل المحذوف هو الله تعالى؛ لما ركب في طباع البشر من حب هذه الأشياء، وقيل : هو الشيطان، فالأوّل قول أهل السنة؛ قالوا : لو كان المزين هو الشيطان فمن ذا الذي زَيَّن الكفرَ والبدعةَ للشيطان؟ فإن كان ذلك شيطاناً آخرَ لزم التسلسل، وإن وقع ذلك من نفس ذلك الشيطان في الإنسان فليكن في الإنسان كذلك، وإن كان من الله وهو الحق - فليكن في حَقِّ الإنسان أيضاً كذلك، ويؤيده قوله تعالى : " هؤلاءِ الذين أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا" يعني إن اعتقد أحد أنَّا أغويناهم، فمَن الذي أغوانا؟ وهذا ظاهر جداً)

وفي تفسير البيضاوي : (أي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها .. والمزين هو الله تعالى لأنه الخالق للأفعال والدواعي، ولعله زينه إبتلاء، أو لأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى، أو لأنه من أسباب التعيش وبقاء النوع) .

وفي سورة (الحديد:20) (اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلادِ كَمَثَل غَيْث أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الغُرُورِ) .

وفي سورة (محمد:36) (إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلكُمْ أَمْوَالكُمْ) .

وفي سورة (النازعات:41) (فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى وَأَمَّا مَـــنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى) .

- **كيف يمكن التعرف على خواطر الخير والشر والتمييز بينهما ؟**

والجواب أن أنواع المشتهيات التي جمع الله فيها متاع الدنيا هي التي وردت في قـــوله: (زُيِّـــنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَـــــوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ) (آل عمران:14) .

فكل خاطر تعلق بأنواع المشتهيات وجعلها وسيلة إلى الآخرة، فهو من نـــازع الخير وتوفيـــق الحق إلى التقوى وزيادة الإيمان، وكل خاطر تعلق بأنواع المشتهيات وجعلها وسيلة إلى الـــــدنيا، فهو من نازع الشر في الإنسان وأساس الفجور والعصيان .

قال ابن تيمية : (فصاحب الهوى يأمره هواه ويدعوه فيتبعه كما تتبع حركات الجوارح إرادة القلب ولهذا قال الله تعالى : (وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَـــلُّوا عَـــنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة:77) . وقال (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص:50) وهذا يعم الهوى فى الدين كالنصارى وأهل البدع فى المقال والقدر كما كان السلف يسموهم أهل الأهواء من الرافضة والخوارج وهذا الهوى موجود فى كثير مـــن الفقراء والفقهاء إلا من عصمه الله).

قال ابن القيم في روضة المحبين: (الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح، فـــالهوى مستحث لها لما يريده كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقا ولا مـــدحه مطلقا. كما أن الغضب لا يذم مطلقا ولا يحمد مطلقا. وإنما يذم المفرط من النوعين، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار. ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر؛ لأنه يندر من يقصـــــد العدل في ذلك ويقف عنده كما أنه يندر في الأمزجة المزاج المعتدل من كل وجه، بل لا بد مـــن غلبة أحد الأخلاط والكيفيات عليه. فحرص الناصح على تعديل قوى الشهوة والغضب من كل وجه. وهذا أمر يتعذر وجوده إلا في حق أفراد من العالم فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه. وكذلك في السنة لم يجئ إلا مذموما إلا ما جاء منه مقيدا، كقوله: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به. وقد قيل: الهوى كمين لا يؤمن. قال الشعبي: وسمي هـــوى لأنـــه

يهوي بصاحبه. ومطلقه يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلا. وإن كانت سببا لأعظم الآلام عاجلا وآجلا. فللدنيا عاقبة قبل عاقبة الآخرة، والهوى يعمي صاحبه من ملاحظتها، والمروءة والدين والعقل ينهى عن لذة تعقب ألما، وشهوة تورث ندما. فكل منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك لا تفعلي. والطاعة لمن غلب. ألا ترى أن الطفل يؤثر ما يهوى وإن أداه إلى التلف لضعف ناهي العقل عنده. ومن لا دين له يؤثر ما يهواه. وإن أداه إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهي الدين).

وقال ابن القيم أيضا : (ولما امتحن المكلف بالهوى من بين سائر البهائم. وكان كل وقت تحدث عليه حوادث جعل فيه حاكمان حاكم العقل وحاكم الدين وأمر أن يرفع حوادث الهوى دائما إلى هذين الحاكمين وأن ينقاد لحكمهما. وينبغي أن يتمرن على دفع الهوى المأمون العواقب ليتمرن بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه. وليعلم اللبيب أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها؛ لأنها قد صارت عندهم بمترلة العيش الذي لا بد لهم منه. ولهذا ترى مدمن الخمر والجماع لا يلتذ به عشر معشار التذاذ من يفعله نادرا في الأحيان، غير أن العادة مقتضية ذلك فيلقي نفسه في المهالك لنيل ما تطالبه به العادة) .

وقال تعالى : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (يوسف:53) .

- **مذاهب الناس في الشهوات والاشتهاء.**

أولا : مذهب المغالين في الشهوات والقائلين : نشتهي ألا تنتهي.

وهم عبيد الدنيا والهوى الذين يتمرغون في زهواها ويتمتعون في لذاها ويتقلبون في شهواها ويتلوثون بتباعتها يبنون بالغفلة في أماكنها ويحصنون بالجهل في مساكنها، قال تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لوْ يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة:96) .

وهم الذين أخلدوا إلى الأرض كما قال الله في شأنهم : (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِنْ تَحْمِل عَليْهِ يَلهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلهَثْ ذَلكَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لعَلهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف:176) .

وهؤلا رتبتهم كرتبة البهائم أو أضل وهم الذين قال الله فيهم : (إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالذينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ) (محمد:12) . (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ) (الأعراف:179) . (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان:44) .

وهؤلاء هم الأنجاس : (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ).

وفي صحيح سنن ابن ماجة عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ فِي الذِي يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ قَالَ ارْجُمُوا الأَعْلى وَالأَسْفَلَ ارْجُمُوهُمَا جَمِيعًا.

قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (الفرقان:43) (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلهُ اللهُ عَلى عِلمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَل عَلى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (الجاثية:23) .

وعند البخاري عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِىَ رَضِىَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ.

ثانيا: مذهب المغالين في محو الشهوات والقائلين : نشتهي ألا نشتهي.

كما قال أبو على الدقاق : قيل لبعضهم : ألا تشتهى ؟ فقال : أشتهى ألا أشتهى ؟

ما قال بعضهم : (أنا ردم) بمعنى مردوم أى لا مساغ فيه. وقال أبو بكر الشبلى: (لو خطر ببالى أن الجحيم بنيرالها وسعيرها تحرق منى شعره لكنت مشركا). (إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها) . وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة، فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

وعند البخاري عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ فَلمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ قَدْ غُفِرَ لهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَال أَحَدُهُمْ

أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلي الليْل أَبَدًا وَقَال آخرُ أَنا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطرُ وَقَال آخرُ أَنا أَعْتزلُ النِّسَـاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ إِليْهِمْ فَقَال أَنْتُمْ الذينَ قُلتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لهُ لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَليْسَ مِنِّي.

وفي صحيح سنن النسائي عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ دَخَل عَلى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قَال قُلتُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلكِ عَنْ التَّبَتُّل فَمَا تَرَيْنَ فِيهِ قَالتْ فَلا تَفْعَل أَمَا سَمِعْتَ اللهَ عَزَّ وَجَل يَقُولُ وَلقَدْ أَرْسَلنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلكَ وَجَعَلنَا لهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً فَلا تَتَبَتَّل.

وعند أحمد وهو صحيح لغيره عن أَنَسِ بْنِ مَالكٍ قَال كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَأْمُرُ بِالبَاءَةِ وَيَنْهَى عن التَّبَتُّل نَهْيًا شَدِيدًا وَيَقُولُ تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ .

ثالثا: مذهب السلف والاعتدال القائلين : نشتهي ولكن نحتمي.

فهم لا ينكر وجود الشهوة والرغبات فى أنفسهم ولكن المسلم يعلم أنها ابتلاء لا بد أن يخضع فيه لشرع الله .

وعند مسلم من حديث أبي ذر أن رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قال : (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُول اللهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لهُ فِيهَا أَجْرٌ قَال أَرَأَيْتُمْ لوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَليْهِ فِيهَا وِزْرٌ فَكَذَلكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلال كَانَ لهُ أَجْرًا).

وعند مسلم عن حُذَيْفَةُ قال: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلى قَلبَيْنِ عَلى أَبْيَضَ مِثْل الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ.

- **كيف يتخلص من وقع في الهوى وأدمن الاستجابة لهواه ؟**

من قد وقع في الهوى يمكنه التخلص بعون الله وتوفيقه له بأمور أهمها:

1. كثرة الاستغفار ما رواه مسلم عن الأغرِّ المزني عن النَّبيِّ ﷺ قال : (**إنَّه ليُغانُ على قلبي، وإنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليوم مئة مرة**) . والغين شَيْء يَعْتَرِي القَلب مِمَّا يَقَع مِنْ حَدِيث النَّفْس أو هَفَوَات الطِّبَاع البَشَرِيَّة التِي لا يَسْلم مِنْهَا أَحَد. وعند البخاري عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُ أَنَّهُ قَال للنَّبِيِّ ﷺ عَلمْنِي دُعَاءً أَدْعُو به فِي صَلاتِي قَال قُل اللهُمَّ إِنِّي ظَلمْتُ نَفْسِي ظُلمًا كَثِيرًا وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَقَال عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الخَيْرِ إِنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو قَال أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنَّبِيِّ ﷺ .

2. يتخلص من وقع في الهوى وأدمن الاستجابة لهواه بعزيمة حر يغار لنفسه وعليها، إبقاؤه على مترلته عند الله تعالى وفي قلوب عباده وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى، وإيثاره لذة العفة وعزها وحلاوتها على لذة المعصية . وكذلك فرحه بغلبة عدوه وقهره له ورده خاسئا بغيظه وغمه وهمه حيث لم ينل منه أمنيته والله تعالى يحب من عبده أن يراغم عدوه ويغيظه كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ولا يطؤن موطئا يغبط الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح وقال ليغيظ بهم الكفار وقال تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرة وسعة أي مكانا يراغم فيه أعداء الله وعلامة المحبة الصادقة مغايظة أعداء المحبوب ومراغمتهم .

3. التفكر في أنه لم يخلق للهوى وإنما هيء لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصيته للهوى وأن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالا منه فإن الحيوان يميز بطبعه بين مواقع ما يضره وما ينفعه فيؤثر النافع على الضار والإنسان أعطي العقل لهذا المعنى فإذا لم يميز به بين ما يضره وما ينفعه أو عرف ذلك وآثر ما يضره كان حال الحيوان البهيم أحسن منه.

4. أن يسير بقلبه في عواقب الهوى فيتأمل كما أفاتت معصيته من فضيلة وكم أوقعت في رذيلة وكم أكلة منعت أكلات وكم من لذة فوتت لذات وكم من شهوة كسرت جاها ونكست رأسا وقبحت ذكرا وأورثت ذما وأعقبت ذلا وألزمت عارا لا يغسله الماء غير أن عين صاحب الهوى عمياء .

5. أن الله سبحانه وتعالى شبه أتباع الهوى بأخس الحيوانات صورة ومعنى فشبههم بالكلب تارة كقوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ وَلوْ شِئْنَا لرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلكِنَّهُ أَخْلدَ إِلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَل الكَلبِ إِنْ تَحْمِل عَليْهِ يَلهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلهَثْ ذَلكَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لعَلهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف:176) .

6. أن الهوى تعلق بمحيط جهنم فمن وقع فيه وقع فيها كما في الصحيحين عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَال حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُجِبَتْ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ . وفي السنن عَن أَبِي

هُرَيْرَةَ عَن رَسُول اللهِ ﷺ قَال لَمَّا خَلقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَل جِبْرِيل عَليْهِ السَّلام إِلى الجَنَّة فَقَال انْظُرْ إِليْهَا وَإِلى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلهَا فِيهَا فَنَظَرَ إِليْهَا فَرَجَعَ فَقَال وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَـــا أَحَـــدٌ إِلا دَخَلهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ فَقَال اذْهَبْ إِليْهَا فَانْظُرْ إِليْهَا وَإِلى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلهَا فِيهَا فَنَظَـــرَ إِليْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ فَقَال وَعِزَّتِكَ لقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلهَا أَحَدٌ قَال اذْهَبْ فَـــانْظُرْ إِلى النَّارِ وَإِلى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلهَا فِيهَا فَنَظَرَ إِليْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ فَقَال وَعِزَّتِكَ لا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَال ارْجِعْ فَانْظُرْ إِليْهَا فَنَظَرَ إِليْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَرَجَعَ وَقَال وَعِزَّتِكَ لقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلهَا .

7. أن التوحيد واتباع الهوى متضادان فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هـــواه وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له وليس مراد الله ســبحانه كســر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب بل المراد كسرها من القلب أولا قال الحسن بن علي المطوعي صنم كل إنسان هواه فمن كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة وتأمل قول الخليل لقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون كيف تجده مطابقا للتمائيل التي يهواها القلـــب ويعكـــف عليها ويعبدها من دون الله قال الله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليـــه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

8. أن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه .

9. أن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى فمن خالف هـــواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح .

10. أن أعدى عدو للمرء شيطانه وهواه وأصدق صديق له عقله والملك الناصح له فإذا اتبع هواه أعطي بيده لعدوه واستأسر له وأشمته به وساء صديقه ووليه وهذا هو بعينه هو جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء . وعند مسلم مرفوعا : (اللهم إني أعوذُ بـــك مـــن العجزِ والكسل، والجُبنِ والبُخل والهرمِ، وعذابِ القبر، وفتنة الدجال اللهم آتِ نفسي تقواهـــا، وزكها أنت خيرُ من زكاها، أنتَ وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومنْ نفسٍ لا تشبعُ، ومنْ دعوةٍ لا يستجابُ لها) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة العشرون (20)

عنوان المحاضرة

الهاتفان والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

- الشيطان وحقده على الإنسان دفعه لطلب الوسواس.
- الملك القرين وكل بالإنسان في مقابل مقارنة الشيطان
- الهاتفان من حكمة الله في خلق الاختيار في الإنسان .
- الدليل النقلي الصحيح على وجود الهاتفين .
- المقصود بالقرينين في سورة ق.
- تكفل الله بإيقاف الشيطان وإخناسه عند استعاذة الإنسان من وسواسه.
- الفرق بين إلهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه.
- الشيطان مصدر النسيان في الإنسان.
- حال القلب مع الملك والشيطان كما يصوره ابن القيم.
- النازعان والهاتفان من كمال حكمة الله في خلق الإنسان.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.net- www.alridwany.com

- **حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة العشرين (20)**

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة العشرون (20)

عنوان المحاضرة

الهاتفان والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله . أما بعد ..

فقد تحدثنا عن منطقة حديث النفس وأول مقوم من مقومات الاختيار والحرية وكمال التركيب في النفس البشرية، وأن الله جعل للخواطر في القلب ركنين نفسيين ونازعين ذاتيين متقابلين ومتضادين ليس لأحدهما غلبة على الآخر، أحدهما يدعوا إلى التقوى والإيمان والآخر يدعو إلى الفجور والعصيان.

وفي هذه المحاضرة بإذن الله نتحدث عن مقوم آخر من مقومات الاختيار والحرية وهم الهاتفان القرينان المتقابلان والمتضادان، ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان.

الأول : ويسمى الملك أو هاتف الخير وداعي الإيمان.

والثاني : يسمى هاتف الشر أو الشيطان، الهاتفان .

هذان الهاتفان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها بهذه بمنطقة حديث النفس في الإنسان، يضاف إليهما النازعان النفسيان المتقابلان والمتضادان .

- **الشيطان وحقده على الإنسان دفعه لطلب الوسواس.**

جعل الله ابتلاء الإنسان بالشيطان من كمال حجته على الإنسان وبيان حكمته في خلقه، فالشيطان لما أبي أن يكون مع الساجدين، وأن يدخل في جملة المقرين بالخلافة العظمي التي كرم الله بها الإنسان، تملكه العلو والاستكبار، وأظهر الاعتراض والاستنكار، وشكك في حكمة رب

العزة والجلال، حسدا وحقدا على آدم وذريته، كيف فضلهم الله بمترلة أعلى من مكانته؟ قال تعالى: (**وَإِذْ قُلنَا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ قَال أَأَسْجُدُ لمَنْ خَلقْتَ طِينًا**) (الإسراء:61) .

ولما لعنه الله وطرده من رحمته، وأيقن اللعين بهلاكه وشَقْوَته وأنه لا محالة ممنوع من جنته، أراد أن يحقر من شأن الإنسان حقدا وانتقاما، وأن يشكك في حكمة الرحمن عنادا منه وإلزاما، أن الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض، لا يستحق هذه المترلة، وأن إبليس والملائكة كانوا هم الأنسب لتلك المسألة، فطلب البقاء والإحياء إلي يوم القيامة، يوسوس للإنسان بالظلم والطغيان، ويدعوه إلي الكفر والفسوق والعصيان، ليثبت صدق كلامه وحقارة الإنسان. قال تعالى : (**قَال أَرَأَيْتَكَ هَذَا الذِي كَرَّمْتَ عَليَّ لئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَليلا**) (**الإسراء:62**) .

فكان من عدل الله أنه أمهله، وجعله ابتلاء للإنسان الذي استخلفه وخوله، لأنه لو منع إبليس من هذه المسألة، لصحت دعوته بأن الإنسان لا يستحق هذه المترلة، وأصبح للشيطان حجة على العقول المبصرة، فاقتضت حكمة الله أن يبتلي الشيطان بهذه المسألة، وأن يرفع من شأن الإنسان لو تخطي هذه المشكلة، ليعطيه مزيدا من التكريم على تكريمه السابق حيث استخلفه في الأرض وخوله فيها .

قال تعالى : (**قَال اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلبْ عَليْهِمْ بِخَيْلكَ وَرَجِلكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَال وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي ليْسَ لكَ عَليْهِمْ سُلطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا**) (الإسراء:61) .

وقال: (وَإِذْ قَال رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إِنِّي خَالقٌ بَشَرًا مِنْ صَلصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْليسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَال يَا إِبْليسُ مَا لكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَال لمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لبَشَرٍ خَلقْتَهُ مِنْ صَلصَال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون **قَال فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَليْكَ اللعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ قَال رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَال فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ** قَال رَبِّ

بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلصِينَ قَال هَذَا صِرَاطٌ عَليَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي ليْسَ لكَ عَليْهِمْ سُلطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ) (الحجر: 32/42).

وقال: (**وَقَال الشَّيْطَانُ لمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلفْتُكُمْ وَمَا كَانَ ليَ عَليْكُمْ مِنْ سُلطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالمِينَ لهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ**) (إبراهيم:22) .

- **الملك القرين وكل بالإنسان في مقابل مقارنة الشيطان**

إذا كان الله قد أوجد في كل إنسان منا نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما غلبة على الآخر، نازع يدعوه إلي الطاعة وفعل الخير، وآخر يدعوه إلي المعصية وفعل الشر، والإنسان حر بينهما في الاختيار، كما قال رب العزة والجلال:

(**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**). فكل إنسان مغروز في قلبه مكان للخير، وهو نازع الخير وباعث التقوى يدعوه وَيُحِثُّهُ ويحضه على فعل الخيرات والابتعاد عن المهلكات، ومغروز في قلبه أيضا مكان للهوى، وهو نازع الشر وباعث الفجور يدعوه وَيُحِثُّهُ ويحضه على فعل الشهوات بأنواع المشتهيات، فإذا سمح الله للشيطان أيضا أن يوسوس للإنسان، فإن الشيطان سيقوي نازع الهوى والشر في الإنسان، وكلاهما سيتفقان في دعوته إلي الكفر والعصيان، وعند ذلك ستكون دواعي الشر في الإنسان أقوي من نازع الخير فيه؟

أليس للعاصي عند ذلك أن يحتج على الله يوم القيامة بأنه لا يستحق العذاب، لأن نازع الخير فيه كان وحيدا، وكانت دواعي الشر في الإنسان لها ركنان، أحدهما نازع الشر والآخر الشيطان، فهي بذلك أقوي في الإنسان من باعث التقوى والإيمان وداعي الخير في الإنسان، من أجل ذلك يطالب ربه بإسقاط العذاب عن الكفر العصيان؟

- **الهاتفان من حكمة الله في خلق الاختيار في الإنسان .**

ومن هنا ظهرت في الإنسان حكمة الله، وبلغ كمال العدل في الأشياء منتهاه، فجعل الله

تركيب الإنسان على مستوي الكمال، ظاهرا وباطنا على قمة الاعتدال، فقال رب العزة والجلال: (**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ، الذِي خَلقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**).

كلف الله بكل إنسان ملكا قرينا، وأمره أن يلازمه ملازمة الشيطان للإنسان، لا يفارقه إلا إذا فارق دار الامتحان، وأمره أيضا أن يدعوه إلي الخير ويحضه عليه، كما أن الشيطان يدعوه إلي الشر ويحضه عليه، فيعتدل بذلك مقدار الدواعي في الإنسان، وتستوي الكفتان في الميزان، ولا يكون لأحد من أهل الخسران، حجة على الله يوم القيامة في تبريره العصيان .

فالله كما هداه النجدين، وركب فيه نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما غلبة على الآخر، وكل أيضا بالإنسان قرينين هاتفين، مرغبين بلمتين، ليس لأحدهما سلطان على إرادة الإنسان، فبات مقدرا لكل منا بحكمة الله وعدل الميزان، قرينان داعيان، هاتفان مرغبان، إما في الخير وإما في الشر، و لم يستثن الله أحدا من ذلك حتى سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم.

- **الدليل النقلي الصحيح على وجود الهاتفين .**

قد روي الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ❶ أن رَسُول الله صلي الله عليه وسلم قال: (**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ المَلائِكَةِ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُول الله، قَال: وَإِيَّايَ وَلكِنَّ الله أَعَانَنِي عَليْهِ فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِحَقٍّ**).

وروي الترمذي أيضا وحسنه من حديث عبد الله رضي الله عنه أن رَسُول الله صلي الله عليه وسلم قال: (**إِنَّ للشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ، وَللمَلكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلكَ فَليَعْلمْ أَنَّهُ مِنَ الله فَليَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ الأخرى فَليَتَعَوَّذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللهُ وَاسِعٌ عَليمٌ**) .

وقال الإمام مسلم : (باب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا) ثم روى من حديث عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُول الله صلي الله عليه وسلم خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ليْلا: قَالتْ عائشةْ فَغِرْتُ عَليْه، فَجَاءَ فَرَأَي مَا أَصْنَعُ، فَقَال: مَا لك يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟ فَقُلتُ: وَمَا لِي لا يَغَارُ مِثْلِي على مِثْلكَ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم: **أَقَدْ جَاءَكِ**

شَيْطَانُك؟ قَالتْ: يَا رَسُول اللهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَال نَعَمْ قُلتُ وَمَعَ كُل إِنْسَانٍ؟ قَال نَعَمْ قُلتُ وَمَعَكَ يَا رَسُول اللهِ قَال نَعَمْ؟ وَلكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَليْهِ حتى أَسْلمَ) .

وروى النسائي وصححه الألباني عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: **(الْتَمَسْتُ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدْخَلْتُ يَدي فِي شَعْرِهِ فَقَالَ قَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ فَقُلْتُ أَمَا لَكَ شَيْطَانٌ فَقَالَ بَلَى وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ)** .

وذكر ابن القيم أن خطاب الملك يلقى في قلب العبد، فقال : (يخاطب به الملك روحه كما في الحديث المشهور إن للملك لمة بقلب ابن آدم، وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاذ بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان إيعاذ بالشر وتكذيب بالوعد ثم قرأ: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:268) . وقال تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) (لأنفال:12) قيل في تفسيرها قووا قلوبهم وبشروهم بالنصر، وقيل: احضروا معهم القتال والقولان حق، فإنهم حضروا معهم القتال وثبتوا قلوبهم . ومن هذا الخطاب واعظ الله عز وجل في قلوب عباده المؤمنين كما في جامع الترمذي ومسند أحمد من حديث النواس بن سمعان ..الحديث. فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة).

الحديث رواه أحمد وصححه الشيخ شعيب عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ قَال: **(ضَرَبَ اللهُ مَثَلا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلا تَتَفَرَّجُوا وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تلكَ الأَبْوَابِ قَال وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلجْهُ وَالصِّرَاطُ الإِسْلامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالى وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالى وَذَلكَ الدَّاعِي عَلى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَل وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلبِ كُل مُسْلمٍ)** .

- **المقصود بالقرينين في سورة ق:**

كل قرين يتكلم يوم القيامة عما دار بينه وبين الإنسان، وقد ذكر الله شأن القرينين في القرآن، فقال عن الملك الذي اقترن بواحد من الكفار:

(وَقَال قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ، أَلقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُل كَفَّارٍ عَنِيدٍ، مَنَّاعٍ للخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ، الذِي جَعَل مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ فَأَلقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ) .

فهذا القرين الذي رافق الكافر طول الحياة، طالما حثه على الخير ودعاه، فتمنع وآثر الإعراض عن الله، وعبد الشيطان واتبع هواه، فالقرين يطالب السائق والشهيد، أن يضعوه في العذاب الشديد .

وأما عن موقف الشيطان الذي اقترن بالإنسان للوسواس بالعصيان فيقول متملصا من أفعال الكافر العنيد: **(قَال قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيد)**، فينفي عن نفسه المشاركة في الطغيان، وينسب الضلالة إلي الإنسان، ويقول محقرا لحزبه في النيران:

(وَقَال الشَّيْطَانُ لمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَليْكُمْ مِنْ سُلطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالمِينَ لهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ).

قال الله للشيطان وللكفار من بني الإنسان: (قَال لا تَخْتَصِمُوا لدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِليْكُمْ بِالوَعِيدِ، مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ للعَبِيدِ، يَوْمَ نَقُولُ لجَهَنَّمَ هَل امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَل مِنْ مزيد) .

يقول القرطبي: (قال قرينه ربنا ما أطغيته يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد، تبرأ منه وكذبه، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق وكان طاغيا باختياره، يقول الشيطان إنما دعوته فاستجاب لي، ويقول القرطبي: قرينه هنا هو شيطانه بغير خلاف) .

ويقول الإمام البخاري أيضا: **(وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له)** .

قال ابن القيم في الفوائد: (أخبر أن غطاء الغفلة والذهول يكشف عنه ذلك اليوم كما يكشف غطاء النوم عن القلب فيستيقظ وعن العين فتنفتح فنسبة كشف هذا الغطاء عن العبد عند المعاينة كنسبة كشف غطاء النوم عنه عند الانتباه.

ثم أخبر سبحانه أن قرينه وهو الذي قرن به في الدنيا من الملائكة، يكتب عمله وقوله: يقول لما يحضره هذا الذي كنت وكلتني به في الدنيا قد أحضرته وأتيتك به هذا قول مجاهد، وقال ابن

قتيبة: المعنى هذا ما كتبته عليه وأحصيته من قوله وعمله حاضر عندي. والتحقيق أن الآية نتضمن الأمرين أي هذا الشخص الذي وكلت به، وهذا عمله الذي أحصيته عليه، فحينئذ يقال: ألقيا في جهنم. وهذا إما أن يكون خطابا للسائق والشهيد أو خطابا للملك الموكل بعذابه ... ثم ذكر صفات هذا الملقى فذكر له ست صفات:

أحدها: أنه كفار لنعم الله وحقوقه كفار بدينه وتوحيده وأسمائه وصفاته كفار برسله وملائكته كفار بكتبه ولقائه.

الثانية: أنه معاند للحق بدفعه جحدا وعنادا.

الثالثة: أنه مناع للخير وهذا يعم منعه للخير الذي هو إحسان إلى نفسه من الطاعات والقرب إلى الله والخير الذي هو إحسان إلى الناس فليس فيه خير لنفسه ولا لبنى جنسه كما هو الحال أكثر الخلق.

الرابعة: أنه مع منعه للخير معتد على الناس ظلوم غشوم معتد عليهم بيده ولسانه.

الخامسة: أنه مريب أي صاحب ريب وشك ومع هذا فهو آت لكل ريبة يقال فلان مريب إذا كان صاحب ريبة .

السادسة: أنه مع ذلك مشرك بالله قد اتخذ مع الله إلها آخر يعبده ويحبه ويغضب له ويرضي له ويحلف باسمه وينذر له ويوالي فيه ويعادى فيه.

فيختصم هو وقرينه من الشياطين ويحيل الأمر عليه وأنه هو الذي أطغاه وأضله فيقول قرينه: لم يكن لي قوة أن أضله وأطغيه، ولكن كان في ضلال بعيد اختاره لنفسه وآثره على الحق، كما قال إبليس لأهل النار: وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي وعلي هذا فالقرين هنا هو شيطانه، يختصمان عند الله).

- **تكفل الله بإيقاف الشيطان وإخناسه عند استعاذة الإنسان من وسواسه:**

ومن أعظم ما جعله الله للإنسان حماية من كيد الشيطان: أن الله تكفل بإيقاف الشيطان وإخناسه، عند استعاذة الإنسان من وسواسه، فقال تعالى: (**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**) .

وكان يمكن أن يقال إذا نزغك الشيطان فقاومه بما استطعت من أسلحتك الفكرية ودلالاتك العقلية، لكن فضل الله على الإنسان كان عظيما فقال: (**قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلكِ النَّاسِ، إِلهِ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، الذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ الجِنَّةِ وَالنَّاس**) .

قال ابن القيم: (فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها. ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى مما يعذبه ويقمعه به من ذكر الله وطاعته... وتأمل كيف جاء بناء الوسواس مكررا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارا حتى يعزم عليها العبد وجاء بناء الخناس على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل لأنه كلما ذكر الله الخنس، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقا لمعنييهما).

ثم قال رحمه الله: (وقوله الذي يوسوس في صدور الناس صفة ثالثة للشيطان فذكر وسوسته أولا ثم ذكر محلها ثانيا، وأنها في صدور الناس، وقد جعل الله للشيطان دخولا في جوف العبد ونفوذا إلى قلبه وصدره، فهو يجري منه مجرى الدم، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات) .

ويستدل ابن القيم على وسواس الشيطان وأنه يكون بالقلب بالنصوص التالية:

ما رواه البخاري ومسلم عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالتْ: (**كَانَ رَسُولُ الله صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ ليْلا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلبْتُ فَقَامَ مَعِي ليَقْلبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ فَلمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ أَسْرَعَا فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ عَلى رِسْلكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالا سُبْحَانَ الله يَا رَسُول الله قَال إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَال شَيْئًا**) .

وروي البخاري أيضا من حديث أبي هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (**إذا نُودِيَ للصَّلاةِ أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ حتى لا يَسمعَ التَّأْذينَ، فإذا قُضِيَ النِّداءُ أقبل، حتّى إذا ثُوِّبَ بالصلاةِ أدبرَ، حتّى إذا قُضِي التثويبِ أَقبل حتى يَخطُرَ بينَ المرءِ ونفسهِ يقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا لما لم يَكنْ يَذكرُ حتّى يَظل الرجلُ لا يَدرِي كم صلى**) .

وهذه الرواية وردت بلفظ آخر عند البخاري بينت أن منطقة حديث النفس في القلب: (**إذا نُوديَ بالصلاة أدْبَرَ الشيطانُ ولهُ ضُراط، فإذا قُضيَ أقبَلَ، فإذا ثُوِّبَ بها أدبر، فإذا قُضيَ**

أقبل حتى يَخطِرَ بين الإنسانِ وقلبه فيقولُ: اذكُرْ كذا وكذا، حتى لا يَدري أثلاثاً صلى أم أربَعاً، فإذا لم يَدرِ ثلاثاَ صلى أو أربعاً سَجَدَ سجدتَي السَّهْو) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال: (**يأتي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُول مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلغَهُ فَليَسْتَعِذْ بِاللهِ، وَليَنْتَهِ**) .

وصح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: (**يَا رَسُول اللهِ إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ لأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلمَ بِهِ قَال فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ الحَمْدُ للهِ الذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلى الوَسْوَسَةِ**).

قال ابن القيم في الفوائد: (القلب يكون فارغا من الشر والمعصية فيوسوس إليه الشيطان ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه فيصير إرادة، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمني ويشهي وينسى علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب فيبعث الجنود في الطلب فيبعث الشيطان معهم مددا لهم وعونا فإن فتروا حركهم وإن ونوا أزعجهم كما قال تعالى : (**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلنَا الشَّيَاطِينَ عَلى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**) (مريم:83) أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة).

- **الفرق بين إلهام الملك وإلقاء الشيطان من وجوه:**

1- منها أن ما كان لله موافقا لمرضاته وما جاء به رسوله فهو من الملك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من إلقاء الشيطان .

2- ومنها أن ما أثمر إقبالا على الله وإنابة إليه وذكرا له وهمة صاعدة إليه فهو من إلقاء الملك وما أثمر ضد ذلك فهو من إلقاء الشيطان .

3- ومنها أن ما أورث أنسا ونورا في القلب وانشراحا في الصدر فهو من الملك وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان.

4- ومنها أن ما أورث سكينة وطمأنينة فهو من الملك وما أورث قلقا وإنزعاجا

واضطرابا فهو من الشيطان، فالإلهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة النقية التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فإنه طيب طاهر لا يجاور إلا قلبا يناسبه فتكون لمة الملك بهذا القلب أكثر من لمة الشيطان. وأما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فإلقاء الشيطان ولمة به أكثر من لمة الملك.

- **الشيطان مصدر النسيان في الإنسان:**

ومن وسوسته أيضا أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه .

1- (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (الأنعام:68) .

2- (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (يوسف:42) .

3- (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً) (الكهف:63) .

4- (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المجادلة:19) .

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (والوسواس من جنس الحديث والكلام، ولهذا قال المفسرون فى قوله ما توسوس به نفسه قالوا ما تحدث به نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به، وهو نوعان خبر وإنشاء. فالخبر إما عن ماض وإما عن مستقبل فالماضي يذكره به والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أمورا أو أن أمورا ستكون بقدر الله أو فعل غيره فهذه الأماني والمواعيد الكاذبة. والإنشاء أمر ونهي وإباحة، والشيطان تارة يحدث وسواس الشر وتارة ينشيء الخير وكان ذلك بما يشغله به من حديث النفس قال تعالى في النسيان **وأما ينسينك الشيطان** .. **وقال فتى موسى فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان**.. **وقال تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه وثبت في الصحيحين عن النبي**

صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاة أدبر فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول أذكر كذا أذكر كذا لما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى. فالشيطان ذكره بأمور ماضية حدث بها نفسه مما كانت في نفسه من أفعاله ومن غير أفعاله فبتلك الأمور نسي المصلي كم صلى ولم يدر كم صلى، فإن النسيان أزال ما في النفس من الذكر وشغلها بأمر آخر حتى نسي الأول) .

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (الخطأ من الشيطان والنفس لأن الله لا يقوله ولا يأمر به ولأنه إنما ينكته في قلب الإنسان الشيطان ونفسه تقبله من الشيطان فإنه يزين لها الشيء فتطيعه فيه وليس كل ما كان من الشيطان يعاقب عليه العبد ولكن يفوته به نوع من الحسنات كالنسيان فإنه من الشيطان والاحتلام من الشيطان والنعاس عند الذكر والصلاة من الشيطان والصعق عند الذكر من الشيطان ولا إثم على العبد فيما غلب عليه إذا لم يكن ذلك بقصد منه أو بذنب) .

- **حال القلب مع الملك والشيطان كما يصوره ابن القيم.**

قال ابن القيم: (وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب فهذا يلم به مرة وهذا يلم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمته الانفساح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة الله وإيثاره على ما سواه وقصر الأمل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه، ولكن تأتيه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق والظلمة والهم والغم والخوف والسخط على المقدور والشك في الحق والحرص على الدنيا وعاجلها والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب القلب، ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله :

فمنهم من تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللمة ولا يدعها تستحكم، فيصعب تداركها، فهو دائما في حرب بين اللمتين والعاقبة للتقوى .

ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه وأقوى فلا تزال تغلب لمة الملك حتى تستحكم

ويصير الحكم لها فيموت القلب ولا يحس ما ناله الشيطان به مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك الألم فإذا كشف أمكنه تداركه بالدواء وحسمه، وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان حتى ينكشف عنه وقت المفارقة للدنيا فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والغموم والأحزان، وهي لم تتجدد له وإنما كانت كامنة تواريها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنا وتجدد له أضعافه.

والشيطان يلم بالقلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي نوعان : صفات وإرادات فإذا كانت الجواذب صفات قوى سلطانه هناك واستفحل أمره ووجد موطئا ومقارا فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات كحديث النفس لا تدفع سلطان الشيطان لأن مركبه صفة لازمة، فإذا قلع العبد تلك الصفات وعمل على التطهر منها والاغتسال بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار، وذلك يضعفه ويقوي لمة الملك فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء . وإذا أردت لذلك مثالا مطابقا: فمثله مثل كلب جائع شديد الجوع، وبينك وبينه لحم أو خبز وهو يتأملك ويراك لا تقاومه وهو أقرب منك، فأنت تزجره وتصيح عليه وهو يأبى إلا التحوم عليك والغارة على ما بين يديك فالأذكار بمترلة الصياح عليه والزجر له. ولكن معلومه ومراده عندك، وقد قربته عليك، فإذا لم يكن بين يديك شيء يصلح له، وقد تأملك فرآك أقوى منه فإنك تزجره وتصيح عليه فيذهب، وكذلك القلب الخالي عن قوة الشيطان يترجر بمجرد الذكر . وأما القلب الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبه وموطنه فيقع الذكر في حواشيه وجوانبه ولا يقوى على إخراج العدو منه، ومصداق ذلك تجده في الصلاة، فتأمل في الحال وانظر هل تخرج الصلاة بأذكارها وقراءتها الشيطان من قلبك وتفرغه كله لله تعالى بكليته، وتقيمه بين يدي ربه مقبلا بكليته عليه، يصلي لله تعالى كأنه يراه، قد اجتمع همه كله على الله؟ وصار ذكره ومراقبته ومحبته والأنس به في محل الخواطر والوساوس أم لا؟ والله المستعان) .

- **النازعان والهاتفان من كمال حكمة الله في خلق الإنسان.**

لقد تجلت حكمة الله في وجود إرادة الإنسان بين قرينين اثنين هما الملك والشيطان، الملك القرين يهتف بأمر الله للإنسان، ويدعو بإذنه إلي الخير والإيمان، كلما هتف له الشيطان بالكفر والفسوق والعصيان.

فظهر بهذا سر العداء بين الإنسان والشيطان، وظهر فيه حقد الشيطان على الإنسان، لأن الله استخلفه في الأرض بالحق والميزان، وظهر عدل الله في الشيطان وفضله سبحانه وتعالي على الإنسان، حيث لم يجعل للشيطان سلطانا على الإنسان إلا أن يدعوه إلي العصيان بالوسوسة فقط.

والإنسان حر في الاستجابة لندائه أو الاستجابة للملك في دعائه، فقد وكل الله الملك ليلازم الإنسان، ويدعوه إلي الخير في مقابل دعوة الشيطان، كما أن الله يذكر الإنسان على لسان أنبيائه ورسله بمكر الشيطان وتلبيسه وتدليسه على الإنسان، فأي كمال في تفسير وجود الخير والشر والعداوة بين الإنسان والشيطان أفضل من هذا البيان ؟ !!

ومعني ذلك أن الإرادة الإنسانية بين نازعين وهاتفين، هاتف يوافق نازع التقوى في القلب وهو الملك، وآخر يوافق نازع الهوى وهو الشيطان وليس لأحدهما إلزام ولا إجبار للإرادة علي اختيار هذا الجانب دون ذلك، فليس أحدهما مرجحا لفعل دون فعل وإنما هما هاتفان وداعيان فقط، كما أن لمة الملك التي نصت عليها الأحاديث ليست إلا إيعاذا بالخير دون الإجبار عليه، ونحن لا ندرك كيفية حدوث الإيعاذ بالخير الذي يهتف به الملك أو كيفية الوسوسة التي تتم من الشيطان، ولكننا نشعر به في قرارة أنفسنا، فالملك والشيطان وحقيقة الروح من الأمور التي حجب الله كيفيتها عن الإنسان في الدنيا ولكنها حقائق موجودة .

وقال ابن القيم: (وأول ما يطرق القلب الخطرة، فإن دفعها استراح مما بعدها، وإن لم يدفعها قويت فصارت وسوسة فكان دفعها أصعب، فإن بادر ودفعها وإلا قويت وصارت شهوة، فإن عالجها وإلا صارت إرادة، فإن عالجها وإلا صارت عزيمة، ومتى وصلت إلى هذه الحال لم يمكن دفعها واقترن بها الفعل ولابد، وحينئذ ينتقل العلاج إلى أقوى الأدوية وهو الاستفراغ التام بالتوبة النصوح. ولاريب أن دفع مبادئ هذا الداء من أوله أيسر وأهون من استفراغه بعد حصوله إن ساعد القدر وأعان التوفيق، وإن الدفع أولى به، وإن تألمت النفس بمفارقة المحبوب، فليوازن بين فوات هذا المحبوب الأخس المنقطع النكد المشوب بالآلام والهموم وبين فوات المحبوب الأعظم الدائم الذي لانسبة لهذا المحبوب إليه ألبتة، لا في قدره ولا في بقائه وليوازن بين ألم فوته وبين ألم فوت المحبوب الأخس، وليوازن بين لذة الإنابة والإقبال على الله تعالى والتنعم بحبه وذكره وطاعته، ولذة الإقبال على الرذائل والإتيان بالقبائح، وليوازن بين لذة الظفر بالذنب

ولذة الظفر بالعدو، وبين لذة الذنب ولذة العفة، ولذة الذنب ولذة القوة وقهر العدو، وبين لذة الذنب ولذة إرغام عدوه ورده خاسئا ذليلا، وبين لذة الذنب ولذة الطاعة التي تحول بينــه وبين مراده، وبين فوت مراده وفوت ثناء الله تعالى وملائكته عليه، وفوت حسن جزائه وجزيل ثوابه، وبين فرحة إدراكه وفرحة تركه لله تعالى عاجلا وفرحة ما يثنيه عليه في دنيــاه وآخرتــه والله المستعان) .

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (والله خلق العبد يقصد الخير فيرجوه بعمله، فإذا كــذب بالحق فلم يصدق به و لم يرد الخير فيقصده ويعمل له كان خاسرا بترك تصديق الحــق وطلــب الخير، فكيف إذا كذب بالحق وكره إرادة الخير، فكيف إذا صدق بالباطل وأراد الشر، فــذكر عبد الله بن مسعود أن لقلب ابن آدم لمة من الملك ولمة من الشيطان فلمة الملك تصديق بــالحق، وهو ما كان من غير جنس الاعتقاد الفاسد، ولمة الشيطان هو تكذيب بالحق وإيعاذ بالشر، وهو ما كان من جنس إرادة الشر وظن وجوده، إما مع رجائه إن كان مع هوى نفس، وإمــا مــع خوفه إن كان غير محبوب لها، وكل من الرجاء والخوف مستلزم للآخر، فمبدأ العلــم الحــق والإرادة الصالحة من لمة الملك، ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان، قال الله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْــلاً) (البقــرة: 268). وقال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَــافُوهُمْ وَخَــافُونِ إِنْ كُنْتُــمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران:175). وقال تعالى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ) (الأنفال:48) . والشيطان وسواس خناس إذا ذكر العبد ربه خنس فإذا غفل عن ذكره وسوس، فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطــل والإرادة الفاسدة في القلب ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم كما قال معاذ بن جبل ومذاكرته تسبيح).

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَــنْ أَمْــرِ رَبِّــهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) (الكهف:50) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الواحدة والعشرون (21)

عنوان المحاضرة

فضل الله في حماية الإنسان من كيد الشيطان

- شر الشيطان ينحصر في ستة أجناس لا يزال موسوسا حتى ينالها.
- وسائل حماية الإنسان من كيد الشيطان.
- قاعدة نافعة في اعتصام العبد من الشيطان.
- أثر المعصية والطاعة على خواطر الملك والشيطان.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.net- www.alridwany.com

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الواحدة والعشرين (21)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الواحدة والعشرون (21)

عنوان المحاضرة

فضل الله في حماية الإنسان من كيد الشيطان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله . أما بعد ..

فقد تحدثنا عن منطقة حديث النفس وأن الله جعل للخواطر في القلب ركنين نفسيين ونازعين ذاتيين متقابلين ومتضادين، أحدهما يدعوا إلى التقوى والإيمان والآخر يدعو إلى الفجور والعصيان. وكذلك جعل للخواطر في القلب هاتفين قرينين متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان.

وفي هذه المحاضرة نتحدث عن وسائل حماية الإنسان من كيد الشيطان، إظهارا لفضل الله على الإنسان من جهة وإظهارا لعدله في الشيطان من جهة أخرى.

روى أحمد وحسنه الألباني عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَال سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ يَقُولُ: (**إِنَّ إِبْلِيسَ قَال لرَبِّه: بِعِزَّتِكَ وَجَلالكَ لا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَال اللهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلالي لا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**) .

وقال الإمام مسلم: بَاب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لفِتْنَةِ النَّاسِ، وَأَنَّ مَعَ كُل إِنْسَانٍ قَرِينًا ، ثم روى من حديث جَابِرِ بن عبد الله قَال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلى اللهم عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ: (**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ وَلكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**) .

وروى أيضا من حديث جَابِرٍ بن عبد الله قَال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُولُ: (**إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلى البَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**).

وفي رواية أخرى: (**إِنَّ إِبْليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا،**

قَال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَته، قَال: فَيُدْنيه منْهُ وَيَقُولُ نعْمَ أَنْتَ) .

- **ابن القيم يحصر شر الشيطان في ستة أجناس لا يزال موسوسا حتى ينالها:**

1- **الشر الأول** شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله ﷺ، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه، واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد، فلا يزال به حتى يناله منه، فإذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس ونوابه. قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَال لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلمِ مَا لمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ** كَانَ للرَّحْمَنِ عَصِيًّا) (مريم:41/44) .

وقال تعالى: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَال أَحَطتُ بِمَا لمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُل شَيْءٍ وَلهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ للشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ **وَزَيَّنَ لهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيل فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ**) (النمل:22/24) .

وقال: (وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ **أَلمْ أَعْهَدْ إِليْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** إِنَّهُ لكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلقَدْ أَضَل مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (يس:59/62).

وقال تعالى :(كَمَثَل الشَّيْطَانِ إِذْ قَال للإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلمَّا كَفَرَ قَال إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالدَيْنِ فِيهَا وَذَلكَ جَزَاءُ الظَّالمِينَ) (الحشر:16) .

2- **المرتبة الثانية** من الشر إذا يئس منه الشيطان نقله إلى البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي، لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعد، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعوة إلى خلاف ما جاءوا به، وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال منه البدعة، وجعله من أهلها، بقي أيضا نائبه وداعيا من دعاته.

قال ابن تيمية في كتابه أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : (**وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله**، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يفعله **وإن خالف الكتاب والسنة**، فيوافق ذلك الشخص له، ويخالف ما بعث الله به رسوله، الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين، وجنده المفلحين وعباده الصالحين ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولا إلى البدعة والضلال، وآخر إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُول سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً) (الفرقان:27/29). وقوله تعالى: (يَوْمَ تُقَلبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لعْناً كَبِيراً) (الأحزاب:66/68).

3- **المرتبة الثالثة** من الشر وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها، ولاسيما إن كان عالما متبوعا، فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه، ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه في الناس، ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها، تدينا وتقربا بزعمه إلى الله تعالى، وهو نائب إبليس ولا يشعر، فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم. هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها، لا نصيحة منهم، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه.

قال تعالى: (الذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الأَثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلا اللمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلمُ بِمَنِ اتَّقَى) (لنجم:32) .

4- **المرتبة الرابعة** فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة وهي الصغائر

التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها كما قال النبي: (**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ ،حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**) رواه أحمد وصححه الألباني. ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالا منه.

5- **المرتبة الخامسة** فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، نقله إلى المرتبة الخامسة، وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها.

6- **المرتبة السادسة** فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظا لوقته، شحيحا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب، نقله إلى المرتبة السادسة، وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول، ويحضه عليه ويحسنه له، إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل من يتنبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيا قويا، ومحركا إلى نوع من الطاعة، لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول: إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير، فيقول هذا الداعي من الله، وهو معذور و لم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرا أعظم من تلك السبعين بابا وأجل وأفضل، وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله تعالى ولرسوله ولكتابه، ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول، ونوابه في الأمة وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك، فلا يخطر بقلوبهم والله تعالى يمن بفضله على من يشاء من عباده.

فإن أعجزه العبد من هذه المراتب الست، وأعيا عليه سلط عليه حزبه من الإنس والجن، بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه، وقصد إهماله

وإطفائه، ليشوش عليه قلبه، ويشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به، فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه، ولا يفتر ولا يني، فحينئذ يلبس المؤمن لامة الحرب، ولا يضعها عنه إلى الموت، ومتى وضعها أسر أو أصيب، فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله.

- **وسائل حماية الإنسان من كيد الشيطان.**

ليس كل ما جعله الله للإنسان، ليحميه من كيد الشيطان، أنه كلف ملكا قرينا يهتف له بالإيمان، في مقابل هتاف الشيطان بالعصيان، ولكن الله حفظ الإنسان وعدل له الميزان، وأمنه في مقابل حقد الشيطان، بأمور أخرى جاء نصها في القرآن، وكذلك وردت في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1- **منها أن الله فتح باب التوبة للإنسان** مهما بلغ به كيد الشيطان ما لم تغرغر النفس، أو تطلع الشمس من مغربها، فروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال قَال رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليْهِ وَسَلمَ: (مَنْ تَابَ قَبْل أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَليْه).

وعنده عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل يَبْسُطُ يَدَهُ بِالليْل لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ الليْل، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**).

وروى الترمذي وحسنه الألباني عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لمْ يُغَرْغِرْ**).

ولو اتبع الإنسان الشيطان وتمادى فى الجرم والعصيان، فقتل مائة نفس وأراد التوبة تاب الله عليه، فروى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل رَجُلٌ قَتَل تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَال لهُ: هَل مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَال لا ،فَقَتَلهُ فَجَعَل يَسْأَلُ فَقَال لهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا ،فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللهُ إِلى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَال: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لهُ).

ولو تكرر العصيان وتكررت التوبة تاب الله عليه، فعد البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْـــرَةَ قَال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلمَ قَال: (إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَال أَذْنَبَ ذَنْبًـــا، فَقَال: رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَال أَصَبْتُ فَاغْفِرْ لِي، فَقَال رَبُّهُ أَعَلمَ عَبْدِي أَنَّ لهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِه، غَفَرْتُ لعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَـــال: رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ، فَقَال: أَعَلمَ عَبْدِي أَنَّ لهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِه غَفَـــرْتُ لعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَال أَصَابَ ذَنْبًا، قَال: رَبِّ أَصَـــبْتُ أَوْ قَال أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَال: أَعَلمَ عَبْدِي أَنَّ لهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِـــهِ غَفَـــرْتُ لعَبْدِي ثَلاثًا، فَليَعْمَل مَا شَاءَ).

2- **أن الله سيبدل للتائبين عدد ما فات** من السيئات بنفس أعداها حسنات، قال تعالى: (وَالذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَل ذَلكَ يَلقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلا مَنْ تَابَ وَآمَـــنَ وَعَمِل عَمَلا صَالحًا **فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا، وَمَنْ تَابَ وَعَمِل صَالحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلى اللهِ مَتَابًا) (الفرقان/68:71).

وروى مسلم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْل الشِّرْكِ قَتَلُـــوا فَـــأَكْثَرُوا، وَزَنَـــوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فَقَالُوا: إِنَّ الذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لحَسَـــنٌ، وَلَـــوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لمَا عَمِلنَا كَفَّارَةً، فَنَزَل **وَالذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَل ذَلكَ يَلقَ أَثَامًا**. وَنَزَل **يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْـــرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**. وفي رواية النسائي وهي صحيحة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْمًا كَانُوا قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، وَانْتَهَكُوا، فَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِليْهِ لحَسَنٌ، لوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لمَا عَمِلنَا كَفَّارَةً، فَأَنْزَل اللهُ عَزَّ وَجَل وَالذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ إِلى **فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** قَال يُبَـــدِّلُ اللهُـــ شِرْكَهُمْ إِيمَانًا وَزِنَاهُمْ إِحْصَانًا وَنَزَلتْ قُل يَا عِبَادِيَ الذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ الآيَةَ.

3- **أنه سيعامل المؤمنين بفضله والكافرين بعدله**، والعدل أن يستوى العمل مع الجـــزاء والفضل أن يزد على العمل، فعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: قَال رَسُولُ اللهِ صَـــلى الله

عَلَيْهِ وَسَلمَ: (**إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلامَهُ فَكُلُّ حَسَنَة يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَة ضِعْف وَكُلُّ سَيِّئَة يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا**).

وعنه أيضا أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهم عَلَيْهِ وَسَلمَ قَال: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَل، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَليَقُل: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالى مِنْ رِيحِ المِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا).

وعَند البخاري ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَل قَال: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلمْ يَعْمَلهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَاملةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَملهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلمْ يَعْمَلهَا، كَتَبَهَا اللهُ لهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَاملةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَملهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً).

وروى البخاري أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (يَقُولُ اللهُ إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَل سَيِّئَةً، فَلا تَكْتُبُوهَا عَليْهِ حَتَّى يَعْمَلهَا، فَإِنْ عَملهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلهَا وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَل حَسَنَةً فَلمْ يَعْمَلهَا، فَاكْتُبُوهَا لهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَملهَا فَاكْتُبُوهَا لهُ بِعَشْرِ أَمْثَالهَا إِلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ).

وروى البخاري أيضا عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لا يُدْخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُول اللهِ؟ قَال: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ).

4- أن الله سيفرح بتوبة الإنسان فرحا شديدا ترغيبا له فى التوبة، فإن المذنب مخطئ فى جناب الله، وعظم الذنب يقاس بعظمة من أخطأ فى حقه، فلو قبل الله توبته المذنب، مجرد القبول فقط، لكان كرم الله عليه بالغا، فما بالنا وهو يقبل توبة المذنب بعفو جديد وفرح شديد، كما روى مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَال قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهم عَليْهِ وَسَلمَ: (للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالتِهِ إِذَا وَجَدَهَا).

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ: (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَل الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: يَا وَيْلي، أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَليَ النَّارُ).

5- أن الله تكفل بإيقاف الشيطان من الوسواس عند الاستعاذة والذكر، وهذه أقوى أسلحة الإنسان التي تخنس الشيطان، فقال تعالى: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَليمُ) (فصلت/36). وقال: (إِنَّ الذينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف/201) وقال أيضا: (قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلكِ النَّاسِ، إِلهِ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، الذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ)(الناس/1:6).

6-أن الله وعد الإنسان بألا يعذبه إلا إذا بعث له رسولا يذكره بالشيطان وعداوته للإنسان: (كُلمَا أُلقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلهُمْ خَزَنَتُهَا أَلمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلنَا مَا نَزَّل اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الملك/11).

وقال تعالى: (وَلوْ أَنَّا أَهْلكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلهِ لقَالُوا رَبَّنَا لوْلا أَرْسَلتَ إِليْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِل وَنَخْزَى قُل كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَى) (طه/134).

وقال: (رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لأَلا يَكُونَ للنَّاسِ عَلى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء/165). (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا) (الإسراء/15). ولو فرض أن إنسانا انقطعت به أسباب العلم بالشيطان وحقيقته، و لم يعلم بشريعة الله في أرضه وأمانته، و لم يسمع عن الإسلام ورسالته، فإنه معذور عند الله بجهالته لاجتماع الأدلة على ذلك.

- **قاعدة نافعة في اعتصام العبد من الشيطان:**

ما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز منه بالأدلة النقلية:

الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان أحدهما الاستعاذة بالله من الشيطان، قال

تعالى: (**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (الأعراف:200).

وفي صحيح البخاري عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَال: (**كُنْتُ جَالسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ: إِنِّي لأَعْلمُ كَلمَةً لوْ قَالهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لوْ قَال: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، فَقَالُوا لهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَقَال: وَهَل بِي جُنُونٌ**) .

وعند البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ يَقُولُ: (**أُعِيذُكُمَا بِكَلمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُل شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُل عَيْنٍ لامَّةٍ وَيَقُولُ هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَقَ وَإِسْمَعِيل عَليْهِمْ السَّلام**) .

الحرز الثاني: قراءة المعوذتين فإن لهما تأثيرا عجيبا في الاستعاذة بالله تعالى من شره ودفعه والتحصن منه، فعند أحمد وصححه شعيب من حديث ابن عابس الجهني أخبره أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له: (**يا بن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ المتعوذون، قال قلت بلى فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قل أعوذ برب الفلق. وقل أعوذ برب الناس. هاتين السورتين**).

روى ابن ماجة وصححه الألباني عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسِ فَلمَّا نَزَلتْ المُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلكَ).

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي ففي الصحيح روى البخاري من حديث أبي هريرة ❶ أنه قال: (وَكَّلنِي رَسُول اللهِ S بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَل يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلتُ: وَاللهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلى رَسُول اللهِ S قَال: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلى عِيَالٌ وَلى حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَال: فَخَليْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَال النَّبِي S: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَل أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا، فَرَحِمْتُهُ فَخَليْتُ سَبِيلهُ. قَال: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لقَوْل رَسُول اللهِ S إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلى رَسُول اللهِ S. قَال: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلى عِيَالٌ لا

أَعُودُ. فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُول الله S: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَل أَسِيرُكَ؟ قُلتُ: يَا رَسُول الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ. قَال: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثالثة، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلى رَسُول الله، وَهَذَا آخِرُ ثلاث مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَال: دَعْنِي أُعَلمْكَ كَلمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلتُ: مَا هُوَ؟ قَال: إِذَا أَوَيْتَ إِلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكرسي: (اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ الحَي القَيُّومُ) حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لنْ يَزَال عَليْكَ مِنَ الله حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَليْتُ سَبِيلهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَال لِي رَسُول الله S: مَا فَعَل أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلمُنِي كَلمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَليْتُ سَبِيلهُ. قَال: مَا هِيَ؟ قُلتُ: قَال لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكرسي، مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، وَقَال لِي: لنْ يَزَال عَليْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ على الخَيْرِ. فَقَال النَّبِي S: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثلاث ليَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَال: لا، قَال: ذَاكَ شَيْطَانٌ) .

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة ففي الصحيح من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُول الله صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ البَيْتِ الذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**). وفي رواية صحيحة عند أحمد (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنْ البَيْتِ الذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ).

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى الأنصاري قال قال رسول الله S: (مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي ليْلةٍ كَفَتَاهُ).

وعند الترمذي وصححه الألباني عن النعمان بن بشير عن النبي S قال : (**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلفَيْ عَامٍ أَنْزَل مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ وَلا يُقْرَأَانِ فِي دَارٍ ثَلاثَ ليَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ**).

الحرز السادس: قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فعند البخاري من حديث أبي هريرة O أن رسول الله S قال: (**مَنْ قَال لا إِلهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، لهُ المُلكُ وَلهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ**

مَرَّةٍ كَانَتْ لهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لهُ مائَةُ حَسَنَة، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مائَةُ سَيِّئَة وَكَانَتْ لهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ به إلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثرَ مِنْ ذَلكَ).

الحرز السابع: كثرة ذكر الله، وهو من أنفع الحروز من الشيطان. روى الترمذي وصححه الألباني من حديث الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ قَال: (إنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلمَات، أَنْ يَعْمَل بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَال عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلمَات لتَعْمَل بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَال يَحْيَى أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلأَ المَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلى الشُّرَف، فَقَال: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلمَات، أَنْ أَعْمَل بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَل مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ، كَمَثَل رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالصِ مَاله بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَال: هَذِه دَارِي وَهَذَا عَمَلي فَاعْمَل وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلى غَيْرِ سَيِّده، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلكَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاة، فَإِذَا صَليْتُمْ فَلا تَلتَفتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لوَجْه عَبْده فِي صَلاته مَا لَمْ يَلتَفتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَل ذَلكَ كَمَثَل رَجُلٍ فِي عِصَابَة مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْك، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَة فَإِنَّ مَثَل ذَلكَ كَمَثَل رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلى عُنُقه، وَقَدَّمُوهُ ليَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَال: أَنَا أَفْدِيه مِنْكُمْ بِالقَليل وَالكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَل ذَلكَ كَمَثَل رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِه سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، **كَذَلكَ العَبْدُ لا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنْ الشَّيْطَانِ إلا بذكْرِ الله**. قَال النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ **السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ** فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقه إِلا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهليَّة فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ- جمع جثوة بالضم الشيء المجموع أي جماعات جهنم وجمرها- فَقَال رَجُلٌ: يَا رَسُول اللهِ وَإِنْ صَلى وَصَامَ؟ قَال: وَإِنْ صَلى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الذِي سَمَّاكُمْ المُسْلمِينَ المُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ).

قال ابن القيم: (فقد أخبر النبي في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة قل أعوذ برب الناس، فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس، والخناس الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمع وانقبض، وإذا غفل عن ذكر الله تعالى التقم القلب وألقى إليه الوساوس التي هي مباديء الشر كله، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز و جل) .

- **أثر المعصية والطاعة على خواطر الملك والشيطان**

ذكر ابن القيم رحمه الله أن عقوبات الذنوب تباعد عن العبد وليه، وأنصح الخلق له، وأنفعهم له، ومن سعادته في قربه منه، وهو الملك الموكل به، وتدني منه عدوه وأغش الخلق له، وأعظمهم ضررا له وهو الشيطان، فان العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى إنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة ...

وقال بعض السلف: إذا أصبح ابن آدم ابتدره الملك والشيطان، فان ذكر الله وكبره، وحمده وهلله، طرد الملك الشيطان وتولاه، وإن افتتح بغير ذلك، ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان، ولا يزال الملك يَقْرُب من العبد حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له، فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند مبعثه. قال الله تعالى: (إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (فصلت:30/31).

وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق له، وأنفعهم وأبرهم له، فثبته وعلمه وقوي جنانه وأيده. قال تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذِينَ آمَنُوا) (الأنفال:12) ويقول الملك عند الموت: لا تخف ولا تحزن، وأبشر بالذي يسرك، ويثبته بالقول الثابت، وهو أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا وعند الموت، وفي القبر عند المسألة، فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سره، ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه، ويعينه عليه، ويعده بالخير ويبشره به، ويحثه على التصديق بالحق، كما جاء في الأثر الذي يروى مرفرعا وموقوفا: فلمة الملك أيعاذ بالخير وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان أيعاد بالشر وتكذيب بالحق.

وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد. وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم على لسانه قول الزور والفحش، حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان. وفي المسند عَنْ وَهْبٍ السُّوَائِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: (مَنْ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّة بَعْدَ نَبِيِّهَا، فَقُلتُ: أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَال: لا ، خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمَا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلى لسَانِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) رواه أحمد وحسنه شعيب.

وكان أحدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل الصالح فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الملك، ويسمع ضدها فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الشيطان. فالملك يلقى في القلب الحق ويلقيه على اللسان. والشيطان يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان. فمن عقوبة المعاصي أنها تبعد من العبد وليه، الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته، وتدني منه عدوه الذي شقاءه وهلاكه وفساده في قربه وموالاته، حتى أن الملك لينافح عن العبد ويرد عنه إذا سفه عليه السفيه وسبه.

روى أبو داود وصححه الألباني من حديث الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ قَال: (**بَيْنَمَا رَسُولُ الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ جَالسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانيَةَ فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالثَةَ فَانْتَصَرَ منْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَال أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَليَّ يَا رَسُول الله؟ فَقَال رَسُولُ الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ: نَزَل مَلكٌ منْ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَال لكَ، فَلمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلمْ أَكُنْ لأَجْلسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ**) .

وإذا دعا العبد المسلم في ظهر الغيب لأخيه أمن الملك على دعائه فإذا أذنب العبد الموحد المتبع سبيله رسوله استغفر له حملة العرش ومن حوله .

وأعلم أن ورود الخاطر لا يضر، وإنما يضر استدعاؤه ومحادثته، فالخاطر كالمار على الطريق، فإن لم تستدعه وتتركه مر وانصرف عنك، وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره، وهو أخف شيء على النفس الفارغة بالباطلة، وأثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة.

وقد ركب الله سبحانه في الإنسان نفسين نفسا أمارة ونفسا مطمئنة وهمـــا متعاديتـــان، فكلما خف على هذه ثقل على هذه، وكلما التذت به هذه تألمت به الأخرى، فليس علـــى النفس الأمارة أشق من العمل لله ، وإيثار رضاه على هواها، وليس لها أنفع منه، وكذا ليس علي النفس المطمئنة أشق من العمل لغير الله، وإجابة داعي الهوى، وليس عليها شيء أضـــر منه.

والملك مع هذه عن يمين القلب والشيطان، مع تلك عن ميسرة القلب، والحروب مستمرة لا تضع أوزارها إلا أن تستوفى أجلها من الدنيا، والباطل كله يتحيز مع الشيطان والإمارة، والحق كله يتحيز مع الملك والمطمئنة، والحرب دول وسجال، والنصر مع الصبر، ومن صبر وصابر ورابط واتقى الله، فله العافية في الدنيا والآخرة.

وقد حكم الله تعالى حكما لا يبدل أبدا أن العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين، فالقلب لوح فارغ، والخواطر نقوش تنقش فيه، فكيف يليق بالعاقل أن يكون نقوش لوحه ما بين كذب وغرور وخداع وأماني باطلة وسراب لا حقيقة له، فأي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه النقوش، وإذا أراد أن ينتقش ذلك فى لوح قلبه كان بمترلة كتابة العلم النافع فى محل مشغول بكتابة مالا منفعة فيه، فإن لم يفرغ القلب من الخواطر الردية لم يستقر فيه الخواطر النافعـــة فإنها لا تستقر إلا فى محل فارغ.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثانية والعشرون (22)

عنوان المحاضرة

العقل والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

- ما المقصود بالعقل في القرآن والسنة؟
- العقل في المعنى الاصطلاحي
- أثبت العلم الحديث أن العقل في القلب.
- ما هي الغاية الرئيسية من وجود العقل؟
- ما هي حدد المعرفة بالعقل؟
- ما يجب على الإنسان إدراكه بالعقل أمران أساسيان:
- العقل مراقب للخواطر يتابعها ويمحص ما فيها

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

www.alridwany.net

- حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثانية العشرون (22)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثانية والعشرون (22)

عنوان المحاضرة

العقل والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله. (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر/18) (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران/102) أما بعد..

- **ما المقصود بالعقل في القرآن والسنة؟**

العقل ورد في القرآن بمعنى الغريزة التي يفهم بها الإنسان ويميز ما ينفعه ويعود عليه بالخير، كقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ) (الحج:46).

وقوله: (وَقَالُوا كُونُوا **هُودا أَوْ نَصَارَى** تَهْتَدُوا قُل بَل مِلةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) (البقرة:135). (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا **هُودا أَوْ نَصَارَى** قُل أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة:140) .(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ **يَهُودِيّا وَلا نَصْرَانِيّا** وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفا مُسْلِما وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) (آل عمران:67) .. (يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ **بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ) (آل عمران:65) .

وقال الله تعالى: (وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ المُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلا عَجُوزًا فِي الغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآَخَرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِالليْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ وَبِالليْلِ أَفَلا

تَعْقِلُونَ) (الصافات:138).

وقوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ) (البقرة:170).

وورد العقل في السنة بمعنى الدية، كما ورد عند البخاري عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَال: (قُلتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَل عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَال لا إِلا كِتَابُ اللهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَال قُلتُ فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَال العَقْلُ وَفَكَاكُ الأَسِيرِ وَلا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ). وهذا لا يدخل في موضوعنا .

وورد بمعنى الغريزة التي بها يعقل في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَال سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه عَلى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: (أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ نَزَل تَحْرِيمُ الخَمْرِ وَهْيَ مِنْ خَمْسَةٍ مِنْ العِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالعَسَلِ وَالحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَالخَمْرُ مَا خَامَرَ العَقْل).

وصح من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنْ المَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِل).

وورد بمعنى قوة التمييز التي يقوم بها العقل وعند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَال: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلى المُصَلى فَمَرَّ عَلى النِّسَاءِ فَقَال يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلنَ وَبِمَ يَا رَسُول اللهِ قَال تُكْثِرْنَ اللعْنَ وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُول اللهِ قَال أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْل نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلنَ بَلى قَال فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ قُلنَ بَلى قَال فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا).

- **العقل في المعنى الاصطلاحي**

غريزة وضعها الله في قلوب الممتحنين من عباده لا نعرف كيفيتها، ولكن نتعرف على وجودها من أفعال الإنسان وقول اللسان، فيقال هذا عاقل إذا فعل أفعال العقلاء وهذا مجنون إذا لم يتصف بها.

قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا

فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ) (الحج:46). فالآية تدل على أن العقل موجود في القلب.

قال الثعالبي في الجواهر الحسان: (هذه الآية تقتضى أن العقل في القلب وذلك هو الحق، ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ).

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أن السمع محل الأذن، وقد قيل: إن العقل محله الدماغ وروي ذلك عن أبي حنيفة وما أراها عنه صحيحة). وقال القاضي أبو يعلى: (محل العقل القلب ذكره أبو الحسن التميمي في كتاب العقل فقال: الذي نقول به أن العقل في القلب يعلو نوره إلى الدماغ فيفيض منه إلى الحواس ما جرى في العقل).

وقال ابن تيمية: (العقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره ؛ فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل، أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل، ثم من الناس من يقول : العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما أن العقل غريزة، وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر، وفي اللسان قوة بها يذوق، وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء) .

والعقل يقوم بتحصيل المعلومات وجمعها من حواس الإنسان ثم يحللها ويصنف الحدث المرافق لها، ثم يخزنها في ذاكرة الإنسان الذي بدوره يقوم باستدعائها حسبما يشاء.

والإرادة في القلب محل الكسب وهي مسئولة عن شحن العقل بالمعلومات أو تركه خاليا أجوف فارغا، والعقل بدوره يقوم بإدراكها المعلومات وتحصيلها وجمعها وترتيبها، كما أن حواس الإنسان وسيلة نقلها إليه ؛ فهي المسئولة عن إدخال المعلومات وإخراجها، ثم يقوم العقل بعد ذلك بتحليلها وتصنيف الحدث المرافق لها، ثم يخزنها في الذاكرة لاستدعائها حسبما يشاء الإنسان .

- **أثبت العلم الحديث أن العقل في القلب:**

ساد عند كثير من العلماء فهما مفاده أن القلب عبارة عن مضخة ميكانيكية للـــدم وأن مصدر العاطفة والمشاعر هو العقل ولمراد به المخ وليس القلب. فكل الأفكار والتصـــرفات والسلوك مصدرها المخ وأوّل بعض المفسرين دلالة القلب الـــواردة في الآيـــات القرآنيـــة والأحاديث النبوية على أن المراد هو العقل وأخيرا جاء العلم الحديث ليؤكد على أن القلب هو العقل الثاني المتحكم في المشاعر والسلوك.

خلال العامين والنصف الماضيين ازدادت المعرفة حول علـــم الأعصـــاب، ممـــا أدى إلى اكتشاف المزيد من التفسيرات عن الحافز للإنسان، مسألة إخلاصه وولائه، والثقة والالتزام، والتغير السلوكي، أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية.

كانوا يقولون في القديم إن إشارات حواسنا الخمس وتنتقل عبر الجهاز العصـــبي بـــدائرة كهربائية مباشرة إلى المخ فنفكر فيها ثم نستجيب بسلوك معين. وقد ثبت أن هذا الافتراض خاطئ بمعنى أننا نفكر في النهاية وليس في البداية.

وأما الآن فيقولون إننا عندما نقابل شخصا لأول مرة أو نواجه تحديا أو مشكلة أو عندما تلوح لنا فرصة، فإن الموقف سواء تجربة أو خبرة لا تذهب مباشرة إلى المخ لكي نفكر فيها، بل تأتي من الحواس المادية وتذهب في البدء إلى الشبكة العصبية في القلب وليس المخ، وهـــو ما يسمى حديثا عند علماء الفسيلوجيا العصبية بالمخ الآخر.

إن المكان الذي تذهب إليه كل تجربة أو خبرة هو القلب لا المـــخ. ففـــي التســـعينات اكتشف علماء علم القلب العصبي عقلا في القلب يتكون من 400.000 خلية عصبية من مختلف الأنواع إضافة إلى شبكة معقدة من المرسلات العصبية لها طريق ذو اتجاهين يوصـــلها بالمخ. وهناك اكتشاف مدهش آخر هو أن دقات القلب ليست نبضات ميكانيكية لمضخة، بل لديها لغة ذكية تؤثر عن كيفية فهمنا وتفاعلنا مع العالم الخارجي.

إن الدراسات الحديثة في علم الأعصاب توضح أن كل خفقة للقلب يتدفق شلال عصبي

يرمز له بهرمون التوازن ويطلق من خلايا عصبية من القلب لترسل فورا إلى المخ عبر العصب الشوكي.

ويعتبر هذا الهرمون من خلال الدراسات الحديثة الباعث الأساسي للسلوك التحريضـــي، كالإخلاص والولاء والقبول. مع كل نبضة قلب هنالك شكل آخر من أشكال الاتصـــال الفوري مع كل الجسم، وهي عبارة عن موجة تنتقل عبر الشرايين بسرعة تفوق بمرات كثيرة سرعة تدفق الدم. ينشأ نوعا من لغة الاتصال بين القلب والمخ لأن عينات موجة الضـــغط الدموي عينات قلبية إيقاعية معقدة وبهذه الطريقة تؤثر على مجمل الجسم وكذلك المخ

ظهرت دراسات حديثة تبين أن الحقل الكهرومغناطيسي للقلب يعد تقريبا الأقـــوى بين الحقول الكهرومغناطيسية التي ينتجها الجسم وفي الواقع إنه يفوق الحقل الكهرومغناطيســـي للمخ بخمسة آلاف 5000 مرة وطبقا لأبحاث نُشرت في مجلة طب القلب الأمريكية فـــإن التغيرات الكهربائية في الإحساس التي يرسلها القلب البشري يمكن أن تُحس وتقاس على بعد 5أقدام على الأقل.

والحقل الكهرومغناطيسي للقلب ليس محصورا على الجسم في التأثير ولكن أيضـــا لـــديه إشعاع خارجي، وفي الأبحاث الحديثة يمكن قياس هذا الإشعاع من على بعد 2 إلى 3أمتـــار بواسطة جهاز كشف حساس يسمى الماغني توميتر.

وهذا أيضا ما أكدته دراسات أجراها مجموعة من العلماء في جامعة أريزونا في الولايات المتحدة والتي قدمت دلائل على اتصال طاقة بين الحقلين الكهرومغناطيسيين للقلب والمخ.

لذلك ليس غريبا أننا نستند في صدق علاقاتنا على شعورنا الفطري نحو الآخرين أكثر من اعتمادنا على الأفكار التي يتلفظون بها أو الكلمات التي يعتقدونها.

وهذا ما يجعلنا نشعر أن شخصا ما يبطن مشاعر الحب أو الكراهية، وهذا ما يطلق عليه العامة عدم صفاء القلب تجاه الآخر، أو رفضهم لقبول شخص بأنه لم يدخل القلب.

مجلة اليمامة (العدد 1607)

- **ما هي الغاية الرئيسية من وجود العقل؟**

الغاية الرئيسية من وجود العقل معرفة الإنسان ما ينفعه أو يضره، وكيف يحصِّل الخير الأعلى والأفضل دائما ؟ فالعقل شأنه شأن العقل الالكتروني أو الكمبيوتر، غير أن هذا من صنع البشر، وذاك من صنع خالق البشر، وشتان بين هذا وذاك .

ولما كان عظم المنفعة من أجهزة الكمبيوتر يرتبط طرديا مع البرامج العلمية عالية التقنية كان عِظَمُ المنفعة من العقل البشري مرتبطا أيضا مع التزام الإنسان بالمناهج الدقيقة والتشريعات التي تضمن له سبل السعادة في الحياة.

ولن نجد دستورا يتصف بالدقة والشمولية أكمل من منهج الله، فلو وضع الله ⊗ للإنسان منهجا ونظاما ودستورا وأحكاما كان الكمال كله فيه وكان صلاح العقل في اتباعة ؛ لأن علم البشر لا يقارن بعلم الله، والحكم بغير شرعه ونظامه لا يرقي أبدا إلى الحكم بما أنزل الله.

إن صاحب العقل السليم لا يقبل الشرك ولا يرضاه؛ فمن المحال عند العقلاء أن يكون الخالق إلهين اثنين متعادلين في وصف القدرة ؛ فإذا أراد أحدهما شيئا و لم يرده الآخر فلا بد عند التنازع من غالب وخاسر وسيعود الأمر إلى قوي قادر والآخر مربوب مقهور عاجز قال تعالى : ❾ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ❼ (المؤمنون:91).

وقال : ❾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنْ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ❼ (الأنبياء:22) .

ومن المعلوم لدى كل فطرة سليمة أن العاقل هو من يحرص على جلب المنفعة وتحصيلها وحب الخيرات وتفضيلها، ولا نجد عاقلا يفضل الخير الأدنى على الخير الأعلى والعاقل أيضا حريص على دفع المضرة وإبعادها، كما أنه يتحمل مشقة أدنى ليحصِّل منفعة أعلى ويضحي بالقليل ليحصِّل الكثير، ويحرص على الباقي ويزهد في الفاني فالمريض مثلا يتحمل مرارة الدواء طلبا للشفاء.

هذه أوصاف العقلاء النابعة من الفطرة السليمة، ومن هنا كانت دعوة الإسلام دعوة

عظيمة لأنها بنيت على إيثار ما عند الله بطلب الجنة والبعد عن النار، فليس بعد نعيم الجنـــة من خير، وليس بعد عذاب النار من شر، روى مسلم من حديث أَنَسِ بْـــنِ مَالِـــكٍ ⓿ أن رَسُول اللهِ S قال : (يُؤْتَي بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَة فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَل رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لا وَاللهِ يَـــا رَبِّ وَيُؤْتَي بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّة فَيُصْبَغُ صَبْغَة فِي الجَنَّة، فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْـــنَ آدَمَ هَل رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُـــؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ) .

وقال سبحانه وتعالى : ❾ بَل تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَـــذَا لَفِـــي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ❼ (الأعلى:16/19) .

والقرآن يخبرنا أن المعرض عن ربه يعترف بذنبه ويقر على نفسه بأن الله منحـــه غريـــزة العقل لكنه لم ينتفع بها، وأنه لم يكن عاقلا حين فضل الدنيا على الآخرة .

قال الحارث بن أسد المحاسبي : (جميع الممتحنين المأمورين من العقلاء البالغين كلهم لهـــم عقول يميزون بها أمور الدنيا كلها الجليل والدقيق وأكثرهم للآخرة لا يعقلون، ... حكـــى تعالى قول أهل النار فقال : ❾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّـــعِيرِ ❼ (الملك:11)، وقد كانت لهم عقول وأسماع لزمتهم بها الحجة لله ⊗، وإنما عني ⊗ أنها لم تعقل عن الله فهما لما قال من عظيم قدر عذابه، فندمت ونادت بالويل والندم، لا أنها لم تكن تسمع ولا تعقل، ولا كانوا بمجانين، ولكن يعقلون أمر الدنيا، ولا يعقلون عن الله مـــا أخبر عنه ووعد وتوعد) .

وسئل الحارث المحاسبي أيضا : (متى يسمى الرجل عاقلا عن الله تعالى؟ قال : إذا كـــان مؤمنا خائفا من الله ⊗ .. ولا يسمى عاقلا عن الله من يعزم على القيام بسخطه فأقام على ذلك مصرا غير تائب) .

- **ما هي حدد المعرفة بالعقل؟**

العقل هو أساس الجهاز الإدراكى البشرى فهو في القلب يشبه بقيـــاس الأولى المعالج في الكمبيوتر، والحواس تشبه وسائل إدخال المعلومات أو إخراجها، والمخ فيه ذاكرة الإنسان أو

ما يشبه القرص الصلب.

والله عز وجل قد خلق الإنسان بجهاز إدراكي محدود، تحقيقا لعلة معينة، تمثلت في الابتلاء كما قال تعالى: (**إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعا بَصِيرا**) (الإنسان:2). وقال تعالى: (**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسئولا**) (الإسراء:36) .

وقد أجريت التجارب والدراسات الحديثة لتقدير القيم التقريبية للحدود المعينة في المؤثرات الخارجية التي يستقبلها الجهاز الحسي والإدراكي في جسم الإنسان، والتي يطلقون عليها في علم النفس العتبات المطلقة للحواس الخمس فوجدوا الحقائق التالية:

1- أن البصر يدرك به العقل صورة شمعة مضاءة ترى على بعد 30 ميلا في ليل مظلم.
2- أن السمع يدرك به العقل صوت دقة ساعة في ظروف هادئة تماما على بعد 20 قدما.
3- أن التذوق يدرك به العقل ملعقة صغيرة من السكر مذابة في جالونين من الماء.
4- الشم يدرك به العقل نقطة عطر منتشرة في غرفة مساحتها 6أمتار مربعة.
5- أن اللمس يدرك جناح ذبابة يسقط على الصدغ من مسافة 1سم تقريبا.

فإذا كان الجهاز الإدراكي في الإنسان بهذه الصورة في الدنيا، فمن الصعب أن يرى ما وراء ذلك، كالذي يحدث في القبر من عذاب أو نعيم أو يرى الملائكة أو الجن أو عالم الغيب، أو يرى ذات الله وصفاته من باب أولى.

ومعلوم أن عدم رؤيته لهذه الأشياء لا يعني عدم وجودها فالجن مثلا جهازه الإدراكي يختلف عن الإنسان من حيث القوة. قال تعالى في وصف الشيطان: (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ) (الأعراف:27).

- **ما يجب على الإنسان إدراكه بالعقل أمران أساسيان:**

الأمر الأول فيما يجب على العقل إدراكه: معرفة الأسماء وحدودِ الأشياء والعلمُ بخصائصها، والإنسان يكتسب هذا العلم تلقائيا في حياته إلى يوم وفاته، لكن الله ⊗ من عدله وحكمته وفضله ورحمته أنه لا يكلف إنسانا في طفولته، كما قال رسول الله S: (رُفِعَ

القَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حتى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حتى يَشِبَّ، وَعَنِ المَعْتُوهِ حتى يَعْقِل وفي رواية رُفِعَ القَلَمُ عَنْ الغُلامِ حتى يَحْتَلمَ) .

ويكتسب بنوا آدم معرفة الأسماء ويتعلمون حدود الأشياء من العالم المحسوس بعد ولادهم، حيث يتعلمون ذلك شيئا فشيئا. قال ❾ : ⊗ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ❼ (الإنسان:2) .

وقال : ❾ وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلمُونَ شَيْئًا وَجَعَل لكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لعَلكُمْ تَشْكُرُونَ ❼ (النحل:78) .

والناس يتعلمون الأسماء ويعرفون الأشياء شيئا فشيئا، فربما يتعلم الطفل الصغير في ساعة واحدة أو بضعِ ساعات كلمة واحدة أو بضع كلمات، كل يوم يزداد علمه وتقوى معرفته للأسماء وتمييز الأشياء، فيقال له : هذه هرة، وهذه جرة، وهذه بقرة وهذه شجرة إلى غير ذلك من الأسماء، ويُبَين له أن لماذا فعلنا هذا ؟ وهذا يصلح لهذا، وهذا لا يصلح لذاك، حتى يصل عند البلوغ إلى حصيلة علمية تكفي لتكليفه بالأحكام الشرعية، وإدراك الغاية من هذه الحياة، وكيف يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ؟

ومن بديع الصنعة وعجيب القدرة أن العلم بحدود الأشياء وخصائصها الذي يحصله الإنسان في عدة سنوات علمه الله لآدم ❶ في لحظات، فتعلم الأسماء وخصائص الأشياء مرة واحدة، ونزلت المعلومات بقدرة الله تعالى في قلبه دفعة واحدة، فقال سبحانه: ❾ **وَعَلمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ على المَلائِكَةِ فَقَال أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إِلا مَا عَلمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ قَال يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَال أَلمْ أَقُل لكُمْ إِنِّي أَعْلمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** ❼ (البقرة/31) .

وكذلك فعل الله بعيسي ❶ بعد نزوله من بطن أمه، وادعاء قومه أنه ولد من الزنا، فقد تجمعت الكلمات بقدرة الله في لحظات، وأدركها عيسي ❶ بعقله، واستوعبها بقلبه حتى اجتمع البيان لديه، ونزلت حكمة الله عليه، فلما أشارت أمه إليه :

❾ **قَالُوا كَيْفَ نُكَلمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا قَال إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِي الكِتَابَ وَجَعَلنِي**

نَبِيًّا وَجَعَلني مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِـــدَتِي وَلَمْ يَجْعَلنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ على يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ❼ (مريم: 29) .

كيف يتأتى لطفل صغير أن ينطق بهذه الكلمات ؟ أو يعرف تلك المعلومات ويدرك لوازم العبارات ؟ قال تعالى : ❾ إِنَّ مَثَل عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَل آدَمَ خَلقَهُ مِنْ تُرَاب ثُمَّ قَال لهُ كُنْ فَيَكُونُ ❼ (آل عمران:59) .

وقال ❾ : ⊗ ذَلكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْل الحَقِّ الذي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتخِذَ مِنْ وَلدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لهُ كُنْ فَيَكُونُ ❼ (مريم:34) .

ومن ثم فإن الله ⊗ قادر أن يُعَلِّم الناس ما يشاء كما قال : ❾ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِـــنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ ❼ (البقرة:255).

ولكن من حكمته أنه جعل العلم بين الناس درجات، وجعل طلبه نوعـــا مـــن أنـــواع الابتلاءات، ليجتهد الناس في جمعه وتحصيله، ويتعرفوا على الشيء بدليله، ويدركوا مترلـــة العلماء وورثة الأنبياء، وأهمية الوحي الذي نزل من السماء، ولذلك كان أهل العلم أكـــثر الناس خشية لله كما قال سبحانه : ❾ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلمَاءُ ❼ (فاطر/28) .

وآيات القرآن أثبتت للإنسان جهازا للإدراك شاملا متكاملا أساســه في القلــب وأول مهامه إدراك الأشياء ومعرفة الأسماء، وتمييز خصائصها والتعرف على أوصافها. وقد أمر الله عباده باستخدام هذا الجهاز الإدراكي في النظر إلى الإبـــداع الكـــوني والتأمـــل في خلـــق السماوات والتفكر في سائر المخلوقات فقال ❾ : ⊗ إِنَّ فِي خَلقِ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ الليْل وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلبَابِ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ❼ (آل عمران: 191) .

وقال تعالى : ❾ أَفَلمْ يَنْظُرُوا إِلى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لهَا مِنْ فُـــرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُل زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُـــل عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ وَالنَّخْل بَاسِقَاتٍ لهَا

طَلعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الخُرُوجُ ❼ (ق:6) .

وقال أيضا : ❾ أَفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإِبِلِ كَيْفَ خُلقَتْ وَإِلي السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلي الجِبَال كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلي الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ❼ (الغاشية: 16/21).

القرآن يدعو العقلاء إلى توحيد الربوبية بطريقين اثنين :

أحدهما: النظر في آياته الكونية والمخلوقات المرئية بما في ذلك النفس البشرية، فهي في حقيقتها صفحات كونية وأدلة عقلية في كتاب الله الكوني، ودور الإنسان هو التفكر والاعتبار والنظر في العلل والآثار، فالبعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير؟ فدور العقل هنا البحث في المخلوقات وما فيها من حكم وآيات، فإن المفعولات دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات، فالمفعول يدل على الفاعل، والمخلوق يدل على الخالق، وذلك يدل باللزوم على وجود الله وقدرته وعلمه ومشيئته.

الثاني: أما الطريق الثاني لمعرفة ربوبية الله لخلقه وانفراده بتدبير ملكه، فهو التفكر في آياته المسموعة وكلماته المقروءة التي وردت في كتاب الله كما قال ❾ : ⊗ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ على قُلُوب أَقْفَالُهَا ❼ (محمد:24). وقال سبحانه: ❾ كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلبَابِ ❼ (ص:29).

والله ⊗ جعل الآيات الكونية المرئية في الآفاق وفي النفس البشرية جعلها دليلا على صدق الآيات القرآنية والنبوية فقال: ❾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ على كُل شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُل شَيْءٍ مُحِيطٌ ❼ (فصلت:53) .

الأمر الثاني فيما يجب على العقل إدراكه: أن يعلم المسلم ما جاءت به الرسالة السماوية من أحكام شرعية وهداية دينية، فالله ⊗ بعد أن علم آدم ❶ الأسماء وتحقق فيه الأمر الأول كلفه بمنهج شرعي يلتزمه فيما استخلفه واسترعاه واستأمنه، وابتلاه بأن يفعل أمورا محددة ولا يفعل أمورا أخرى فقال تعالى: ❾ وَقُلنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا

رَغَدًا حَيْثُ شئتمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ ❼ (البقرة:35) .

وكذلك بعد أن أنزله ❶ من الجنة كلفه أيضا بافعل ولا تفعل فقال له ولزوجه حـــواء ولسائر الذرية : ❾ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى قَال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَال كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى ❼ (طه:123/126) .

وهكذا لا يكلف الله ⊗ عبيده أمرا ولا يكتب عليهم وزرا إلا إذا بلـغ العبـد سـن الاحتلام، واستوعب المعنى الذي ورد في الكلام، وأدرك شيئا من رسالة الإسلام، فقد ثبت مرفوعا أنه قد رُفِعَ القَلمُ عَنْ الغُلامِ حتى يَحْتَلمَ، وعن النَّائِمِ حتى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ المَعْتُوهِ حـتى يَعْقِل. وقال تعالى: ❾ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولا ❼ (الإسراء:15) .

واعلم أن الرسالة السماوية جاءت بأحكام شرعية تسمى أحكام العبودية يجب على كل مسلم نطق بلا إله إلا الله أن يسأل عنها وأن ينفذ ما علم منها، وهـي خمسـة أحكـام: الواجبات ويقابلها المحرمات، ثم بعد ذلك المستحبات أو المندوبات ويقابلها المكروهات، ثم ما خيرنا الله فيه من أنواع المباحات .

وأحكام العبودية أو إرادة الله الشرعية التكليفية، العلم بها من وظائف الإرادة وأجهـزة الإدراك البشرية، فجهاز الإدراك في الإنسان يمد القلب بالعلم وما ورد من أدلـة الحكـم، والقلب هو محل العقل والإرادة في الإنسان، والمؤمن إرادته مطابقة لما ورد في القرآن والسنة، ومن ثم يتحرك في طاعة الله ورسوله S، وكلما ازداد المسلم علما بالله ⊗ كلمـا علـت خشيته وازدادت محبته، وظهرت سكينته وبانت حكمته وتواضع لله سبحانه، فالعلماء هـم ورثة الأنبياء، قال تعالى : ❾ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلمَاءُ ❼ (فاطر:28)، وقال النبي S: (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا العِلمُ بِالتعَلُّمِ .

ويذكر ابن القيم أن كمال العلم بالله ⊗ يكمن في معرفة خمسة أشياء :

أولها : معرفة الخالق تبارك وتعالى وهو العلم بتوحيد الربوبية .

ثانيها : معرفة أسمائه وصفاته وهو العلم بتوحيد الأسماء والصفات .

ثالثها : معرفة الطريق الموصل إلى الله ⊗ وهو العلم بتوحيد العبودية .

رابعها: معرفة عوائق الطريق وآفاته، وهو الشرك بجميع أنواعه وتقسيماته وخطوات الشيطان وشبهاته .

خامسها: معرفة النفس وعيوبها، والصبر على مداواتها من آفاتها، والاستعانة بالله في حفظها على منهج العبودية والتوحيد .

وقد ذكر ابن القيم أن استكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها، فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها.

وذكر أيضا أن حياة القلب وصحته لا تحصل إلا بأن يكون مدركا للحق مريدا له مؤثرا له على غيره، وذلك لأن القلب فيه قوتان:

1. قوة العلم والتمييز وكماله باستعمالها في إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل.
2. قوة الإرادة والحب وكماله باستعمالها في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل.

وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه ويعود عليه بصلاحه وسعادته، فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه، ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه.

وقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نسأله في صلاتنا أن يهدينا صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. ولهذا كان النصارى أخص بالضلال لأنهم أمة جهل، واليهود أخص بالغضب لأنهم أمة عناد، وهذه الأمة هم المنعم عليهم.

ولهذا قال سفيان ابن عيينة من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود؛ لأن النصارى عبدوا بغير علم واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه.

وينبغي أن تعرف أن هاتين القوتين لا تتعطلان في القلب، بل إن استعمل قوته العلمية في معرفة الحق وإدراكه وإلا استعملها في معرفة ما يليق به ويناسبه من الباطل، وإن استعمل قوته الإرادية العملية في العمل به وإلا استعملها في ضده.

- **العقل مراقب للخواطر يتابعها ويمحص ما فيها**

ذكر ابن القيم أن الله أيد الإنسان بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر أمره الملك بأمر ربه، وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به مرة، وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى، وجعل له مقابل نفسه الأمارة نفسا مطمئنة، إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو الغالب منهما وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهرا لا تقوم معه أبدا.

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نورا وبصيرة وعقلا يرده عن الذهاب مع الهوى، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور: الحذر الحذر، فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق، إن سرت خلف هذا الدليل فهو يطيع الناصح مرة فيبن له رشده ونصحه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة، فيقطع عليه الطريق، ويؤخذ ماله، ويسلب ثيابه؟

ويذكر **أبو طالب المكي في قوت القلوب** أنواع الخواطر وأن أولها خاطر النفس وخاطر العدوّ وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء، لا يردان إلا بالهوى وضد العلم. ثم خاطر الروح وخاطر الملك وهذان محمودان لا يردان إلا بحق، وبما دل عليه العلم.

ثم خاطر العقل، وهو متوسط بين هذه الأربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول، لأن العبد يدخل في هواه بشهوة جعلت له، واختيار لا يعسر عليه، من حيث لا يعقل ولا إجبار، ويصلح أيضا للمحمودين فيكون شاهدا للملك ومؤيدا لخاطر الروح، ويثاب العبد في حسن النية وصدق المقصد.

وإنما كان خاطر العقل تارة مع النفس والعدوّ وتارة مع الروح والملك حكمة من الله تعالى لصنعته، وإتقانا لصنعه، ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول، وصحة شهود وتمييز، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه، إذ قد جعل سبحانه هذا الجسم مكانا لجريان أحكامه، ومحلا لنفاذ مشيئته في مباني حكمته.

كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم، إذ كان مكانا للتكليف، وموضعا للتصريف، وسببا للتعريف العائد من معاني ذلك على صورة العبد من لذة النعيم أو عذاب أليم. فلم يكن العقل غائبا فيكون العبد عن العقل ذاهبا، ولم تكن

الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة. إذ في ذلك تضعيف لحجة الله تعالى عليه، ووهن لبرهانه، لأن العقل شاهد الحجة، والشهوة في النفس مكان البلوى، والنية في القلب طريق الحجة، وذلك أصل سبب عود جزاء الأمر والنهي، فالعقل مطبوع على التمييز، مجبول على التحسين والتقبيح، والنفس مجبولة على الشهوة، مطبوعة على الأمر بالهوى، وهذا نصيبهما من عطائه، وهداه لهما إلى رشاده وإغوائه.

فإذا كانت هذه الخواطر عن أواسط الهداة به وهي الملك ونازع الخير كانت تقوى وهدى ورشدا، وكانت من خزائن الخير ومفتاح الرحمة، إذا كانت هذه الخواطر عن أواسط الهداة به قدحت في قلب العبد نورا وطيبا أدركه الحفظة وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات.

وإن كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدوّ والنفس كانت فجورا وضلالا، وهي من خزائن الشر ومعالق الأعراض قدحت في القلوب ظلمة ونتنا، أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال فكتبوها سيئات.

وكل هذا إلهام وإلقاء من خالق النفس ومسويها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلا لمن شاء، ومنةً وفضلا لمن أحب، كما قال: (وَتَمَّتْ كِلمَةُ رَبِّكَ صِدْقا وَعَدْلا) الأنعام:115 أي بالهداية صدقا لأوليائه ما وعدهم من ثوابه، وبالإضلال عدلا على أعدائه ما أعد لهم من عقابه.

وخلاصة الأمر أن العقل غريزة وضعها الله في قلوب الممتحنين من عباده إظهار لحكمته، وهو يمثل صمام الأمان في منطقة حديث النفس أو اختيارات الإنسان، فهو يقوم بجمع المعلومات الواردة من الخواطر في الداخل أو الحواس في الخارج ثم يقوم بتحليلها وتمييزها وتخزينها في الذاكرة ثم استدعائها وفق إرادة الإنسان، والوظيفة الأساسية التي يقوم بها العقل تمييز الخير من الشر حسب منهج محدد.

فإذا كانت منطقة حديث النفس في الإنسان، فيها نازعان وهاتفان وعقل مميز يتابع الخواطر في الجنان، فكيف تقول الجبرية بأن الإنسان مجبر على العصيان، ولا خير له في الكفر أو الإيمان. وللحديث بقية في اللقاء القادم بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثالثة والعشرون (23)

عنوان المحاضرة

مشيئة العبد وإرادته والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

- من أدلة الاختيار في الإنسان منطقة الكسب.
- منطقة الكسب محلها القلب
- الجوارح وسائر البدن وما يتبعه يتحرك تبعا للاختيار القائم بالقلب
- الفرق بين إرادة العبد ومشيئة
- المشيئة تختلف عن الإرادة والمحبة في النفاق وشهادة الزور
- أعمال القلوب في القلب متراصة بين طريقين في كل قضية ابتلائية :
- أعمال القول في منطقة الكسب تخضع للأحكام التكليفية
- النية هي أساس العمل فالحساب على الإرادة والنية
- وصف ابن القيم للعلاقة بين منطقة الكسب وحديث النفس.

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.net- www.alridwany.com

حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثالثة العشرون (23)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثالثة والعشرون (23)

عنوان المحاضرة

الإرادة والحكمة في خلق الاختيار في الإنسان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد تحدثنا عن منطقة حديث النفس في قلب الإنسان، وأن الله جعل للخواطر في القلب ركنين نفسيين ونازعين ذاتيين متقابلين ومتضادين ليس لأحدهما غلبة على الآخر، أحدهما يدعوا إلى التقوى والإيمان والآخر يدعو إلى الفجور والعصيان.

وجعل أيضا ركنين خارجيين، من خلال هاتفين قرينين، متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان، الأول ويسمى الملك أو هاتف الخير وداعي الإيمان، والثاني يسمى هاتف الشر أو الشيطان، الهاتفان والنازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها.

ومن كمال عدل الله أنه أوجد في منطقة حديث النفس عقلا يمثل صماما للأمان يضبط الأفكار والخواطر في قلب الإنسان، ويميز بين ما ينفع وما يضر، ويقيس من خلاله معاني الخير والشر.

- **من أدلة الاختيار في الإنسان منطقة الكسب.**

ومن أدلة الاختيار في الإنسان أيضا مشيئة العبد وإرادته ومنطقة الكسب وأعمال القلوب، وهى مصدر النيات والإرادات والحركات والسكنات في الإنسان وعليها تقع المساءلة ويدور الحساب على الأقوال والأفعال وكل ما يكتسبه الإنسان.

وذلك لما رواه الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا : (يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى).

ولقوله تعالى: (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْسا إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة: 286) . وقال: (بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:81) . وقال: (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة:225) . وقال: (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لعَلهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم:41) . وقال: (وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ **وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**) (الجاثية:22) (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر:38).

- **منطقة الكسب محلها القلب**

والقلب كما أنه يحتوي على منطقة لحديث النفس وفيها العقل أو وسيلة المعرفة والتميز، فهو أيضا يحتوى على منطقة الكسب التي تمثل منبع الاختيار والإرادة وأعمال القلوب التي يحاسب عليها الإنسان ودليل ذلك من الكتاب والسنة:

قال تعالى: (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ **وَلكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة:225) . وقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلى مَا فِي قَلبِهِ وَهُوَ أَلدُّ الخِصَامِ) (البقرة:204) . وقال سبحانه: (وَإِذَا مَا أُنْزِلتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة:125) وقال: (وَيَقُولُ الذِينَ آمَنُوا لوْلا نُزِّلتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِليْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَليْهِ مِنَ المَوْتِ فَأَوْلى لهُمْ) (محمد:20)

وقوله : (**مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً فَعَليْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) (النحل:106) .

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا أَوْ الحَيَاةِ شَكَّ مَالكٌ

فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً).

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَال لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَفِي قَلبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَال لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَفِي قَلبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَال لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَفِي قَلبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ).

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: (قِيلَ يَا رَسُول اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ لقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَال لا إِلَهَ إِلا اللهُ خَالصًا مِنْ قَلبِهِ أَوْ نَفْسِهِ).

وفي صحيح البخاري عن أَنَسُ بْنُ مَالكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلى الرَّحْل قَال: (يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَال لبَّيْكَ يَا رَسُول اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَال يَا مُعَاذُ قَال لبَّيْكَ يَا رَسُول اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاثًا قَال مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلبِهِ إِلا حَرَّمَهُ اللهُ عَلى النَّارِ قَال يَا رَسُول اللهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَال إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا).

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلهِ يَوْمَ لا ظِل إِلا ظِلُّهُ الإِمَامُ العَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلقٌ فِي المَسَاجِدِ .. الحديث).

وفي صحيح مسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ قَال : (كُنَّا قُعُودًا حَوْل رَسُول اللهِ ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَليْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّل مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُول اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا للأَنْصَارِ لبَنِي النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَل أَجِدُ لهُ بَابًا فَلمْ أَجِدْ فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ وَالرَّبِيعُ الجَدْوَلُ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلبُ فَدَخَلتُ عَلى رَسُول اللهِ ﷺ فَقَال أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلتُ نَعَمْ يَا رَسُول اللهِ قَال مَا شَأْنُكَ قُلتُ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَليْنَا فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَزِعْنَا فَكُنْتُ أَوَّل مَنْ فَزِعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلبُ وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَال يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْليْهِ قَال اذْهَبْ بِنَعْليَّ هَاتَيْنِ

فَمَنْ لقيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بالجَنَّة فكَانَ أَوَّل مَنْ لقيتُ عُمَرُ فقَال مَا هَاتَانِ النَّعْلانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فقُلتُ هَاتَانِ نَعْلا رَسُول اللهِ ﷺ بَعَثَنِي بهِمَا مَنْ لقيتُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بالجَنَّة فضَرَبَ عُمَرُ بِيَده بَيْنَ ثَدْيَيَّ فخَرَرْتُ لاسْتِي فقَال ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَرَجَعْتُ إِلى رَسُول اللهِ ﷺ فأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلى أَثَرِي فقَال لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا لكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلتُ لقيتُ عُمَرَ فأَخْبَرْتُهُ بالذِي بَعَثْتَنِي بِهِ فضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لاسْتِي قَال ارْجِعْ فقَال لهُ رَسُولُ اللهِ يَا عُمَرُ مَا حَمَلكَ عَلى مَا فعَلتَ قَال يَا رَسُول اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْليْكَ مَنْ لقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بالجَنَّة قَال نَعَمْ قَال فَلا تَفْعَل فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِل النَّاسُ عَليْهَا فخَلهِمْ يَعْمَلُونَ قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ فخَلهِمْ) .

وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ : (عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَال رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُل يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَال إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ) .

وفي صحيح مسلم قَال جَابِرٌ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ المَرْأَةُ فوَقَعَتْ فِي قَلبِهِ فَليَعْمِدْ إِلى امْرَأَتِهِ فَليُوَاقِعْهَا فَإِنَّ ذَلكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ).

وفي صحيح الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَال : (صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المِنْبَرَ فنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فقَال يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلمَ بِلِسَانِهِ وَلمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلى قَلبِهِ لا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلا تُعَيِّرُوهُمْ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) .

وفي صحيح الترمذي قَال النبي صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ: (مَنْ سَأَل اللهَ الشَّهَادَةَ مِنْ قَلبِهِ صَادِقًا بَلغَهُ اللهُ مَنَازِل الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلى فِرَاشِهِ) .

وفي صحيح الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالكٍ قَال: (قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَل اللهُ غِنَاهُ فِي قَلبِهِ وَجَمَعَ لهُ شَمْلهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَل اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَليْهِ شَمْلهُ وَلمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لهُ) .

وروى الترمذي وحسنه الألباني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ قَال : (إِنَّ العَبْدَ إِذَا

أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلبِه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِل قَلبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الذِي ذَكَرَ اللهُ : كَلا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

وفي صحيح البخاري أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: (سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ لا يَزَالُ قَلبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُول الأَمَل) .

- **الجوارح وسائر البدن وما يتبعه يتحرك تبعا للاختيار القائم بالقلب**

والبدن وما يتبعه يتحرك تبعا للاختيار القائم بالقلب صلاحا أو فسادا، خيرا أو شرا، فمن أسس الاختيار في القلب وجود إرادة مختارة وأصيلة في منطقة الكسب، ولها دورها الفعال في تحديد مصير الإنسان وتوقيع الجزاء علي أفعاله في الداخل والخارج.

وفي الحديث: (إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف) فالحديث دل علي إثبات إرادة هي أساس المحاسبة في برامج الملائكة.

قال تعالي: (وَمَا كَانَ لنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ الله كتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْته منْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخرَة نُؤْته منْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكرِينَ) (آل عمران:145) .

وقال أيضا: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِه حَتَّى إِذَا فَشلتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ منْ بَعْد مَا أَرَاكُمْ مَا تُحبُّونَ منْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ليَبْتَليَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلى المُؤْمنينَ) (آل عمران:152) .

وقال جل ذكره: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الذِينَ ليْسَ لهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (هود:16). وقال: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلةَ عَجَّلنَا لهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُورا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورا كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً) (الإسراء:20). فهذه الآيات تثبت عدة حقائق هامة لا شك فيها:

أولا: تثبت وجود إرادة ذاتية في القلب كمصدر لأفعال الإنسان وأساس أصيل للنيات والرغبات والقصود والاختيارات الإنسانية الداخلية والخارجية وذلك واضح من قوله ومن كان يرد العاجلة، ومن أراد الآخرة، ومن يرد ثواب الدنيا، ومن يرد ثواب الآخرة.

ثانيا: أثبتت هذه الآيات أن القلب له إرادة مختارة وليست مجبرة أو مسيرة، فأسلوب الآيات العام يثبت الاختيار ويؤكده حيث تصور الآيات عملية طرح الدنيا والآخرة أمام قلب العبد ليختار بينهما ثم يتحرك الجسد تبعا لاختيار القلب.

ثالثا: تثبت هذه الآيات أيضا وجود الضدين اللازمين للاختيار أمام إرادة القلب حيث تثبت الدنيا في مقابل الآخرة، ومن ثم فكل ما يعرض أمام إرادة القلب للاختيار لا بد أن يكون كما دلت الآيات شيئين أو فعليين أو سلوكيين ودائما ضدين، وهذان الضدان أحدهما ينتسب للدنيا ويؤدي إليها، والآخر ينتسب للآخرة ويؤدي إليها، أو أن أحد هذين السلوكين يدل اختيار العبد له علي نية عنده أو رغبة أو حرص أو إيثار أو تفضيل للدنيا والآخر يدل علي نية عنده أو رغبة أو إيثار أو تفضيل للآخرة.

رابعا: تدل الآيات أيضا علي حقيقة هامة وأساسية وهي أن الاختيار القلبي والإنساني ليس اختيار مطلقا بل هو اختيار محدود بين ضدين من الأفعال في كل لحظة معينة، قال تعالي: (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) (الأحزاب:4).

وعند البخاري من حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ أن رَسُول اللهِ صَلى الله عليه وَسَلمَ قَال: (الحَلال بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْل الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلا وَإِنَّ لِكُل مَلِكٍ حِمًى أَلا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلهُ أَلا وَهِيَ القَلبُ) فهي مهمة عملية وقوة إرادية تنتج عن أعمال القلوب.

- **الفرق بين إرادة العبد ومشيئة**

جاء في كتاب الفروق اللغوية: الفرق بين الإرادة والمشيئة أن الإرادة تكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى، والمشيئة لما لم يتراخ وقته.وقيل: الإرادة هي العزم على الفعل، أو الترك

بعد تصور الغاية، المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك. وهي أخص من المشيئة، لان المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فإنك ربما شئت شيئا ولا تريده، لمانع عقلي أو شرعي. وأما الإرادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة.وقد يطلق كل منهما على الآخر توسعا.

روى البخاري من حديث عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالتْ للنَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ: (هَل أَتَى عَليْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَال لقَدْ لقِيتُ مِنْ قَوْمِك مَا لقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلى ابْنِ عَبْدِ يَاليل بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلمْ يُجِبْنِي إِلى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي فَلمْ أَسْتَفِقْ إلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَال إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْل قَوْمِكَ لكَ وَمَا رَدُّوا عَليْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِليْكَ مَلكَ الجِبَال لتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلكُ الجِبَال فَسَلمَ عَليَّ ثُمَّ قَال يَا مُحَمَّدُ فَقَال ذَلكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَليْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ فَقَال النَّبِيُّ ﷺ بَل أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) .

وروى البخاري من حديث أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةُ قَال : (قَال النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لمْ تَسْتَحْيِ فَافعَل مَا شِئْتَ) .

روى البخاري من حديث عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ أنه قَال: (قَال لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْل الجَنَّةِ قُلتُ بَلى قَال هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي قَال إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلكِ الجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ فَقَالتْ أَصْبِرُ فَقَالتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لهَا).

قال تعالى: (قُل إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلصًا لهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّل المُسْلمِينَ قُل إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُل اللهَ أَعْبُدُ مُخْلصًا لهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُل إِنَّ الخَاسِرِينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلا ذَلكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ) (الزمر:15) .

وقال: (إِنَّ الذِينَ يُلحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَليْنَا أَفَمَنْ يُلقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (فصلت:40). وقال: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ

أَصلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود:87) . وقال: (وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) (الكهف:29) . وقال: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ: 13) . وقال: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ) (البقرة:223) .

- **المشيئة تختلف عن الإرادة والمحبة في النفاق وشهادة الزور**

قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة:9) . وقال: (وَإِذَا لَقُوا الذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:76). وقال: (إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلاً) (النساء:142). وقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ) (البقرة:204) . وقال: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) (الحج:30) . وقال: (وَالذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) (الفرقان:72)

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) .

- **أعمال القلوب في القلب متراصة بين طريقين في كل قضية ابتلائية :**

وأعمال القلوب في القلب متراصة بين طريقين، وطرفين جانبين إن مالت إن جانب تركت الآخر لا يمكن أن تميل إلى الجانبين في لحظة واحدة، ورأس أعمال القلوب النية ثم الإرادة ثم الإخلاص ثم المحبة والخوف والرجاء والعزم والصبر والرضا، والكره والبغض، وأعمال توصف بحسبها كالحسد والحقد، والرياء والعجب والنفاق.

ولما كانت الحياة عبارة عن مجموعة من المواقف الابتلائية التي يمر بها الإنسان كما قال الله

عز وجل: (وَهُوَ الذي جَعَلكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:165) . وقال تعالى : (وَهُوَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) (هود:7).

لما كانت الحياة التي يمر بها الإنسان عبارة عن مجموعة من المواقف الابتلائية، فإن أعمال القلوب تميل في كل موقف وفي كل لحظة، إلى جانب الخير أو جانب الشر، تميل بنسب مختلفة تمثل كسب كل إنسان، فقد تكون إرادة الخير في أحد الأيام في الموقف الابتلائي الأول كاملة مائة بالمئة، وفي المقابل ستكون إرادة الشر في ذات الموقف منعدمة تصل إلى صفر بالمائة، ولو كانت نسبة إرادة الخير سبعين، فستكون نسبة إرادة الشر في القلب ثلاثين، ولو كانت إرادة الخير خمسين لكانت إرادة الشر خمسين، فإذا رغب في الخير برء من الشر، وإذا رغب في الإيمان برئ من الكفر.

هكذا ورد البيان في قول الله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:256) وقال سبحانه: (فَذَلكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (يونس:32) . وفي نفس الموقف الابتلائي الأول تختلف درجة الحب عن درجة الإرادة، فقد تكون إرادة الشئ نسبتها كبيرة في جانب تصل إلى مائة بالمائة، وهو من جهة الحب صفر بالمئة أو يزيد قليلا، فيكره الشيء ولكنه يفعله بإرادته، كالمريض في أخذ الدواء يريده ولا يحبة. وكموقف الناس من القتال قال الله تعالى: (كُتِبَ عَليْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لكُمْ وَاللهُ يَعْلمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلمُونَ) (البقرة:216).

وكالمنافق يصلي بإرادته أما في محبته، فهو لا يحب الصلاة ولا يحب من يصلي خلفه أو بينهم، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة: 8) وقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلى مَا فِي قَلبِهِ وَهُوَ أَلدُّ الخِصَامِ) (البقرة:204) . هل يستوي هذا مع من ورد في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ) (البقرة:207).

فالإرادة لها في كل موقف ابتلائي صغيرا كان أو كبيرا لها درجة في الخير وأخري في الشر درجة محددة ولنفرضها مثلا مائة، إن حاز جانب الخير على جزء من المائة كان الباقي لجانب الشر.وهكذا يقال في المحبة إن كان حب الشرع وأحكامه في كل موقف حصل جزءا من المائة كان باقي الحب في جانب الشر، وكذلك النية و الإخلاص والخوف والرجاء والعزم والصبر والرضا، والكره والبغض، كل واحد من هذه الأعمال تحسب درجته في الخير وما يقابلها من الشر، في كل موقف ابتلائي تعلق به حكم شرعي.

والملائكة تكتب ذلك بدقة في كل يوم وتصعد به إلى ربها فيسألهم عن أفعال العباد، روي البخاري من حديث أبي هُريرةَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يَتعاقَبونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بالليل ومَلاَئِكةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصرِ، ثمَّ يَعرُجُ الذينَ باتوا فِيكمْ، فيَسْأَلُهُمْ وهوَ أَعلمُ بهم: كيفَ تَركتُمْ عِبادِي؟ فيَقُولونَ: تَركْنَاهمْ وهم يُصَلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهم يُصَلُّون).

إلى أن تجتمع الأعمال في صحيفة العبد يوم القيامة في منتهى الدقة وفي تسلسل دقيق يقيس كل عمل من أعمال القلوب ومقدار درجته في الخير أو الشر في شفرة تخص كل إنسان هي أشد تعقيدا من الشريط الوراثي الكائن في الحامض النووي.

قال تعالى: (وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الُمجْرِمينَ مُشْفقِينَ ممَّا فيه وَيَقُولُونَ يَا وَيْلتَنَا مَال هَذَا الكتَابِ لا يُغَادرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلمُ رَبُّكَ أَحَداً) (الكهف:49) . وقال: (إِنَّ اللهَ لا يَظْلمُ مثْقَال ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ منْ لدُنْهُ أَجْراً عَظيماً) (النساء:40) . وقال: (وَنَضَعُ الَموَازِينَ القِسْطَ ليَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مثْقَال حَبَّةٍ منْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبينَ) (الأنبياء:47). وقال: (فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَال ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَل مِثْقَال ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (الزلزلة:8).

- **أعمال القول في منطقة الكسب تخضع للأحكام التكليفية**

وأعمال القول في منطقة الكسب على كثرتها إلا أنها تخضع للأحكام التكليفية الشرعية على اختلاف أنواعها، فأحكام التكليف الخمسة الواجب والمستحب والمباح والمكروه والمحرم هذه الأحكام تتعلق بأعمال القلوب جميعا، فالواجب على القلب المتفق علي وجوبه

كما ذكر العلامة ابن القيم، الإخلاص، والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والتصديق الجازم والصبر والنية في العبادة والإنابة والصدق، اتفقت الأمة علي وجوب هذا الأعمال علي القلب، وكل واحد من هذه الواجبات القلبية له درجتان، واجب مستحق وهو مرتبه أصحاب اليمين، وكمال مستحب وهو مرتبه المقربين.

وأما وجوب القلب المختلف فيه كالرضا، فمن أوجبه قال: التسخط حرام ولا خلاص عنه إلا بالرضا وما لا خلاص عن الحرام إلا به فهو واجب، ومن استحبه قال: لم يرد الأمر به في القرآن ولا في السنه بخلاف الصبر، فإن الله أمر به في مواضع كثيرة من كتابه، فقال: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَال وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَات وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة:155). وكذلك التوكل قال تعالي: (وَقَال مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلمِينَ) (يونس:84).

وأمر بالإنابة فقال: (وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَأَسْلمُوا لهُ مِنْ قَبْل أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُون َ) (الزمر:54)، وأمر بالإخلاص فقال: (وَمَا أُمِرُوا إِلا ليَعْبُدُوا اللهَ مُخْلصِينَ لهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلكَ دِينُ القَيِّمَةِ) (البينة:5)، وأمر بالخوف منه سبحانه فقال: (إِنَّمَا ذَلكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْليَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران:175)، وقال أيضاً: (اليَوْمَ يَئِسَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلتُ لكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَليْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكُمُ الإِسلام دِيناً) (المائدة:3)، وأمر بالصدق فقال: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة:119).

وكذلك أمر بالمحبة أعظم الواجبات القلبية فرضية، فالمحبة هي قلب العبادة المأمور بها، بل هي مخها وروحها، قال تعالي: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ وَلوْ يَرَى الذِينَ ظَلمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ) (البقرة:165). وقال: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلةٍ عَلى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيل اللهِ وَلا يَخَافُونَ لوْمَةَ لائِمٍ ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَليمٌ) (المائدة:54) .

وأما الرضا فإنما جاء في القرآن مدح أهله والثناء عليهم لا الأمر به وقال: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلي فِي عِبَادِي وَادْخُلي جَنَّتِي) (الفجر:30) .

وقال: (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (البينة:8).

وأما قول من أوجبه وقال: لا خلاص عن السخط إلا به، فليس بلازم فإن مراتب الناس في المقدر ثلاثة، الرضا وهو أعلاها، والسخط وهو أسفلها، الصبر عليه بدون الرضا، وهو أوسطها، فالأول للمقربين السابقين والثانية للظالمين، والثالثة للمقتصد وكثير من الناس يصبر علي المقدور فلا يسخط وهو غير راض به، فالرضا أمر آخر، وهذا الخلاف بينهم إنما هو في الرضا بالقضاء الكوني، أما الرضا به ربا وإلها والرضا بالإسلام دينا وبمحمد صلي الله عليه وسلم نبيا ورسولا فهذا متفق علي فريضته، بل لا يصير العبد مسلما إلا بهذا الرضا، ومن الواجبات القلبية المختلف فيها أيضا كما ذكر العلامة ابن القيم في مدارج السالكين الخشوع في الصلاة.

والقصد أن هذه الأعمال واجبها ومستحبها هي عبودية القلب فمن عطلها فقد عطل عبودية الله، وإن قامت الجوارح بأحكام العبودية، أما المحرمات التي علي القلب فهي الكبر والحسد والرياء والغفلة والعجب والنفاق، وهذه المحرمات نوعان: إما كفر، كالشك والنفاق والشرك وتوابعها، وإما معصية وهي أيضا نوعان: كبائر، وصغائر، فالكبائر، كالرياء، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والحقد والشماتة، والكبر، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم علي ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك منهم، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، وكذلك اليأس من روح الله، والأمن من مكروه الله، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن، وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، والقلب إذا ترك القيام بها امتلاء بأضدادها ولا بد، وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها، وهذه الأمور قد تكون صغائر في حقه وقد تكون كبائر بحسب قوتها وغلظتها وخفتها ودقتها.

- **النية هي أساس العمل فالحساب على الإرادة والنية**

والنية هي أساس العمل فالحساب على الإرادة والنية، روي البخاري من حديث عمر بنَ الخَطّاب رضي اللّهُ عنه أنه قال: سَمعْتُ رَسول اللّه صلى الله عليه وسلم يَقولُ: (إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإنَّمَا لكُل امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إلى دُنْيا يُصِيبُها، أَوْ إلى

امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إلى ما هاجَرَ إليه).

وروي البخاري من حديث أنسِ بن مالك رضيَ الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعَ من غزوةِ تبوكَ فدَنا من المدينة فقال: إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما سرتم مَسِيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا مَعَكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حَبَسَهمُ العُذر.

فالله لا يحاسبنا عن فعله بنا ولكن يحاسبنا عن فعلنا تجاه شرعه وفعله، فالقدرة بيده وهو الذي أقدرنا، فلو أعجزنا عجزنا وأعذرنا، قال تعالى: (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْساً إلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) (الطلاق:7) وقال: (لَيْسَ عَلى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلى المَرْضَى وَلا عَلى الذينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِه مَا عَلى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلا عَلى الذينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لتَحْمِلهُمْ قُلتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَليْهِ تَوَلوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة:92).

وخلاصة القول أنه من دلائل الاختيار والحرية في الإنسان وجود منطقة الكسب والإرادة، فالقلب فيه منطقتان: منطقة حديث النفس، جعلها الله محلا للخواطر في القلب تحتوى علي ركنين نفسيين ونازعين ذاتيين متقابلين ومتضادين ليس لأحدهما غلبة على الآخر، أحدهما يدعوا إلى التقوى والإيمان والآخر يدعو إلى الفجور والعصيان، وجعل أيضا ركنين خارجيين، من خلال هاتفين قرينين، متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان، الأول هو الملك والآخر الشيطان، الهاتفان والنازعان يسهمان في تشكيل الخواطر في قلب الإنسان خيرها وشرها، وبين النازعين والهاتفين أوجد الله عز وجل عقلا يمثل صمام الأمان، يضبط الأفكار والخواطر في قلب الإنسان، ويميز بين ما ينفع وما يضر، ويقيس من خلاله معاني الخير والشر، ومن أدلة الاختيار في الإنسان أيضا وجود منطقة الكسب والإرادة تصطف فيها أعمال القلوب، وهذه المنطقة هي مصدر النيات والإرادات والحركات والسكنات في الإنسان وعليها تقع المساءلة ويدور الحساب على الأقوال والأفعال وكل ما يكتسبه الإنسان.

يقول تعالى: (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء:89) فالسلامة القلبية في اختياره منهج الله دليلا لأفعاله، فأعمال القلوب في منطقة الكسب لمن أراد السلامة توافق أحكام العبودية في كل صغيرة وكبيرة، والأمر الجامع لمعني القلب السليم

كما ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان: (أنه القلب التي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهية ومن كل شبهة تعارض خبرة، فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسول الله، فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله مع خوفه ورجائه والتوكيل عليه والإنابة إليه والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال.

- **وصف ابن القيم للعلاقة بين منطقة الكسب وحديث النفس.**

ذكر ابن القيم أنك إن تنفذ من ساحة الصدر إلى مشاهدة القلب تجد ملكا عظيما جالسا على سرير مملكته، يأمر وينهى ويولى ويعزل، وقد حف به الأمراء والوزراء والجند كلهم في خدمته، إن استقام استقاموا وإن زاغ زاغوا وإن فسد فسدوا فعليه المعول، وهو محل نظر الرب تعالى، ومحل معرفته ومحبته وخشيته والتوكل عليه والإنابة إليه والرضا به وعنه، والعبودية عليه أولا وعلى رعيته وجنده تبعا، فأشرف ما في الإنسان قلبه، فهو العالم بالله الساعي إليه، المحب له، وهو محل الإيمان والعرفان، وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل، المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل.

وإنما الجوارح أتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والراعي للرعية، والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره، فإن أظلم أظلمت الجوارح، وإن استنار استنارت، ومع هذا فهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب، الذي يحول بين المر وقلبه، ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه، مصرف القلوب كيف أراد وحيث أراد، أوحى إلى قلوب الأولياء أن أقبلي إلي، فبادرت وقامت بين يدي رب العالمين، وكره عز وجل انبعاث آخرين فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، كانت أكثر يمين رسول الله ﷺ : لا ومقلب القلوب. وكان من دعائه: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك، قال بعض السلف: القلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانها. وقال الآخر: القلب أشد تقلبا من الريشة بأرض فلاة في يوم ريح عاصف.

وقد بين ابن القين أن الله سبحانه بعدله وحكمته أعطى العبد قدرة وإرادة يتمكن بها من جلب ما ينفعه ودفع ما يضره فأعانه بأسباب ظاهرة وباطنة، ومن جملة تلك الأسباب القدرة والإرادة وعرفه طريق الخير والشر ونهج له الطريق وأعانه بإرسال رسله وإنزال كتبه وقرن به

ملائكته وأزال عنه كل علة يحتج بها عليه. ثم فطرهم سبحانه على إرادة ما ينفعهم وكراهة مما يؤذيهم ويضرهم كما فطر على ذلك الحيوان البهيم.

ثم كان كثير مما ينفعهم لا علم لهم به على التفصيل والذي يعلمونه من المنافع أمر مشترك بينهم وبين الحيوانات وثم أمور عظيمة هي أنفع شيء لهم لا صلاح لهم ولا فلاح ولا سعادة إلا بمعرفتها وطلبها وفعلها ولا سبيل لهم إلى ذلك إلا بوحي منه وتعريف خاص فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه فعرفهم ما هو الأنفع لهم ما فيه سعادتهم وفلاحهم فصادفتهم الرسل مشتغلين بأضدادها، قد ألفوها وساكنوها وجرت عليها عوائدهم حين ألفتها الطباع فأخبرتهم الرسل أنها أضر شيء عليهم، وأنها من أعظم أسباب ألمهم وفوات أربهم وسرورهم فنهضت الإرادة طالبة للسعادة والفلاح، إذ الدعوة إلى ذلك محركة للقلوب والأسماع والأبصار إلى الاستجابة، فقام داعي الطبع والألف والعادة في وجه ذلك الداعي معارضا له، يعد النفس ويمنيها ويرغبها ويزين لها ما ألفته واعتادته لكونه ملائما له، وهو نقد عاجل وراحة مؤثرة ولذة مطلوبة ولهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر وداعي الفلاح يدعو إلى أمر آجل في دار غير هذه الدار لا ينال إلا بمفارقة ملاذها وطيباتها ومسراتها وتجرع مرارتها والتعرض لآفاتها وإيثار الغير لمحبوباتها ومشتهياتها يقول خذ ما تراه ودع ما سمعت به، فقامت الإرادة بين الداعيين تصغي إلى هذا مرة وإلى هذا مرة، فههنا معركة الحرب ومحل المحنة فقتيل وأسير وفائز بالظفر والغنيمة فإذا شاء الله سبحانه وتعالى رحمة عبد جذب قوى إرادته وعزيمته إلى ما ينفعه ويحييه الحياة الطيبة، فأوحى إلى ملائكته أن ثبتوا عبدي واصرفوا همته وإرادته إلى مرضاتي وطاعتي، كما قال تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذِينَ آمَنُوا سَأُلقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) (الأنفال:12) .

وقال النبي ﷺ : (أن للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاذ بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان إيعاذ بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ :(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:268) .

وإذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتثبيته وخلى بينه وبين نفسه، ولم يكن بذلك ضالا له، لأنه قد أعطاه قدرة وإرادة وعرفه الخير والشر، وحذره طريق الهلاك، وعرفه بها وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها، ثم تركه وما اختار لنفسه وولاه ما تولى فإذا

وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه .

واعلم أن كل إرادة من العبد لا تفتقر إلى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها، بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجعله مريدا، فإن الإرادة هي حركة النفس، والله سبحانه شاء أن تكون متحركة، وأما أن تكون كل حركة تستدعي مشيئة مفردة فلا، وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحي متنفسا ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه إلى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بجملته جاريا، ولا تفتقر كل قطرة منه إلى مشيئة خاصة يجري بها الماء، وكذلك مشيئته لحركات الأفلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث، وكذلك خطرات القلوب ووساوس النفس، وكذلك مشيئته أن يكون العبد متكلما لا يستلزم أن يكون كل حرف بمشيئته غير مشيئة الحرف الآخر، وإذا تبين ذلك فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائيا مريدا، وتلك الإرادة والمشيئة صالحة للضدين، فإذا شاء أن يهدي عبدا صرف داعيه ومشيئته وإرادته إلى معاشه ومعاده، وإذا شاء أن يضله تركه ونفسه وتخلى عنه والنفس متحركة بطبعها، لا بد لها من مراد محبوب هو مألوهها ومعبودها، فإن لم يكن الله وحده هو معبودها ومرادها وإلا كان غيره لها معبودا ومرادا ولا بد، فإن حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها، فإن لم تحب ربها وفاطرها وتعبده أحبت غيره وعبدته، وإن لم تتعلق إرادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها فيه ولا بد، فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت، فإن قلت: فأين مشيئة الله لهداها وضلالها؟ قلت: إذا شاء إضلالها تركها ودواعيها، وخلى بينها وبين ما تختاره، وإذا شاء هداها جذب دواعيها وإرادتها إليه وصرف عنها موانع القبول، فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بإمداد وجودي، ويصرف عنها الموانع التي خلى بينها وبين غيرها فيها، وهذا بمشيئته وقدرته، فلم يخرج شيء من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكوينه البتة، لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم، ولو أن الجبرية أثبتت الأسباب والحكم لأنحلت عنها عقد هذه المسألة، ولو أن القدرية سحبت بساط المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات مع إثبات الحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب سبحانه لانحلت عنها عقدها وبالله التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الخامسة والعشرون (25)

عنوان المحاضرة

الاستطاعة وحكمة الله في خلق الاختيار في الإنسان

- القدرة والاستطاعة من مقومات الحرية في الإنسان تحقيقا للابتلاء.
- الاستطاعة والقدرة قد تكون وبالا على صاحبها.
- الاستطاعة يخلقها الله للعبد مع الفعل ولا يوجد الفعل إلا بها .
- الأدلة النقلية على إثبات الاستطاعة البشرية.
- خلق الفعل وخلق أوصاف الإنسان من تدبير الله الكوني .
- هيأ الله المخلوقات بحيث تسمح بقبول فعل الإنسان وتأثيره فيها
- عقيدة السلف في الاستطاعة تفتح باب الاستعانة بالله على قضاء الحاجة
- الاستطاعة تقوم على ركيزتين مبنيتين على تحقيق الغاية من خلق الإنسان.
- حقيقة الفعل البشري وعلاقته بالاستطاعة
- رأي الإمام الطحاوي في الاستطاعة هل هي قبل الفعل أو معه؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com
www.alridwany.net

حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الخامسة العشرون (25)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الخامسة والعشرون (25)

الاستطاعة وحكمة الله في خلق الاختيار في الإنسان

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إلـــه إلا الله، رب العالمين، مالك يوم الدين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا حياة إلا في حبه وطاعته، ولا نعيم إلا في قربه وجنته ولا صلاح للقلب إلا بإخلاصه في نيته، إله عظيم كريم عزيز رحيم، لا إله إلا هو الواحد الأحد المنفرد في ألوهيته، (إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلونَ عَلى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صَلوا عَليْهِ وَسَلمُوا تَسْليما) (الأحزاب:56) فـــاللهم صلي وسلم وبارك على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار علي دربه إلي يوم الدين، أما بعد..

فقد علمنا أنه من حكمة الله عز وجل خلق الاختيار الحر في الإنسان وأن من مقومـــات ذلك الاختيار وجود النازعين والهاتفين والعقل ومنطقة الكسب وسائر أعمال القلوب، فهذه المقومات تعد أساسا متينا في إثبات حرية العبد ووقوعه تحت المساءلة وتوقيـــع الجـــزاء في الآخرة.

- **القدرة والاستطاعة من مقومات الحرية في الإنسان تحقيقا للابتلاء.**

وهناك مقوم آخر من مقومات الحرية يتمثل في إثبات الاستطاعة البشرية، وقدرة الإنسان على تحقيق ما يختار، فالله عز وجل استخلفهم في الأرض وخولهم واسترعاهم فيها ليبتليهم، فالاستطاعة التي منحها الله للبشر نفهم حقيقتها من خلال إدراك الغايـــة مـــن خلقهـــم، ووجودهم في هذه الأرض بالكيفية التي تحقق معنى الابتلاء، فالله عز وجل لمـــا اســـتخلف الإنسان في الأرض وخوله فيها، جعل طبيعة الكائنات وماهية المخلوقات المستخلف عليها في الأرض تسمح بقبول فعل الإنسان وتأثيره فيها.

كما أن الله عز وجل أقام النواميس الكونية والقوانين الطبيعية بحيث تمكن الإنسان من التملك والسيطرة، والقوة والهيمنة، ما دام يأخذ في الدنيا بأسبابها.

فالله سبحانه وتعالى أعطى العبد ومكنه، فأصبح قادرا مستطيعا فاعلا، وأمره سبحانه عند القدرة بالتواضع واللين، وأن يرد الفضل إلى رب العالمين، وأن يعرف قدره في بدايته وحياته، وما سيؤول إليه في عاقبته، فإذا تذكر العبد وتفكر في نفسه والأشياء من حوله، علم أن حوله وقوته من عطاء ربه، وأن استطاعته إنما هي منحة من الله لعبده.

عند ذلك زال عنه الكبر، ولزمه الخضوع والذل، وتواضع للمولى عز وجل، وشكر من أنعم عليه وانكسرت نفسه خوفا من العقاب وطمعا في الثواب.

فالعبد إذا امتنع عن العبادة مع القدرة عليها منعه الله منها في الآخرة: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورا) (الفرقان:60)، فلما امتنعوا عن السجود مع الاستطاعة في الدنيا سلبها الله منهم في الآخرة، قال تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ).

- **الاستطاعة والقدرة قد تكون وبالا على صاحبها.**

كما أن الاستطاعة والقدرة التي منحها الله للعبد، إن تعاظم بها على الخلق أو احتقرهم أو رد عليهم الحق، وهو يعلم أنه الحق، أو أمره بعضهم بخير أو نهاه عن شر، فأبى عليهم واستكبر، كانت قدرته واستطاعته وبالا عليه.

روي مسلم من حديث سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ، أَنَّ رَجُلا أَكَل عِنْدَ رَسُول الله بِشِمَالِه، فَقَال: كُل بِيَمِينِكَ قَال: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَال: لاَ اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الكِبْرُ، قَال: فَمَا رَفَعَهَا إِلى؟ فِيه).

قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التغابن:16).

وكما أن عقيدة السلف الصالح تدل على إثبات استطاعة الإنسان وعلوه على ما دونه من المخلوقات التي سخرها الله له واستخلفه عليها، فإنهم أيضا أثبتوا استطاعة ذاتية للإنسان،

تتمثل في قدرته على إتمام الفعل المراد له في ظاهر الأبدان.

وهذه الاستطاعة يخلقها الله لهم مع أفعالهم عند إرادتهم، فالجوارح الظاهرة هـــي أدوات الاستطاعة التي تحول الفعل الداخلي في منطقة الكسب إلى فعل خارجي ظـــاهر ملمـــوس يحاسب عليه الإنسان ويكتسب به الحسنات والسيئات.

- **الاستطاعة يخلقها الله للعبد مع الفعل ولا يوجد الفعل إلا بها .**

وقد أجمعوا أنهم لا يتنفسون نفسا، ولا يطرفون طرفة، ولا يتحركون حركـــة إلا بقـــوة يحدثها الله تعالى فيهم واستطاعة يخلقها الله لهم مع أفعالهم، لا يتقدمها ولا يتأخر عنها، ولا يوجد الفعل إلا بها.

وفهم الاستطاعة عند السلف الصالح على هذا النحو يمنع وصف الإنسان بأن لـــه قـــوة مستقلة عن قدرة الله، يفعل بها ما يشاء على الإطلاق.

وهذا الفهم يمنع أيضا أن الإنسان يخلق فعله كما تقول المعتزلة، وفي نفس الـــوقت فـــإن السلف يثبتون استطاعة للعبد ليست مُحدثة للفعل ولا خالقة له وإنما هي استطاعة يكتسب بها الفعل ، لأن الخالق عندهم هو الله ولا خالق للكون سواه.

يقول الحارث بن أسد المحاسبي، وهو يفرق بين معرفة العبد أن العمل تم باستطاعته وأنـــه مسئول عن فعله، وبين إضافة الفضل في هذه الاستطاعة إلى نفسه، ومنته بفعله علـــى ربـــه فيقول: (معرفتك بأنك عملت العمل بالاستطاعة معرفة قائمة في الطبع بالاضطرار، لا تقدر أن تجحد أنك عملته، ولا تحتاج إلى ذلك ولا مخاطبة نفسك به، ولكنك مع ذلك تتناســـى فلا تنظر فيه إلى منة الله عز وجل إذ وهبك القدرة على العمل والطاعة، فلو كان الله عـــز وجل لم يمن عليك بشيء من ذلك، أكنت تقوى عليه؟ أو ترى لنفسك من القدرة في القوة والاستطاعة على إنفاذه؟).

- **الأدلة النقلية على إثبات الاستطاعة البشرية.**

1- قال تعالى: (وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُل سَأَتْلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لهُ فِـــي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُل شَيْءٍ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَال أَمَّا مَـــنْ

ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَل لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا قَالوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَل نَجْعَل لكَ خَرْجًا عَلى أَنْ تَجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَال مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَل بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَال انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَال آتُونِي أُفْرِغْ عَليْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لهُ نَقْبًا قَال هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (الكهف:83/98) .

والشاهد أن الله عز وجل جعل استطاعة العبد وتمكينه في الأرض من خلال متابعة الأخذ بالأسباب كما نص على ذلك في شأن ذي القرنين.

2- وقال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ) (الأعراف:10).

3- وفي إثبات قدرة الإنسان واستطاعته التي خلقها والعود بالفضل فيها إلى الله لا إلى شيء سواه، ما قاله الله في كتابه يوم حنين، قال لأصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خير الناس على وجه الأرض: (لقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَليْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَليْتُمْ مُدْبِرِينَ) (التوبة:25).

وذلك أن قائلا منهم قال: (لن نغلب اليوم من قلة) فلما أعجبوا بكثرقم واتكلوا على استطاعتهم قوتهم ونسوا الله عز وجل في ذلك، رفع الله في الوقت النصر عنهم ليعلمهم أن كثرتهم لا تغنى عنهم شيئا، وأن الله عز وجل هو المولى النصير الذي يمكنهم من الانتصار على عدوهم، لا ينتصرون بعدتهم لا عددهم، ثم من رحمة الله عز وجل عليهم بالنصر إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ولهم ونصرة لدينه.

4- قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ) (التغابن:16)، فالاستطاعة من أدلة الاختيار في

الإنسان، وهو مسئول عنها عند وضع الأفعال في الميزان.

5- وقال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران:97) والمقصود بالاستطاعة في الآية، سلامة الأعضاء الجسدية اللازمة لأداء النسك، ووجود الأدوات الخارجية التي تمكن الإنسان من السفر إلي مكة وتكفيه فترة النسك وتلك الأدوات هي الراحلة والزاد، فمن توفرت له الاستطاعة فقد وجب على الحج وإلا ارتكب محرما بتركه ركنا من أركان الإسلام.

6- وقال تعالى أيضا عن شعيب عليه السلام: (إِنْ أُرِيدُ إِلا الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود: من الآية 88) .

7- وقال عن إعداد القوة بأقصى ما يمكن لإرهاب الأعداء: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (الأنفال:60) فالله عز وجل كلف العباد بما في وسعهم وعلي قدر استطاعتهم، وفي حالة عجز العبد أو ضعفه، فإن الله يحاسبه علي نيته وإرادته، وهذا منهي الكمال في إثبات عدل الله عندما جعل الإنسان مسئولا عن اختياره موقوفا على حاله في الإيمان أو الكفر.

8- وقال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النساء:25)

9- وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المجادلة:4) .

10- وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً) (النساء:97) .

11- وقال تعالى: (لَيْسَ عَلى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلى المَرْضَى وَلا عَلى الذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلا عَلى الذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلهُمْ قُلتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلكُمْ عَليْهِ تَوَلوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة:91/92) .

12- وقال سبحانه: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (الأحقاف:26) .

فالاستطاعة والقدرة يجعلها الله مع الفعل منة من الله لعباده، فالله هو المعطى المحسن المنان القادر المهيمن الديان الذي يعطى من يشاء ما يشاء، ويمنع من يشاء ما يشاء، فالأفعال مخلوقة لله والكسب للعبيد، فكل ما يصدر عن العبد من طاعة أو معصية، فالله يخلقها بتمامها، ولكن الكسب ينسب للعباد.

فالإنسان ليس محدثا لفعله أو خالقا له، فدور الاستطاعة البشرية تجاه الفعل المخلوق لله اكتسابه فقط، والحكم بالحسن والقبح لفعل الإنسان، مبنى على نتيجة اختياره، وليس نتيجة لخلق الله للفعل، فإن وافق الإنسان الشرع كان الفعل خيرا وإن خالفه كان شرا، فالعلة في كون الفعل خيرا أو شرا هو الاختيار الإنساني.

- **خلق الفعل وخلق أوصاف الإنسان من تدبير الله الكوني .**

أما مسألة خلق الفعل وخلق أوصاف الإنسان فهذا تدبير الله الكوني، كما قال تعالى: (هُوَ الذِي خَلقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِيرٌ) (التغابن:2) فالذبح أفعاله واحدة، خلقها الله وحده، السكين والذبيحة، لكن الذبح يكون قربة لله وإيمانا وتوحيدا إذا وافقت نية العبد وإرادته شرع الله، ويكون الذبح لعنة وكفرا وشركا إذا خالفت نية العبد وإرادته شرع الله، فالفعل خلقه الله ونية العبد تكسبه معني الخير والشر.

وكذلك مثلا المعاشرة بين الرجل والمرأة، أفعال المعاشرة واحدة، تتم بقدر الله وخلقه

لعباده هو الذي أقدرهم على الفعل ومنحهم سلامة آلاته وركب في كل منهمـــا شـــهواته ابتلاء وامتحان له في حياته، لكن نقول عن المعاشرة زواجا وحلالا وابتهاجا إذا كانت على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ونكاح بإذن أولياء المرأة، ونقول عن المعاشرة زنا وفاحشة وخيانية واغتصابا إذا كانت مخالفة لشرع الله، فالفعل واحد خلقه الله في الحالتين، والنية هي التي تكسب الفعل معنى الخير والشر.

ولذلك روي البخاري من حديث عمر بنَ الخَطّابِ رضي اللهُ عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّما الأعْمَال بالنِّيات، وإِنَّمَا لكُل امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إِلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إِلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إِلى ما هاجَرَ إِليه).

وقال تعالى: (ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الـــذِي عَملوا لعَلهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم:41). فالاستطاعة التي خلقها الله في الإنسان صالحة للضدين من الأفعال بين الخير والإيمان وبين الشر والكفران.

إن مسئولية الإنسان تكمن في امتثاله الطاعة في الوقت الذي كـــان فيـــه مســـتطيعا أن يكتسب المعصية، والعكس كذلك، فالاستطاعة عند السلف قدرة مخلوقة مجردة عـــن الخير والشر قبل أن تتلبسها إرادة العبد، فالاستطاعة صالحة للضدين من الأفعال، خيرا كـــان أو شرا، فالعباد مختارون لكسبهم مريدون ميسرون لقدرهم، وليسوا بمحمولين عليه ولا مجبرين ولا مستكرهين فيه.

ومن هنا فإن الله لم يجبر عبدا على الاختيار، ولو كان ذلك إلى الطاعة، كما أنه لم يجـــبر عبدا على كسبه، ولو كان ذلك إلى المعصية، فهو سبحانه وتعالى يمد المؤمن بعـــد وجـــود اختياره للإيمان والطاعة بالاستطاعة، ويمد الكافر بعد اختياره للعصيان بالاســـتطاعة، يمـــد الإنسان ويخلق له أفعاله صالحة للكفر والإيمان كما قال سبحانه وتعالى: (وَمَا كَانَ لنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابا مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:145)

وقال: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلةَ عَجَّلنَا لهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلنَا لهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوما مَدْحُورا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورا

كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورا) (الإسراء:20).

- **هيأ الله المخلوقات بحيث تسمح بقبول فعل الإنسان وتأثيره فيها**

لقد سخر الله المخلوقات وفق ثوابت وسنن، ونواميس وقوانين كونية، تترابط فيها الأسباب بحيث تسمح بقبول فعل الإنسان وتأثيره فيها تحقيقا لعلة الابتلاء، وهذه العلل والمعلولات يحكمها الله سبحانه وتعالى ويدبر أمرها لانفراده بالخلق والتدبير، فالعلة كالبذرة مثلا خلقها الله وجعلها سببا في النبتة، والنبتة سبب في الثمرة، البذرة والنبتة والثمرة علل ومعلولات من خلق الله وتقديره، وهو حاكم عليها وعلى حتميتها، فالعلة لا تملك حتمية صدور نتيجتها أو معلولها، إذ ليس لها فعل مستقل، وإنما يخلق الله نتيجتها أو معلولها للعبد ابتلاء، أيشكر ويرد الفضل إلى الله، أم يتعالى ويكفر بالله، فشتان بين من قال: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرا) حين كان له ثمر (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَال لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرا) (الكهف:34)

وبين من قال: (قَال لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا لكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدا وَلوْلا إِذْ دَخَلتَ جَنَّتَكَ قُلتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَل مِنْكَ مَالا وَوَلدا) (الكهف:39).

فالله عز وجل خالق الأسباب والأفعال وهو الذي يهيئ الأسباب ويمنح العبد استطاعته من خلالها، يعطى من يشاء ما يشاء، ويمنع من يشاء ما يشاء، وكما أن أهل الحق أثبتوا حقيقة الأسباب وأنها تؤدى فعلها في الكون بقدرة الله، وبسبب ما أودع فيها من قوى وتأثير لا ينبع من ذاتها بل بإرادة الله فيها، كما أنهم أثبتوا حقيقة الأسباب فإنهم أيضا قالوا: لا يعنى وجود الأسباب وترابطها وتسلسلها واضطرادها أن شيئا يحدث بعيدا عن قدرة الله، أو أن فعلا يخرج عن فعل الله وخلقه للأشياء.

- **حتمية الترابط بين العلل والمعلولات وعدم حتميتها في خرق العادات.**

فالله عز وجل قد يخرق العادات ويجعل لبعض خلقه ما يشاء من المعجزات والكرامات أو غير ذلك من خوارق العادات، فمن الممكن أن معلولات يحث بغير علة، كما حدث لمريم ابنة عمران إذ وجدت الطعام معلولا، دون علة ظاهرة، ثمرة بلا نبتة، وفاكهة بلا شجرة،

وقد ردت مريم ذلك لمطلق القدرة، ومشيئة الله في أن يرزق بأسباب أو بغير أسباب، يقول تعالى: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُول حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتا حَسَنا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلمَا دَخَل عَليْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقا قَال يَا مَرْيَمُ أَنَّى لكِ هَذَا قَالتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران:37)،

وكذلك ما كان من شأن عيسى عليه السلام حيث شاء الله أن يخالف بميلاده السنة الجارية، فالذي خلق الإنسان من أب وأم بمشيئته وقدرته، خلق عيسى من غير أب بمشيئته وقدرته، فالخالق في الأمرين واحد، فلما بشرت به أمه: (قَالتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلدٌ وَلمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَال كَذَلكِ اللهُ يَخْلقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران:47) فبين الله هنا أنه لا يحتاج إلى إيجاد العلة لإيجاد المعلول، وإنما هو إذا أراد شيئا بمشيئته أنشأه وأبدعه بقدرته، يقول للشيء كن فيكون: (ذَلكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْل الحَقِّ الذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُول لهُ كُنْ فَيَكُونُ) (مريم:35).

وأيضا يمكن أن تحدث علل وتتخلف معلولاتها، وأسباب دون حدوث نتائجها، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما حدث لإبراهيم عليه السلام حين وضعوه في النار، إذ يقول تعالى في شأنه: (قَالوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلينَ قُلنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدا وَسَلاما عَلى إِبْرَاهِيم وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدا فَجَعَلنَاهُمُ الأَخْسَرِين) (الأنبياء:70) فالنار حسب السنة الطبيعية في اطراد العلل والمعلولات، علة للإحراق وعلى الرغم من ذلك فإن الله قد شاء أن يتخلف المعلول عن العلة.

- **عقيدة السلف في الاستطاعة تفتح باب الاستعانة بالله على قضاء الحاجة**

إن من أثر هذا الفهم الإسلامي العظيم أنه يفتح بابا واسعا عند أهل اليقين في الاستعانة بالله على قضاء حوائجهم وتوفيقهم إلى عبادته سبحانه وتعالى، فالنقطة الأساسية التي نود أن نوجه إليها الأنظار في قضية القضاء والقدر وعلاقته باستطاعة الإنسان، هي التزامه بربه في شرعه وقدره، وإلزام العبد أن يلوذ به ولا يستبد الإنسان بقدرته أو يتمرد بالاعتماد على طاقته.

وما أجمل سيد الاستغفار الذي رواه البخاري من حديث شداد بن أوس رضيَ الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيدُ الاستغفارِ أن يقول: اللهمَّ أنتَ ربِّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووَعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شر مَا صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبُوءُ لك بذنبي، فاغْفِرْ لي، فإنه لا يَغفرُ الذنوبَ إلا أنت، من قالها من النهارِ مُوقِنا بها فماتَ من يومِه قبل أن يمسي فهو من أهل الجَنة، ومن قالها من الليل وهو موقِنٌ بها فماتَ قبل أن يصبحَ فهو من أهل الجنة).

- **الاستطاعة تقوم على ركيزتين مبنيتين على تحقيق الغاية من خلق الإنسان.**

ويمكن القول من خلال ما سبق أن الاستطاعة تقوم على ركيزتين أساسيتين مبنيتين على تحقيق الغاية من خلق الإنسان، واستخلافه في الأرض وتخويله فيها لعبادة الله:

الركيزة الأولى: ركيزة خارج النفس البشرية وتكمن في تكييف الكائنات وتسخير المخلوقات بالصورة التي تمكن الإنسان في الأرض، كيَّفها ربها وفق سنن معلومات، وأجراها على علل ومعلولات، تسير بأسباب محكمات، وتسمح بقبول فعل الإنسان وتأثيره فيها، وتعطيه معنى التملك والسلطنة، والقوة والهيمنة، ما دام يأخذ بهذه الأسباب، وسوف تبقي على هذا الحال إلى يوم القيامة، كدار استخلاف وابتلاء للإنسان، فالله عز وجل أقام النواميس الكونية والقوانين الطبيعية المستمرة في ثبات من خلال عملية الترابط بين الأسباب والمسببات واطراد العلل والمعلولات، بحيث تسمح بقبول فعل الإنسان وتأثيره فيها، وكلما تمكن الإنسان من الأسباب التي خلقها الله أظهر له النتائج والمعلولات فضلا ونعمة من الله عليه لما سخر له الكائنات.

أما الركيزة الثانية لاستطاعة الإنسان: فهي ركيزة داخلية تكمن في ذات النفس البشرية، وهي الاستطاعة الذاتية للإنسان على الفعل، تكون مع الفعل وتتخللها النية والإرادة.

ولمزيد من البيان لا بد من التعرف على فعل الإنسان وحقيقة، فالإنسان في ابتلاء مستمر بين الحركات والسكنات، فإن سكن إلى تدبير الله كانت العصمة والتوفيق من الرحمن، وإن لم يسكن إلى تدبير الله كان الإضلال والخذلان، فما يحدث في منطقة حديث النفس، وأيضا

في منطقة الكسب، ما يحدث من خواطر واختيارات تتم في داخل الإنسان، تتحـــدد بنـــاء عليها الأفعال الظاهرة في الجوارح والأركان، سواء أكان الفعل خيرا أو شرا، إيمانا أو كفرا، كل ذلك حسب النية الداخلية المحركة.

- **حقيقة الفعل البشري وعلاقته بالاستطاعة**

لو شبهنا موقف الإرادة من العلل والأسباب التي يأخذ بها الإنسان في فعله بالخيط الذي يربط الحب أو الخرز، فإرادة العبد تشبه الخيط الذي ينتظم عليه الحب أو الخرز ليكون شكلا حسنا أو قبيحا، وهذا التشبيه بالغ الدقة، لأنه مما لا شك فيه أن أي فعل ظاهر يقـــوم بـــه الإنسان، يتم كما هو معلوم بالضرورة من الواقع بأعضائه الجسدية أو بالأدوات الخارجيـــة التي يستعين بها على إتمامه، كما أنه من المعلوم أيضا أن أي فعل يحدث عبارة عن عدة أفعال صغيرة ينتهي كل منها في حقيقته إلى حركات وسكنات سواء كانت حركات نفســـية أو جسدية أو طبيعية.

هذه الحركات والسكنات تتشكل بالضرورة في شكل معين، وبتوقيت معين يفرضـــهما نوع الفعل المكتسب والغاية من هذا الفعل، كما أن الفرق بين فعل وآخر، وهـــو اختلاف هذه الحركات والسكنات كما وكيفا زمانا ومكانا.

مثال ذلك: لو فرضنا أن والدا يؤدب ولده ضربا، وآخر يحتضن ولده شفقة وحنانا، فإن كلا من الفعلين يستخدم الوالد والولد، كل منهما يستخدم حركة الأعضاء في البدن مـــع إرادته الداخلية وبقية أعماله القلبية، ومن ثم فمجموع الحركات والسكنات ليس في الحقيقة سوى علة لوجود الفعل المراد ونتائجه، وفي نفس الوقت فإن كل حركة سابقة تصبح علـــة وسببا للحركة التالية المعلولة، التي ما تلبث أن تصبح هي الأخرى علة لمعلولها الذي يليهـــا، وهكذا حتى تأتى الحركة الأخيرة التي هي معلول وليست علة.

وعلى ذلك فالفعل البشرى يبدأ بنية وإرادة وينتهي بعد تفاعلات بين الحركة والسكون بتحقيق المراد، فالفعل البشرى علته الأولى البادئة أو علة بدايته داخليـــة في ذات الإنســـان ومتمثلة في إرادة الفعل، ونهاية الفعل أو معلوله الأخير أيضا داخلي في ذات الإنسان ومتمثل في تحقيق المراد وإشباع الإرادة، فهو إما ينتهي محققا لذة وسرورا ومتعة، أو محققا ألما وضررا

وبؤسا.

ومساحة ما بين العلة الأولى والمعلول الأخير من العلل والمعلولات الخارجية في الفعل البشرى فهي من خلق الله وتوفيقه وإمداده وتيسيره وهذه المساحة هي حبات العقد أو الخرز في المثل الذي ذكرناه.

أما قيام العلة الأولى وامتدادها إلى تحصيل المعلول الأخير فهو الخيط الذي ينظم الحب والخرز في العقد، وهذا يطابق المعنى المشار إليه في قوله سبحانه وتعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وكما قال تعالى: (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلونَ) (الصافات:96)، فالفعل البشرى الاختياري ليس سوى مجموعة من العلل والمعلولات تبدأ بعلة أولى وهي الإرادة وتنتهي بالمعلول الأخير وهي تحقيق المراد.

فالفعل المختار نابع من ذات الإنسان وهو المسئول عنه تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّما الأعْمَال بالنِّيات، وإِنَّمَا لكُل امْرِىءٍ ما نَوَى).

ومن هنا فلا عجب في تشبيه الإرادة البشرية بالخيط الرفيع الذي ينظم الخرز أو حبات العقد، فالاستطاعة أو العلل والمعلولات تتلبس بها الإرادة وتصاحب الفعل مصاحبة الخيط لحبات العقد، فكما أن فصوص العقد موجودة أصلا ودور الخيط هو تجميع الفصوص بالكم والكيف والشكل الذي يُنتج في النهاية شكلا مرغوبا أو مكروها، كذلك دور الإرادة مع الاستطاعة البشرية في إتمام الفعل، فدورها هو تجميع العلل والمعلولات وترتيبها بنسب معينة كما وكيفا، بحيث يؤدى هذا التجميع المنتظم حسب هذه النسب إلى أفعال مرغوبة ومرادة للفاعل أو مكروهة.

وأهل اليقين يرون أن قلادة التوحيد التي يجب أن يتحلى بها المسلم أن خيطها هو الالتزام بشرع الله واختيارهم له، وحباتها أو خرزها هو فعل الله بهم سواء بترابط العلل أو بانفكاكها، وذلك يكون عندهم بالرضا والتسليم المطلق لله في كل شيء شرعه لهم تحقيقا لمعنى العبودية، وفي كل فعل قدره عليهم تحقيقا لمعنى الربوبية.

- **رأي الإمام الطحاوي في الاستطاعة هل هي قبل الفعل أو معه؟**

ذكر الإمام الطحاوي أن الاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا) (البقرة:286فالاستطاعة عنده على نوعين:

النوع الأول من الاستطاعة: استطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، وهي التي تكون مناط الأمر والنهي، وهي المصححة للفعل، فهذه لا يجب أن تقارِن الفعل بل قد تكون قبله متقدمة عليه، وهذه الاستطاعة المتقدمة صالحة للضدين، ومثال هذه الاستطاعة قوله تعالى: (وَللهِ عَلى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِليْهِ سَبِيلا) (آل عمران: 97)، فهذه الاستطاعة قبل الفعل، ولو لم تكن إلا مع الفعل ما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجبا على أحد قبل الإحرام، بل قبل فراغه، ومن أمثلتها قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن: 16) فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط، إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة، وقال تعالى: (لا يُكَلفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا)، والوسع هو الذي تسعه وتطيقه، فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات إلى غير ذلك من الأدلة. وهذه الاستطاعة هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب وعليها يتكلم الفقهاء وهي الغالبة في عرف الناس.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بقدر الاستطاعة، فإن استطاع المسلم تغيير المنكر باليد كان ذلك هو الواجب في حقه، فإن كان عاجزاً عن التغيير باليد، وكان بمقدوره النهي باللسان كان ذلك هو الواجب عليه، وإن كان عاجزاً عن التغيير باللسان وجب عليه الإنكار بالقلب وكراهية المنكر، وهذا في مقدور كل إنسان. والأصل في ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً :(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو

مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

المرتبة الأولى من مراتب إنكار المنكر الإنكار باليد وهي أقوى مراتب الإنكار وأعلاهـا، وذلك كإراقة الخمر، وكسر الأصنام المعبودة من دون الله، ومنع مـن أراد الشـر بالنـاس وظلمهم من تنفيذ مراده، وكإلزام الناس بالصلاة وبحكم الله الواجب اتباعه ونحـو ذلـك. وذلك لمن كان له ولاية على مرتكب المنكر كالسلطان أو من ينيبه عنـه كـوالي الحسـبة وموظفيه، كل بحسب اختصاصه وكذا المسلم مع أهله وولده، يلزمهم بأمر الله، ويمنعهم مما حرم الله، باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام يقوم بهذا حسب الوسع والطاقة. وقد جاء في القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام : (وَتَاللهِ لأَكِيْدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلهُـمْ جُذَاذاً إِلا كَبِيْرَاً لهُمْ لعَلهُمْ إِليْهِ يَرْجِعُونَ) فإبراهيم عليه السلام كسر الأصنام بيـده. وقـال تعالى: (وَانظُرْ إِلى إِلهِكَ الذِّي ظَلتَ عَليْهِ عَاكِفَاً لنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لنَنسِفَنَّهُ فَي اليَمِّ نَسْفَاً) ، فـأخبر سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام أنه أحرق العجل الذي عبد من دون الله ونسـفه في اليم. وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخل النبي صلى لله عليه وسـلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: (جَاءَ الحَـقُّ وَزَهَقَ البَاطِل إِنَّ البَاطِل كَانَ زَهُوْقَاً). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الختزير، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنـت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي ابن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأهرقها فهرقتها).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى اله عليه وسلم : (أنه نزع خاتم ذهب من يد رجل آخر). وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النـبي في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقينَّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قُطعت).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه.

وعنها رضي الله عنها أنها كانت قد اتخذت على سهوة لها ستراً فيه تماثيل فهتكه النـبي فاتخذت منه نمرقتين، فكانتا في البيت يجلس عليهما. فهذه بعض الأدلة ونظيرها كثير تـدل

على تغيير المنكر باليد، بالقول والفعل من الرسول وصحابته الكرام رضوان الله عليهم ومن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولكن التغيير للمنكر باليد لا يصلح لكل أحد وفي كل منكر، لأن ذلك يجر من المفاسد والأضرار الشيء الكثير، وإنما يكون ذلك لولي الأمر أو من ينيبه، مثل رجال الهيئات والحسبة، الذين نصبهم ولي الأمر للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكالرجل في بيته يغير على أولاده، وعلى زوجته وعلى خدمه، فهؤلاء يغيرون بأيديهم بالطريقة الحكيمة المشروعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق ويجلد الشارب، ويقيم الحدود، لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد، لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك، فهذا ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر) .

المرتبة الثانية من مراتب الإنكار الإنكار باللسان وذلك حينما لا يستطيع من رأى المنكر تغييره بيده لعدم سلطته على مرتكبه، أو لما يترتب عليه من المفسدة المساوية أو الراجحة، فإنه ينتقل إلى التغيير باللسان، وذلك بتعريف الناس بالحكم الشرعي بأن هذا محرم ومنهي عنه، فقد يرتكب المنكر لجهله به، فيمكن تغيير المنكر عن طريق الوعظ، والنصح، والإرشاد، والترغيب، والترهيب، والتقريع،والتعنيف ونحو ذلك من البيان. وهذه المرتبة يلتقي فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالدعوة إلى الله، فكلاهما بيان للحق وترغيب فيه، وتنبيه على الباطل، وتحذير منه، وتخويف وترهيب عنه، بما يناسب حال المخاطب ويقتضيه المقام.

المرتبة الثالثة من مراتب الإنكار الإنكار بالقلب فإذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان، انتهى إلى الإنكار بالقلب فيكره المنكر بقلبه، ويبغضه، ويبغض أهله يعلم الله ذلك منه إذا عجز عن تغييره بيده ولسانه وهذا الواجب لا يسقط عن المؤمن بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه ولا شيء يحول بينه وبينه، وليس هناك شيء من التغيير ما هو أقل منه، كما جاء في حديث أبي سعيد المتقدم : وذلك أضعف الإيمان . يعني أقل ما يمكن به تغيير المنكر.

وكذلك الحديث الآخر عن ابن مسعود رضي الله عنه :(وليس وراء ذلك من الإيمان حبة

خردل)، أي لم يبق بعد هذا من الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن ويثاب عليه، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان.

وإذا لم يستطع الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، تغيير المنكر بيده، ولا بلسانه، فإنه يجب عليه حينئذ إنكاره بقلبه كما سبق بيانه وعليه أن يهجر المنكر وأهله، فإن عجزه عن الإنكار ليس عذراً يبيح له مشاهدة ذلك المنكر أو مجالسة أهله.قال تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الذِينَ يَخُوضُوْنَ فَي آيَاتنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فَي حَدِيْث غَيْرِه) . وقال سبحانه: (وَقَدْ نَزَّل عَلَيْكُمْ فَي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَات اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوْضُواْ فَي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلهُمْ) .

النوع الثاني من الاستطاعة: الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل، وهذه هي الاستطاعة المقارنة للفعل الموجبة له، ومن أمثلتها قوله تعالى: (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) (سورة هود، الآية: 20)، وقوله تعالى: (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلكَافِرِينَ عَرْضًا)(الذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) (سورة الكهف، الآيتان: 100، 101)، فالمراد بعدم الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم، فنفوسهم لا تستطيع إرادته، وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه، وهذه حال من صدَّه هواه أو رأيه الفاسد عن استماع كتب الله المنزَّلة واتباعها، وقد أخبر أنه لا يستطيع ذلك، وهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة للفعل، وهذه الاستطاعة هي الاستطاعة الكونية وهي مناط القضاء والقدر وبها يتحقق وجود الفعل قال ابن تيمية: (الصواب أن الاستطاعة التي هي مناط الأمر والنهي وهي المصححة للفعل لا يجب أن تقارن الفعل، وأما الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل فهي مقارنة له، فالأولى: كقوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (آل عمران: 97) وقول النبي صلي الله عليه وسلم لعمران بن حصين: (صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب) ومعلوم أن الحج والصلاة يجبان على المستطيع سواء فعل أو لم يفعل فعلم أن هذه الاستطاعة لا يجب أن تكون مع الفعل.

والثانية: كقوله تعالى : (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) (هود:20) وقوله (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري

وكانوا لا يستطيعون سمعا) (الكهف:101/102) على قول من يفسر الاستطاعة بهـــــذه. وأما على تفسير السلف والجمهور فالمراد بعدم الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم فنفوسهم لا تستطيع إرادته وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه وهذه حال مـــن صده هواه أو رأيه الفاسد عن استماع كتب الله المترلة واتباعها، وقد أخبر أنه لا يســـتطيع ذلك، وهذه الاستطاعة هي المقارنة للفعل الموجبة له، وأما الأولى فلولا وجودها لم يثبـــت التكليف كقوله : (فاتقوا الله ما استطعتم) (التغابن:16) ، وقوله: (والذين آمنوا وعملـــوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها) (الأعراف: 42) وأمثال ذلـــك فهـــؤلاء المفرطـــون والمعتدون في أصول الدين إذا لم يستطيعوا سمع ما أنز إلى الرسول فهم من هذا القسم) .

(انظر: مجموع الفتاوى (8/372،ـــ 373)، ودرء تعارض العقل والنقل (1/61)، وشرح العقيدة الطحاويـــة (499-503)). اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث (ج 1/ص 54)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السادسة والعشرون (26)

الحكمة الإلهية والركن الخامس من أركان الإيمان

- الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان.
- جعل الله ملائكة للرحمة وملائكة للعذاب وملائكة للكتاب
- المحافظ على الأمانة لا يستوي ومن ضيعها في المساءلة والحساب.
- دقة الحساب عند الله تدل على كمال الاختيار في العبد والحرية
- الذرة وحدة وزن الأعمال والحسنة أو السيئة وحدة وزن المقابل للعمل.
- نظام الملائكة في تسجيل العمل ووضع ما يقابله من الأجر.
- الملائكة تسجل فعل الإنسان محددا بالزمان والمكان .
- مثال لدقة الملائكة في تدوينهم لحساب زمن الفعل.
- حساب العمل الذي يتم في أيام الصيام له استثناء.
- الدليل على أن الملائكة تسجل مكان الفعل.
- المؤمن يحاسبه الله يوم القيامة بالفضل والكافر يحاسب بالعدل

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com
www.alridwany.com
www.alridwany.net

حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة السادسة والعشرون (26)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السادسة والعشرون (26)

الحكمة الإلهية

والركن الخامس من أركان الإيمان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللهم صلى على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وسائر أصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فقد تحدثنا عن مقومات الاختيار في الإنسان التي تدل على كمال الحكمة في تهيئة الإنسان بالصورة التي يكون مسئولا فيها عن أفعاله في دار الابتلاء. وفي هذه المحاضرة نتحدث عن كمال الحكمة الإلهية في محاسبة الإنسان في دار الجزاء على ما قدمه في دار الابتلاء، ولذلك جعل الله عز وجل من أركان الإيمان في الإسلام الإيمان باليوم الآخر.

- **الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان.**

ومعناه التصديق الجازم بأنه آت لا محالة، والعمل والاستعداد لمقتضى ذلك، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأشراط الساعة، وأماراتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الناس من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال، وتفاصيل أحداث المحشر ونَشر الصحف والكتب، ووضع الموازين، والإيمان بالصراط والحوض والشفاعة، والإيمان بالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز جل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل.

ولقد امتلأت آيات القرآن بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره كل موقع، ونبّه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه بشتى أنواع الأساليب.

وكثيرا ما ربط القرآن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله عز وجل كما في قـــوله تعـــالى: (ذَلكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ) (البقرة:232) .

وقد سمي هذا اليوم في القرآن بأسماء كثيرة ومتعددة تدل على تحقق وقوع هـــذا اليـــوم، مثل: الحاقة، والواقعة، والقيامة. وبعض هذه الأسماء يدل على ما سيقع فيه من الأهوال مثل الغاشية والطامة والصاخَّة والقارعة.

ومن أسماء اليوم الآخر في القرآن: يوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الجمع، ويوم الخلـــود (ادْخُلوهَا بِسَلامٍ ذَلكَ يَوْمُ الخُلودِ) (قّ:34) ، ويوم الخروج (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِـــالحَقِّ ذَلكَ يَوْمُ الخُرُوجِ) (قّ:42)، ويوم الحسرة، ويوم التناد.

وأما الحكمة العليا في الاهتمام البالغ بهذا الركن ومحاسبة الإنسان في دار الجزاء على مـــا قدمه في دار الابتلاء إظهار عدل الله وحكمته ومعاني أسمائه وصفاته المتعلقة بذلك.كمـــا أن الإيمان باليوم الآخر له أثر شديد في توجيه الإنسان وانضباطه وإحساسه بمسئوليته عن أفعاله والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل. ولذلك يشير القرآن إلى هذه الحكمة في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح كقوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِـــاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَـــاةَ وَلمْ يَخْشَ إِلا اللهَ فَعَسَى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ) (التوبة:18) .

وقال: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلهَـــا وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (الأنعام:92)

ولعل من الحكمة في الاهتمام البالغ بالتحذير من اليوم الآخر؛ كثرة نسيان البشـــر لـــه، وغفلتهم عنه، بسبب تثاقلهم إلى الأرض، وحبهم لمتاع الدنيا، فيكون الإيمان به وبما فيه من عذاب ونعيم مخفِّفا من الغلو في حبّ الدنيا، ودافعا إلى التنافس في فعل الطاعات.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا مَا لكُمْ إِذَا قِيل لكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيل اللهِ اثَّاقَلتُمْ إِلى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيل) (التوبة:38) .

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا للنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُل يَمْشِي فَقَال يَا رَسُول اللهِ مَا الإِيمَانُ قَال الإِيمَـــانُ أَنْ تُـــؤْمِنَ بِـــاللهِ

وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ الآخِرِ قَال يَا رَسُول اللهِ مَا الإِسْلامُ قَال الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَال يَا رَسُول اللهِ مَا الإِحْسَانُ قَال الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَال يَا رَسُول اللهِ مَتَى السَّاعَةُ قَال مَا المَسْئُول عَنْهَا بِأَعْلمَ مِنْ السَّائِل وَلكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلدَتْ المَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَ الحُفَاةُ العُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لا يَعْلمُهُنَّ إِلا اللهُ: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِل الغَيْثَ وَيَعْلمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ..ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُل فَقَال رُدُّوا عَليَّ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَال هَذَا جِبْرِيل جَاءَ لِيُعَلمَ النَّاسَ دِينَهُمْ) .

وعند مسلم قال: (فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ قَال أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَال صَدَقْتَ).

وروى مسلم من حديث عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ قَال: (قَال رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ مَنْ قَال أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلمَتُهُ أَلقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ) .

وأهل السنة يؤمنون بأن الله يبعث جميع الخلائق في يوم مشهود ثم يحاسب العباد على أعمالهم من خير أو شر كسبوه في الدنيا، فالمؤمنون يساقون إلى الجنة، والكفار يقادون إلى النار. والجنة هي دار النعيم الذي أعده الله لأوليائه المؤمنين، فيها من أصناف النعيم ما لا عين رأت ولا أذنت سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيها مائة درجة، لكل درجة سكانها وهم على قدر إيمانهم بالله وطاعتهم له، وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطى من النعيم مثل ملك ملكٍ من ملوك الدنيا وعشرة أضعافه .

والنار هي العذاب الذي أعده الله لمن كفر به، روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (نَارُكُمْ هَذِهِ التِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ قَالوا وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لكَافِيَةً يَا رَسُول اللهِ قَال فَإِنَّهَا فُضِّلتْ عَليْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلهَا مِثْل حَرِّهَا) .

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم:6) .

قال تعالى: (وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُل كَفُورٍ) (فاطر:36) .

- **جعل الله ملائكة للرحمة وملائكة للعذاب وملائكة للكتاب**

ومن لوازم أركان الإيمان بالملائكة واليوم الآخر أن نؤمن بأن الله جعل الله ملائكة للرحمة وملائكة للعذاب وملائكة موكلة بالكتاب، ففي صحيح مسلم عن أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ قَال: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلكُمْ رَجُل قَتَل تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَل عَنْ أَعْلمِ أَهْل الأَرْضِ فَدُل عَلى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَال إِنَّهُ قَتَل تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَل لهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَال لا فَقَتَلهُ فَكَمَّل بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَل عَنْ أَعْلمِ أَهْل الأَرْضِ فَدُل عَلى رَجُل عَالمٍ فَقَال إِنَّهُ قَتَل مِائَةَ نَفْسٍ فَهَل لهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَال نَعَمْ وَمَنْ يَحُول بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلقْ إِلى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدْ اللهَ مَعَهُمْ وَلا تَرْجِعْ إِلى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ العَذَابِ فَقَالتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلبِهِ إِلى اللهِ وَقَالتْ مَلائِكَةُ العَذَابِ إِنَّهُ لمْ يَعْمَل خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلوهُ بَيْنَهُمْ فَقَال قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلى الأَرْضِ التِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَال قَتَادَةُ فَقَال الحَسَنُ ذُكِرَ لنَا أَنَّهُ لمَّا أَتَاهُ المَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ) .

وقد وكل الله بكل إنسان ملكين، أحدهما يكتب الحسنات، والآخر يكتب السيئات، لا يفوهما شيء، قال تعالى: (مَا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق 18. وقال: (وَإِنَّ عَليْكُمْ لحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلمُونَ مَا تَفْعَلونَ) (الانفطار:10/12) . وقال: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلى وَرُسُلنَا لدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (الزخرف:80) .

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِالليْل وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ العَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلونَ

وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلونَ).

وتدون هذه الأعمال في كتاب يعطى للإنسان يوم القيامة، قال تعالى: (وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الُمجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ممَّا فِيهِ وَيَقُولونَ يَا وَيْلَتَنَا مَال هَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَملوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) الكهف 49 .

يقرأ كتابه يوم القيامة لا ينكر منه شيئا، ومن أنكر شيئا من أعماله أنطق الله سمعه وبصره ويديه ورجليه وجلده بجميع عمله، كما قال تعالى: (وَقَالوا لِجُلودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذِي أَنْطَقَ كُل شَيْءٍ وَهُوَ خَلقَكُمْ أَوَّل مَرَّةٍ وَإِليْهِ تُرْجَعُونَ). وقال: (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَليْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلودُكُمْ وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلونَ) (فصلت:22) .

وكل ذلك دليل آخر من أدلة الاختيار في الإنسان وهو الحساب المترتب على موقف الإنسان من الابتلاءات المتعددة التي ساقها الله إليه في جملة حياته أو موقفه من الأوامر الشرعية التكليفية التي تسمي بأحكام العبودية لوجيه الأمانة التي خوله الله فيها من بين المخلوقات بإرادته واختياره. قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلوما جَهُولا) (الأحزاب:72).

- **المحافظ على الأمانة لا يستوي ومن ضيعها في المساءلة والحساب.**

وهذه الأمانة التي حمله الله إياها بناء على إرادته كما دلت الآية نتج عنها بالضرورة وجود المساءلة والحساب، فالمحافظ على الأمانة لا يستوي ومن ضيعها، فجعل الله الجنة جزاء لمن حفظها وأداها كما ينبغي وجعل النار عقابا عادلا لمن ضيعها وخانها. قال تعالى: (لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ) (الحشر:20) .

والمنحرف عن الهدي الإلهي هو المضيع للأمانة المستوجب للعقاب الذي يشعر بالحزن والندامة والذلة في الآخرة، وأن أفعاله كانت إجراما، قال تعالى: (وَلوْ تَرَى إِذِ الُمجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَل صَالحا إِنَّا مُوقِنُونَ) (السجدة: 12) أي أرجعنا بنفس الوضع الابتلائي الأول لأداء الأمانة كما ينبغي .

وقال أيضا في وصفهم: (وَلوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلى النَّارِ فَقَالوا يَا ليْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ

رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) (الأنعام:27) فحالهم يوم الختام حال مشين إذا ما قورن بحال المؤمنين الذين أدوا حق الله عليهم.

قال تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (الأنعام:94).

- **دقة الحساب عند الله تدل على كمال الاختيار في العبد والحرية**

والمتأمل في دقة الحساب عند الله وما حدثنا به في كتابه عن نظام المساءلة وتوقيع الجزاء على أعمال الإنسان يوقن بأن العبد فيه مقومات الاختيار والحرية، ويدرك المعنى الشمولي لموضوع العبودية، إذ يتناول كل لحظة من وقت الإنسان وكل حركة أو سكنة في فعله.

والله تبارك وتعالى يحصي أعمال العباد ثم يحاسبهم عليها وإن كان مقدار العمل ذرة أو أصغر منها، فلا يخفى على الله سبحانه مثقال ذرة في الأرض من أعمال العباد ولا أصغر منها ولا أكبر.والذرة سواء كان مقدارها وزن نملة صغيرة أو ما يري في شعاع الشمس من هباء فإنه يمكن اعتبارها وحدة الأوزان لمقادير الأعمال عند الله .

وما يمكن أن يوضع على تلك الذرة من جزاء قدره الله سبحانه وتعالى هو الحسنة أو السيئة، ويمكن اعتبار الحسنة وحدة الدرجات المكافئة لوحدة الأعمال من الخير، والسيئة هي الوحدة المكافئة لوحدة الأعمال من الشر.

قال سبحانه: (إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) (النساء:40) أي إن كان وزن ذرة من العمل في طاعة الله وموافق لمراده، وكان الجزاء مقداره حسنة ضاعفها الله لصاحبها، وإن كانت سيئة كتبها له سيئة.

ومن السهل على العقل أن يتصور أن الذرة من الممكن أن تمثل وحدة قياس الوزن بالنسبة لعمل الإنسان، كما أخبرنا الله تبارك وتعالى في سورة الزلزلة: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة:8).

ويمكن أيضا أن تقسم إلي أجزاء أدق كما أخبرنا الله بذلك، قال تعالى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس:61).

كما يمكن أن نتصور أن الحسنة هي وحدة تقدير الجزاء المكافئ للأعمال الموزونة بالذرة إن كانت موافقة لأمر الله كما قال: (إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً) (النساء:40) .

والسيئة هي وحدة تقدير الجزاء المكافئ للأعمال الموزونة بالذرة، إن كانت مخالفة لأمر الله وكل من الحسنة والسيئة قابل للزيادة والنقصان تبعا لزيادة الإيمان أو نقصانه.

- **الذرة وحدة وزن الأعمال والحسنة أو السيئة وحدة وزن المقابل للعمل.**

وهذه الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم (الذرة – الحسنة – السيئة– الدرجة) لها مدلولها الحقيقي الذي يؤول إليه ويتطابق مع ما أراده الله بها من أمور حقيقية محسوسة مدركة سوف نفهم بها ما لنا وما علينا عند العرض والحساب مع الإقرار التام بالعدل الإلهي لمن عذبهم الله وبالفضل لمن أدخلهم الجنة.

قال تعالى: (وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء:47).

وقال سبحانه: (وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِكَ الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآياتِنَا يَظْلمُونَ) (الأعراف:9).

هذه الأمور يجب علينا أن نؤمن بها وبما دلت عليه من حقائق يعلمها الله ولا نعلم بكيفيتها، وننبه إلي أن كثيرا من الناس ينظرون إلى هذه الأمور على أنها أشياء معنوية لا تدل على أحداث حقيقة، ولا يلتفتون إلي ما تضمنته من حقائق مؤلمة لا يسلم منها أحد من الناس إلا من رحم الله.

وقد كان الكيلو جرام المعياري كوحدة للكتل ومقياس للمبيعات تعارف عليه الناس كان مجهولا من قبل، ولفظه لا يدل حقيقة معينة أو مدلول معين بين العرب أو غيرهم قبل

وجوده حتى أصبح محدودا ومعلوما فالنظام الفرنسي للموازين والمقاييس اعتبر (الكيلوجرام) (كجم) وحدة لمقياس الكتل؟ واصطلح العلماء على مفهوم محدود لمقدار الكيلوجرام المعياري، وهو كتلة جسم اسطواني الشكل من معدني البلاتين والإيريديوم ومحفوظ في متحف المكتب الدولي للموازين والمقاييس بمدينة (سيفر بفرنسا) وهو يعادل كتلة لتر واحد من الماء المقطر محفوظ عند درجة حرارة أربع درجات مئوية، كما تعارفوا أيضا على مضاعفات الكيلوجرام، فالطن يعادل ألفا من الكيلوجرامات، والمليجرام يعادل جزءا من ألف جزء من الجرام. فهذه الأوزان الربانية والمقاييس التي وردت في الشرع لأعمال الخير وأعمال الشر لها حقيقية أو مدلول سيأتي أوانه في الوقت المناسب بعد التغير الكوني لهذه الحياة وما يتبعها من أمور الساعة. قال تعالى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) (الأحزاب:63).

والشاهد من هذا الكلام أن الله تبارك وتعالى حدد العمل للإنسان بالذرة وحاسبة عليها فإن كان العمل المقدر بالذرة خيرا أي موافقا لإرادة الله الشرعية، فإن الدرجة المقررة هي الحسنة وأضعافها، وإن كان العكس فإن الدرجة المقررة هي السيئة.

- **نظام الملائكة في تسجيل العمل ووضع ما يقابله من الأجر.**

وضع الله نظاما دقيقا لملائكته في تدوين الأجر الموضوع على العمل، فهي تسجل ما يدور في منطقة حديث النفس دون وضع ثواب أو عقاب لما ورد في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ).

ومن خلال أدلة المنقول نجد أن الملائكة تسجل ما يدور في منطقة الكسب مع وضع الثواب و العقاب على النحو التالي:

1- **أي إرادة لعمل الخير في منطقة الكسب يقابلها حسنة واحدة حتى وإن لم يفعلها في ظاهر البدن.**
2- **أي إرادة لعمل الخير في منطقة الكسب يقابلها عشر حسنات إن فعلها في ظاهر البدن.**
3- **أي إرادة لعمل الشر في منطقة الكسب يقابلها سيئة واحدة إن فعلها في البدن أو**

مات على نية الفعل.

4- أي إرادة لعمل الشر في منطقة الكسب لا تحسب سيئة إن تراجع عنها.

5- أي إرادة لعمل الشر في منطقة الكسب تحسب حسنة إن تراجع عنه طاعة لله.

6- أي عمل من أعمال القلوب يحسب درجته من حيث القوة والعزم إن كان خيرا أو شرا ويوضع عليه الأجر الذي حدده الله لملائكته.

والدليل على ذلك ما ورد في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول الله صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قَال: (يَقُول اللهُ إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَل سَيِّئَةً فَلا تَكْتُبُوهَا عَليْهِ حَتَّى يَعْمَلهَا فَإِنْ عَملهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلهَا وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلي فَاكْتُبُوهَا لهُ حَسَنَةً وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَل حَسَنَةً فَلمْ يَعْمَلهَا فَاكْتُبُوهَا لهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلهَا فَاكْتُبُوهَا لهُ بِعَشْرِ أَمْثَالهَا إِلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ) .

وعند البخاري من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَل قَال :(قَال إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلمْ يَعْمَلهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلمْ يَعْمَلهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلهَا كَتَبَهَا اللهُ لهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً).

- **الملائكة تسجل فعل الإنسان محددا بالزمان والمكان .**

تسجل الملائكة فعل الإنسان المحدد بالزمان والمكان ثم تضع الجزاء على هذا الفعل فالملائكة الموكلون بكتابة أعمال العباد، والملازمون لهم أخبرنا الله أنهم يعلمون فعل الإنسان الباطن والظاهر ويسجلونه ثم يضعون الحسنات المكافئة للأفعال التي أمر الله بها وأرادها من العباد، والسيئات المكافئة للأفعال التي نهي الله عن فعلها وفق برنامج محدد لهم من قبل الله، قال تعالى: (وَإِنَّ عَليْكُمْ لحَافِظِينَ كِرَاما كَاتِبِينَ يَعْلمُونَ مَا تَفْعَلون) (الانفطار:12).

وقال أيضا: (وَلقَدْ خَلقْنَا الإنسان وَنَعْلمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِليْهِ مِنْ حَبْل الوَرِيدِ إِذْ يَتَلقَّى المُتَلقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَال قَعِيدٌ مَا يَلفِظُ مِنْ قَوْل إِلا لدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (قّ:18) .

وعلي ذلك فإن أعمال العبادة مرتبطة بكل جزء من وقت الإنسان مهما كان دقيقا إذ أن

العمل في هذا الجزء من الوقت مقدر بأقل من الذرة وعليه جزاء بالحسنات والسيئات، فجزء الوقت الذي يمكن أن يجازي عليه الإنسان بالخير والشر، الفعل فيه مقسم إلي حركات وسكنات يتكون من مجموعها فعل الإنسان وكل حركة أو سكنة عليها ثواب أو عقاب، سواء كانت حركة في داخله بفعل الإرادة لا يطلع عليها أحد من الناس، أو حركة ظاهرة في البدن من الخارج.

- **مثال لدقة الملائكة في تدوينهم لحساب زمن الفعل.**

ولنضرب مثلا يوضح الفكرة ويقربها للذهن: ففي الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الألباني عن عَبْد الله بن مَسْعُود، أن رَسُول الله صلي الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلهُ بِه حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالهَا لاَ أَقُول آلم حَرْفٌ، وَلكِنْ أَلفٌ حَرْف ولاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ).

والشاهد في هذا الحديث كمثل للفكرة أن جزء الوقت الذي يستغرقه القارئ في إخراج حرف الألف أو اللام أو الميم يقدر بأقل من الثانية إذا كان يرتل القرآن ترتيلا عاديا، ولو فرضنا أن الحرف يخرج من مقدار ثانية واحدة فإن الدرجة المقدرة جزاء للفعل في تلك الثانية والتي أخبرنا بها رسول الله صلي الله عليه وسلم في الحديث وكما هو مقرر في برنامج العمل للكرام الكاتبين مقدارها عشر حسنات، فإذا قسمت العشر حسنات على جزء الوقت اللازم لإخراج حرف من الحروف فإن نصيب كل حسنة من الوقت مقداره عشر الثانية.

ويمكن أن تكون عشر الثانية عليها أكثر من حسنة، إذا كان جزاء العمل مضاعفا فإن الله أخبرنا عن الحسنة أنها قابلة للنماء والزيادة. قال تعالى: (إِنَّ اللهَ لا يَظْلمُ مِثْقَال ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لدُنْهُ أَجْرا عَظِيما) (النساء:40) . وقال سبحانه: (مَثَل الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالهُمْ فِي سَبِيل اللهِ كَمَثَل حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِل فِي كُل سُنْبُلةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:261)، فالأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة.

- **حساب العمل الذي يتم في أيام الصيام له استثناء.**

وفي الحديث الذي رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ

وَسَلمَ قال: (كُل عَمَل ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالهَا إِلى سَبْعمائَة ضعْف قَال اللهُ عَزَّ وَجَل إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ منْ أَجْلي للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لقَاءِ رَبِّهِ وَلخُلوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ) .

وكذلك فإن عشر الثانية من الوقت قد يقع فيه عمل آخر له أجر كبير أكبر مما هو محدد في حديث ابن مسعود السابق، كالأجر المحدد جزاءا لقراءة سورة الإخلاص. روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: (أَيعجزُ أحدُكم أن يقرأَ ثلثَ القرآن في ليلة؟ فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أَيُّنا يطيقُ ذلك يا رسول الله؟ فقال: اللهُ الواحِدُ الصَّمَدُ ثلث القرآنِ) .

وعند البخاري أيضا من حديث أبي سعيد الخُدري أنَّ رجلاً سمع رجُلاً يقرأ : قُل هو الله أحدٌ) (الإخلاص:1) يُرَدِّدُها، فلما أصبح جاءَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأَنَّ الرجُل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**والذي نفسي بيدِه إنها لتعدِل ثُلثَ القرآن**) .

والزمن الذي يستغرقه قارئ سورة الإخلاص ترتيلا عاديا يساوي تقريبا عشر ثوان، والأجر الموضوع للقارئ على قراءته للسورة يعدل أجر قراءة ثلث القرآن فلو قسمنا ذلك الأجر على زمن القراءة لكان نصيب الثانية الواحدة من الحسنات لا يحصيه إلا الله، لتعذر العدد والإحصاء في القدرة البشرية.

وهذا يعني أن كل حركة في الفم سكنة تمت في مخارج الحروف لإتمام سورة الإخلاص، عليها ثواب مقدر ومحسوب والعكس صحيح بالنسبة للحركات والسكنات التي تحدث في مخارج الحروف لإتمام الكلمة الخبيثة.

ولنا أن نتصور مدي السرعة التي يتم بها الحساب ووضع الجزاء على جزيئات العمل في دقة لا مثيل لها إذا كان رب العزة هو أسرع الحاسبين على الإطلاق. قال تعالى: (وَتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَاد سَرَابِيلهُمْ منْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللهُ كُل نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَاب هَذَا بَلاغٌ للنَّاسِ وَليُنْذَرُوا بِهِ وَليَعْلمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ وَليَذَّكَّرَ أُولو الأَلبَاب) (إبراهيم:52) .

وإذا كانت الأمثلة السابقة تخص شخصا واحدا فقد نطق بحرف أو بلفظ واحد أو مجموعة من الألفاظ في وقت قصير جدا فكانت طريقة العد والإحصاء وحساب العمل ثم وضع الجزء بهذه الكيفية. فكيف يتم الحساب على بقية عمر الشخص الواحد؟ أو كيف يتم الحساب لكل من خلقهم الله وأوجدهم على هذه الأرض؟

ليس لنا إلا الإقرار بالعجز التام والتنبه إلي هذه الحقيقة التي لا مفر منها وهي حتمية الحساب والجزاء على كل ما تم في دار الابتلاء تحقيقا لحكمة الله في خلقه لسائر الأشياء.

وقال: (وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلوا حَاضِرا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا) (الكهف:49)

وعقل المخلوق الذي صنع أحدث الأنظمة في العد والإحصاء باختراعه جهاز الكمبيوتر، والآلات الحاسبة، بجزم بأن ما وصل إليه الإنسان من نظم وأجهزة للعمليات الحسابية والتي هي أرقي ما وصل إليه الإنسان في تاريخه، لا تمثل شيئا على الإطلاق إذا ما قورنت بنظم العد والإحصاء عند الله، فهو سبحانه الخالق لمن توصل إلي تلك الأنظمة.

قال جل ذكره: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَل تَعْلمُ لهُ سَمِيّاً) (مريم:65) أي شبيها مناظرا في عده وإحصائه، وقال تعالى: (وَلمْ يَكُنْ لهُ كُفُواً أَحَدٌ) (الإخلاص:4) أي ليس له مكافئ مماثل له في أي شيء.

- **الدليل على أن الملائكة تسجل مكان الفعل.**

قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُل شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (يّس:12).

قال ابن جرير الطبري: (وآثار خطاهم بأرجلهم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلم ، ليقرب عليهم.. وقال قتادة: لو كان مُغْفِلا شيئًا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار).

والحديث في صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَال: (خَلتْ البِقَاعُ حَوْل المَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلمَةَ أَنْ يَنْتَقِلوا إِلى قُرْبِ المَسْجِدِ فَبَلغَ ذَلكَ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فَقَال لهُمْ إِنَّهُ

بَلغَني أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقلوا قُرْبَ المَسْجد قَالوا نَعَمْ يَا رَسُول الله قَدْ أَرَدْنَا ذَلكَ فَقَال يَا بَنِي سَلمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ) .

وقال تعالى: (إِذَا زُلزِلت الأَرْضُ زِلزَالهَا وَأَخْرَجَت الأَرْضُ أَثْقَالهَا وَقَال الإِنْسَانُ مَا لهَا يَوْمَئِذ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّك أَوْحَى لهَا يَوْمَئِذ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ليُرَوْا أَعْمَالهُمْ فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَال ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَل مِثْقَال ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) الزلزلة.

قال السعدي : (أي تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم) .

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُول الله صَلى اللهُ عَليْه وَسَلمَ قَال: (تَقيءُ الأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدهَا أَمْثَال الاسْطُوَان منْ الذَّهَب وَالفضَّة فَيَجيءُ القَاتل فَيَقُول في هَذَا قَتَلتُ وَيَجيءُ القَاطعُ فَيَقُول فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُول فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا).

- **المؤمن يحاسبه الله يوم القيامة بالفضل والكافر يحاسب بالعدل**

ورد في صحيح البخاري عَنْ عَائشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْه وَسَلمَ قَال: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لا يُدْخِل أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلهُ قَالوا وَلا أَنْتَ يَا رَسُول الله قَال وَلا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ) .

روى البخاري من حديث صَفوانَ بنِ مُحْرِزٍ المازِنِيِّ قال: (بينما أنا أمشي مع ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما آخذٌ بيده إذ عَرَضَ رجُل فقال: كيف سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في النَّجوَى؟ فقال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ اللهَ يُدْنِي المؤمنَ فيضَعُ عليه كنَفَهُ ويستره فيقول: أتعرفُ ذَنْبَ كذا، أتعرفُ ذَنْبَ كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ، حتَّى إذا قَرَّرَهُ بذُنوبه ورأى في نفسه أنه هَلكَ قال: سَترتُها عليكَ في الدُّنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليومَ، فيُعطى كتابَ حسناته، وأمّا الكافر والمنافقونَ فيقول الأشهادُ: هؤلاءِ الذين كذبوا على ربِّهم، ألا لعنَةُ الله على الظالمين) .

- **من لوازم الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالساعة وأشراطها .**

مما يجب الإيمان به، أن نؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن موعدها لا يعلمه إلا الله،

أخفاه عن الناس كلهم.

قال تعالى: (يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَليهَا لوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ) (الأعراف:187).

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة في بيان علامات الساعة وأشراطها وأماراتها. فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس، وظهور الفتن بينهم، وانحرافهم عن صراط الله المستقيم. فمن العلامات الصغرى: ما جاء في صحيح مسلم من حديث عمر أن جبريل سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: (قَال فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَال مَا المَسْئُول عَنْهَا بِأَعْلمَ مِنْ السَّائِل قَال فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَال أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلونَ فِي البُنْيَانِ).

ومن علامات الساعة الصغرى ما ورد في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: (بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فِي مَجْلسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَال مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يُحَدِّثُ فَقَال بَعْضُ القَوْمِ سَمِعَ مَا قَال فَكَرِهَ مَا قَال وَقَال بَعْضُهُمْ بَل لمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَال أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِل عَنْ السَّاعَةِ قَال هَا أَنَا يَا رَسُول اللهِ قَال فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَال كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَال إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلى غَيْرِ أَهْلهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ) .

وفي صحيح البخاري عن عَوْفَ بْنَ مَالكٍ قَال : (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَال اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَال حَتَّى يُعْطَى الرَّجُل مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَل سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ العَرَبِ إِلا دَخَلتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُل غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلفًا) .

وعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: (قَال رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا) .

وأما العلامات الكبرى، وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة، وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها. فقد جاء في الأخبار الصحيحة ذكر عشر منها.

روى مسلم من حديث حذيفة أنه قَال: (اطَّلعَ النَّبِيُّ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَال مَا تَذَاكَرُونَ قَالوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَال إِنَّهَا لنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّال وَالدَّابَّةَ وَطُلوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُول عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ وَآخِرُ ذَلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلى مَحْشَرِهِمْ) .

- **من لوازم الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والعرض والحساب.**

إن الإيمان بالبعث مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فنؤمن يقينا بأن الله يبعث من في القبور، وتعاد الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين. قال الله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (المؤمنون:15) .

وفي صحيح البخاري عن سَهْل بْنَ سَعْد قَال: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ يَقُول يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ على أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَال سَهْل أَوْ غَيْرُهُ ليْسَ فِيهَا مَعْلمٌ لأَحَدٍ) .

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال: (يُحْشَرُ النَّاسُ عَلى ثَلاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلى بَعِيرٍ وَثَلاثَةٌ عَلى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلى بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلى بَعِيرٍ وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ تَقِيل مَعَهُمْ حَيْثُ قَالوا وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا) .

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلا قَال يَا نَبِيَّ اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلى وَجْهِهِ قَال أَليْسَ الذِي أَمْشَاهُ عَلى الرِّجْليْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ قَال قَتَادَةُ بَلى وَعِزَّةِ رَبِّنَا.

وفي صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ قَال إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا ثُمَّ قَرَأَ : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّل خَلقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَليْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) وَأَوَّل مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَال

فَأَقُول أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقُول إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالوا مُرْتَدِّينَ عَلى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُول كَمَا قَال العَبْدُ الصَّالِحُ (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلمَّا تَوَفَّيْتَنِي إِلى قَوْلِهِ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .

وقد أجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة؛ حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادا يجزيهم فيه على كل ما كلفهم به على ألسنة رسله، قال الله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِليْنَا لا تُرْجَعُونَ) .

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن، وهذا الزعم باطل قال الله تعالى: (زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَنْ لنْ يُبْعَثُوا قُل بَلى وَرَبِّي لتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلتُمْ وَذَلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ) . وقال تعالى: (وَقَال الذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُل بَلى وَرَبِّي لتَأْتِيَنَّكُمْ عَالمِ الغَيْبِ).

ونؤمن بالعرض حيث يُعْرَض الناس على ربهم كما قال تعالى: (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالمَلكُ عَلى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِل عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ). وقال عز وجل: (وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلقْنَاكُمْ أَوَّل مَرَّةٍ).

ونؤمن بالحساب وأن الله يحاسب الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة مَن توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقرَّرون بها.

يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلبُ إِلى أَهْلهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لنْ يَحُورَ بَلى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا).

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هَلك. فقلت يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما ذلك العرْض، وليس أحد يناقَش الحسابَ يوم القيامة إلا عُذِّب).

ونؤمن أن كل إنسان سيعطى كتاب أعماله، وإذا اطلع المؤمن على ما تحويه صحيفته من التوحيد وصالح الأعمال سُرّ واستبشر، وأعلن هذا السرور، قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُول هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ) .

وأما الكافر والمنافق وأهل الضلال؛ فإنهم يؤتون كتبهم بشمالهم من وراء ظهورهم، وعند ذلك يدعو الكافر بالويل والثبور، وعظائم الأمور، كما قال سبحانه: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُول يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَالَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلكَ عَنِّي سُلطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلوهُ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلوهُ) .

- **من لوازم الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان والصراط وفتنة القبر وعذابه.**

ونؤمن بالميزان، قال تعالى: (وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) .

وقد دلت السنة النبوية على أن ميزان الأعمال له كفتان حسّيتان مشاهدتان. ووزن الأعمال يكون بعد انقضاء الحساب، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. ونؤمن بالصراط وهو الجسر المنصوب على ظهر جهنم طريقا إلى الجنة، حيث يمر جميع الناس على هذا الصراط حسب أعمالهم. فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يُخطف خطفا ويُلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن تجاوز الصراط دخل الجنة.

ويجب أن يُعلم أن من استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق في الدنيا، استقام على هذا الصراط في الآخرة، ومن حاد عن الصراط المستقيم في الدنيا، فلن يصمد على صراط الآخرة. وعند الصراط في يوم الآخرة يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

نؤمن بالجنة التي أعدها الله للمؤمنين، ونؤمن بالنار التي أعدها الله للكافرين، فالجنة والنار كلاهما حق لا ريب فيهما، فالنار دار أعداء الله، والجنة دار أوليائه. قال تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلوا

وَلَنْ تَفْعَلوا فَاتَّقُوا النَّارَ التِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ للكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الذينَ آمَنُوا وَعَملوا الصَّالحَات أَنَّ لهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَة رِزْقًا قَالوا هَـــذَا الذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْل وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالدُونَ).

ولقد جاء وصف الجنة والنار، ووصف النعيم والعذاب في مواضع كثيرة جدا من القرآن، كلما ذكر الجنةَ عطف عليها بذكر النار، والعكس، وتارة يرغِّب في الجنـــة ويـــدعو إليهـــا، ويرهِّب من النار ويحذر منها، وتارة يخبر عما أعدَّ في الجنة من النعيم لأوليائه، ويخـــبر عمـــا أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه.

ونعتقد يقينا أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآنَ. وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مَقْعَدُه بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار) .

ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في إثبات ذلك كثيرة جدا، ولذا فقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان مُوجدتان الآن. كما نؤمن بأن الجنة والنار لا تفنيـــان أبدا ولا تبيدان، وقد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على ذلك.

قال تعالى عن الجنة: (أُكُلهَا دَائِمٌ وَظِلهَا) .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت) .

ومن أدلة بقاء النار وعدم فنائها، قوله تعالى: (وَلهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) ، وقوله تعالى: (لا يُقْضَى عَليْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) .

ونؤمن بفتنة القبر، وهو سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبِّت الله الذين آمنـــوا بالقول الثابت فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويضـــل الله الظالمين، فيقول الكافر: هَاه هَاه لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه، فأما عذاب القبر فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: (وَلوْ تَرَى إِذِ الظَّالمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَـــكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولونَ عَلى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ).

وقال في آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَليْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ) .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمعه منه ثم أقبل بـــوجهه فقـــال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عـــذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر) .

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين، قال الله عز وجل: (إِنَّ الذينَ قَالوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّل عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّة التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ).

وقال تعالى: (فَلوْلا إِذَا بَلغَتِ الحُلقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذ تَنْظُرُونَوَنَ حْنُ أَقْرَبُ إِليْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ فَلوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِين تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) .

روى أحمد عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المـــؤمن إذا أجـــاب الملكين في قبره: (ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة(، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره) .

ولقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار.

كما أن أحوال القبر من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، وزالت حكمة التكليف، ولما تَدافن الناس. ولَمَّا كانت هـــذه الحكمـــة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته.

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السابعة والعشرون (27)

تحقيق المناط في معرفة الوصف الذي يتميز به الإنسان

- تحقيق آراء المفكرين حول الوصف الذي يميز الإنسان.
- هل تميز الإنسان بأنه حيوان ناطق؟
- هل تميز الإنسان عن غيره بالاجتماعية؟
- هل تميز الإنسان عن غيره بالعبودية؟
- هل تميز الإنسان بالحرية والمسئولية؟
- حقيقة الوصف الذي يميز الإنسان عن غيره

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

www.alridwany.net

حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة السابعة والعشرون (27)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة السابعة والعشرون (27)

الأمانة العظمى وخلافة الإنسان في الأرض

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللهم صلى على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين، وسائر أصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

- **تحقيق آراء المفكرين حول الوصف الذي يميز الإنسان.**

اختلف الناس في الوصف الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات، وقالوا في ذلك أقوالا عديدة، فمن قائل إنه تميز عن غيره بأنه حيوان ناطق يتكلم بأجود الكلمات والعبارات ولا نسمع ذلك من بقية الكائنات، ومن قائل تميز الإنسان عن غيره بأنه عاقل حكيم يحرص على نفعه ويدفع الضرر عن نفسه، ومن قائل إنه تميز عن غيره بصفة الاجتماعية فيمكنه أن يقيم الأمم والحضارات، ويضع المجالس والوزارات، وله دستور ومؤسسات، وله اتفاق صامت أو ناطق يضبط الحريات وينظم العلاقات، أما بقية المخلوقات فهمجية عشوائية لا تتصف بالاجتماعية، وقيل أيضا بل تميز الإنسان عن غيره بالحرية والعبودية .

- **هل تميز الإنسان بأنه حيوان ناطق؟**

إن التعايش بين مختلف الكائنات يقضي بأنها متوافقة متفاهمة، وهذا يدل على أنها متخاطبة متكلمة على طريقة ما أو كيفية ما يعلمها خالقها ومن دبر أمرها، غير أننا لا نفهم مفردات الكلام بينهم؛ فهم بالنسبة إلينا كالأعاجم من البشر الذين نسمع كلامهم ولا نستوعب مرادهم .

ويستطيع المتخصصون في العلوم المختلفة كعلم الحيوان والنباتات أو علم الطبيعة والجمادات أن يؤكدوا صدق هذه الحقائق، فانظر مثلا إلى تجمعات الطير والنحل أو الحيتان

والنمل تجدها متفاهمة فيما بينها؛ وإن كنا لا ندري طبيعة هذا التفاهم أو كيفيته .

وإذا طالعنا القرآن الذي يمثل عمدة الوحي في الإسلام وجدنا أنه ينفي انفراد الإنسان بصفة الكلام، ويعتبر المخلوقات بوجه عام لها تفاهم وانسجام، شأنهم في ذلك شأن البشر وما تنوعوا فيه من اللغات والأجناس والصور، فكما أن الإنسان يفهم لغة الآخر الذي يتكلم بنفس اللسان كذا حال اللغة التي تتحدث بها تلك المخلوقات، وما نراه بينها من رموز وإشارات؛ فالقرآن يؤكد أن لها قولا، ورموزا وشفرة، وكلاما فيه عبرة، ولهم قانون ونظام ومنهج وأحكام، يتكاتفون في إظهاره، ويتعاملون بينهم من خلاله، والله ⊗ يسمع قولهم وكلامهم، ويعلم تسبيحهم ونظامهم .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّات كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُون ﴾ [النور:41]، وقال أيضا: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء:44] .

وقال ⊗ في إثبات منطق الجبال وتسبيحها لله بالغدو والآصال: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:79]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ [ص:18]، كانت الجبال تسبح مع داود ❶ حيث ناداها ربها وهو عليم بحالها ونطقها وكلامها فكلفها وأمرها، وناداها فقال لها: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [سبأ:10]؛ فتسبيح الجبال إذا حقيقية بنص القرآن، كما ورد في غير موضع أنها ذاكرات خاشعات موحدات عابدات على كيفية لا نعلمها .

وقد كان رسول الله S يقرأ القرآن، وكان الجن يستمعون له بإمعان دون أن يشعر بوجودهم فتكلمت شجرة مجاورة لهم وأخبرت رسول الله S عن سماعهم؛ فعند مسلم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله ❺ قال: (سَأَلْتُ مَسْرُوقًا: مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ S بِالْجِنِّ لَيْلَةَ استمَعُوا الْقُرْآنَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُوكَ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ ⓿ أَنَّهُ آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ) [1] .

قال النووي: (هذا دليل على أن الله تعالى يجعل فيما يشاء من الجماد تمييزا، ونظيره قول

---

[1] مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن 1/330 (450) .

الله تعالى: ❾ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ❼ [البقرة:74]، وقوله تعالى: ❾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ❼ [الإسراء:44]، وقوله S: إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على، وحديث الشجرتين اللتين أتتاه S .. وحديث حنين الجذع وتسبيح الطعام وفرار حجر موسي بثوبه، ورجعان حراء وأحد والله أعلم) [2] .

وقد ورد النص بأن الله ⊗ لما استخلف سليمان ❶ وأعطاه من النعم والملك ما لا ينبغي لأحد من بعده علمه منطق الطيور بأنواعها، وسمع النملة تقدم النصح لأخواها، وكلم الهدهد عن بلقيس وشأنها لما جاءه من سبأ بخبرها، وكان له مع هذه الكائنات وغيرها شأن عجيب، قال تعالى: ❾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا علَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ❼ [النمل:15/16] .

وما كان لسليمان ❶ أن يكلم هذه المخلوقات دون العلم بلغتها ومنطقها ولذلك قدم القرآن ذكر تعليمه منطق الطير كإشعار للمستمع قبل الإخبار عن حديثه مع النمل قال ⊗: ❾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا علَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ علَى وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ❼ [النمل: 17/19] .

قال ابن القيم: (أخبر الله سبحانه عن النمل أنه ركب فيه مثل هذا الشعور والنطق ولاسيما هذه النملة التي جمعت في هذا الخطاب بين النداء والتعيين، والتنبيه والتخصيص والأمر وإضافة المساكن إلى أرباها، والتجائهم إلى مساكنهم؛ فلا يدخلون على غيرهم من الحيوانات مساكنهم والتعذير والاعتذار بأوجز خطاب وأعذب لفظ ولذلك حمل سليمان ❶ التعجب من قولها على التبسم، وأحرى بهذه النملة وأخواها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية) [3] .

---

[2] شرح النووي على صحيح مسلم 4/171.

[3] اجتماع الجيوش الإسلامية 1/211،1/210 ط 1، دار الكتب العلمية بيروت 1404هـ .

وقال أيضا: (تكلمت النملة بعشرة أنواع من الخطاب في هذه النصيحة، النداء والتنبيه والتسمية والأمر والنص والتحذير والتخصيص والتفهيم والتعميم والاعتذار) [4] .

وقد كان في منطق الهدهد الذي كلم سليمان ❶ ما يدل على فصاحة القول من خلال دقة كلماته وظهور الحكمة في عباراته وحسن التعبير عن مراداته قال تعالى: ❾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لا أَرَي الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ نِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ❼ [النمل:20/26] .

قال ابن القيم في هذا المعنى أيضا: (إن بني آدم يتخاطبون ويكلم بعضهم بعضا مخاطبة ومكاتبة، وقد أنطق الله سبحانه بعض الجمادات وبعض أنواع الحيوانات بمثل نطق بني آدم فلم يسترب سامع ذلك النطق في حصول العلم واليقين به، بل كان ذلك عنده من أعظم العلوم الضرورية، فلما قالت النملة لأمة النمل: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، لم يشك النمل ولا سليمان في مرادها وفهموه يقينا، ولما علم سليمان مرادها يقينا تبسم ضاحكا منه، وخاطب الهدهد وخاطبه الهدهد فحصل للهدهد العلم اليقيني بمراد سليمان من كلامه وحصل لسليمان ذلك من كلام الهدهد، وذهب الهدهد بكتاب سليمان لما حصل له اليقين من كلامه، وأرسل سليمان الهدهد والكتاب وفعل ما حكي الله لما حصل له اليقين بمراد الهدهد من كلامه، وأنطق سبحانه الجبال بالتسبيح مع داود، وعلم سليمان منطق الطير، وسمع الصحابة تسبيح الطعام مع رسول الله S وسمع رسوله تسليم الحجر عليه، أفيقول مؤمن أو عاقل: إن اليقين لم يكن يحصل للسامع بشيء من مدلول هذا الكلام؟) [5] .

وقد كلم سليمان ❶ الهدهد كما يكلم صاحب العقل الرزين، ولم يتعجل في حكمه

---

[4] مفتاح دار السعادة 1/240 ط دار الكتب العلمية، بيروت .

[5] الصواعق المرسلة، تحقيق د . على بن محمد الدخل الله 2/777، ط 1 دار العاصمة الرياض سنة 1418هـ .

حتى يتحقق من صدقه فقال: ﴿ سَنَنظرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِكِتَابِي هَــذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقيَ إلى كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلا تَعْلُوا على وَأْتُونِي مُسْـلِمِينَ ﴾ [النمـل: 27/31] .

ومن ثم فإن الكائنات تتكلم بنص القرآن، ولو أدركنا منطقها كما أدركه سليمان لعلمنا أنها لا تقل عن الإنسان شيئا في إمكانية النطق والبيان ولكن بالكيفية التي تناسـبها وعلـى الوضع الذي أراده خالقها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه لدى البعض: كيـف تتكلـم الحجارة أو المعادن وهي صماء بكماء لا نسمع لها قولا ولا كلاما وقد ذكر الله ⊗ في شأن إبراهيم ❶ لما قال له قومه بعد أن حطم الأصنام: ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُـمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء:62/65] .

وقال تعالى منكرا على بني إسرائيل أنهم عبدوا العجل من دونه: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَي مِنْ بَعده مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَـذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف:148]؟

قضية نطق الخلائق قضية نسبية من جهة العموم والخصوص فهي عامة من وجه وخاصـة من وجه آخر، فنطقها بالنسبة لفعل خالقها وعلمه بها وسماعه لها عام في جميـع الكائنـات وعلى اختلاف الكيفية والهيئات كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْه تُرْجَعُون ﴾ [فصلت:21] .

أما من جهة سماع الكائنات بعضها لبعض فهذا متعلـق بحكمـة الله وابتلائه في خلقـه ومقدار ما يعطي لبعضهم من العلم، فقد يعلم سليمان ❶ لغة الإنسان أو الحيوان ولا يعلم غيره فالأمر هنا أمر نسبي على اعتبار السماع والتواصل والفهم، أو الاستجابة للغة مـا أو دعوة ما، كقول العربي عن الأعجمي: هذا لا يتكلم، أي لا يتكلم العربية، وكوصـف الله للمنافقين والكافرين بالصمم والبكم في قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعونَ ﴾ [البقرة:18]، مع كونهم يتكلمون اللغة العربية بطلاقة، أو كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال:22]، وقوله ﴿ :⊗ وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ❼ [الأنعام:39] .

وعلى الرغم من كون الحجارة أو المعادن التي تشكلت منها الأصنام خلقها الله بكيفية مخصوصة لا تسمح بمخاطبة الإنسان ولا تتأثر بندائه أو تستجيب لدعائه، على الرغم من ذلك فإن الله ⊗ جعلها في بعض المواطن عونا لأوليائه وحربا على أعدائه، فقد تتكلم بما يفهمه الإنسان من منطق وبيان، إما في نهاية الزمان عند محاربة اليهود أو عند الحساب في اليوم الموعود، روى البخاري من حديث أبي صعصعة الأنصاري ⓿ أن أبا سعيد الخدري ⓿ قال له: (إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَي صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ إِلا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ S) [6]" والشاهد من الحديث أن المخلوقات تسمع صوت المؤذن وتشهد له بذلك يوم القيامة، وقد ورد الحديث بلفظ: (لا يَسْمَعُهُ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَجَرٌ وَلا حَجَرٌ إِلا شَهِدَ لَهُ) [7] .

وعند البخاري من حديث ابن عمر ⓿ أنه قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ S يَقُولُ: تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ) [8] .

قال ابن حجر العسقلاني: (وفي الحديث ظهور الآيات وقرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة) [9]، وقال تعالى: ❾ إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَي لَهَا ❼ [الزلزلة:1/5]، قال الواحدي: (يومئذ تحدث أخبارها، أي تخبر بما عمل عليها من خير وشر بأن ربك أوحى لها أي أمرها بالكلام وأذن لها فيه) [10] .

---

[6] البخاري في كتاب الأذان , باب رفع الصوت بالنداء 1/221 (584) .

[7] رواه ابن ماجة في كتاب الأذان، باب فضل الأذان وثواب المؤذنين 1/239 (723)، ولفظه: (إِذَا كُنْتَ فِي الْبَوَادِي فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالأَذَانِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ S يَقُولُ لا يَسْمَعُهُ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَجَرٌ وَلا حجر إِلا شَهِدَ لَهُ) وصححه الشيخ الألباني، انظر صحيح ابن ماجة 1/122 (591) .

[8] البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام 3/1316 (3398) .

[9] فتح الباري شرح صحيح البخاري 6/612.

[10] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 2/1223، ط 1 دار القلم، والدار الشامية دمشق، بيروت 1415هـ .

ويذكر المتخصصون في دراسة العناصر والمركبات أن المادة مكونة من مجموعة جـــزيئات وكل جزيء مكون من مجموعة من الذرات، وكل ذرة لها نظام في تركيبها، وجميع الذرات لها قانون في مداراتها، ينظمه تكافؤ كل ذرة في علاقتها بأختها، سواء كانت الذرةُ سالبةً أو موجبةً فالمادة في عناصرها عبارة عن أخوات من الذرات متفاهمات متخاطبات، ولولا أنهـــا متكاتفات متماسكات وفق رموز وشفرات ما ظهرت لنا المواد في صـــورتها الـــتي نراهـــا، فجزيء الماء يظهر من التوافق والاتحاد بين ذرتين من الهيدروجين مع ذرة من الأكســـجين، ولولا إدراك العلماء لحقيقة الطاقة الهائلة المدفونة في باطن النواة المتعادلة وخصوصا الـــذرات المشعات التي تقبل التمزق والشتات، لولا أنهم علموا لهجة خطابها والقوانين التي تعمل مـــن خلالها لما عكفوا على البحث لتحويلها إلى ما نراه من القنابل الذرية والرؤوس النووية التي لا تبقي ولا تذر .

ومن ثم فإن الحجارة والمعادن أو غيرها من الكائنات قد لا تكون ناطقة باعتبـــار لغـــة الخطاب مع الإنسان لكنها عند المتخصصين من العلماء ذرات فعالة متماسكة وإِلكْتُرُونَات متحركة وبُرُوتُونَات موجبة ونِيُوتْرُونَات متعادلة ساكنةً، والذرات لها دستور ونظام ومنهج وأحكام تعمل بها من غير خلل وتدوم بينها من غير ملل إلا إذا شاء اللَّه ⊗ لها أن تتحـــول إلى صورة من صور الطاقة؛ فالحقيقة المؤكدة التي يصدقها العقل والنقل أن الكل متكلم ناطق بكيفية تليق به، سواء تحركت شفتاه أو كان بغير فاه، وسواء أدركنا قـــوله أم جهلنـــاه أو اعتبره البعض متكلما أو لم يعتبره، فالله ⊗ الذي خلق جميع الكائنـــات يعلـــم منطقهـــم ونظامهم ويسمع تسبيحهم وكلامهم ويرى صلاتهم وسجودهم كما قال سبحانه: ❾ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُون ❼ [النور:41]، وقال أيضا: ❾ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ❼ [أل عمران/6:5]، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عدداً .

ولا شك أن الذي خلق الإنسان أو الحيوان أو غير ذلك من المخلوقات قادر علـــى تهيئة الكائنات على أي وضع شاء، إن شاء ختم على فم الإنسان فما استطاع الكلام، وإن شاء أنطق الحيوان بالحكمة وروعة البيان، قال تعالى: ❾ الْيَوْمَ نَختِمُ على أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ

وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون ❼ [يس:65] [11] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ⓿ أن رسول الله S: (صَلَّي صَلاَةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ على النَّاسِ فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّه بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثَمَّ، ثم قال S: وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِه إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: هَذَا اسْتَنْقَذْتَها مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّه ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ) [12] .

وروى أبو داود وصححه الألباني من حديث عبد الله بن جعفر ⓿ أنه قال: (دَخَلَ S حائطًا [13] لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَي النَّبِيَّ S حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ [14] فَأَتَاهُ النَّبِيُّ S فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ [15]، فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ [16] لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فتيٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّه ! فَقَالَ: أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهُ شَكَا إلى أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) [17] .

وإذا كان الحيوان أو غيره لا يتكلم بقولنا ولا ينطق بكلامنا فنحن أيضا نعجز عن الكلام مع تلك المخلوقات، والعلماء الدارسون لسلوك الحيوان يعلمون أن لغته أشد تعقيدا من لغة الإنسان، وتتطلب منا لو أردنا التعرف على شفرة خطابها وفك رموزها وألغازها إلى دراسة علمية شاقة ومعمقة، فمن بداهة العقل إذا ألا نقبل القول بأن الإنسان تميز بأنه حيوان ناطق؟

---

[11] انظر في معنى تسبيح المخلوقات: تفسير ابن كثير 1/114، 3/43، تفسير ابن جرير الطبري 15/93، كتاب التوحيد لأبى منصور الماتريدى ص 58 .

[12] البخاري في المزارعة، باب استعمال البقر للحراثة 2/818 (2199)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق 4/1857 (2388) .

[13] الحائط هو البستان، أو الأرض المحاطة بسور .

[14] بكي وشكا له ظلم صاحبه حيث يتركه بلا طعام ويمنعه حقه في الراحة أو المنام .

[15] الذفر أصل الأذن وطرفها .

[16] يعني مالكه والقائم على أمره .

[17] رواه أبو داود في الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (2549) 3/27، وانظر صحيح أبي داود 2/484 (2222)، وصحيح الترغيب والترهيب (2269) .

- **هل تميز الإنسان عن غيره بالعقل والحكمة؟**

تقدم الحديث عن تعريف العقل بما يغني عن إعادته والغاية الرئيسية من وجـــود العقـــل معرفة الإنسان ما ينفعه أو يضره، وكيف يحصِّل الخير الأعلى والأفضل دائما؟ ومما لا شـــك فيه أننا نرى جميع الكائنات في حياتها حريصة كل الحرص على نفعها ودفع الشر عن نفسها، ومن ثم فإنها تطبق منهج الله أكثر من غيرها إلى حد يسمح بإطلاق لفظ التســـخير علـــى سلوكياتها فهي أعقل عند المقارنة من الإنسان .

والنملة مثلا على دقة حجمها ووزنها ترى في مسلكها عظمة عقلها وحسن إدراكها، فلو وضعتها في إناء فيه قطرات من ماء ثم نظرت إلى حركتها وتأملت طريقتها في الخلاص مـــن الهلاك لرأيت في فعلها العجب، كيف ولماذا تتمكن النملة في حساباتها من الابتعاد عن الماء؟ وكيف علمت أن الماء يغرقها ويهلكها؟

قال ابن القيم: (تأمل هذه النملة الضعيفة وما أعطيته من الفطنة والحيلة، في جمع القـــوت وادخاره وحفظه ودفع الآفة عنه فإنك ترى في ذلك عبرا وآيات، فتري جماعـــة النمـــل إذا أرادت إحراز القوت خرجت من أسرابها طالبة له، فإذا ظفرت به أخذت طريقا من أسرابها إليه وشرعت في نقله، فتراها رفقتين، رفقة حاملة تحمله إلى بيوتها سربا ذاهبا، ورفقة خارجة من بيوتها إليه لا تخالط تلك في طريقها، بل هما كالخيطين بمنزلة جماعة النـــاس الـــذاهبين في طريق والجماعة الراجعين من جانبهم، فإذا ثقل عليها حمل الشيء من تلك اجتمعت عليـــه جماعة من النمل وتساعدت على حملة بمنزلة الخشبة والحجر الذي تتساعد الفئة من النـــاس عليه، فإذا كان الذي ظفر بالطعام منهن واحدة ساعدها رفقتها عليه إلى بيتها وخلوا بينهـــا وبينه، وإن كان الذي صادفه جماعة تساعدن عليه ثم تقاسمنه على باب البيت) [18] .

ومن عجيب ما ورد في عقل النمل وفطنته أنها إذا نقلت الحب إلى مساكنها كسرته لئلا ينبت فإن كان مما ينبت الفلقتان منه كسرته أربعا، فإذا أصابه ندا وبلل وخافت عليه الفساد أخرجته للشمس ثم ترده إلى بيوتها، ولهذا ترى في بعض الأحيان حبا كثيرا علـــى أبـــواب مساكنها مكسرا ثم تعود عن قريب فلا ترى منه واحدة [19]، ومن ثم ليس الإنسان وحـــده

---

[18] مفتاح دار السعادة 1/240 ط دار الكتب العلمبة بيروت .

[19] السابق 1/243 .

المتميز بالعقل والفهم، بل يمكن القول إنه أقل من غيره عقلا وأردأ في حساباته العقلية، ويمكن بالتجربة لحيوان صغير أن يخدع الرجل الكبير، وروي من هذا القبيل الكثير والكثير في عالم الحيوان [1] .

ذكر ابن القيم أن بعض العارفين شاهد منهن يوما عجبا، قال: رأيت نملة جاءت إلى شق جرادة فزاولته فلم تطق حمله من الأرض، فذهبت غير بعيد ثم جاءت معها بجماعة من النمل قال: فرفعت ذلك الشق من الأرض، فلما وصلت النملة برفقتها إلى مكانه دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئا فرجعن، فوضعته، ثم جاءت فصادفته، فزاولته فلم تطق رفعه فذهبت غير بعيد ثم جاءت بهن، فرفعته، فدرن حول مكانه، فلم يجدن شيئا، فذهبن فوضعته فعادت فجاءت بهن، فرفعته فدرن حول المكان، فلما لم يجدن شيئا تحلقن حلقة وجعلن تلك النملة في وسطها، ثم تحاملن عليها فقطعنها عضوا عضوا حتى ماتت وأنا انظر [20] .

وذكر أيضا في ذكاء الثعلب أن رجلا كان معه دجاجتان فاختبأ الثعلب له، وخطف إحداهما وفر، ثم أعمل فكره في أخذ الأخرى، فظهر لصاحبها من بعيد وفي فمه شيء شبيه بالدجاجة وأطمع الرجل في استعادة الدجاجة بأن ترك ما في فمه وفر؛ فظن الرجل أنها الدجاجة فأسرع نحوها وترك الأخرى، وخالفه الثعلب في خفية فأخذها وذهب [21] .

إن من أعجب ما تنتبه له الأذهان التفكر في كيفية تقدير الطيور لعوامل الاتزان عند الطيران، أليست لديها تكنولوجيا أرقى وأعلى من عقول البشر؟ أتراها درست في معاهد الطيران؟ أم أنها تجهل قوانين الحركة التي عرف بها نيوتن؟

يقول ابن القيم: (وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أمورا تنفعه في معاشه وأخلاقه وصناعته وحربه وحزمه وصبره وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس) [22] .

ولا يمكن لمن يعلم أسس الحساب من العقلاء أن يرى ذاتين منفصلتين أو ثلاث ذوات ذاتا واحدة؛ فكيف بمن يشرك بالله ويجعل الإله اثنين أو ثلاثة؟ إن صاحب العقل السليم لا يقبل الشرك ولا يرضاه؛ فمن المحال عند العقلاء أن يكون الخالق إلهين اثنين متعادلين في

---

[20] السابق 1/240 .

[21] شفاء العليل 1/75 .

[22] السابق 1/74 .

وصف القدرة؛ فإذا أراد أحدهما شيئا ولم يرده الآخر فلا بد عند التنازع من غالب وخاسر وسيعود الأمر إلى قوي قادر والآخر مربوب مقهور عاجز قال تعالى: ❾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ❼ [المؤمنون:91]، وقال: ❾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنْ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ❼ [الأنبياء:22] [23] .

وقد ذكر الله ⊗ رأي من خالف الإنسان وأنكر عليه اتخاذ الولد للرحمن، وبين أن هذه المخلوقات يرفضن ذلك بشدة، فقال تعالى: ❾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ❼ [مريم:88/92] .

وكلام السلف يدل على أن الخلائق لها إدراك وتسبيح بكيفية تناسبها، روى ابن جرير عن ابن عباس ⓿ قال: (إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين) [24]، ويروى عنه أيضا أنه قال: (اقشعرت الجبال وما فيها من الأشجار والبحار وما فيها من الحيتان، وفزعت السماوات والأرض والجبال وجميع المخلوقات إلا الثقلين وكادت أن تزول) [25] .

ومما روي عن ابن مسعود ⓿ أنه قال: (إن الجبل يقول للجبل: يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل، فإن قال: نعم سر به، ثم قرأ: ❾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدً ا ❼ قال: أفتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير) [26] .

وروي عن أنس بن مالك ⓿ قال: (ما من صباح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضا: يا جاره، هل مر بك اليوم عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك؟ فمن قائلة: لا

---

[23] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص 85 بتصرف .

[24] تفسير الطبري 16/130.

[25] تفسير القرطبي 11/158.

[26] السابق 10/267، فتح القدير للشوكاني 3/353، شعب الإيمان للبيهقي 1/401، جواهر الحسان 3/21.

ومن قائلة: نعم، فإذا قالت: نعم، رأت لها بذلك فضلا عليها) [27] .

ومن ثم نصل إلى أن الإنسان لم يتميز عمن حوله بالعقل والحكمة إذ يشتركون معه في ذلك على الأقل، وإن كانت الحقائق تؤكد أن كثيرا من الكائنات أفضل منطقا وعقلا وأحكم قولاً وفعلا في قياس النفع والضرر .

- **هل تميز الإنسان عن غيره بالاجتماعية؟**

الاجتماعية صفة الإنسان عند علماء الاجتماع؛ فيمكنه على رأيهم أن يقيم الأمم والحضارات ويضع المجالس والوزارات، وله دستور ومؤسسات، وبقية المخلوقات همجية عشوائية لا تتصف بالاجتماعية ! ورأيهم هذا فيه نظر لأن الواقع يشهد بخلافه، فأبحاث علم الحيوان تؤكد أنها أمية حضارية، فالنحل مثلاً يقيم دولة متكاملة في كل خلية، وله دستور ثابت ونظام محكم، لا يحتال عليه أحد بالتزوير والتبديل كما هو شأن الإنسان الذي يبحث عن ثغرة في القوانين ليجد مخرجا لأطماعه وطغيانه وجرمه وعصيانه والقانون عاجز عن ضبطه وردعه ووقفه ومنعه، هذا شأن البشر مع بعضهم ولا نجده في أغلب الكائنات الأخرى قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:68/69] .

وقد ذكر ابن القيم من عجائب القدرة أن الله ⊗ جعل بعض الدواب كسوبا محتالا وبعضها متوكلا غير محتال، وبعض الحشرات يدخر لنفسه قوت سنته، وبعضها يتكل على الثقة بأن له في كل يوم قدر كفايته رزقا مضمونا وأمر مقطوعا، وبعضها يدخر وبعضها لا تكسب له وبعض الذكورة يعول ولده، وبعضها لا يعرف ولده البتة، وبعض الإناث تكفل ولدها لا تفارقه وبعضها تضع ولدها وتكفل ولد غيرها، وبعضها لا تعرف ولدها إذا استغني عنها وبعضها لا تزال تعرفه وتعطف عليه، وجعل الله يتم بعض الحيوانات من قبل أمهاتها وبعضها يتمها من قل آبائها، وبعضها لا يلتمس الولد، وبعضها يستفرغ الهم في طلبه وبعضها يعرف الإحسان ويشكر، وبعضها ليس ذلك عنده شيئا، وبعضها يؤثر غيره على نفسه وبعضها إذا ظفر بما يكفي أمة من جنسه، لم يدع أحدا يدنو منه، وبعضها يحب

---

[27] تفسير الثعالبي 3/21، تفسير القرطبي 10/267 .

الجماع ويكثر منه وبعضها لا يفعله في السنة مرة، وبعضها يقتصر على أنثاه، وبعضها يفعل بأي أنثي ولو كانت أمه أو أخته، وبعضها لا تمكن غير زوجها من نفسها، وبعضها لا ترد يد لامس، وبعضها يألف بني آدم ويأنس بهم وبعضها يستوحش منهم وينفر غاية النفار وبعضها لا يأكل إلا الطيب وبعضها لا يأكل إلا الخبائث وبعضها يجمع بين الأمرين، وبعضها لا يؤذي إلا من بالغ في أذاها، وبعضها يؤذي من لا يؤذيها، وبعضها حقود لا ينسي الإساءة، وبعضها لا يذكرها البتة، وبعضها لا يغضب، وبعضها يشتد غضبه فلا يزال يُسْترضي حتي يرضي، وبعضها عنده علم ومعرفة بأمور دقيقة لا يهتدي إليها أكثر الناس وبعضها لا معرفة له بشيء من ذلك البتة، وبعضها يستقبح القبيح وينفر منه، وبعضها الحَسَنُ والقبيح سواء عنده، وبعضها يقبل التعليم بسرعة وبعضها لا يقبله إلا بصعوبة وبعضها لا يقبل ذلك بحال، وهذا كله من أدلة الدلائل على الخالق لها سبحانه وعلي إتقان صنعه وعجيب تدبيره ولطيف حكمته، فإن فيما أودعه في هذه المخلوقات من غرائب المعارف وغوامض الحيل، وحسن التدبير والتأني لما تريده ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته ومعرفة حكمته وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أنه لم يخلق الخلق عبثا و لم يتركه سدي، وإن له سبحانه في كل مخلوق حكمة باهرة وآية ظاهرة وبرهانا قاطعا يدل على أنه رب كل شيء ومليكه، وأنه المنفرد بكل كمال دون خلقه وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم [28] .

إن المخلوقات لهن قانون حازم ينفذن أمره بشكل صارم، ولا مكان للمخالف منهن بل ربما مصيره عندهن الموت، نرى ذلك باديا واضحا وظاهرا جليا في مجتمعات النمل والحيتان والطير والحيوان، وفي كثير من الأحيان يتشابه سلوكهن مع الإنسان، ودليل ذلك في القرآن ظاهر بيّن، قال تعالى: ❶ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ❼ [الأنعام:38] .

ملك النحل لا يكثر الخروج من الخلية إلا نادرا، فإذا اشتهى التتره خرج ومعه أمراء النحل والخدم، فيطوف في المروج والرياض والبساتين ساعة من النهار ثم يعود إلى مكانه ومن عجيب أمره أنه ربما لحقه أذي من النحل أو من صاحب الخلية أو من خدمه فيغضب

[28] شفاء العليل لابن قيم الجوزية ص 77، ص 78 بتصرف .

ويخرج من الخلية ويتباعد عنها، ويتبعه جميع النحل يسترضيه وتبقي الخلية خالية، فإذا رأى صاحبها ذلك وخاف أن الملك يأخذ النحل ويذهب بها إلى مكان آخر، احتال لاسترجاعه وطلب رضاه، فيتعرف موضعه الذي صار إليه النحل، ويعرفه باجتماع النحل إليه فإنها لا تفارقه وتجتمع عليه حتى تصير عليه عنقودا، وهو إذا خرج غاضبا وقف على مكان مرتفع من الشجرة، وطافت به النحل وانضمت إليه حتى يصير كالكرة، فيأخذ صاحب النحل رمحا أو عودا طويلا ويربط على رأسه حزمة من النبات الطيب الرائحة العطر النظيف، ويدنيه إلى محل الملك إلى أن يرضي، فإذا رضي وزال غضبه، نزل الملك على النبات الطيب الرائحة وتبعه خدمه وسائر النحل، فيحمله صاحبه إلى الخلية فيترل ويدخلها هو وجنوده [29] .

روى البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأودي [30] أنه قال: (رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ)، فالقرود وإن كانوا غير مكلفين بشرعنا إلا أنهم يستقبحون الزنا مثلنا، وقد ذكر ابن حجر تفصيل القصة في الفتح من طريق عيسى بن حطان قال: (دخلت مسجد الكوفة فإذا عمرو بن ميمون الأودي جالس وعنده ناس، فقال له رجل: حدثنا بأعجب شيء رأيته في الجاهلية؟ قال: كنت في حرث لأهل اليمن فرأيت قرودا كثيرة قد اجتمعن، وفي رواية أخرى قال: (رأيت الرجم في غير بني آدم، إن أهلي أرسلوني في نخل لهم أحفظها من القرود، فبينا أنا يوما في البستان إذ جاء القرود فصعدت نخلة، قال: فرأيت قردا وقردة اضطجعا، ثم أدخلت القردة يدها تحت عنق القرد واعتنقتها ثم ناما، فجاء قرد فغمزها من تحت رأسها فاستلت يدها من تحت رأس القرد، ثم انطلقت معه غير بعيد، فنكحها وأنا أنظر، ثم رجعت إلى مضجعها فذهبت تدخل يدها تحت عنق القرد كما كانت، فانتبه القرد فقام إليها فشم دبرها، وفي رواية: فصاح صيحة، فاجتمعت القردة، فجعل يسير إليها، فتفرقت القردة، فلم ألبث أن جيء بذلك القرد بعينه أعرفه، وفي رواية: فقام واحد منهم كهيئة الخطيب، فوجهوا في طلب القرد، فجاؤوا به بعينه

---

[29] السابق ص 66.

[30] عمرو بن ميمون الأودي كوفي تابعي ثقة مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي S لكنه لم يره، كان أصحاب النبي S يرضون به، سمع معاذ بن جبل باليمن وبالشام وعبد الله ابن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم مات سنة أربع وسبعين أو خمس وسبعين، انظر ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري 6/367 (2659)، ورجال صحيح مسلم لأبي بكر الأصبهاني (1202) 2/79، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني رقم (181) 8/96 .

وأنا أعرفه فانطلقوا بها وبالقرد إلى موضع كثير الرمل، فحفروا لهما حفيرة، فجعلوهما فيها، ثم رجموهما حتى قتلوهما، والله لقد رأيت الرجم قبل أن يبعث الله محمدا S) [31] .

- **هل تميز الإنسان عن غيره بالعبودية؟**

علمنا أن الإنسان لا يتميز عن غيره من المخلوقات بالنطق والكلام فجميع الكائنات تتكلم بهيئات وكيفيات تخصها، ولا يتميز أيضا بالعقل والحكمة لأن المخلوقات حريصة على تحصيل الخيرات والبعد عن المهلكات، كما أنها تعيش في مجموعات متوافقات متفاهمات وهذا يعني أنه لا ينفرد بصفة الاجتماعية، والسؤال الآن: هل تميز الإنسان بالعبودية؟

قبل إقامة البرهان على أن الإنسان لم يتميز عن غيره بالعبودية لا بد من معرفة معنى العبادة؛ فالعبادة هي الخضوع التام المقترن بالإرادة وتعظيم المحبوب؛ فإن كان الخضوع والطاعة بغير إرادة فلا تسمي عبادة، قال ابن القيم: (والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا) [32] .

ولا شك أننا نرى في سائر المخلوقات كمال الخضوع والانضباط كما نرى دقتها في تنفيذ التوجيهات التي حددها الله لها، ولا يمكن أن تكون المخلوقات على هذه الكفاءة في حياتها بغير محبتها وإرادتها؛ فإنها تقوم بواجبها بصورة تفوق إخلاص الإنسان، ومعلوم أن المكره على الشيء لا يفعله بإتقان، وليس معنى تسخير الكائنات للإنسان الجبر المطلق في حقها كما يتصور البعض، وإنما حالها حال من توافقت إرادته الشخصية مع الإرادة الكونية من جهة التقدير الإلهي ثم مع الإرادة الدينية التكليفية المبنية على المحبة والخضوع من جهة أخرى كمن ورد وصفهم في الحديث القدسي الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ مرفوعا إلى النبي ﷺ: (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ

[31] فتح الباري لابن حجر العسقلاني 7/160 ط دار المعرفة بيروت، وتهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي، تحقيق بشار عواد معروف رقم (4458) 22/265 ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1400هـ.

[32] مدارج السالكين 1/74، وانظر الجواب الكافي 1/164، وانظر مجموع الفتاوي 10/157.

الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا) [33] .

ودليلنا على ذلك نصوص كثيرة ظاهرة في وصفها بالسجود للمعبود واستئذان بعضها فيه كل يوم، فإذا كان السجود في شأن الإنسان يجعل العابد في أعلى درجات المحبين المقربين كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ⓿ أن رسول الله S قال: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) [34]، فإن السجود أيضا كائن في بقية المخلوقات؛ إذ نصت الآيات على هذا اللفظ الذي يدل على كمال طاعتها، وامتثالها لتوجيه خالقها، وانضباطها في تنفيذ منهجها، وإن كنا لا نعلم كيفية أدائها لذلك .

روى البخاري من حديث أبي ذر ⓿ أنه قال: (دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ S جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا) [35] .

وقد كلف الله ⊗ النحل بمنهج محدد يسلكه في أسباب عيشه وحياته ليحقق علة غائية يستفيد منها الإنسان فقال: ❾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا ❼ [النحل: 68] .

بل إن المقارنة بين الإنسان وغيره من المخلوقات في السجود وأداء الطاعة، تُظهر تفوقها عليه في تلك الصفات، قال تعالى: ❾ أَلَمْ ترى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ❼ [الحج:18] .

ومن الملاحظ أن اللَّه ⊗ ذكر سجودهن جميعا بالعموم فكلهن ساجدات بلا استثناء ولا تتخلف واحدة منهن عن السجود، ولما ذكر سجود الإنسان عبر النص القرآن بالخصوص فالبعض يسجد والبعض لا يسجد مطلقا، قال تعالى: ❾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا

---

[33] البخاري في الرقاق، باب التواضع 5/2384 (6137) .

[34] مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود 1/350(482) .

[35] البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش 6/2700(6988) .

وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَــــلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ❼ [الفرقان:60/61] ، قال الإمام الشوكاني في سجود المخلوقات وتسبيحها لله ⊗: (التسبيح على حقيقته والعموم على ظاهره، والمراد أن كل المخلوقـــات تسبح لله سبحانه، هذا التسبيح الذي معناه التتريه، وإن كان البشر لا يسمعون ذلـــك ولا يفهمونه، ويؤيد هذا قوله سبحانه: ❾ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ❼ [الإسراء:44]، فإنه لو كان المراد تسبيح الدلالة لكان أمرا مفهوما لكل أحد .. ومدافعه عموم هذه الآية بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده) [36] .

وقال ابن تيمية: (وأما تفسير سجودها وتسبيحها بنفوذ مشيئة الـــرب وقـــدرته فيهمـــا ودلالتها على الصانع فقط فالاقتصار على هذا باطل، فإن هذا وصف لازم دائم لها لا يكون في وقت دون وقت، وهو مثل كونها مخلوقة محتاجة فقيرة إلى الله تعالى) [37] .

وقد أخبرنا الله عن الهدهد بصغر حجمه أنه أنكر على قوم سبأ في عصر سليمان ❶ أنهم أشركوا بالله واتبعوا الشيطان، ولو أراد الإنسان أن يعبر عن العصيان الذي وقع فيه هـــؤلاء الناس، ما استطاع أن يبدي نفس الإحساس الذي أبداه هذا الهدهد الموحد، قال تعـــالى: ❾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْـــرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِـــنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلا يَسْجُدُوا لِلَّـــهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ❼ [النمل:22] .

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ قال: (سمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ Sيَقُولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِياءِ، فَأَمرَ بِقَرْيَةِ النَّملِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحى اللَّه إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ) [38]، وعنده أيضا من حديث ابن مسعود ⓿ قال: (كُنَّا نَعُدُّ الآيَـــاتِ بَرَكَـــةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ S فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ

---

[36] فتح القدير 3/230، 3/231 .

[37] قنوت الأشياء كلها لله تعالى رسالة ضمن جامع الرسائل 2/43، وانظرمعاني القرآن الكريم للنحاس 4/159، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي 5/289، تفسير القرآن للصنعاني 2/379، زاد المسير لابن الجوزي 5/ 38 .

[38] البخاري في الجهاد، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق 3/1099 (2856)، وانظر فتح الباري 6/359 .

فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ ثُمَّ قَالَ: حَيَّ على الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ S، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ) [39] .

صحيح أنه ورد في القرآن أن الله ⊗ خلق الإنسان للعبادة فقال: ❾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُون ❼ [الذاريات:56]، لكنها ليست وصفه الذي يميزه عن غيره؛ لأن الخضوع والمحبة والتعظيم عام في جميع الخلائق، هذا فضلا عن التصريح في شأنها بالتسبيح كما جاء في قوله تعالى: ❾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ❼ [الإسراء:44]، وقوله: ❾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُون ❼ [النور:41]، ووردت في ذلك آيات أخرى كثيرة .

- **هل تميز الإنسان بالحرية والمسئولية؟**

لم يبق إلا القول بأن الإنسان تميز عن غيره بالحرية والمسئولية وهذا الوصف ليس للكائنات الأخري على الأرض؟! وهذا أيضا فيه نظر لأن أكثر الكائنات تتصف به، فمن جهة الحرية ما الذي يمنع الطير والحيوان أن يبحث عن طعامه وشرابه حيث شاء كالإنسان سواء بسواء، بل الإنسان في أغلب الأحيان يحد من حريتها ويمنعها طلاقة حركتها ويسلبها حقها الذي منحه الله إياها، روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله ⓿ أن رسول الله S: (عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا؛ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) [40] .

وقد أوحى الله ⊗ إلى النحل أن تبحث عن رزقها حيث تشاء وتأكل من الثمرات ما تشاء فقال تعالى: ❾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا ❼ [النحل:68/69] .

أما من جهة المسئولية فقد ثبت أن الخلق يقتص بعضهم من بعض تحقيقا للعدل وأن الله يأخذ للمظلوم الحق ممن ظلمه، ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ⓿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

---

[39] البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام 3/1312 (3386) .

[40] مسلم في الكسوف، باب ما عرض على النبي S في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار 2/622(904) .

S قَالَ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إلى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حتى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَـــاءِ) (41)، وفي رواية أحمد: (يَقْتَصُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حتى الْجَمَّاءُ مِنَ الْقَرْنَاءِ وَحَتَّى الذَّرَّةُ مِنَ الذَّرَّةِ) (42) .

قال تعالى: ◉ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُـــولُ الْكَـــافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ❼ [النبأ:40]، قال ابن كثير: (قيل إنما يود ذلـــك حين يحكـــم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى إنـــه ليقتـــص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا، فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي كنت حيوانا فأرجع إلى التراب) (43) .

كما أخبرنا الله ⊗ عن الجن والشياطين كمخلوقات غيبية حية تعيـــش مـــع الإنســـان وتشاركه وصف الحرية والمسئولية، تراه ولا يراها، قال تعالى في وصف حالهم: ◉ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ❼ [الأعراف:27] .

وهم أيضا مكلفون بشرعنا ولهم مقومات التكليف التي وهبها الله لنا، قال تعالى: ◉ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّـــوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إلى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِـــنْ ذُنُـــوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَـــهُ مِـــنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ❼ [الأحقاف:29/32]، وقال تعالى في إثبات الحريـــة لهم: ◉ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ❼ [الجن:11]، وقال أيضا في محاسبتهم عن أفعالهم: ◉ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ❼ [الجن:14/15] .

وورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس ❺ أنه قال: (انْطَلَقَ النَّبِيُّ S فِي طَائِفَةٍ

---

[41] مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم 4/1997 (2582) والقود القصاص وهو مجازاة الجاني بمثـــل صنيعه، والجلحاء أو الجماء التي لا قرون لها عكس القرناء .

[42] أحمد في المسند 2/363 (8741) .

[43] تفسير ابن كثير 4/467، وانظر أيضا زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 3/36.

مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ؟ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ S وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ على نَبِيِّهِ S: قُلْ أُوحِيَ إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ .. الآيات) [44] .

وقد جعل الله ⊗ الجن والإنس في الخطاب والحساب والتكليف سواء، وجعلهم بين دار ابتلاء وأخرى جزاء فقال سبحانه: ❾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا على أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا على أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ❼ [الأنعام:130]، وقال تعالى: ❾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ ❼ [الرحمن:33] .

وعند مسلم من حديث أَبِي سعيد الخدري ⓿ أن رسول الله S قال: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلاثًا؛ فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ) [45]، وتلك النصوص وغيرها تدل على أن الإنسان لا يتميز عن غيره بالحرية والمساءلة عن أفعاله [46] .

---

[44] البخاري في صفة الصلاة، باب الجهر بالقراءة صلاة الفجر 1/267 (739)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (449) 1/331 .

[45] مسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (2236) 4/1757، والْعَوَامِرِ ما يسكن المكان من الأحياء ولا يفارقه جنا كانوا أو إنسا .

[46] انظر أيضا في التعرف على ما قدمه المفكرون من أوصاف يتميز الإنسان ونقد ذلك لمخالفته صريح القرآن، القضاء والقدر في الإسلام، تأليف د . فاروق الدسوقي 1/111:109، ط دار الدعوة الإسكندرية سنة 1982م .

- **حقيقة الوصف الذي يميز الإنسان عن غيره**

صرح القرآن الكريم بأن الوصف الذي يتميز به الإنسان عمن حوله من الكائنات هـــــو استخلافه في أرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:30]، وقد بينت النصوص بجلاء ووضوح أن الله ⊗ اســـتخلف الإنسان في الأرض وخوله فيها وابتلاه بها واستأمنه عليها لوقت محدود وإلى يوم موعـــود لا يعلمه إلا هو، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَـــرَّةٍ وَتَرَكْتُـــمْ مَـــا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام:94]، وقال ﴿ :⊗ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد:7] وقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [الإنسان:2]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخـــدري ⓿ أن النبي S قال: (إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[47].

---

[47] مسلم في الذكر والتوبة والاستـــغفار،باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهـــل النار النساء 4/2098 (2742) .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثامنة والعشرون (28)

الأمانة العظمى وخلافة الإنسان في الأرض

- المقصود بخلافة الإنسان للأرض .
- هل يصح القول بأن الإنسان خليفة عن الله في أرضه ؟
- استخلاف الإنسان في القرآن له عند التحقيق معنيان.
- معنى الخلافة عن الله بين ابن تيمية وابن عربي .
- ابن تيمية ينفي الخلافة عن الله على معنى النقص .
- ابن عربي يجعل معاني الخلافة عن الله شاهدا لمذهبه في وحدة الوجود .
- لماذا استخلف الله الإنسان في الأرض؟
- لماذا عرضت الأمانة على المخلوقات؟

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ثلاث صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

حفظ التعريفات والأحاديث التي وردت في المحاضرة الثامنة والعشرون (28)

بسم الله الرحمن الرحيم
دورة منة القدير بميت الرخا غربية
المحاضرة الثامنة والعشرون (28)
الأمانة العظمى وخلافة الإنسان في الأرض

- **المقصود بخلافة الإنسان للأرض .**

الخلافة في اللغة تعني النيابة عن الغير، ولا بد فيها من استخلاف المستخلف بكسر اللام للمستخلف بفتحها وإذنه له بها، ولا تصح في اللغة بغير هذا البتة، قال الراغب الأصفهاني: (الخلافة النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض) [1] .

وقال ابن حزم: (ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفُه لا الذي يَخْلُفُه دون أن يستخلفَه هو، لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف، تقول: استخْلفَ فلانٌ فلانا يستخلفُه فهو خليفَتُه ومستخلفُه، فإن قام مكانه دون أن يستخْلفُه هو لم يُقَل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف) [2].

- **هل يصح القول بأن الإنسان خليفة عن الله في أرضه ؟**

لكن هل يصح القول بأن الإنسان خليفة عن الله ⊗ في أرضه، سواء كان مؤمنا أو كافرا؟ لا يصح ذلك إلا على التقييد؛ لأن الاستخلاف عند التجرد عن الإضافة من المعاني المنقسمة؛ فقد يكون كمالا في حال ونقصا في حال، وموقف المسلم هنا ألا يثبت الوصف لله ⊗ إثباتا مطلقا ولا ينفيه عنه نفيا مطلقا، إذ لا بد من البيان والتفصيل والتقيد بما ورد في التزيل، وشأن استخلاف الله ⊗ للإنسان شأن صفات الأفعال المقيدة كوصف الله بالمكر والخداع والنسيان والاستهزاء والكيد والسخرية والخذلان؛ فالمكر عند التجرد عن الإضافة

---

[1] المفردات في غريب القرآن ص 156، وانظر أيضا التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي 2/322 .

[2] الفصل في الملل والنحل 4/88، وانظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية 1/494 .

يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر؛ فلا يصح إطلاقه في حـــق الله ⊗ دون تخصـــيص كقول القائل: المكر صفة الله ⊗ فهذا باطل، لأن الإطلاق فيه احتمال اتصافه بـــالنقص أو الكمال، لكن يصح قول القائل: مَكْرُ الله ⊗ يكون للابتلاء أو المعاقبة والجزاء، فهو مكـــر مقيد لا يحتمل إلا الكمال، ومن ثم وصف الله نفسه به فقال: ❾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ❼ [الأنفال:30]، وقال سبحانه: ❾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُـــلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ❼ [يونس:21] .

وما يقال في المكر يقال أيضا في الاستهزاء؛ فالاستهزاء على إطلاق الوصف يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر؛ فلا يصح إطلاقه في حق الله دون تقيد كقول القائل الله مستهزئ فهذا باطل، ولكن يصح أن القول بأن الله ⊗ يستهزئ بالمنـــافقين في مقابـــل اســـتهزائهم بالمؤمنين، فالاستهزاء في موضع النقص هو شأن المنافقين، والاستهزاء في موضع الكمال هو ما ورد في قول رب العزة والجلال: ❾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّـــا وَإِذَا خَلَـــوْا إِلَـــى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِـــي طُغْيَـــانِهِمْ يَعْمَهُونَ ❼ [البقرة:14/15]، وكذلك الخداع والسخرية والكيد، فإن ذلك يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر فلا يتصف به إلا في موضع الكمال كمـــا قـــال تعـــالى: ❾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا ❼ [النساء:142]، وفي السخرية بالمنافقين قال ⊗: ❾ الَّـــذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْـــدَهُمْ فَيَسْـــخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❼ [التوبة:79]، وقال في الكيد بالكافرين: ❾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً ❼ [الطارق:15/16]، وكذلك أيضا ما ورد في الســـنة عـــن صفة التردد، روى البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ مرفوعا إلى النبي S عن قول الله ⊗: (وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَـــاءَتَهُ)[3]، وصف التردد عند الإطلاق يكون كمالا في موضع ونقصا في آخر، فلو كان التردد عن

[3] البخاري في الرقاق، باب التواضع 5/2384 (6137) .

جهل وقلة علم وعدم إحكام للأمر كان التردد نقصا وعيبا، وإن كان التردد لإظهار الفضل والمحبة في مقابل إنفاذ الأمر وتحقيق الحكمة كان كمالا ولطفا وعظمة وهـــو المقصـــود في الحديث .

وهكذا القول في سائر أفعال الله ⊗ التي تدخل تحت تلك النوعية من الأوصاف وذلـــك أيضا ما يقال في معنى الاستخلاف، لا يقال فيه إن الإنسان خليفة لله ⊗ علـــى الإطلاق، ولكن يقال هو خليفة الله على معنى الابتلاء، والتقييد بهذا المعنى فيه الكمال والجمال ويشهد لحكمة الله ⊗ بالعظمة والجلال كما سيأتي بيانه .

ومعلوم أن الله ⊗ لا يتصف إلا بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه مـــن الوجـــوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعظمة وغير ذلك مـــن أوصاف الكمال، أما ضد ذلك من أوصاف النقص كالموت والعجز والظلم والغفلة والسنة والنوم فقد تتره ربنا ⊗ عن ذلك وسبحه الموحدون، وقال المؤمنون في وصفه كمـــا قـــال المرسلون: ❾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّـــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❼ [الصافات:180/182]، أما عند انقسام المعنى فلا بد من البيان والتفصـــيل والتقيد بما ورد في التتريل .

- **استخلاف الإنسان في القرآن له عند التحقيق معنيان.**

ومن ثم فإن استخلاف الإنسان بالمعنى الذي ورد في القرآن له عند التحقيق معنيان:

الأول: استخلاف عن نقص الأوصاف بحكم طبيعة الإنســـان، ويكـــون عنـــد عجـــز المستخلف عن القيام بملكه أو تدبير أمره، إما لغيابه أو قلة علمه، وإمـــا لمرضـــه أو مـــوته كاستخلاف القائد نائبا على جنده أو قومه، كما ورد ذلك في قوله ❾ :⊗ وَقَالَ مُوسَى لأخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِين ❼ [الأعراف:142].

وكما ورد عند البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص ⓿ أنه قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ S إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ

مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي؟ [4].

ومن ذلك أيضا استخلاف ولى الأمر نائبا عنه قبل موته، كما ورد عند البخاري من حديث ابن عمر ⓿ أنه قال: (حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَالَ: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالُوا: اسْتَخْلِفْ، فَقَال: أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيّا وَمَيِّتًا لوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الكَفَافُ لا عَلَيَّ وَلا لِي، فَإِنْ أَسْتخلفْ فَقَد اسْتَخْلَفَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ S، قَال عَبْدُ اللهِ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُول اللهِ S غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ) [5] .

الثاني: استخلاف عن كمال الأوصاف وذلك إذا كان لتشريف الإنسان وإكرامه أو اختباره وامتحانه، وليس لعجز المستخلف عن القيام بشؤونه، كالطبيب في سنة الامتياز عندما يفحص مريضا حال مراقبة الأستاذ، فمثل هذا إن اجتاز الامتحان فقد فاز ونال الشرف بشهادة عظيمة بين الناس، وإن لم يؤد الواجب على الوجه المطلوب استحق العقوبة والرسوب حتى يتمكن من النجاح عند الإعادة، وإن تكرر منه الفشلُ والنسيان استحق المنع والحرمان من أي شرف أو فضل، ولله المثل الأعلى – ويجوز في حقه قياس الأولى – يصح القول إن الإنسان خليفة عن الله ⊗ في الأرض على وجه الابتلاء والامتحان لأن هذا الوجه كله كمال لا نقص فيه ولا عجز .

ومن ثم لما قال الله ⊗ للملائكة: ❾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، فإن خلافة الإنسان في الأرض تحقق فيها معنيان، الأول أن يخلف بعضهم بعضا على وجه النقص والقصور في حياة الإنسان، والثاني أنه خليفة لله في الأرض على وجه الامتحان، وبهذا يزول الإشكال ويتآلف الرأيان، رأي من يرى أن الإنسان خليفة ينوب عن الله ⊗ في تنفيذ الأحكام والعمل بشريعة الإسلام وهذا قول ابن مسعود ⓿ وبعض المفسرين، ورأي من

---

[4] البخاري في المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة 4/1602 (4154) .

[5] البخاري في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف 6/2638 (6792) .

يرى أن الخلافة هي خلافة قرن لقرن يخلف بعضهم بعضا وهذا قول ابن عباس ⓿ وطائفة أخرى من المفسرين، فقول الله ◉ :⊗ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ❼ [الحديد:7]، يعني مستخلفين عمن سبق على وجه النقص وتعاقب الأجيال، ومستخلفين في أرض الله أيضا على وجه الكمال.

قال ابن الجوزي: (وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه ودلائل توحيده والحكم في خلقه وهذا قول ابن مسعود ومجاهد، والثاني أنه خلف من سلف في الأرض قبله وهذا قول ابن عباس والحسن) [6] .

وهكذا ابتلى الله ⊗ سائر الناس في الحياة واستخلف الإنسان واسترعاه فقال: ◉ هُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ❼ [فاطر:39]، وقال: ◉ وَهُوَ الذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لغَفُورٌ رَحِيمٌ ❼ [الأنعام:165] .

كل هذه الآيات وغيرها تدل على المعنيين معا: أن الإنسان خليفة لمن سبق من الذرية عن نقص في الأوصاف البشرية، وخليفة لله على وجه الكمال استخلفه رب العزة والجلال لإظهار المعاني الشرعية، غير أنه لا حول له ولا قوة في معاني الربوبية، فالله ⊗ من فوق العرش معه يتابعه ويراه ويسمعه، وهذا مقتضى الاستخلاف المبني على الابتلاء والاختبار والأمانة والانتظار إما إلى جنة وإما إلى نار كما قال رب العزة والجلال: ◉ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ❼ [الإنسان:3]، وقال: ◉ الذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ❼ [الملك:2] .

وينبغي التنبه إلى أن الاستخلاف المقصود في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليس عن غيبة المستخلف كما يتوهم من لم يفهم النصوص على الوجه الصحيح، فإن الاستخلاف بين الناس وإن اقتضى الغياب في العادة إلا أنه في استخلاف آدم وذريته وكما سيأتي بيانه عند

---

[6] زاد المسير لابن الجوزي 1/60، وانظر المزيد عن هذين الرأيين في تفسير ابن جرير 1/200:199، فتح الباري لابن حجر 6/ 364، فتح القدير للشوكاني 1/62، تفسير الثعالبي 1/43 .

تفصيل نشأة الكون كان السبب المباشر في وجود عالم الغيب والشهادة؛ فالله غيب بالنسبة للإنسان لأنه ⊗ جعل مداركه محدودة على وجه الابتلاء، فهما غيب وشهادة ليس بالنسبة لعلم الله بخلقه ولكن بالنسبة لعلم الإنسان بمخلوقات ربه حيث قال سبحانه عن شمولية علمه لكل صغيرة وكبيرة في خلقه: ❾ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَال ❼ [الرعـد:8/10]، وقال ⊗ في المقابل عن حدود علم المستخلَف: ❾ وَمَا أُوتِيتُـمْ مِـنْ العِلـمِ إِلا قَليلا ❼ [الإسراء:85] .

ومن ثم فإن علم الإنسان مهما بلغ محدود، وحواسه لها حدود وقيود، وسوف يحاسب عليها في يوم موعود، وعلى ذلك ترتبت أمور التكليف وأحكام الشرائع؛ فكان النطق بشهادة الحق أمرا وتكليفا، وترك الزور وقول الصدق مدحا وتشريفا، كما قال سيد الخلق S تحذيرا لأمته وتخويفا: (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ، قَـالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ قال أبو بكـرة راوي الحديث: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ) [7] .

ويمكن القول بعبارة أخرى أن استخلاف الإنسان مقيد بالخضوع للتكليـف وإظهـار العبودية، والعمل في أرض الله بالشريعة الإسلامية، ومراعاة الأمانة وتحمل المسئولية كمـا صح عن خير البرية S أنه قال: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْـتِ زَوْجِهَـا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) [8] .

وليس استخلاف الإنسان في الأرض نيابة عن الله ⊗ في معنى من معـاني الربوبيـة أو تخويلا لغيره في إرادته الكونية، سبحانه وتعالى أن يتخذ شريكا له في ملكه، أو يتخذ وليا من الذل وينعزل عن خلقه، قال تعالى: ❾ وقُلِ الحَمْدُ للهِ الذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لهُ شَرِيكٌ

---

[7] أخرجه البخاري عن أبي بكرة في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر 5/2229 (5631) .

[8] البخاري في كتاب الجمعة من حديث عبد الله بن عمر 1/304 (853) .

فِي الْمُلكِ وَلَمْ يَكُنْ لهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّل وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ❼ [الإسراء:111]،

وقال: ❾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ❼ [فاطر:41]، والذين نفوا أن يكون الإنسان خليفة عن الله ⊗ في أرضه كشيخ الإسلام ابن تيمية ومن قال بقوله إنما أرادوا هـذا المعنى لأن إطلاق لفظ الخليفة يشمله .

- **معنى الخلافة عن الله بين ابن تيمية وابن عربي .**

وهنا مسألة تتعلق بموقف ابن تيمية من القول بأن الإنسان خليفـة عـن الله في الأرض تتطلب النظر والتفصيل وبيان الحق مقرونا بالدليل، فعلى الرغم من أن تفسير السلف الصالح لقول الله تعالى: ❾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، يدور على رأين متآلفين غير متضادين، أحدهما لعبد الله بن مسعود ⓿ حيث قال في معنى الآيـة: إني جاعـل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي وذلك الخليفة هو آدم ❶ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، والثاني لابن عباس رضي الله عنهما أن الإنسان خليفـة لمن سبق، من قولك: خلف فلان فلانا في هذا لأمر إذا قام مقامه فيه بعده، إلا أن أغلـب المفسرين مالوا إلى الرأي الثاني خشية وصف الله ⊗ بالنقص من خلال اقتضاء الاستخلاف للغياب، فما غاب الله حتى يستخلف غيره [9] .

وقد سبق أن الاستخلاف لا يقتضي غياب الحق عن متابعة الخلق ولكن اقتضى وجـود عالم الغيب والشهادة بالنسبة للإنسان؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء في عالم الغيب أو في عالم الشهادة، فكلاهما سيان بالنسبة لله، لكنهما متغايران في الأحكام بالنسبة للإنسان، فما يراه ويدركه بحواسه يدخل تحت عالم الشهادة، وما لا يراه يدخل تحت عالم الغيب، فـالله ⊗ غيب بالنسبة للإنسان لأنه لا يراه في الدنيا، وإن كان ممكنا أن يراه في الآخرة، لا يـراه في الدنيا ابتلاء ويراه في الآخرة جزاء، كما أن الاستخلاف ليس في شيء من معاني الربوبيـة فالإنسان مسير في هذا الجانب، والله تعالى لا شريك له في ملكه، لم يتخذ وليا من الذل في تدبير خلقه بأي وجه من الوجوه، وإنما القصد من الاستخلاف تحقيق معاني العبودية ومدى

---

[9] انظر في ذلك: تفسير الطبري 1/199، فتح الباري 6/364، فتح القدير 1/62، تفسير ابن كثير 1/70 .

خضوع الإنسان للإرادة الشرعية، والإنسان في هذا الجانب مخير بحرية، وسوف تقع على عاتقه المسؤولية يوم القيامة، وبهذا يزول التعارض ويرفع الأشكال .

لكن ما يثير العجب هو موقف ابن تيمية فقد أجريت مسحا حاسوبيا شاملا لجميع مؤلفاته التي ظهرت حتى الآن لأبحث عن موقفه من الرأيين، فوجدت أنه يمنع القول تماما بأن الإنسان خليفة لله في الأرض، وإنما هو خليفة لمن سبق فقط، و لم يبين موقفه من كون الإنسان خليفة الله على وجه الابتلاء والتقييد حيث قال: (والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، والخلف فيه مناسبة كما كان أبوبكر الصديق خليفة رسول الله S لأنه خلفه على أمته بعد موته، وكما كان النبي إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة، فيستخلف تارة ابن أم مكتوم وتارة غيره، واستخلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك ... ومنه قوله تعالى: ❾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ❼ [الأنعام:165]) [10] .

وقد ظهر لي أن ابن تيمية في خضم حملته على ابن عربي وأتباعه القائلين بوحدة الوجود وأن الإنسان خليفة لله بمعنى ظهور الذات الإلهية متجلية في صورة الخليفة الذي هو الإنسان ومتعينة فيه كظهور الصورة في المرآة بالغ في نفي كون الإنسان خليفة لله في الأرض خشية الوقوع في ضلالات ابن عربي وأتباعه، حتى ظن كثيرون أن هذا النفي ينسحب على كون الإنسان خليفة لله ⊗ على معنى الابتلاء والكمال، ولذا نص على أن النفي يتناول بعض القائلين الغالطين كابن عربي وأتباعه فقال: (وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله مثل نائب الله، وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفا، وربما فسروا تعليم آدم الأسماء كلها التي جمع معانيها الإنسان ويفسرون خلق آدم على صورته بهذا المعنى أيضا، وقد أخذوا من الفلاسفة قولهم الإنسان هو العالم الصغير – وهذا قريب – وضموا إليه أن الله هو العالم الكبير بناء على أصلهم الكفري في وحدة الوجود، وأن الله هو عين وجود المخلوقات، فالإنسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات، ويتفرع على هذا ما يصيرون إليه من دعوى الربوبية والألوهية المخرجة لهم إلى

---

[10] مجموع الفتاوى 35/45 .

الفرعونية والقرمطية والباطنية) [11] .

ومن ثم فإن الذي نفاه ابن تيمية أن يكون الإنسان خليفة عن الله ⊗ في معاني الربوبية، أما الخلافة عن الله على سبيل الابتلاء لإقامة الشرائع والأحكام وتمييز الحلال من الحرام وتوحيد العبودية لله في الخضوع والإسلام فلا يمكن لأحد أيا كان أن ينفيها لأن نفيها هدم لصريح القرآن والسنة .

- **ابن تيمية ينفي الخلافة عن الله على معنى النقص .**

وعلى ذلك يجب التنبه إلى ما يقصده ابن تيمية رحمه الله عند عرضه لتلك القضية، قال في موضع آخر: (والله لا يجوز له خليفة، ولهذا لما قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: لست خليفة الله، ولكن خليفة رسول الله، حسبي ذلك، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي S: اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا، وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو متره عنها فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب، وهو غني يرزق ولا يرزق، يرزق عباده وينصرهم ويهديهم ويعافيهم بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه والتي هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها، فالله هو الغني الحميد له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه ولا يقوم مقامه لأنه لا سمي ولا كفء له فمن جعل له خليفة فهو مشرك به) [12] .

فتأمل قوله: فمن جعل له خليفة فهو مشرك به وهو يعلم أن أغلب المفسرين نقلوا عن السلف الرأيين كما تقدم، ونسبوا إلى عبد الله بن مسعود بأوجه صحيحة قوله في معنى إني جاعل في الأرض خليفة: أي خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، فهل يعقل أن شيخ

---

[11] السابق 35/44 .

[12] السابق 35/45 .

الإسلام يحكم على ابن مسعود ◐ بالشرك لأنه جعل الإنسان خليفة عن الله على وجه الابتلاء وإقامة الشرائع في أرضه؟

لكن الذي يثير الدهشة والعجب أن ابن تيمية معهود عنه التحري والتدقيق وسعة الأفق وقول الحق حتى ولو كان على لسان الخصم، وكان ينبغي أن تكون مثل هذه المسألة واضحة في كلامه إلي حد كبير، وأغلب الظن عندي أن شيخ الإسلام ربما آثر عدم الخوض في التفصيل حتى لا يأخذ عنه غلاة الصوفية حجة بسوء فهمهم، أو ربما بينها لكنها لم تصل إلينا، غير أن ابن تيمية لو كان حيا بيننا وقيل له: الخلافة عن الله لم تقتض غياب الحق عن الخلق ولكن اقتضت وجود عالم الغيب والشهادة، وأن يكون الله ⊗ غيبا بالنسبة للإنسان، وأن الإنسان مستخلف في الأرض على وجه الابتلاء وإظهار العبودية لا على معنى المشاركة لله في الربوبية أو في شيء من أوصافه، وأن الإنسان خليفة لله على وجه الكمال لا على وجه النقص، إذا قيل له ذلك لا نظن أنه سينكره .

وإذا كان غلاة الصوفية كما ذكر ابن تيمية على ضلال مبين كابن عربي وتلاميذ مدرسته إلا أن الله ⊗ أوجب علينا تحري الصواب واتباع الكتاب والسنة وقول الحق حتى لو كان على لسان المخالف، قال تعالى: ❾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ❼ [المائدة:8] .

ومعنى الخليفة في اصطلاح أوائل الصوفية والمعتدلين منهم يتوافق مع النصوص القرآنية والنبوية، وقد يكون عند الغلاة معنى فاسدا كما أشار إلى ذلك ابن تيمية، فالأوائل منهم يعنون بالخليفة آدم وذريته حيث استخلفهم الله في الأرض وابتلاهم فيها واستأمنهم على ملكه، كما ذكر أبو سعيد الخراز (ت:279ه) في شأن الأنبياء عليهم السلام والعلماء والصالحين من بعدهم رضي الله عنهم، كيف ملكوا الدنيا وكانوا أزهد الناس فيها؟ فبين أنهم كانوا أمناء الله تعالى في أرضه على سره وعلى أمره ونهيه وعلمه وموضع وديعته والنصحاء له في خلقه وبريته، وهم الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه، وفهموا لماذا خلقهم وما أراد منهم وإلى ما ندبهم؟ فسمعوا الله ⊗ يقول: ❾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ❼ [الحديد:7] ثم قال: ❾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ

بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ❼ [يونس:14]، فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى وكذلك ما خولهم وملكهم فإنما هو له، غير أنهم في دار اختبار وبلوى وخلقوا للاختبار والبلوى في هذه الدار، فمن ملك شيئا من الدنيا فهو معتقد أن الشيء لله تعالى لا له إلا من طريق حق ما خوله الله تعالى واستخلفه، وهو مبتلى به حتى يقوم بالحق فيه فكانوا خزانا لله جل ذكره خارجين من ملكهم في ملكهم، ناعمين بذكر الله وعبادته غير ساكنين إلى ما ملكوا لا يستوحشون من فقده إن فقدوه ولا يفرحون به إن وجدوه [13].

ولا شك أن هذا المعنى سليم ولا غبار عليه لمطابقته ما جاء في الأصول القرآنية والنبوية، وانظر أيضا مثل ذلك للحكيم الترمذي (ت:320هـ) بغض النظر عن فساد رأيه في مسألة ختم الأولياء حيث قال: (وللخليفة شأن في ملك المستخلف، والآدمي هو الخلق الوحيد الذي خلق لذلك، فقد خلق آدم بيديه وعلمه الأسماء كلها، وقد خلقنا لمحبته، وجعلنا موضعا لتوارد مختلف مشيئاته، واقتضى منا الخدمة والوقوف بين يديه وتنفيذ هذه المشيئات، فولاية المرء قائمة على تنفيذ أحكام الله، فإنه إذا وفي لله بالصدق في سعيه إليه ولاه حتى يرقيه إلى درجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم ولاه خزانته وصيره من أمنائه على حكمه) [14].

ويذكر أبو القاسم القشيري أيضا (ت:465هـ) أن ابتداء ظهور السر في آدم وذريته حين قال: ❾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، فلما ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها في بديع الصنعة وعجيب الحكمة، فعندها ترجمت الظنون وتقسمت القلوب وتجنت الأقاويل، وإنما قال للملائكة ذلك تشريفا وتخصيصا لآدم بالخلافة) [15].

- **ابن عربي يجعل معاني الخلافة عن الله شاهدا لمذهبه في وحدة الوجود .**

أما ابن عربي (ت:638هـ) فقد ذكر للخلافة معنى قريبا من الصواب ومعان أخرى هي أقرب إلى الكفر والضلال، فمن المعاني الموافقة قوله: (إن الخلافة مدرجة في جميع النوع الإنساني كما نبه عليه سبحانه وتعالى في قوله: ❾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ

[13] كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز ص 39:32 .

[14] نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص 382،383، لفظ المشيئات في قوله: (وتنفيذ هذه المشيئات) غير دقيق والصواب أوامره أو مراده الشرعي، لأن المشيئة واقعة لا محالة ولا تأتي في القرآن والسنة إلا بالمعنى الكوني، فالمشيئة كونية فقط والإرادة كونية وشرعية فتنبه .

[15] لطائف الإشارات 1/74،1/75 .

مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ❼ [الحديد:7]، فهذا النوع الإنساني مستخلف من قبل الحق بقدر وسعه فأدناهم المستخلف على نفسه وأكملهم المستخلف على العالم بأسره) [16]، ويقول أيضا: (وكما أن الخليفة قد استخلف من استخلفه في ماله وجميع أحواله لما اتخذه وكيلا فاستخلاف العبد ربه لما اتخذه وكيلا خلافة مطلقة، واستخلاف الرب عبده خلافة مقيدة بحسب ما تعطيه ذاته ونشأته) [17] .

أما المعاني المفارقة عند ابن عربي والتي هي من قبيل الزندقة، فهي ما حذر منه شيخ الإسلام ابن تيمية وفندها وحمل عليها حملة لا هوادة فيها، مثل ما ذكره أن الإنسان هو الله وهو الخليفة على اعتبار الوحدة، فالعبد يستخلف ربه في دعائه لا على معنى الاستعانة والتوكل، والله يستخلف العبد لا على معنى الابتلاء والتكليف ولكن على اعتبار الظهور والتعينات وأن الله ⊗ ظهر متجليا في صورة البشر، يقول ابن عربي: (يقول رسول الله S في دعائه ربه في سفره: أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، فما جعله خليفة في أهله إلا عند فقدهم إياه فينوب الله عن كل شيء أي يقوم فيه مقام ذلك الشيء بهويته) [18] .

والقصد أن المعنى المعتبر للخلافة التي جعلها الله ⊗ لآدم ❶ وذريته تدور حول رأيين يمثلان خلاصة ما ورد من أقوال المفسرين وعلماء السلف الصالح، الأول أنه خليفة لله ⊗ في الأرض على وجه الابتلاء، والثاني أنه خليفة لمن سبق من الجن أو خليفة يخلف بعضهم بعضا، ومع كون الرأي الأول نسب لابن مسعود ومجاهد وبعض السلف إلا أن أغلب المفسرين يميلون إلى الرأي الثاني رغبة في تتريه الله ⊗ عن معاني النقص، وقد بينا أنه لا خلاف مطلقا بين الرأيين، وأن ما ورد في القرآن يدل بوضوح على أن المعنيين لازمان لاستخلاف الإنسان في الأرض .

غير أن ما يعنينا الآن أنه ليس هناك أي اعتراض على أن اللوازم الضرورية لمعنى الاستخلاف ثلاثة أمور وهي وجود مستخلِف ومستخلَف ومستخلَف عليه، فالمستخلِف هو الله ⊗، إما على المعنى الأول الذي ذكره ابن مسعود ⓿ في قوله تعالى: ❾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

---

[16] بلغة الخواص ق 23 .

[17] انظر الفتوحات المكية 3/299 .

[18] السابق 3/136، 1/137 .

الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، أي خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي أو كما قال ابن عباس ⓿ خليفة لمن سبق من الجن يخلف بعضهم بعضا .

كما أن الإنسان هو المستخلَف في ملك الله حقيقة، لأنه طالما أنه مستخلَف فالملك الذي يحيا فيه ليس له بل لغيره، فإن كان الملك لله والإنسان مستخلف فيه بأمر الله وشرعه فسيؤول المعنى بالضرورة إلى رأي ابن مسعود ⓿، وإن كان الإنسان خليفة لمن سبق فالملك أيضا ليس ملك من سبق إلا على سبيل الاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة لا على سبيل التملك والأصالة، وسيلزم بالضرورة لا محالة أن يكون الإنسان الأول خلفا لمن سبق من الجن، وسيقال عندها والجن خلف لمن؟ فليس عند ذلك إلا القول بأن الجن كانوا فيما سبق خلفاء لقوم آخرين الله أعلم بهم، ويلزم من هذا التسلسل وهو باطل لا دليل عليه، أو يلزم القول بأن الجن خلفاء لله في الأرض والإنس يخلفونهم من بعدهم، لكن سنقع فيما احترز منه أصحاب الرأي الثاني الراغبين في تتريه الله عن معاني النقص، فما غاب الله حتى يستخلِف الجن في أرضه وينيبهم عنه في ملكه، قياسا على ما ذكروه في خلافة الإنسان، كما أن الجن مازالوا في الأرض يشتركون مع الإنس في سائر الأحكام ويتحملون عند الحساب المسئولية نفسها، وإن جاز بالضرورة أن يكون الجن خلفاء لله في الأرض ألا يجوز ذلك في حق الإنس؟

يضاف إلى ذلك أن الله ⊗ فضل آدم ❶ وبنيه وكرمهم على كثير من خلقه كما قال تعالى: ❾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ❼ [الإسراء:70]؟ بل وصل أمر التفضيل إلى أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم قال تعالى: ❾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ❼ [الحجر:28/31] .

ولما كان الإنسان مستخلَفا والله مستخلِف فإن الأرض مستخلَف عليها وهي محل الاستخلاف وموضع الابتلاء وماهية الأمانة التي سيسأل عنها، وقد هيأها الله ⊗ لأداء هذه المهمة التي شرف بها الإنسان، كما أن العالم مهيأ أيضا لتبقى الأرض على هذا الحال إلى وقت وعلوم كما سيأتي تفصيل ذلك بعد قليل .

والنتيجة الملزمة التي نقررها الآن أنه لا اعتراض على أن الإنسان متميز بأنه مستخلف في الأرض من قبل الحق سبحانه وتعالى، وأنه ⊗ خوله فيها وابتلاه بها بنص القرآن كما قـــال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد:7]، وقال ﴿ :⊗ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام:94] .

- **لماذا استخلف الله الإنسان في الأرض؟**

والسؤال الذي يطرح نفسه على الأذهان لماذا استخلف الله الإنسان في الأرض على وجه الخصوص و لم يستخلف غيره؟ أو لماذا اختار الإنسان بالذات ليخوله في الأرض ويكرمه بهذه المنزلة الرفيعة؟ فهل الإنسان في ذلك التميز مجبور مقهور أم أنه مخير مسئول وله في تميزه دور معقول؟ لأنه ربما يحتج إنسان على ربه أو يحاول التملص من ذنبه بأنه لم يكـــن يرغـــب في الأساس أن يكون مستخلفا في الأرض كسائر الناس؟

نحن إذا حاولنا التفكير بمفردنا في هذه المسألة والبحث عن إجابة لهذه المشكلة فلن نصل إلى إجابة مقنعة، لأن الإجابة عن هذا السؤال لا يستطيعها البشر فهي أعلى من حدود العقل وإدراكه، لكن حكمة الله في ذلك حكمة بالغة فقد أبان لنا في سورة الأحزاب أنه أجـــرى ابتلاء خاصا بين الإنسان وبقية المخلوقات التي سخرها له بعد ذلك واســـتخلفه في الأرض بينها، وأن الإنسان هو الوحيد الذي قبل الأمانة حين عرضت على الكائنـــات فـــأبين أن يحملنها وأشفقن منها ورفضنها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَـــانَ ظَلُومـــاً جَهُـــولاً ﴾ [الأحزاب:72]، لكن ما حقيقة الأمانة التي عرضت على الكائنات؟ ولماذا ومتى تم عرضها؟

صح عن ابن عباس ⓿ في تفسيره آية الأمانة أنه قال: (يعني بالأمانة الطاعـــة عرضـــها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم: إني قـــد عرضـــت الأمانـــة علـــى السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها، قال يا رب: ومـــا فيهـــا؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها) [19] .

وهذا العرض الذي ورد في آية الأمانة عرض تخييري يحمل اختبارا لهذه المخلوقات مـــن

---

[19] أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين و لم يخرجاه 2/458 .

حيث المبدأ وتخيرها في الموافقة على قبول الأمانة والابتلاء والمسؤولية والحساب وتحمل الثواب والعقاب، حيث سيكلف من يقبلها بمراعاتها على طريقة ما يشرعها لهم .

قال ابن الجوزي: (قول الأكثرين في المراد بعرض الأمانة على السماوات والأرض أن الله تعالى ركب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهن خطابه، وأنطقهن بالجواب حين عرضها عليهن، و لم يرد بقوله أبين المخالفة ولكن أبين للخشية والمخافة لأن العرض كان تخييرا لا إلزاما، وأشفقن بمعنى خفن منها ألا يؤدينها فيلحقن العقاب) [20] .

ومما روي عن السلف في ذلك أن عمر بن عبد العزيز ⓿ عرض العمل على محمد بن كعب فأبى فقال له عمر: أتعصي؟ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تعالى حين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، هل كان ذلك منها معصية؟ قال: لا، فتركه) .

قال الواحدي: (الأمانة الفرائض التي افترض الله سبحانه على العباد وشرط عليهم أن من أداها جوزي بالإحسان ومن خان فيها عوقب، عرضها على السماوات والأرض والجبال، أفهمهن الله سبحانه خطابه وأنطقهن فأبين أن يحملنها مخافة وخشية لا معصية ومخالفة وهو قوله وأشفقن منها، أي خشين منها، وحملها الإنسان) [21] .

وقال ابن جرير الطبري: (وأولي الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عنى بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله عرضنا الأمانة بعض معاني الأمانات) [22]، قال ابن كثير: (وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله، وبالله المستعان) [23] .

ومهما كان ما ذكر فإن العقلاء عن الله ⊗ يفهمون من آية الأمانة أن المخلوقات التي

---

[20] زاد المسير 6/429 .
[21] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/875 .
[22] جامع البيان عن تأويل آي القرآن 22/57:54 .
[23] تفسير ابن كثير 3/523 .

خيرت في حمل الأمانة أو رفضها وهي السماوات والأرض والجبال والإنسان كانت علـــى درجة واحدة في إمكانية القبول أو الرفض فلهن إرادة حرة، ولولا أن لهن اختيارا حرا مـــا عرض عليهن قبول الأمانة أو رفضها ولما عبر عن رأيهن بقوله عنهن: ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾، فالإباء والرفض والإشفاق يقابل القبول والرغبة والموافقة، وهـــذا دليـــل على أن الله ⊗ خيرهن دون جبر منه عليهن في قولهن أو فعلهن .

كما أن تلك المخلوقات التي عرضت عليها الأمانة لهن عقل وعلم ويتصفن بإدراك وفهم لأنه لا معنى لتخييرهن في أمر لا يعرفن عنه شيئا؛ فهذا نوع من العبث لا يقبله العاقل علـــى نفسه فضلا عن ربه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:16/17] .

وقد دلت آية الأمانة أيضا على أن الإنسان له وجود غيبي سابق عنـــد بدايـــة النشـــأة والتكوين، وهذا الفهم تؤيده آيات كثيرة وأحاديث صحيحة سيأتي بيانها وجميعها يدل على خلق الله لجميع الذرية وإيجاد أفراد النوعية الإنسانية لفترة وقتية معينة أشهدهم فيهـــا علـــى أنفسهم وعلى قبولهم بما يتوجب على أبيهم من الحقوق والواجبات وإظهار الحكمة في تدبير أمر المخلوقات .

- **لماذا عرضت الأمانة على المخلوقات؟**

والسؤال الذي يطرح نفسه على الأذهان لماذا عرضت الأمانة على المخلوقـــات؟ ومـــاذا حدث لمن رفضها؟ يمكن القول أن الأمانة عرضت ليتحقق عدل الله في الكون وينتفي الظلم ويستقر الأمن، فمع كون الله ⊗ متصفا بالمشيئة والقدرة المطلقة إلا أنه من عدله أنه لا يلزم أحدا من خلقه على الجبر المطلق، أو القهر على فعل مع انتفاء الحكمة، وإلا صار ذلك عبثا وظلما، وقد قال تعالى: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:49]، ونفي الظلم يدل على كمال العدل، ولكمال عدله ⊗ قامت السماء والأرض بأمره على الحق والميزان كما نص على ذلك في سورة الرحمن فقال: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَـــعَ المِيـــزَانَ ﴾ [الرحمـــن:7]، وكذلك قال في سورة الدخان: ﴿ وَما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَـــ مَـــا

خَلقْنَاهُمَا إِلا بِالحَقِّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلمُونَ ❼ [الدخان:38/39] .

ولكون الباطل ضد الحق قال المؤمنون لما نظروا إلى تركيب الخلق ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك، ولذلك كانت الدعوة إلى النظر في المخلوقات وشأنها، كيف خلقها الله ودبر أمرها وكيف تتجلى حكمة الله من خلالها؟ فكلها شواهد لكمال العدل، وكلها آيات وأسباب يعتبر بها أولو الألباب، قال تعالى: ❾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ❼ [آل عمران:190/191]، وقال: ❾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ❼ [فصلت:53] .

ومن لوازم التخيير وكمال العدل أنه كان من الممكن عقلا لجميع من ورد ذكره في آية الأحزاب رفض الأمانة أو قبولها، وكان من الممكن أيضا رفض الإنسان لحملها أو استجابة السماوات لها، وكذا القول في حال الأرض والجبال .

وللعاقل أن يسأل على سبيل إظهار حكمة الله في خلقه وطلاقة العدل في ملكه: ماذا لو فرضنا أن الكل رفض الأمانة أو اختارتها السماوات أو الأرض أو الجبال؟ وجواب ذلك أن يقال: الله أعلم بما سيكون، لكننا نؤمن أن العالم في تركيبه سيكون على وضع يحقق حكمة الله في سائر المخلوقات، وتتجلى في خلقه آثار الأسماء والصفات كما قال تعالى: ❾ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلكَ على اللهِ بِعَزِيزٍ ❼ [إبراهيم:19/20] .

وإذا كان الحق تبارك وتعالى يفعل ما يشاء في ملكه، والخلق قائم على تدبيره وأمره وكل شيء مفتقر إلى قضائه وقدره؛ فإنه سبحانه وتعالى إن شاء استخلف الإنسان بغير إرادته، وإن شاء أجبر السماء على حمل أمانته، وإن شاء أكره الأرض والجبال بقدرته إلا أن عدله من لوازم حكمته وتخيير المخلوقات في حمل الأمانة من كمال حجته، واستقرار العالم وأمنه من بديع صنعته، ومن ثم خير الله المخلوقات في حمل الأمانة أو رفضها، وكانت نتيجة التخيير قسمان، قسم رفض الأمانة وقسم يتمثل في موافقة الإنسان .

وبعد أن خير الله ⊗ السماوات والأرض والجبال في قبول الأمانة أو رفضـــها، وبعـــد ممارسة حقهن في الاختيار ورفضهن لها، كان من كمال عدل الله ⊗ أنه خيرهن مرة أخرى لكن التخيير هذه المرة لإظهار الرضا منهن في الطاعة لأمره والاستجابة لحكمه، إذا كلفهن بعمل ما أو سخرهن لوظيفة ما حتى وإن كانت لصالح الإنسان الذي قبل الأمانة، فـــاخترن جميعا الطاعة والخضوع لله ⊗، يكلفهن بما شاء وسوف يلتزمن بأحكام القضاء تمام الالتزام فقال تعالى: ❾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَال لهَا وَللأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ❼ [فصلت:11]، وسيأتي التفصيل وترتيب الأحداث بالدليل بعد قليل .

وبهذا التخيير الثاني قامت المخلوقات في السماوات والأرض على محبة الله والرضا بأمره في العمل على استقرار الكون وأمنه، وبقائه على الدوام ثابتا في دقة وأمان كي تتكامل معـــاني الأمانة التي حملها الإنسان، ومعلوم أن تحقيق الأمن الكوني المبني على الرضا أبلغ مـــن غيره المبني على العدل فقط .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة التاسعة والعشرون (29)

الأمانة ونشأة الكون لخلافة الإنسان في الأرض

- لماذا استخلف الله الإنسان في الأرض؟
- لماذا عرضت الأمانة على المخلوقات؟
- كيف كانت بداية الكون في المرحلة الأولى؟
- تهيئة الكون في المرحلة الثانية لأجل الإنسان .
- كيف كانت المرحلة الثانية من نشأة الكون؟
- تسخير المخلوقات للإنسانية ومحاسبتهم في الآخرة عليها .
- الأحداث المتعلقة بالإنسان وابتلاء الملائكة والجان

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ست صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

حفظ التعريفات والأحاديث

التي وردت في المحاضرة الثامنة والعشرون (29)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة التاسعة والعشرون (29)

الأمانة ونشأة الكون لخلافة الإنسان في الأرض

- لماذا استخلف الله الإنسان في الأرض؟

والسؤال الذي يطرح نفسه على الأذهان لماذا استخلف الله الإنسان في الأرض على وجه الخصوص و لم يستخلف غيره؟ أو لماذا اختار الإنسان بالذات ليخوله في الأرض ويكرمه بهذه المنزلة الرفيعة؟ فهل الإنسان في ذلك التميز مجبور مقهور أم أنه مخير مسئول وله في تميزه دور معقول؟ **لأنه ربما يحتج إنسان على ربه أو يحاول التملص من ذنبه بأنه لم يكن يرغب في الأساس أن يكون مستخلفا في الأرض كسائر الناس؟**

نحن إذا حاولنا التفكير بمفردنا في هذه المسألة والبحث عن إجابة لهذه المشكلة فلن نصل إلى إجابة مقنعة، لأن الإجابة عن هذا السؤال لا يستطيعها البشر فهي أعلى من حدود العقل وإدراكه، لكن حكمة الله في ذلك حكمة بالغة فقد أبان لنا في سورة الأحزاب أنه أجرى ابتلاء خاصا بين الإنسان وبقية المخلوقات التي سخرها له بعد ذلك واستخلفه في الأرض بينها، وأن الإنسان هو الوحيد الذي قبل الأمانة حين عرضت على الكائنات فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ورفضنها، قال تعالى: { **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ❼ [الأحزاب:72]، لكن ما حقيقة الأمانة التي عرضت على الكائنات؟ ولماذا ومتى تم عرضها؟

صح عن ابن عباس ⓿ في تفسيره آية الأمانة أنه قال: (يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها، قال يا رب: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها) [1] .

وهذا العرض الذي ورد في آية الأمانة عرض تخييري يحمل اختبارا لهذه المخلوقات من

[1]أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين و لم يخرجاه 2/458 .

حيث المبدأ وتخيرها في الموافقة على قبول الأمانة والابتلاء والمسؤولية والحساب وتحمل الثواب والعقاب، حيث سيكلف من يقبلها بمراعاتها على طريقة ما يشرعها لهم .

قال ابن الجوزي: (قول الأكثرين في المراد بعرض الأمانة على السماوات والأرض أن الله تعالى ركب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهن خطابه، وأنطقهن بالجواب حين عرضها عليهن، و لم يرد بقوله أبين المخالفة ولكن أبين للخشية والمخافة لأن العرض كان تخييرا لا إلزاما، وأشفقن بمعنى خفن منها ألا يؤدينها فيلحقن العقاب) [2] .

ومما روي عن السلف في ذلك أن عمر بن عبد العزيز ⓿ عرض العمل على محمد بن كعب فأبى فقال له عمر: أتعصي؟ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تعالى حين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، هل كان ذلك منها معصية؟ قال: لا، فتركه) .

قال الواحدي: (الأمانة الفرائض التي افترض الله سبحانه على العباد وشرط عليهم أن من أداها جوزي بالإحسان ومن خان فيها عوقب، عرضها على السماوات والأرض والجبال، أفهمهن الله سبحانه خطابه وأنطقهن فأبين أن يحملنها مخافة وخشية لا معصية ومخالفة وهو قوله وأشفقن منها، أي خشين منها، وحملها الإنسان) [3] .

وقال ابن جرير الطبري: (**وأولي الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عنى بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله عرضنا الأمانة بعض معاني الأمانات**) [4].

قال ابن كثير: (**وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله، وبالله المستعان**) [5] .

ومهما كان ما ذكر فإن العقلاء عن الله ⊗ يفهمون من آية الأمانة أن المخلوقات التي

---

[2]زاد المسير 6/429 .

[3]الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 2/875 .

[4]جامع البيان عن تأويل آي القرآن 22/57:54 .

[5]تفسير ابن كثير 3/523 .

خيرت في حمل الأمانة أو رفضها وهي السماوات والأرض والجبال والإنسان كانت على درجة واحدة في إمكانية القبول أو الرفض فلهن إرادة حرة، ولولا أن لهن اختيارا حرا ما عرض عليهن قبول الأمانة أو رفضها ولما عبر عن رأيهن بقوله عنهن: { **فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا** ❼، فالإباء والرفض والإشفاق يقابل القبول والرغبة والموافقة، وهذا دليل على أن الله ⊗ خيرهن دون جبر منه عليهن في قولهن أو فعلهن .

كما أن تلك المخلوقات التي عرضت عليها الأمانة **لهن عقل وعلم ويتصفن بإدراك وفهم لأنه لا معنى لتخييرهن في أمر لا يعرفن عنه شيئا؛ فهذا نوع من العبث لا يقبله العاقل على نفسه فضلا عن ربه،** قال تعالى: { **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ** ❼ [الأنبياء:16/17] .

وقد دلت آية الأمانة أيضا **على أن الإنسان له وجود غيبي سابق عند بداية النشأة** والتكوين، وهذا الفهم تؤيده آيات كثيرة وأحاديث صحيحة سيأتي بيانها وجميعها يدل على خلق الله لجميع الذرية وإيجاد أفراد النوعية الإنسانية لفترة وقتية معينة أشهدهم فيها على أنفسهم وعلى قبولهم بما يتوجب على أبيهم من الحقوق والواجبات وإظهار الحكمة في تدبير أمر المخلوقات .

- **لماذا عرضت الأمانة على المخلوقات؟**

والسؤال الذي يطرح نفسه على الأذهان **لماذا عرضت الأمانة على المخلوقات؟ وماذا حدث لمن رفضها؟** يمكن القول أن **الأمانة عرضت ليتحقق عدل الله في الكون وينتفي الظلم ويستقر الأمن،** فمع كون الله ⊗ متصفا بالمشيئة والقدرة المطلقة إلا أنه من عدله أنه لا يلزم أحدا من خلقه على الجبر المطلق، أو القهر على فعل مع انتفاء الحكمة، وإلا صار ذلك عبثا وظلما، وقد قال تعالى: { **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ❼ [الكهف:49]، ونفي الظلم يدل على كمال العدل، ولكمال عدله ⊗ قامت السماء والأرض بأمره على الحق والميزان كما نص على ذلك في سورة الرحمن فقال: { **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ** ❼ [الرحمن: 7]، وكذلك قال في سورة الدخان: { **وَما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلمُونَ ❼ [الدخان:38/39] .

ولكون الباطل ضد الحق قال المؤمنون لما نظروا إلى تركيب الخلق ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك، ولذلك كانت الدعوة إلى النظر في المخلوقات وشأنها، كيف خلقها الله ودبر أمرها وكيف تتجلى حكمة الله من خلالها؟ فكلها شواهد لكمال العدل، وكلها آيات وأسباب يعتبر بها أولو الألباب، قال تعالى: { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ❼ [آل عمران:190/191]، وقال: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ❼ [فصلت:53] .

ومن لوازم التخيير وكمال العدل أنه كان من الممكن عقلا لجميع من ورد ذكره في آية الأحزاب رفض الأمانة أو قبولها، وكان من الممكن أيضا رفض الإنسان لحملها أو استجابة السماوات لها، وكذا القول في حال الأرض والجبال .

وللعاقل أن يسأل على سبيل إظهار حكمة الله في خلقه وطلاقة العدل في ملكه: ماذا لو فرضنا أن الكل رفض الأمانة أو اختارها السماوات أو الأرض أو الجبال؟ وجواب ذلك أن يقال: الله أعلم بما سيكون، لكننا نؤمن أن العالم في تركيبه سيكون على وضع يحقق حكمة الله في سائر المخلوقات، وتتجلى في خلقه آثار الأسماء والصفات كما قال تعالى: { **أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلكَ على اللهِ بِعَزِيزٍ** ❼ [إبراهيم:19/20] .

وإذا كان الحق تبارك وتعالى يفعل ما يشاء في ملكه، والخلق قائم على تدبيره وأمره وكل شيء مفتقر إلى قضائه وقدره؛ فإنه سبحانه وتعالى إن شاء استخلف الإنسان بغير إرادته، وإن شاء أجبر السماء على حمل أمانته، وإن شاء أكره الأرض والجبال بقدرته إلا أن عدله من لوازم حكمته وتخيير المخلوقات في حمل الأمانة من كمال حجته، واستقرار العالم وأمنه من بديع صنعته، ومن ثم خير الله المخلوقات في حمل الأمانة أو رفضها، وكانت نتيجة التخيير قسمان، قسم رفض الأمانة وقسم يتمثل في موافقة الإنسان .

وبعد أن خير الله ⊗ السماوات والأرض والجبال في قبول الأمانة أو رفضـــها، وبعـــد ممارسة حقهن في الاختيار ورفضهن لها، كان من كمال عدل الله ⊗ أنه خيرهن مرة أخرى لكن التخيير هذه المرة لإظهار الرضا منهن في الطاعة لأمره والاستجابة لحكمه، إذا كلفهن بعمل ما أو سخرهن لوظيفة ما حتى وإن كانت لصالح الإنسان الذي قبل الأمانة، فـــاخترن جميعا الطاعة والخضوع لله ⊗، يكلفهن بما شاء وسوف يلتزمن بأحكام القضاء تمام الالتزام فقال تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَال لَهَا وَللأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ❼ [فصلت:11].

وبهذا التخيير الثاني قامت المخلوقات في السماوات والأرض على محبـــة الله والرضـــا بأمره في العمل على استقرار الكون وأمنه، وبقائه على الدوام ثابتا في دقة وأمـــان كـــي تتكامل معاني الأمانة التي حملها الإنسان، ومعلوم أن تحقيق الأمن الكوني المبني على الرضـــا أبلغ من غيره المبني على العدل فقط .

- **كيف كانت بداية الكون في المرحلة الأولى؟**

بداية الخلق قبل وجود السماوات والأرض لم يذكر فيها الحق سبحانه سوى العرش والماء واللوح والقلم، كما جاء في قوله تعالى: { وَهُوَ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ ❼ [هود:7]، وعند البخاري من حديث عمران بن حصين ⓿ أن رسول الله s: (**كَانَ اللهُ وَلمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلهُ وَكَانَ عَرْشُهُ على المَاءِ ثُمَّ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْض وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُل شَيْءٍ**) [6] .

ومن باب الفضول ربما يسأل سائل ويقول: وماذا قبل العرش والماء؟ والجواب أن الله قد شاء أن يوقف علمنا بالمخلوقات عند العرش والماء، فقال تعالى: { وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِـــنْ عِلمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ ❼ [البقرة:255]، فالله أعلم هل توجد مخلوقات قبل العرش والماء أم لا؟ لكن وجودها أمر ممكن لتعلقه بمشيئة الله وقدرته، فالله ⊗ أخبرنا أنه يخلق ما يشاء ويفعل ما

[6] البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش 6/2699 (6982) .

يشاء فقال: { فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ❼ [البروج:16]، وهو سبحانه متصف بصفات الأفعال، ومن لوازم الكمال أنه فعال لما يريد على الدوام أزلا وأبدا، سواء كان ذلك قبل وجود العـــــرش والماء أو بعد وجودهما، لكن الله ⊗ أوقف علمنا عند هذا الحد، كما أن جهلنا بـــــذلك لا يؤثر فيما يخصنا من لوازم تحقيق الحكمة في خلق الكون والإنسان .

قال سليمان التيمي: (**لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلـــــم**)، ويعقب الإمام البخاري بقوله: (وذلك لقول الله تعالى: { وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلمِـــهِ إِلا بِمَا شَاءَ ❼ يعني إلا بما بين) [7] .

وقد بينت نصوص القرآن وصحيح السنة أن الله ⊗ خلق الأرض والسماء بعد العـــــرش والماء، وأنه خلقهما على مرحلتين كما قال: { **أَوَلَمْ يَرَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلنَا مِنَ المَاءِ كُل شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ❼ [الأنبياء:30]، **هاتان المرحلتان تحققان حكمة الله في ابتلاء الإنسان وقيام الخلائق على الحق والميزان، المرحلـــة الأولى كانت في وضع الرتق والدخان، والمرحلة الثانية بعد خلق آدم وكما نـــــراه الآن**، وكل ذلك تم في عدة حقب زمنية الله أعلم بمقدارها، **وهي مدة طويلة جدا ربما تســـــاوي اللحظات فيها ملايين السنين في حساباتنا، فمقاييسنا تعجز بجملتها عن تصـــور مقيـــاس زمني أو عامل حركي لضبط تقديرات الزمان فيها .**

قال ابن تيميه: (فالذي جاء به القرآن والتوراة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع أئمة أهل الكتاب أن هذا العالم خلقه الله وأحدثه من مادة كانت مخلوقة قبله، كما أخبر في القرآن أنـــه استوى إلى السماء وهي دخان، أي بخار فقال لها وللأرض: ائتيا طوعا أو كرها إلى أن قال .. وخلق ذلك في مدة غير مقدرة بحركة الشمس والقمر، كما أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والشمس والقمر هما من الســـــماوات والأرض وحركتهمـــا بعـــد خلقهما، والزمان المقدر بحركتهما وهو الليل والنهار التابعان لحركتهما إنمـــا حـــدث بعـــد خلقهما، وقد أخبر الله أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام .. ويواصل قائلا..

---

[7] خلق أفعال العباد للبخاري ص 37 .

فتلك الأيام مدة وزمان مقدر بحركة أخرى غير حركة الشمس والقمر) [8].

وهذا فهم رائع معاصر فسر به ابن تيمية أن الأيام الستة إنما هي حقب زمنية الله أعلم بمقدارها حتى لو أطلق على كل حقبة فيها اسم يوم من أيام الأسبوع في اصطلاحاتنا .

ويمكن القول إن مجموع النصوص القرآنية والنبوية يدل على أن **الأيام الستة المذكورة في القرآن يراد بها المرحلة الأولى من خلق الكون**، وهي المرحلة التي بدأت بخلق الأرض وما عليها ثم السماوات في وضعها الأول – وضع الرتق والدخان – ثم كان استواء الله على العرش بعد ذلك كما قال: { الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ❼ [الفرقان:59]، **وفي المرحلة الأولى أيضا خلقت الملائكة والجن**، وقد استمرت تلك المرحلة ست حقب زمنية طويلة أو ستة أيام سميت بالأيام الاصطلاحية في عرفنا من السبت إلى الخميس كما صح الحديث عن أبي هريرة ⓿ عند مسلم، وهذا الحديث كنا نظن أنه شاذ لكن تبينت صحته بعد تحقيقه وفق قواعد المحدثين كما أن مجموع الأدلة يتوافق معه ولا يعارضه .

أما **المرحلة الثانية فتلك التي تمت بعد أن خلق الله ⊗ آدم في آخر حقبة زمنية أخرى سميت يوم الجمعة**، ثم عرض عليه الأمانة فقبلها حين رفضتها السماوات والأرض والجبال، ثم خير الله ⊗ من رفضها في قضية التسخير لمن قبلها، فقالتا أتينا طائعين فهيأها الله ⊗ برغبتها وسخرها عن محبتها وأعد الكون على إثر موافقتها لاستخلاف الإنسان فيها، وقد بدأت هذه المرحلة بتهيئة السماوات وترتيب الكواكب بمساراتها في السماء الدنيا وظهور المجموعة الشمسية التي تحدد فيها الزمان باثني عشر شهرا قمريا، ثم دحيت الأرض وثبتت الجبال في طبقاتها لتسكن وتستقر في وضع يناسب وجود الإنسان ويحقق له معنى الاستخلاف والابتلاء وتخويله بحرية في اختيار الإسلام أو المنهج الشرعي تجاه الأمانة التي حملها .

وأغلب المفسرين يتفقون إجمالا في ترتيب الأحداث المتعلقة بنشأة الكون أنها تمت على

---

[8] درء التعارض بين العقل والنقل 1/123.

مرحلتين: **الأولى بدأت بخلق الأرض ثم السماء، والثانية بدأت بتهيئة الســـماء ثم دحـــو الأرض من أجل الإنسان، وقد ذكر ابن كثير أن الله ⊗ أيبس من الماء الذي كان عرشه عليه أرضا** فثار منه دخان فارتفع وسما فجعله سماء؛ فصار خلق الأرض قبل خلق السماء ثم قصد إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك وكانت عند خلقهـــا غير مدحوة، ثم قال معقبا على هذا المعنى: (**وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء إلا ما نقلـــه ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي لقوله: { أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلهَـــا وَأَخْـــرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلكَ دَحَاهَا ❼ [النازعات:27/30]، قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض وفي صحيح البخاري أن ابن عباس ⓿ سئل عن هذا بعينه؟ فأجـــاب بـــأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا .. وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقول الله تعالى: { وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالجِبَال أَرْسَاهَا ❼ [النازعات: 30/32]، ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعا فيها بالقوة إلى الفعل، فأخرجت ما كان مودعا فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشـــكالها، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة)** [9] .

- **تهيئة الكون في المرحلة الثانية لأجل الإنسان .**

ولنعرض الآن تفصيل الأدلة القرآنية والنبوية التي دلت على أن الكـــون مـــر في نشـــأته بمرحلتين، بدأت الأولى منهما بخلق الأرض ثم السماء، والمرحلة الثانية بدأت بتهيئة السماء ثم دحو الأرض وتثبيت الجبال، وسوف نلاحظ أن جميع النصوص القرآنية والنبوية التي فيهـــا البدء بخلق الأرض ثم السماء تتعلق بالمرحلة الأولى، وتلك التي فيها البدء بتهيئة الســـماء ثم الأرض تتعلق بالمرحلة الثانية .

قال تعالى: { **قُل أَئِنَّكُمْ لتَكْفُرُونَ بِالذِي خَلقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لهُ أَنْـــدَادًا**

---

[9] تفسير ابن كثير 1/69، والطبري 1/195 .

ذَلكَ رَبُّ العَالَمِينَ وَجَعَل فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً للسَّائلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَال لَهَا وَللأَرْضِ ائْتيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُل سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَليمِ ❼ [فصلت:9/12] .

مجموع الأيام التي وردت في الآيات ثمانية أيام، وأغلب المفسرين على أن الأربعة المذكورة تتضمن اليومين السابقين ليصبح المجموع ستة أيام، وهذا التفسير الذي ذكروه **لم يرد فيه نص صحيح مرفوع يؤيده.**

وإنما قالوا ذلك خشية التعارض مع النص القرآني الذي يفيد بأن الله ⊗ خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فهو اجتهاد منهم لدفع التعارض بين النصوص، وإن قيل بأن الأيام الثمانية متداخلة بحيث تصبح ستة فقط فذلك أيضا يبدوا متعارضا مع الحديث الذي رواه مسلم والذي ذكر فيه النبي s سبعة أيام وليست ستة؛ فمن حديث أبي هريرة ⓿ أنه قال: (**أَخَذَ رَسُولُ اللهِ s بِيَدِي فَقَال: خَلقَ اللهُ ⊗ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلقَ فِيهَا الجِبَال يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَلقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلقَ آدَمَ عَليْهِ ❶ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلى الليْل**)[10] .

وهذا الحديث ظاهر في أن آدم ❶ خلق يوم الجمعة بعد أن تمت الستة أيام، وقد حاول كثيرون تضعيفه أو تأويله على معنى ملائم بصعوبة بالغة، وكنت أظنه ضعيفا ولكن تبين بعد البحث والتحقيق أنه ثابت صحيح كما ذكر الشيخ الألباني وغيره، وعلى فرض ضعفه كما

---

[10] مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتداء الخلق وخلق آدم **2789) 2149 /4 ❶**) ويمكن مراجعة معنى الحديث ودفع التعارض الذي يدعيه البعض بينه وبين القرآن من وجهة نظر الشيخ الألباني، والرد على من طعن في الإسناد، صحيح الجامع (3235)، المشكاة 5735، مختصر العلو للذهبي (71)، والسلسلة الصحيحة (1833) .

زعم كثيرون فقد صرحت نصوص نبوية أخرى ثابتة صحيحة وكثيرة لا تدع مجالا للشك أن آدم ❶ خلق يوم الجمعة، مما يعني أنه خلق في اليوم السابع على اعتبار بقية الأيام السابقة وعددها ستة، كما ورد عند مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ⓿ أن رسول الله ﷺ قال: **(خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ)** [11].

لقد طرحت هذه المشكلة نفسها عبر قرون طويلة بين السلف والخلف، فمن فسر الأيام الثمانية في سورة فصلت على أنها ستة متداخلة واجه إشكالية في حديث مسلم والأحاديث التي تقتضي تكوين الخلائق في سبعة أيام أو خلق آدم ❶ يوم الجمعة، **ثم تضعيف مثل هذه الأحاديث التي وردت في الصحاح ليس أمرا هينا**، ومن قال في المقابل بأن الأيام أكثر من ستة فيمكن أن تزيد إلى سبعة أو ثمانية عملا بالأحاديث الصحيحة أو ما ورد في سورة فصلت عند النظر لمجموع الأيام بدا أمره متعارضا مع النص القرآني الذي يفيد بأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، كما أن الله ⊗ أنكر على اليهود ادعاءهم بأنه خلقهما وما بينهما في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع فقال: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ❼ [ق:38] [12].

والسبب في تصور البعض لوجود التعارض بين النصوص القرآنية والنبوية هو تحديد الأيام الستة بما يماثل الأيام في حساباتنا، بمعنى اعتبارهم مقدار تلك الأيام 144 ساعة أو 8640 دقيقة أو 518400 ثانية.

وهذا غير صحيح لأن الأيام المقصودة ليست كذلك، **وإنما هي ألفاظ اصطلاحية وضعت للدلالة على حقب زمنية الله أعلم بمقدارها وذكرت أياما لتقرب حقيقة الأحداث للأذهان**، فالأمر فيها أكبر من استيعاب العقل في وضعه الحالي لماهية الزمان وقت النشأة أو المكان.

بل يمكن القول إن تفسير المعنى المقصود بيوم السبت هو يوم القطع أو قطعة الزمان أو

---

[11] مسلم في كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة 2/585 (854) .

[12] انظر تفسير القرطبي 7/195، فتح القدير 4/724، وتفسير البغوي 1/364 .

حقبة منه، فالقصد إذا من ذكر الأيام أن يسهل على العقول فهم حقيقة البداية والنشأة، وكيف تحققت فيها معاني الحكمة من خلال بعض الألفاظ المعبرة عنها والتي تـــؤدي إلى فهم المعنى دون إدراك الكيفية أو الماهية، لأن عقل الإنسان بمحدوديته لا يستوعب مثل هذه الأحداث الضخمة التي تمت عند النشأة والتكوين، كما أنه بطبعه لا يســأم مــن السؤال عن تفسير مقنع لبداية الكون وترتيب المقادير، كيف كانت؟ وكيــف تكــون النهاية أو المآل والمصير؟، فالأيام الستة التي ذكرها الله ⊗ في نشأة الكون إنما هي أحقاب زمنية طويلة جدا يصعب حسابها على مقاييسنا التمثيلية والشمولية كما ذكر ذلك ابن تيمية وغيره، قال ابن تيمية: (**فتلك الأيام مدة وزمان مقدر بحركة أخرى غير حركة الشـــمس والقمر**) [13] .

وقد قدرت الدراسات العلمية البحتة أن عمر الكون على أقل تقدير عشرون مليار ســنة بحساباتنا، ولا غرابة في ذلك لاختلاف المقاييس بين دوران الأرض حول الشمس والزمـــان الناتج عنه من جهة ودوران الشمس حول مركز مجرتنا والزمان الناتج عنه من جهة أخرى، إذ يقدر العلماء المتخصصون في الكونيات أن السنة الكونية اللازمة لدورة الشمس حـــول مركز المجرة تعادل 250 مليون سنة في حساب دورة الأرض حول الشمس [14]، ولا شك أن العدد سيتضاعف ملايين المرات عند تصور الزمان الناشئ عن دوران المجرة الواحدة حول مركزها بالنسبة لدورة الشمس حول مركز المجرة، ومن هنا سنعلم أن مجموع المجرات عنـــد نشأتها وتكوينها ثم انفصالها عن بعضها البعض ودورانها حول مركزها الذي لا يعلمه إلا الله قد لا يستغرق إلا أياما اصطلاحية معدودة تطلق على عدة حقب زمنية مقصـــودة ذكرهـــا رب العزة والجلال بستة أيام أو سماها النبي ﷺ بما يسمى به أيام الأسبوع، فلا نبالغ إذا إن قلنا إن اللحظة عند النشأة في الأيام الستة تعادل ملاين السنوات في حساباتنا الأرضية هـــذا مع جهلنا بحقيقة الكيفية التي تحسب بها تلك الأيام .

وبعد أن تبين مما سبق أن الكون مر بمرحلتين منفصلتين يفصل بينهما خلـــق آدم ❶

[13] درء التعارض بين العقل والنقل 1/123 .

[14] مولد الكون ص 107 .

فإن النصوص التي وردت في الكتاب والسنة وتناولت الحديث عن نشأة الكـــون جميعهـــا نصوص متوافقة وغير متعارضة، بل لا تحتاج في ضوء ما سنذكر إلى تأويـــل أو رغبـــة في تضعيف حديث على حساب آخر، فلو نظرنا بنظرة جديدة شـــاملة للأدلـــة دون تحميـــل النصوص ما لا تحتمل لوجدنا أن الأيام الستة هي المدة الزمنية أو الحقـــب الزمنيـــة الـــتي استوعبت المرحلة الأولى من نشأة الكون، أو بتعبير آخر يمكن القول والله ⊗ أعلم بنشـــأة خلقه أن الأيام الستة المذكورة في القرآن هي مدة المرحلة الأولى قبل وجود آدم ❶ .

وبخصوص ترتيب الأحداث في هذه المرحلة كما دلت عليها محصلة النصـــوص فيمكـــن القول أن الله ⊗ بدأها بخلق مادة الأرض التي ظهرت على إثرها السماء كطبقات متعددة من الدخان أو الغبار الذري إن جاز التعبير؛ لأن تكوين المواد وعناصر الأرض يتطلب حرارة عليا يصعب تصورها كما ذكر علماء الفيزياء، **فتكوين ذرة الهليوم يتطلب مثلا الملايين من درجات الحرارة**، وكذلك تزامن مع تكوين الأرض خلق مادة الجبال وعناصرها المنصـــهرة كما في الحمم البركانية ثم تحولها مع الوقت إلى طبقات صخرية أو كتل متماســـكة، وقـــد استغرق ذلك زمانا طويلا تعجز المقاييس البشرية عن حسابه لأنه لم يكن ثمة شمس أو قمر .

وقد عبر النص القرآني عن هذه الحقبة بيومين **أو السبت والأحد على تســـمية النـــص النبوي**، والسبت كما ذكر المفسرون معناه القطع أو الحقبة الزمن المقتطعة أو اقتطاع الكون من الماء كما ذكر غير واحد من السلف، **والأحد أول بداية الفصل بين الكائنـــات** [15]، فجعل مادة الجبال بعد خلقها رواسي من فوق الأرض وإن لم تكن وقتها ثابتة أو مستقرة، وتزامن مع ذلك خلق أصول الأشجار ومادها في مدة طويلة من حساباتنا أو حقبة زمنيـــة أخرى عبر عنها النص النبوي بيوم الاثنين، ثم خلق المكروه من أصناف الخلائق وعلى رأس المكروه النار في حقبة زمنية أخرى تسمى يوم الثلاثاء.

ثم خلق الله مصادر النور من شموس وأقمار ومجرات ونجوم وغيرها يوم الأربعاء وتعادل حقبة زمنية أخرى، وخلق الدواب في تسلسلها عبر مدة طويلة بحساباتنا أو حقبـــة زمنيـــة

[15] لسان العرب 2/36، وتاج العروس 1/1094، وغريب الحديث للخطابي 2/524.

أخرى عبر عنها النص النبوي بيوم الخميس، والمقصود بخلق الدواب كل ما يـــدب علـــى الأرض على اختلاف الأنواع، سواء كانت دواب منقرضـــة كالديناصـــورات والـــدواب العملاقة أو غيرها من الدواب المستمرة حتى وقتنا، وكذلك مختلف الكائنات الدقيقـــة مـــن المخلوقات، وقد خلقت أيضا الملائكة والجن؛ فالملائكة خلقوا من نور والجن أبنـــاء الجـــان خلقوا من نار كما ورد ذلك في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النـــبي ﷺ قال: (خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِـــفَ لَكُمْ) [16]، وقال تعالى: { وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَال رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ❼ [الحجر:26/28]، فالملائكـــة أســـبق مـــن الإنسان في الوجود، وآدم ❶ خلق في حقبة زمنية سميت يوم الجمعة .

كما أن الله ⊗ لم يبين لنا في شأنهم تفصيل بداية خلقهم أو كيف تحققت حكمتـــه في تدبير أمورهم؟ غير أن ما ثبت عن الجن أنهم خلقـــوا للعبـــادة مـــن خلال معنى الابتلاء، والملائكة خلقوا أيضا للعبادة وكانت في السماء، وأن الله ⊗ جعل بينهم إبليس من حيـــث الرفعة والمكانة – وهو أبو الجن على رأي الجمهور ومخلوق من مادتهم – كما أنه سبحانه لم يبين لنا تفاصيل الحدث الذي تم على إثره وجوده بينهم .

وبعد انتهاء المرحة الأولى من الكون في ستة أيام أو ست حقب زمنيـــة يعلـــم الله ⊗ بمقدارها استوى الرحمن على عرشه، وخلق آدم ❶ كأول إنسان، خلقه من تراب اختلـــط بالماء فصار طينا ثم صلصالا وبعد ذلك حمأ مسنونا، ثم سواه الله على هيئة قويمـــة وصـــورة سليمة ثم نفخ فيه من روحه وصار إنسانا بعد أن لم يكن شيئا مذكورا .

وبعد وجود آدم ❶ ظهرت حكمة الله ⊗ في ابتلائه بجميع المخلوقات من حوله فكانت المخلوقات منه على نوعين:

النوع الأول ابتلى فيه الإنسان مع السماوات والأرض والجبال في قضية عرض الأمانة وقد

---

[16] مسلم في الزهد والرقائق 4/2294 (2996) .

تقدم ذكرها وما ترتب عليها، والنوع الثاني ابتلاه مع من سبقه في الوجود ممن لم تعـــرض عليهم الأمانة وهم الملائكة والجن، وكان ذلك إظهارا للعدل الإلهي في سائر الخلق وقيــام السماوات والأرض على الحق والميزان .

- **كيف كانت المرحلة الثانية من نشأة الكون؟**

يمكن القول إن الكون في مرحلته الثانية أعد خصيصا من أجل الإنسان، فقــد حــدثت وتمت بعد وجوده وقبل ظهور الزمان المعلوم المعتمد على دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، حيث ترتب تكوينها على قضية الأمانة وقبول الإنسان لها ورفــض الســماوات والأرض والجبال لحملها، وقد علمنا أن الله ⊗ خير من رفضها في التسخير لمن قبلها فقالوا جميعا: أتينا طائعين، فلما قالت السماء والأرض: أتينا طائعين، فصل الله ⊗ الســماء عــن الأرض من وضع الرتق والدخان في حقبتين زمنيتين كما قال: { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيــزِ العَلِيمِ ❼ [فصلت:12]، **بناها سبعا طباقا، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فجعل فيها الشمس والقمر تحديدا لنوعية الزمن الجديد الذي ســيتعاقب علــى الإنسان والذي عبر عنه القرآن** بقوله تعالى: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ❼ [التوبة:36]، **ثم ثني بالأرض فبسطها ودحاها ومدها، وأخرج ما كان مودعا فيها من أقوات وخيرات** كما قال:

{ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا ❼ ، وكــل ذلك لتستقر الأرض للإنسان متاعا له على وجه الابتلاء والامتحان .

ومهما كان الاجتهاد في الجمع بين النصوص إلا أنه من المؤكد أن الكون أعــد بعنايــة خاصة من أجل الإنسان؛ فهو الوحيد المستفيد من الأرض وما عليها بنص القرآن، وكل ما فيها خلق لأجله هو، ومن أجل استخلافه الذي كرمه الله به وميزه عن غيره .

ولما ذكر الله ⊗ موقف الكائنات التي رفضت الأمانة وتسويتها مــن أجــل الإنســان وتسخيرها له فقال: { هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْــتَوَى إِلَى السَّــمَاءِ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ❼ [البقرة:29]، قال بعدها مباشـــرة: { وَإِذ قَال رَبُّكَ للمَلائِكَة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، **ويظهر من هاتين الآيتين ابتلاء الإنسان بمن قبل الأمانة من جهة، ثم ابتلاؤه بمن لم تعرض عليه الأمانة مـــن جهـــة أخرى وهم الملائكة ومعهم إبليس، فالأرض وما عليها من جبال والسماء قبـــل تهيئتهـــا سبعا على هذا الحال شاركت الإنسان في قضية الابتلاء بقبول الأمانة حين عرضـــها الله عليهم، أما الملائكة والجان فقد سبقت وجود الإنسان وابتلاها الله ⊗ في بيان مـــوقفهم من قضية استخلافه في الأرض وما سيترتب عليها لاحقا، ولذلك فإن خطاب الله لملائكته إني جاعل في الأرض خليفة إخبار لهم عن واقع سيحدث من جهة وابتلاء للمخاطبين به من جهة أخرى .**

والعلة في ابتلاء هذه المخلوقات جميعها تحقيق معاني العدل والحكمة بحيث يقوم الخلق على الحق والميزان قال تعالى: { وَما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَـــا لاعِبِينَـــ مَـــا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ❼ [الدخان:38/39]، وقال: { وَالسَّـــمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ ❼ [الرحمن:7] .

والله ⊗ جعل تحقيق الأمانة التي حملها آدم ❶ وكرم النوع الإنساني بسببها متمثلة في قضية استخلافه في الأرض، حيث منحه مقومات الخلافة من العلم والحريـــة والاســـتطاعة وخوله في ملكه وكلفه بأمره ليمتثل لشرعه في كل ما منحه وأعطاه، هل سيكون أمينا راعيا وفق أحكام الله؟ أم سيكفر به ويتعالى عليه ولا يرد الأمر إلى صاحبه؟ .

وهذه المعاني العظيمة التي ورد بها القرآن توضح الرؤية الصحيحة للعلاقـــة بين الله ⊗ والإنسان والعالم، تلك العلاقة التي حار فيها الفلاسفة وعجزت العقول بمفردها عن تقـــديم حل مقنع لها؛ فالابتلاء يقتضي وجود مبتلي ومبتَلى ومبتلى به، والأمانة تقتضي وجود أمين وأمانه ومالك لها، والاستخلاف يقتضي وجود مستخلَف ومستخلِف ومســـتخلف عليـــه، فحقيقة الابتلاء وارتباطها بمعنى الأمانة والاستخلاف حقيقة ظاهرة في نصوص القرآن والسنة تفسر بسهولة ويسر ما يعجز عنه العلم الحديث بمعطياته المتعددة .

- **تسخير المخلوقات للإنسانية ومحاسبتهم في الآخرة عليها .**

ولو طالعنا نصوص القرآن والسنة لوجدنا أن الله ⊗ يذكرنا بهذا التكريم الذي ناله بنوا آدم، وما ترتب عليه من تسخير المخلوقات لهم ومحاسبتهم في الآخرة على هذه النعم السابغة والحجج الدامغة، قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ❼ [الإسراء:70].

وورد عند مسلم من حديث أبي هريرة ⓿ أنه قال: (قَالُوا: يَا رَسُول الله هَل نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَال: هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ، قَال: فَهَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ، قَال: فَوَالذِي نفسي بِيَدِه لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، فَيَلقَى العَبْدَ فَيَقُول: أَي فُل، أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لكَ الخَيْل وَالإِبل وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلى، **فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فإني أَنْسَاكَ كَمَا نسيتني)** [17] .

وهذه النعم التي لا تحصى ولا تعد توجب علينا شكر الله بغير حد، ولازم الشكر كمال الطاعة والخضوع لله ⊗ وتوحيد العبودية له بلا شريك، قال تعالى: { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلنَا لكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ❼ [الأعراف:10]، وقال سبحانه: { اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَل مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لكُمْ وَسَخَّرَ لكُمُ الفُلكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لكُمُ الليْل وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُل مَا سَأَلتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ ❼ [إبراهيم:32/34]،

وقال تعالى في تسخير الأرض ومن عليها وتهيئة السماء بشموسها وأقمارها ونجومها وكواكبها: { وَالأَنْعَامَ خَلقَهَا لكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالكُمْ إِلى بَلدٍ لمْ تَكُونُوا بَالغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لرءوف رَحِيمٌ وَالخَيْل وَالبِغَال وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلمُونَ وَعَلى اللهِ قَصْدُ السَّبِيل وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلوْ شَاءَ لهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ❼ [النحل:9] .

---

[17] مسلم في كتاب الزهد والرقائق 4/2279 (2968) .

ولما كانت الأنعام مسخرة للإنسان على وجه الابتلاء تكريما له إذ قبل الأمانة ورفضها من رفضها من الخلائق شرع لنا ربنا أن نتذكر خالقها ومالكها، وأن نذكره بالعلو والتتريه عند الاستواء على ظهورها فقال سبحانه وتعالى: { وَالذِي خَلقَ الأَزْوَاجَ كُلهَا وَجَعَل لكُمْ مِنَ الفُلكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَليْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الذِي سَخَّرَ لنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لهُ مُقْرِنِينَ ❼ [الزخرف:12/13] .

وفي غير موضع من القرآن يذكر الله ⊗ الإنسان بالعلة من وجود المخلوقات على هذا الحال، وأن ينظر في نعمه التي توجب النظر والتفكر والشكر والتذكر والرجوع إلى الله بدوام الافتقار كما قال رب العزة والجلال: { هُوَ الذِي أَنْزَل مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيل وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُل الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَةً لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لكُمُ الليْل وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لغَفُورٌ رَحِيمٌ ❼ [النحل:10/18] .

ويلاحظ في منهج الآيات المماثلة أن الله ⊗ يعدد نعمه وفضله على الإنسان بتهيئة الأسباب له ثم يذكر بعدها إلزامه بالتكليف والحساب؛ لأن هذه المخلوقات سخرها له وطوعها كأمانة بين يديه استخلفه عليها وسوف يسأل عنها بالضرورة، والقرآن والسنة فيهما من هذا القبيل الكثير والكثير؛ فكل تلك المخلوقات مسخرات بأمر الله ⊗ قائمات على خدمة الإنسان، باقيات بمشيئة الله ⊗ لأداء دورها في تحقيق معنى الأمانة والاستخلاف .

فإذا انتهت دار الامتحان والابتلاء هيأ الله ⊗ دارا أخرى للحساب والجزاء تحقق كمال الحكمة وتظهر مقتضى العدل الإلهي، وعندها تبدأ مرحلة الحيـاة الـدنيا في الاضـمحلال والزوال حيث تنفطر السماء وتكون الشمس قد تكورت، والنجـوم انتـثرت وتبعـثرت وسيرت الجبال وعطلت العشار وسجرت البحار وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت بعـد تبديلها وتغيرها أثقالها، فالسماوات التي رفعها الله ⊗ وفصلها عن الأرض من أجل الإنسان سوف تتغير بعد انتهاء دورها في انقلاب كوني شامل يغير معالم الحياة الـدنيا ويبـدلها إلى أرض جديدة بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد تتناسب مع دار الجزاء وأمور الآخرة .

قال تعالى: { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ للكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّل خَلق نُعِيدُهُ وَعْـداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ❼ [الأنبياء:104]، وقال { :⊗ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّل المَلائِكَةُ تَنْزِيلًا المُلكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلى الكَافِرِينَ عَسِـيرًا ❼ [الفرقـان 25/26] .

وقال سبحانه أيضا: { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَـنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّـهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِـنْ فَـزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❼ [النمل:86/90] .

كما أن الله ⊗ أخفى وقت قيام الساعة لتظهر حكمته في ابتلاء الإنسان ويرى سعيه في العبادة والإيمان، قال تعالى: { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْـعَى فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ❼ [طـه:15/16]، وبـذلك يحـرص الإنسان دائما على طلب النجاة في الدنيا والآخرة، ويعلم أن سـعادته في الـدنيا مرهونـة بالاستجابة لتدبير الله الشرعي والاستعانة بتدبيره الكوني، فيرجع على الدوام إليه ويتوكـل

عليه، ويخافه ويرجوه، ويحبه ويدعوه طالما أن أزمة الأمور بيديه ومرجعها إليه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلى اللهِ يَسيرٌ قُل سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآَخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلى كُل شَيْءٍ قَديرٌ ❼ [العنكبوت:19/20] .

وهكذا يرى الموحدون الكون في كمال الانضباط، كل يسير خاضعا لأمر الله ⊗ لا الشمس تتأخر لحظة ولا القمر يتخلف عن موعده ليلة، وكل في فلك يسبحون، قال تعالى: { لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا الليْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلكٍ يَسْبَحُونَ ❼ [يس:40]، ومن ثم فإن الكون لم يكن على هذا الحال وبهذا الإبداع والكمال لمجرد انفجار عشوائي مفاجئ كما تقول نظرية الانفجار، بل بنى أركانه الملك الجبار الكبير المتعال وأمسكه بقدرته من التخبط والزوال كما بين ذلك في غير موضع من كتابه فقال: { إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلئِنْ زَالتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَليماً غَفُوراً ❼ [فاطر:41]، وقال ⊗ أيضا: { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لرَءُوفٌ رَحِيمٌ ❼ [الحج:65]، وهذا الكون كما حدد الله ⊗ غايته في ثبات وأمان تتوالى أيامه على مر الزمان منذ أن رفع الله السماء وفتقها وبسط الأرض ومدها، ليحقق للإنسان حقيقة الابتلاء والامتحان كما قال سبحانه: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ❼ [التوبة:36] .

ولم يكن الإنسان يوما خلية أولية، تم تطورت فأصبحت قردة برمائية، ثم تطورت فكونت السلالة البشرية إلى غير ذلك من فكر دارون ودعاوى الماركسية، ولم يكن آدم ❶ نسلا من سلالة بشرية همجية جعلها الله تعالى تجارب إلهية ثم طورها فسواها وعدلها بمواصفات مثالية، بل خلقه الله ⊗ كما جاء في نص الكتاب والسنة من تراب اختلط بالماء فصار طينا ثم صلصالا ثم حمأ مسنونا، قال تعالى: { إِنَّ مَثَل عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَل آدَمَ خَلقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَال لهُ كُنْ فَيَكُونُ ❼ [آل عمران:59]، وعند أبي داود وصححه الألباني من حديث أبي موسى الأشعري ❶ أن رسول الله s قال: (إِنَّ اللهَ خَلقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا

مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلى قَدْرِ الأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلكَ وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) [18] .

ومن ثم يمكن لكل عاقل أن يدرك سر خلق العالم على هذا الوضع الذي نراه، وهل سيبقى على ذلك أبد الآبدين أم ليوم معلوم وأجل محتوم قدره الله ⊗؟ وهل هذا العالم الذي نعيش فيه على الأرض يحقق بالفعل تميزا مخصوصا للإنسان؟ وكثير من الأسئلة التي تتردد على الأذهان سوف يجد لها الدليل والبرهان بإذن الله .

وقد أثبتت معطيات العلم الحديث أن الأرض مع كونها كوكبا صغيرا في مجموعة نجمية يطلق عليها المجموعة الشمسية، وهي كما تقول الدراسات الحديثة مجموعة صغيرة في مجرة متوسطة بين مائة ألف مليون من مختلف المجرات إلا أنهم اكتشفوا أن هذا الكون باتساعه المستمر إنما جعل لثبات الأرض واستقرارها الزمني فترة مخصوصة تمثل زمن الحياة الدنيا، هذا من خلال الدقة المتناهية في مدار الأرض حول الشمس ومدار الشمس حول مركز المجرة ومركز المجرة يدور في فلك لا يعلم مساره إلا الله ⊗، بل يمكن القول إن هذا الكون هو أساس الاستقرار لجميع الكائنات التي على الأرض والتي هيئت بالطبع من أجل استخلاف الإنسان .

وقد ذكرنا ما أشار إليه العالم الفيزيائي النووي أُميد شمشك من أن الفضاء والزمان مفهومان يشكلان توازنا متكاملا في الكون لا يمكن فصل إحداهما عن الآخر فتقليص إحداهما يؤدي إلى تقليص الآخر وبنفس النسبة، فلو كان الكون عبارة عن مجرة درب التبانة فقط لتقلص بقاء الكون إلى شهرين فقط، وفي هذه الفترة القصيرة من الزمن لا يمكن وجود الإنسان وبقية الكائنات على الأرض بهذا الحال، فالكون ومن ضمنه مجموعتنا الشمسية وجدت بعناية خاصة لتهيئة كرتنا الأرضية وجعلها صالحة لظهور مختلف أنواع الأحياء، وأخيرا لكي تكون صالحة لسكن الضيف العزيز المدعو بالإنسان [19] .

ورد في صحيح السنة أن الله ⊗ خلق الملائكة من نور، وأن الجن خلقوا من نار وأن آدم

---

[18] تقدم تخريجه ص 10 .

[19] الانفجار الكبير ص 110 .

❶ خلق بعدهم، فعند مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسـول الله s قـال: **(خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)**[20]، كما أن الله ⊗ خلق الإنسان الأول من قبضة منتقاه قبضها من جميع تراب الأرض، ثم اختلط التراب بالماء فصار طينا، ثم جفف الطين فصار صلصالا ثم حمأ مسنونا بعد ذلـك، والدليل على أن الإنسان الأول خلق من قبضة منتقاه قبضها من جميع تراب الأرض ما ورد في حديث أبي موسى الأشعري ⓿ الذي تقدم[21]، وكذلك قوله تعالى عن خلق الإنسـان من تراب: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ❼ [الروم:20] .

وقال ⊗ عن خلق الإنسان من ماء: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَـهُ نَسَـبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ❼ [الفرقان:54]، أما خلقه من طين فقد ورد في قوله: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ❼ [السجدة:7]، وأمـا خلقـه مـن صلصال فقد ورد في قوله: { خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ❼ [لرحمن:14]، وعن كونه خلق من حمأ مسنون فقد ورد في قوله ⊗: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ❼ [الحجر:28]، ثم سواه الله على هيئة معتدلة قويمة كمـا قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَـدَلَكَ فِـي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَك ❼ [الانفطار:6/8]، والجمع بين هذه النصوص يقتضي ما ذكرنا .

ولما خلق الله الإنسان أبقاه حينا من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ولا تعرف الكائنات لـه قدرا أو شرفا، كما قال تعالى: { هَل أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ❼ [الإنسان:1]، والمعنى كما ذكره القرطبي: (أي قد أتى على الإنسان حين لم يكن لـه قدر عند الخليقة، ثم لما عرف الله الملائكة أنه جعل آدم خليفة وحمله الأمانة التي عجزت عنها السماوات والأرض والجبال ظهر فضله على الكل فصار مذكورا)[22] .

وقد ورد في القرآن ما يدل على أن وجود الملائكة والجن أسبق مـن وجـود الإنسـان الأول، قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِـنْ

---

[20] مسلم في كتاب الزهد 4/2294 (2996) .

[21] تقدم تخريجه ص 10 .

[22] تفسير القرطبي 19/119 .

قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ❼ [الحجر:26/28]، فقوله: والجان خلقناه من قبل أي من قبل وجود الإنسان الأول، والجان هو إبليس أبو الجن على رأي الجمهور، قال الشوكاني: (الجان أبو الجن عند جمهور المفسرين، وقال عطاء والحسن وقتادة ومقاتل: هو إبليس وسمي جانا لتواريه عن الأعين يقال: جن الشيء إذا ستره فالجان يستر نفسه عن أعين بني آدم، ومعنى من قبل من قبل خلق آدم) [23]، وقال ابن جرير: (عني بالجان هاهنا إبليس أبا الجن يقول تعالى ذكره وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من السموم .. خلق قبل آدم) [24] .

وقوله: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ❼ [الحجر:28/29]، يدل بوضوع على وجود الملائكة قبل الإنسان، وكذلك ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ أن النبي s قال: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ) [25]، وقد روى ابن جرير بسند موقوف على أنس بن مالك ⓿ أنه قال: (إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة) [26]، وفي هذه الرواية نظر وإن كانت موافقة لما سبق من حيث الجملة .

• **الأحداث المتعلقة بالإنسان وابتلاء الملائكة والجان**

وينبغي التنبه إلى أن الأحداث المتعلقة بالإنسان وابتلاء الملائكة والجان ببيان موقفهم منه لا بد أن تؤخذ من نصوص القرآن والسنة مجتمعة، لأن كل نص يصف الحدث من زاوية معينة، أما كامل الحدث فيؤخذ من مجموع النصوص، فمثلا آيات سورة الحجر السابقة هي من قبيل الوصف المجمل المفصل في مواضع أخرى، فإن الله ⊗ بين في سورة البقرة أنه أخبر

[23] فتح القدير 3/130.

[24] تفسير الطبري 14/30 وانظر أيضا تفسير السيوطي 5/78، تفسير أبو السعود 8/179، تفسير الثعالبي 4/242.

[25] البخاري في الاستئذان، باب السلام 5/2299 (5873) .

[26] تفسير الطبري 1/240 .

الملائكة عن خلافة الإنسان في الأرض وأنهم عقبوا بكونه سيفسد فيها ويسفك الدماء ثم علم آدم الأسماء وعجزت الملائكة عن الإخبار بها، ثم أمرهم بعد ذلك بالسجود، وقد نبه أبو السعود على هذا الأمر حيث قال: (فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الأنيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون أن سجودهم له ❶ إنما ترتب على الأمر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله ❶ المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار بخلافته، المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح، إذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه، فإن الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ) [27] .

كما أن مقتضى العقيدة الصحيحة في الغيبيات أن يقف المسلم عند النصوص، فما ورد آمن به وقال به، وما لم يرد رد علمه إلى الله ⊗، ولم يبين الله في كتابه أو في سنة رسوله s متى كان خلق الملائكة أو الجن على وجه التحديد؟ غير أنهم كانوا أسبق من الإنسان في الوجود، ولا نعلم أيضا كيف تحققت حكمة الله في ابتلاء الجان وذريته عند نشأتهم؟ أو كيف صار إبليس في منزلة الملائكة وكيف أصبح بينهم بحيث إن الخطاب إليهم يشمله أو يستثني منه؟ فلم يثبت ذلك في نص مرفوع إلى النبي s، وقد علمنا مما سبق أن الله لما خلق آدم ❶ ابتلى به جميع الكائنات الموجودة وقتها، فكان موقف المخلوقات منه على نوعين:

الأول: نوع شارك الإنسان في قبول الأمانة أو رفضها حيث ابتلاهم الله جميعهم بها فرفضتها السماوات والأرض والجبال وقبلها الإنسان، ثم خير الله من رفضها في الإتيان طوعا أو كرها لمن قبلها فانقادت لأمره عن طاعة ومحبة وتسليم فسخرها بعدله وقدرته وهيأها بأمره وحكمته لتمكين الإنسان فيها من وضع معين يسمح له بأداء الأمانة وتحقيق الابتلاء، ثم رفعه الله وكرمه واستخلفه واستأمنه فأصبح الإنسان شيئا مذكورا مميزا عن غيره بعد أن كان مجهولا، وبهذا جعل الله من رفض الأمانة مسخرا لمن قبلها .

الثاني: موقف بقية المخلوقات التي وجدت قبل الإنسان ونالت أعلى درجات القرب والإيمان، ولم تشاركه مع المخلوقات في قضية حمل الأمانة، وهؤلاء هم الملائكة ومعهم الجني

---

[27] تفسير أبي السعود 1/88 .

إبليس الذي يمثل جنسه من الجن .

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثلاثون (30)

الابتلاء وتحقيق معاني الحكمة الإلهية

- العلة في إعلام الملائكة بخلافة الإنسان .
- كيف علمت الملائكة أن الخليفة سيفسد في الأرض؟
- هل الملائكة كانت مستفسرة أم مستنكرة؟
- لماذا أمرت الملائكة بالسجود لآدم؟
- العدل الإلهي وابتلاء الإنسان بوسواس الشيطان .
- حقيقة القرينين الذين يهتفان بلمتين.
- لماذا الذي أخذ الله الميثاق على الذرية؟
- لماذا أنسانا الله عز وجل الميثاق؟
- هل يكفي الميثاق لإقامة الحجة على العباد؟
- الإنسان من جنة الابتلاء إلى دار الجزاء .
- الابتلاء وتحقيق معاني الحكمة الإلهية .

البحث المطلوب

اختصار موضوع المحاضرة بأدلتها في ست صفحات

وتسليمها إلى فضيلة الشيخ عادل الشوربجي

أو رفعها على المنتدى في الموقع أو منسقة على برنامج وورد

على البريد الإلكتروني الآتي:

A0182279679@hotmail.com

www.alridwany.com

حفظ التعريفات والأحاديث

التي وردت في المحاضرة الثلاثون (30)

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة منة القدير بميت الرخا غربية

المحاضرة الثلاثون (30)

الابتلاء وتحقيق معاني الحكمة الإلهية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

- **العلة في إعلام الملائكة بخلافة الإنسان .**

الحكمة أو العلة في إعلام الله ⊗ للملائكة وإبليس باستخلاف الإنسان في أرضه كما ذكر البيضاوي أن ذلك كان امتحانا لهم وإظهارا لفضله [1]، ليرى موقفهم ممن استخلفه في أرضه دونهم بعد أن كرمه وهيأ الكون من أجله بعدله، وشق له من اسمه ووصفه فكانت الأسماء عند تجردها تمثل قدرا مشتركا بين الله وعبده، وإن كانت عند إضافتها تمثل قدرا فارقا في توحيد الله ⊗ الذي ليس كمثله شيء، وبناء على موقف الملائكة وإبليس، أو بتعبير آخر بناء على رد فعلهم تجاه حكمة ربهم سوف يتحقق فيهم العدل والإنصاف كما تحقق للإنسان في قضية الاستخلاف، فإعلام الله ⊗ لهم باستخلاف الإنسان إنما هو اختبار وامتحان يترتب عليه تقرير المصير وبيان حكمة الله ⊗ في سائر ما يخصهم من أنواع التدبير .

لما قال الله ⊗ للملائكة: ❾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، كان رد فعلهم أن قالوا لربهم: ❾ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ ❼ [البقرة:30]، والرد المتوقع من الملائكة ومعهم إبليس أن يكون بخلاف ما صدر منهم، كأن يقولوا مثلا: أنت ربنا والكل عبيدك افعل بنا أو بغيرنا ما تشاء إنك أنت العليم الحكيم . أما قولهم: ❾ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ❼، تعميم لم يستثنوا فيه أحدا حتى الرسل والأنبياء أو خاصة العباد من الأولياء، وإن قيل إنهم استعملوا

---

[1] تفسير البيضاوي 1/292.

القياس بين من سبق من الجن وما يكون عليه الناس فالإفساد في الأرض وسفك الدماء وجب أن يحمل على الظن أو الاحتمال لا على القطع بوقوع السوء من الأفعال، وقد رد الله ⊗ عليهم ذلك بقوله: ❾ قَال إِنِّي أَعْلمُ مَا لا تَعْلمُونَ ❼ [البقرة:30]، وقد أثبت لهم أن الإنسان بأوصافه التي جعلت للابتلاء مناسب لاستخلافه لاسيما لو علمه الأسماء: ❾ قَال يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَال أَلمْ أَقُل لكُمْ إِنِّي أَعْلمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ❼ [البقرة:33] .

روي عن ابن عباس ⓿ أنه قال: (إياكم والرأي فإن الله تعالى رد الرأي على الملائكة وذلك أن الله قال: ❾ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيه، قال: إني أعلم ما لا تعلمون) [2] .

كما أن قول الملائكة: ❾ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ ❼ [البقرة:30] فيه ذكر لأنفسهم بالفضل وكمال العبادة والله ⊗ أجل من أن يخفى عليه شيء من أفعال عباده .

وقولهم أيضا فيه تلميح بالرغبة في تولي الخلافة بدلا من الإنسان، وتقليل من شأنه بإمكانية الإفساد والعصيان، ومعلوم أن الراسخين من العابدين إذا بلغ خضوعهم أعلاه كشأن النبي S عندما تورمت قدماه لا يذكرون عبادتهم لله بمدح وافتخار؛ بل يذكرونها على وجه التقصير والافتقار والذل والانكسار، فقد روى البخاري من حديث المغيرة بن شعبة ⓿ أنه قال: (قَامَ النَّبِيُّ S حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيل لهُ: غَفَرَ اللهُ لكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَال: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) [3] .

والقصد أن رد الملائكة ومعهم إبليس لم يكن على النحو المطلوب، وليس ذلك شأن المحب في سلوكه مع المحبوب، فسبحانه وتعالى علام الغيوب ومقلب القلوب، يتدارك بفضله من شاء من خلقه، ويذل من شاء بعدله في ملكه، وحكمته في خلقه تفوق التصور والحدود ولهذا ابتلاهم الله ⊗ جميعا بالسجود فقال: ❾ اسْجُدُوا لآدَمَ ❼، أمرهم بذلك ليختبرهم

---

[2] تفسير السيوطي 1/113.

[3] البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح 4/1830 (4556) .

ويرى مدى صدقهم في قولهم: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ ﴾ [البقرة:30] .

- **كيف علمت الملائكة أن الخليفة سيفسد في الأرض؟**

من الصعب الجزم بإجابة معينة لهذا السؤال لأنه لم يرد نص صريح يبين كيف علمت الملائكة أن الإنسان سيفسد في الأرض أو يسفك الدماء؟ فالسؤال موجه أيضا للملائكة أنفسهم كتعقيب على ردهم. وهناك أقوال أخرى للمفسرين كقول بعضهم: علمت الملائكة ذلك من الجن لأنهم أسبق من الإنس فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، لكن ذلك يفتقر إلى دليل صحيح مرفوع [4] .

وقيل: علموا ذلك لأن الله هو الذي أخبرهم مسبقا بأنه سيخلق الإنسان ليفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ فهناك إضمار في الكلام إظهاره أنه قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا ما يكون ذاك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك [5] .وهذا بعيد جدا لأنه لو كان اعتماد القائلين ذلك على ظاهر الآية فقط، فإن ذلك من قبيل التأويل بغير دليل ولا يدل عليه ظاهر النص ولا لوازمه، فلا يقبل مثل هذا الكلام إلا بدليل صحيح مرفوع، ولهذا عقب ابن جرير على هذا الرأي بقوله: (وهذا إذا تدبره ذو الفهم علم أن أوله يفسد آخره وأن آخره يبطل معنى أوله، وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء فقالت الملائكة لربها: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء بمثل الذي أخبرها عنهم ربها) [6] .

وقد قال بعضهم أيضا إن الملائكة الذين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء خلقوا من نار السموم، وكانوا من قبيلة إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السماوات أو الذين خلقوا من نور، فلما علمت الملائكة الذين خلقوا من نور مؤاخذة الله على الذين خلقوا من نار السموم

---

[4] تفسير الطبري 1/232، وانظر مستدرك الحاكم 2/282 .

[5] تفسير ابن كثير 1/71 .

[6] تفسير الطبري 1/240 .

فيما تكلموا به من علم الغيب الذي لا يعلمه غيره والذي ليس لهم به علم، قـــالوا ســـبحانك تتريها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره، تبنا إليك لا علم لنا إلا ما علمتنا كما علمـــــت آدم، فقال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصـــة إني أعلم غيب السماوات والأرض ولا يعلمه غيري، وأعلم ما تبدون أو ما تظهرون، وما كنتم تكتمون يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار [7] .

لكن هذا الرأي يحتاج إلى دليل واضح من السنة تطمئن إليه النفس، و لم أجد فيما وقـــع تحت يدي نصا صحيحا مرفوعا في الموضوع، وكل ما ورد فيه مقال، مثل ما رواه ابـــن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن أنس ⓿ قال: (قال رسول الله S: إن أول من لبى الملائكة قـــال الله: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الـــدماء قـــال: فزادوه فأعرض عنهم، فطافوا بالعرش ست سنين يقولون: لبيك لبيك اعتذارا إليك، لبيـــك لبيك نستغفرك ونتوب إليك) [8] .

وهناك قول آخر وهو الأقرب عندي إلى الصواب لأنه مبني على معنى الخلافة ولا يحتاج إلا إلى المقارنة والنظر، فالملائكة علمت ذلك من معنى الاستخلاف نفسه لأن المستخلف في الشيء أمين عليه فيمكن أن يؤديه إلى صاحبه ويمكن أن يستحوذ عليه ،ويستأثر به لنفســـه ظلما وكفرا بالحقوق، فالعاقل يعلم أن الاستخلاف يلزم منه أن يكون المســـتخلَف لـــديه إمكانية الوفاء وأداء الأمانة إلى صحبها أو الغدر والقتل وسفك الدماء؛ فالملائكة علمت أن الإنسان يمكن أن يفعل ذلك لو استخلفه الله في الأرض، وهي عن نفسها تـــرى التعظيـــم المطلق لله ⊗ وهي أقدر على عدم العصيان، من أجل ذلك قالت: ❾ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ❼ [البقرة:30]، وكأنها تقـــول إن أردت أن تستخلف فاستخلف من لا يعصيك .

---

[7] السابق 1/258 .

[8] تفسير السيوطي 1/113، وانظر تفصيل هذه الأقوال في فتح القدير للشوكاني 1/63، تفسير ابن جرير الطبري 1/201، زاد المسير لابن الجوزي 1/59، تفسير الواحدي 1/98، تفسير القرطبي 1/274، تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني 1/42، وتفسير ابن كثير 1/71 .

• **هل الملائكة كانت مستفسرة أم مستنكرة؟**

سياق النص يقتضي الاستنكار وشأن الملائكة يقتضي الاستفسار كما ذكر الله ⊗ وصفهم في القرآن فقال: ➒ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلداً سُبْحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْل وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ ❼ [الأنبياء:26/27]، وقال: ➒ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ❼ [التحريم:6] .

والجواب أنه لا شك أن الملائكة الذين خاطبهم الله ⊗ بقوله: ➒ وَإِذْ قَال رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ❼ [البقرة:30]، هم الذين خاطبهم بقوله: ➒ وَإِذْ قُلنَا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ ❼ [البقرة: 34]، لأن الله ⊗ جمع الخطابين في موضع واحد فقال: ➒ وَإِذْ قَال رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إِنِّي خَالقٌ بَشَراً مِنْ صَلصَال مِنْ حَمَأ مَسْنُون فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْليسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ❼ [الحجر: 28/31]، فإبليس كان بين القائلين: ➒ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ قَال إِنِّي أَعْلمُ مَا لا تَعْلمُونَ ❼ [البقرة:30]، ومن ثم فإن قولهم: ➒ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ❼ قول مشترك لم يصدر من الملائكة فقط الذين خلقوا من النور ولكن صدر أيضا من إبليس الذي خلق من النار وله حكم الملائكة في مشاركة الخطاب والجواب، قال ابن كثير: (لما أمر الملائكة بالسجود لأدم دخل إبليس في خطابهم لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم فلهذا دخل في الخطاب لهم وذم في مخالفة الأمر) [9] .

ومن ثم فإن الاستنكار كان من إبليس لأن امتناعه عن السجود كشف عن سريرته وظهر حقده على آدم وذريته، وقد بين الله ⊗ غروره واستكباره وتشكيكه أيضا في حكمة الله تعالى؛ حيث رأى نفسه أنه والملائكة أفضل لهذه المترلة الرفيعة التي وصل إليها الإنسان، أما الملائكة الذين خلقوا من نور فموقفهم كما ذكر ابن كثير: (إنما سؤالهم سؤال استعلام

[9] تفسير ابن كثير 1/112.

واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلا وقع الاقتصار علينا؟) [10] .

لكنهم بقولهم هذا كانوا يرغبون أن يكون الخليفة في الأرض على صفة الطاعة المطلقة لا يعصي الله أبدا، ولما كانت هذه صفتهم فهم أولى بهذا الوصف من الإنسان، ولذا قالوا ما معناه: لو أردت أن تستخلف استخلف من لا يعصيك، يعنون أنفسهم .

ومهما كان المعنى فإن الملائكة كانوا يرون الاقتصار عليهم في مسألة الاستخلاف خشية أن يعصي الإنسان ربه ويسفك الدماء، والله ⊗ أجل من أن يعصي، وكان إبليس يرى أنه والملائكة أولى بهذه المترلة الرفيعة التي تميز بها الإنسان عمن حوله من الكائنات، فكان جواب الله لهم جميعا أنه قال: ❾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ❼، فالله حكيم في فعله والإنسان الذي خلقه الله ليستخلفه في الأرض سوف يعطيه إمكانية العلم بجميع الأشياء التي يتمكن بها من التمييز بين ما ينفعه وما يضره، ويزداد بزيادة العلم معرفة وخشية وقربة من ربه، كما قال تعالى: ❾ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ❼ [فاطر:28] .

ومن ثم علم الله آدم ❶ أسماء الأشياء من حوله وعرفه كيف يزداد بمعرفة خصائصها قربة من ربه، ومن ثم يزداد بذلك خشية لله ⊗ وتعظيما فقال ❾ :⊗ وَعَلَمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى المَلائِكَةِ فَقَال أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❼ [البقرة:31]، أي صادقين في أنه لا يعرف إلا القتل وسفك الدماء .

قال ابن جرير الطبري في معنى الآية: (أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيتها الملائكة القائلون: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا أم منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، إن كنتم صادقين في قيلكم أني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني وذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم والتقديس) [11]، ثم يبين ابن جرير أن الله قال لهم فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم من خلقي

[10] السابق 1/70 .

[11] جامع البيان 1/218 .

وهم مخلوقون موجودون ترونهم وتعاينونهم، وعلمه غيركم بتعليمي إياه فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد بعد وبما هو مستتر عن أعينكم من الأمور الموجودة أحـــرى أن تكونوا غير عالمين؛ فلا تسألوني ما ليس لكم به علم فإني أعلم بما يصلحكم ويصـــلح خلقـــي، وقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾، يعني بذلك – والكلام ما يزال لابن جريـــــر – إني أعلم أن بعضكم فاتح المعاصي وخاتمها وهو إبليس منكرا بذلك تعالى ذكره قولهم، ثم عرفهـــم موضع هفوتهم في قيلهم ما قالوا من ذلك بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عيانـــا؛ فكيف بما لم يروه و لم يخبروا عنه بعرضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ؟ وقيله لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم إن استخلفتكم في أرضي سبحتموني وقدســـتموني، وإن استخلفت فيها غيركم عصاني ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم وبدت لهم هفوة زلتهم أنابوا إلى الله بالتوبة، فقالوا: ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إِلا مَا عَلمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكِيمُ ﴾ [12] .

- **لماذا أمرت الملائكة بالسجود لآدم؟**

قد يسأل سائل عن العلة في أمر الله ⊗ للملائكة بالسجود لآدم ❶، ولِم لَم يكن الأمر بالسجود له سبحانه بدلا من آدم؟ من المعلوم أن السجود لغير الله شرك أكبر وظلم عظيـــم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَال لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّـــرْكَ لظُلـــمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:13]، والشرك في الأصل مبني على معنى التشبيه، فتشبيه المخلوق بالخالق شرك في العبادة، وتشبيه الخالق بالمخلوق شرك في أسماء الله وصفاته والتشبه بالخالق شرك في الربوبية، وقد يكون كل نوع من هذه الثلاثة شركا أكبر أو أصغر على ضوابط معلومـــة في الكتاب والسنة . والسجود لغير الله من النوع الأول وهو شرك أكبر لا يغفر إلا بالتوبة، أما إن كان السجود لغير الله بأمر الله ⊗ فهو من أعظم علامات المحبين الصادقين، بـــل هـــو برهان الموحدين؛ لأن أحكام المحبة تقتضي تنفيذ أمر المحبـــوب دون استفســـار أو ســـؤال، والتنفيذ يعطي العبودية معنى الكمال، لما فيه من إذلال النفس لأمر معبودها وخالقها، ولذلك كانت الأحكام التعبدية من علامات الصدق في أداء العبودية، فتقبيل الحجـــر بـــأمر الله أو

[12] السابق 1/218 .

الطواف سبعا ببيت الله أو صلاة الظهر والعصر والعشاء أربعا بالتحديد على سنة رسول الله S من علامات الموحدين الصادقين في دعوى العبودية، وإن كانوا يجهلون العلة في ذلـــــك، كما ثبت عند البخاري من حديث عمر بن الخطاب 0، أَنَّهُ جَاءَ إِلى الحَجَرِ الأسْوَدِ فَقَبَّلهُ، فَقَال: (إِنِّي أَعْلمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلوْلا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ S يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلتُــــكَ)[13].

ولذلك اقتضت حكمة الله ⊗ أن تكون أحكام التكليف على نوعين: نوع فيه علة الأمر معلومة وعليها يدور الحكم حيث دار، كعلة تحريم الخمر عند وجود الإسكار، ونوع تعبدي لا علة له إلا إثبات الطاعة لله ⊗ وخضوع النفس بالذل والانكسار، وشعورها بالحب عند إذلالها بالعبودية لسيدها ومالكها، ومن ثم فإن أمر الله ⊗ للملائكة وإبليس علـــى وجـــه الخصوص بالسجود لأدم 1 له عدة أسباب أظهرت الحكمة الإلهية في أفعال الله تعالى، وقد تجلى أبرزها فيما يلي:

أولا: أن يعلم الإنسان مكانته عند الله ⊗ وعظم المهمة التي كلفه بها والتي من أجلهـــا أسجد له ملائكته؛ فيدفعه ذلك إلى الطاعة والإيمان والتفكر بإمعان أبعد هذا الفضل والتكريم يتجرأ عاقل على الكفر والعصيان؟ .

ثانيا: أن أمر الله ⊗ بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة واختبار لهم في إظهار مدى صدقهم لما قالوا لربهم: 9 وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ 7، فكانت حقيقة الابتلاء في قول الله ⊗ لهم: 9 اسْجُدُوا لآدَمَ 7، وهو أمر تكليفي وحكم تعبدي اختياري حتى لـــو كـــان بالسجود للإنسان، شأنه في ذلك شأن التخيير في الطاعة أو العصيان.

وما نعنيه هنا أن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أمر تكليفي وحكم تعبدي، فمن سجد منهم فقد صدق في قوله وكشف عن مراده، ومن امتنع كان ادعاؤه للتســـبيح والتقـــديس

---

[13] البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود 2/579 (1520) .

كذبا وزورا وعلوا واستكبارا وانطبق عليه ما ورد في قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:29] .

ثالثا: أن سجود الملائكة لآدم ❶ إقرار منهم بمترلة الإنسان وتعظيم لدوره في حمل الأمانة وابتلائه بين الكفر والإيمان، وأنه خليفة الله ⊗ في أرضه على وجه الابتلاء، وأنه الوحيد الذي ميزه وكرمه وفضله على كثير من المخلوقات، فهو القائم على أرض الله ⊗ بأمره وشرعه، وهو المستفيد منها إلى قيام الساعة بمشيئته وبإذنه، فمن سجد لآدم ❶ أقر بذلك، ومن امتنع منهم كان معترضا على فعل الله ⊗ مشككا في عدله وحكمه .

رابعا: أن أمر الله ⊗ لملائكته بالسجود لآدم ❶ لا يدل فقط على مطالبتهم بالإقرار وتعظيم الإنسان الذي كرمه الله، ولكن سجودهم سيتبعه تكليف جديد يقومون من خلاله بالقيام على تدبير الكون وضبط أموره وتدبير شئونه اللازمة لتحقيق استخلاف الإنسان في الأرض، والقيام أيضا على أمور الكائنات من حوله لكي تظل مسخرة منفعلة له إلى يوم القيامة، ثم يتولون تدبير أموره أيضا في دار الجزاء سواء بتعذيبه إن كفر أو إكرامه إن شكر، وأنهم إذا سجدوا لن يعصوا لله أمرا في تدبير الكون وشئونه، ويفعلون ذلك خاضعين غير مستكبرين، فأبدوا بذلك الاستعداد التام لأمر الله في تدبير شئون الحياة .

والله ⊗ له مطلق التدبير في ملكه، وهو سبحانه قادر على ألا يجعل الملائكة أسبابا غيبية لتدبير خلقه، وأن يتركهم على وضعهم الأول قبل نزول الإنسان على أرضه فمشيئة الله في خلقه مشيئة مطلقة يقول للشيء كن فيكون، وهو قادر على أن يسير الأشياء بالأسباب المعهودة المشهودة في ترابط العلل والمعلولات، أو يسيرها بدون أسباب كالمعجزات وخوارق العادات، لكنه جعل الملائكة أسبابا غيبية لتدبير معيشة الإنسان كالأسباب المشهودة التي يحكمها الزمان أو المكان، وكلاهما عند الله ⊗ في حكم الابتلاء سيان .

وتلك حكمة الله في أن يبتلي الملائكة بالإنسان من جهة، ويبتليه بهم كتشريف لهم في

ثاني ركن من أركان الإيمان من جهة أخرى، فانظر كيف أرســـل الله ⊗ جبريـــل ❶ في صورة أعرابي يجلس بين الصحابة ❺ ليعلمهم دينهم فيسأل النبي S عن الإسلام والإيمـــــان والإحسان، فمن أركان الإيمان، الإيمان بالملائكة وبدورهم وشرفهم وفضلهم ومكانتهم عند الله ⊗ .

فلما سجدوا لآدم وأقروا بمكانة الإنسان قسمهم الله ونوعهم، وكلفهم ووجههم، كل في عمل بالغ التخصص، فهم بأمر الله ⊗ قائمون على شئون الإنسان، يدبرون أمره على نحو ما جاء في القرآن، قال تعالى في وصفهم: ❾ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُـــؤْمَرُونَ ❼ [التحريم:6]، وقال عن خوفهم من ربهم: ❾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُـــونَ مَـــا يُؤْمَرُونَ ❼ [النحل:50] . والله ⊗ اقتضت حكمته أن يجعل فريقا من الملائكـــة مكلفـــا بتبليغ كلامه ووحيه إلى الأنبياء والمرسلين، وجعل على رأسهم الروح الأمين جبريـــل ❶، قال تعالى: ❾وَإِنَّهُ لتَنْزِيلُ رَبِّ العَالمِينَ نَزَل بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلى قَلبِكَ لتَكُونَ مِنَ المُنْـــذِرِينَ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ❼ [الشعراء:192/195]، وبهذا الوحي يذكر الله ⊗ الإنسان بفطرته، ويشرع لكل مستخلف منهجه في رعيته .

كما جعل الله ⊗ فريقا منهم للعد والإحصاء سماهم حفاظا كراما كاتبين فقال: ❾ وَإِنَّ عَليْكُمْ لحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ❼ [الانفطار:10/11]، جعلهم علـــى عمل الإنسان قائمين يرقبون ويسجلون ويدونون ويمحصون ويدققون لا يغادرون صغيرة أو كبيرة من سعيه وكسبه، قال تعالى: ❾ إِذْ يَتَلقَّى المُتَلقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَال قَعِيدٌ مَـــا يَلفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ❼ [ق:17/18]، وهم يحاسبون الإنسان يوم القيامـــة على ما استرعاه الله من الأمانة، وعندها يشعر المؤمن يوم القيامة بالعزة والكرامة ويتقلـــب الكافر وقتها في الحسرة والندامة، حتى إذا جاء كافر يوم القيامة تعجب من دقـــة حســـابهم ومدى قدرتهم على تسجيل الأعمال كما قال رب العزة والجلال: ❾ وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى

الُمجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَال هَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ❼ [الكهف:49] .

إن القلب ليخشع عندما يرى طلاقة العدل والكمال والحكمة والعظمة والجلال في أن يكلف الله ⊗ الملائكة بالسجود لآدم ❶ تعظيما له، ويكلفهم في المقابل بالإشراف على محاسبته تعظيما لهم، بل كلفهم بالقيام على قبض الأرواح وانتزاعها واستدعاء الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وجعل على رأسهم مَلكَ الموت، قال تعالى: ⓽ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ❼ [الأنعام:61]، وجعل منهم خزنة الجنان قائمين على أمور المؤمنين، وجعل منهم أيضا الموكلين بالنيران، ملائكة غلاظ شداد على رأسهم خازنها مالك كما بين الله ⊗ ذلك فقال: ⓽ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالحَقِّ وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلحَقِّ كَارِهُونَ ❼ [الزخرف:77/78]، وقال: ⓽ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ❼ [التحريم:6] . وقد جعل الله ⊗ منهم أيضا أهل الإغاثة والنصر للقتال مع المؤمنين، وجعل منهم الموكل بالمطر، والموكل بالجبال، والموكل بحضور مجالس الذكر، والموكل بالنطفة في الرحم حتى حملة العرش ومن يطوف حوله منهم لهم صلة وثيقة بالإنسان؛ فهم بالإضافة إلى تسبيحهم وعبادتهم لله ⊗ يدعون للتائبين والمؤمنين الصالحين، قال تعالى: ⓽ الذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُل شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلماً فَاغْفِرْ لِلذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ❼ [غافر: 7/8] .

ومن حكمة الله في أمر التدبير أنه كلف كل يوم ملكين ينزلان من السماء يدعوان للإنسان أو عليه، يدعو أحدهما لكل منفق والآخر يدعو على كل ممسك، فعند البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ أن النبي S قال: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلا مَلكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ

أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) [14] .

وتفصيل ما ذكر في القرآن والسنة عن الملائكة يضيق المقام عـــن ذكـــره، والقصـــد أن الملائكة جميعا سجدوا لآدم ❶ كما ورد النص بذلك في قوله تعالى: ❾ فَسَجَدَ المَلائِكَـــةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ❼ [الحجر:30]، وكلهم قائمون على أمور الإنسان يدبرون العـــالم مـــن أجله تنفيذا لمراد الله وأمره، يقومون بواجبهم مقرين بخالقهم مسلمين لحكمتـــه ⊗ فيمـــا يدبرون: ❾لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ❼ [التحريم:6]، ونظرا لعظمـــة دورهم وعدل الله ⊗ في ابتلائهم أقسم سبحانه بهم تشـــريفا لهـــم وتكريمـــا فقـــال: ❾ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْـــرًا ❼ [النازعات:1:5] .

قال ابن القيم: (كل حركة في الســـموات والأرض مـــن حركـــات الأفلاك والنجـــوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكـــة المـــوكلين بالسموات والأرض) [15] .

وهكذا بدت حكمة الله ⊗ في الأشياء من خلال معاني الابتلاء، فهذه الملائكة تقوم على تدبير شئون الإنسان بعدل منه سبحانه عندما ابتلاهم بالسجود لآدم ❶، كذلك استخلف الإنسان في الأرض وكرمه وسخر له من سخره بحكمته سبحانه وتعالى عندما ابتلاهم بعرض الأمانة فرفضتها السماوات والأرض والجبال وحملها الإنسان، والله ⊗ يـــذكرنا بالملائكـــة وخشيتهم من إفساد الإنسان في الأرض أو القتل وسفك الدماء أنه لو شاء اســـتخلفهم في الأرض بدلا منا لو أننا عصيناه، فقال تعالى: ❾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِـــي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ❼ [الزخرف:60]، قال ابن جرير الطبري: (ولو نشاء معشر بني آدم أهلكنـــاكم فأفنينا جميعكم وجعلنا بدلا منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني) [16] .

- **العدل الإلهي وابتلاء الإنسان بوسواس الشيطان .**

---

[14] مسلم في الزكاة، باب في المنفق والممسك 2/700 (1010) .

[15] إغاثة اللهفان 2/125.

لما كان أمر الله ⊗ للملائكة بالسجود لآدم لا يدل فقط على إقرارهم بخلافة الإنسان في الأرض، بل سوف ينفذون الأمر إذا كلفهم بتدبير شئونه وكذلك العالم من حوله؛ فإن إبليس أبى أن يكون مع الساجدين، واستكبر أن يدخل في جملة المقربين بهذه المترلة العظمى التي كرم الله ⊗ بها الإنسان، فتملكه العلو والاستكبار وأظهر الاعتراض والاستنكار حسدا وحقدا على آدم وذريته، كيف فضلهم الله بمترلة أعلى من مكانته؟ فلما لعنه الله وطرده من رحمته، وأيقن إبليس بهلاكه وشقوته، وأنه لا محالة ممنوع من جنته أراد أن يحقر من شأن الإنسان، وأن يشكك في حكمة الله وأمره، واستواء عدله في خلقه، وكأنه يقول لربه: إن الذي استخلفته في الأرض ووضعته في هذه المترلة مخلوق طيني أقل من ذلك، وكنت أنا والملائكة أولى بذلك، فدعني أحيا إلى يوم القيامة أوسوس له فقط بالظلم والطغيان، ومكني من دعوته إلى الكفر والفسوق والعصيان، وسوف ترى صدق كلامي وحقارة الإنسان، ويحكي القرآن ما ذكره الشيطان: ❾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ❼ [الحجر:36]، ❾قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الذِي كَرَّمْتَ عَليَّ لئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَليلاً ❼ [الإسراء:62].

والله ⊗ له مطلق المشيئة في ردعه ومنعه من ذلك لكن مقتضى عدله أنه أمهله وجعله ابتلاء لمن استخلفه وفضله وخوله، لأنه لو منع إبليس من هذه المسألة لصحت دعواه بوجه مقبول، ولكانت له على سائر العقول حجة وسلطان، وقد أقام الله السماوات والأرض على الحق والميزان، قال تعالى: ❾ وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلمُونَ ❼ [الجاثية/22:21].

وقد ظهر كمال العدل الإلهي عندما أذن الله للشيطان بالبقاء في دار الابتلاء يوسوس

[16]جامع البيان 25/98، وللتعرف على عقيدة أهل السنة في الإيمان بالملائكة انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 335، وانظر أيضا معارج القبول للشيخ حافظ ابن أحمد حكمي 2/63:53، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم 2/132:125، والتبيان في أقسام القرآن 1/83، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 56، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم 1/142، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة 2/193:186 .

للإنسان بالعصيان من غير إلزام ولا سلطان [17]، وتوعد أتباعه من بني الإنسان بالعـــذاب والخسران، فقال ⊗ مبتليا للشيطان بالإنسان: ﴿ قَال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْـــوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر/37:38]، فازداد الشيطان حقدا على حقده السابق، وأكد أنه لن يسأم من إغوائه ودعوته إلى الشرك بالخالق: ﴿ قَال رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُــمْ فِـــي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلصِينَ قَال هَذَا صِرَاطٌ عَليَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي ليْسَ لكَ عَليْهِمْ سُلطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لهَا سَبْعَةُ أَبْـــوَابٍ لكُل بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر: 39/44] .

ولما نزل الخبيث إبليس وضع لنفسه عرشا على الماء ليتشبه في استواءه باستواء الله علـــى عرشه في السماء، وجعل نفسه إلها لأتباعه من العصاة، وحبب إلى نفسه من جنسه أســـوأ الدعاة، وجلس على عرشه ليبعث في الأرض سراياه، كما ورود عند مسلم مـــن حـــديث جابر بن عبد الله 0 أنه سمع رسول الله S يقول: (يَبْعَثُ الشَّيْطَانُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُـــونَ النَّـــاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً) [18]، وفي رواية أخرى عند مسلم قال S: (إِنَّ إِبْليـــسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَـــةً، يَجِيءُ أَحَـــدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَال: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ) [19] .

- **حقيقة القرينين الذين يهتفان بلمتين.**

لما لعن الله ⊗ إبليس وطرده من رحمته، وأيقن الملعون بهلاكه وشقوته، وأنـــه لا محالـــة ممنوع من جنته، أراد أن يحقر من شأن الإنسان حقدا وانتقاما، وأن يشـــكك في حكمـــة الرحمن عنادا وإلزاما، وادعى أن الله استخلف الإنسان وهو لا يستحق هذه المترلة، وأنه مع الملائكة أنسب منه لهذه المسألة، فطلب الحياة والبقاء إلى يوم القيامة يوسوس للإنسان بالظلم والطغيان، ويدعوه إلى الكفر والفسوق والعصيان ليثبت صدق كلامه وحقـــارة الإنســـان،

---

[17] انظر في معنى نفي سلطان الشيطان عن الإنسان إغاثة اللهفان 1/101:99.

[18] مسلم في صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعثه سرياه لفتنة الناس 4/2167 (2813) .

[19] مسلم في الموضع السابق .

فكان من عدل الله كما تقدم أنه أمهله .

ومن عدل الله وحكمة التدبير أنه لما أوجد في كل إنسان منا نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين، وباعثين على سلوك أحد النجدين، ليس لأحدهما غلبة على الآخر، نازع يدعوه إلى الطاعة وفعل الخير، وآخر يدعوه إلى المعصية وفعل الشر، والإنسان حر بينهما في الاختيار كما قال رب العزة والجلال: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:10]، وقال أيضا: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:7:10]، فإذا سمح الله للشيطان أيضا أن يوسوس للإنسان بالعصيان واتفق الشيطان مع نازع الشر في الإنسان، كلاهما يدعوان إلى الكفر والعصيان ألا تكون دواعي الشر في الإنسان أقوى من دواعي الخير فيه؟ أليس للعاصي أن يحتج على الله ⊗ يوم القيامة بأن نازع الخير فيه كان وحيدا، وأن غلبة دواعي الشر كانت ظلما شديدا، ومن ثم اختل بذلك الميزان وأصبح لها ركنان أحدهما نازع الشر والآخر الشيطان، فهي بذلك أقوى في الإنسان من دواعي الخير والإيمان، ومن ثم يطالب ربه بإسقاط العذاب عنه؟

ومن هنا ظهرت حكمة الله ⊗ في كل إنسان وبلغت حجته إلى ما تحار فيه الأذهان فمن عدله أنه جعل الإنسان على مستوى الكمال ظاهرا وباطنا في قمة الاعتدال فقال رب العزة والجلال: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ الذِي خَلقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:6:8]، فكلف الله بكل إنسان ملكا قرينا، وأمره أن يلازم الإنسان كملازمة القرين من أبناء الشيطان لا يفارقه إلا إذا فارق دار الامتحان .

وأمره أيضا أن يدعوه إلى الخير ويحضه عليه كما أن الشيطان يدعوه إلى الشر ويحضه عليه، فيستوي بذلك مقدار الدواعي في الإنسان، ولا يكون لأحد من أهل العصيان حجة على الله يوم القيامة، فالله ⊗ كما هداه النجدين وركب فيه نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين ليس لأحدهما غلبة على الآخر، وكّل بالإنسان أيضا قرينين هاتفين مرغبين بلمتين ليس لأحدهما سلطان على إرادة الإنسان، فبات مقدرا لكل منا بحكمة الله وعدل الميزان قرينان داعيان هاتفان مرغبان إما في الخير وإما في الشر .ولم يستثن الله ⊗ أحدا من ذلك

حتى سيد ولد آدم S، فعند مسلم من حديث عبد الله بن مسعود O أن رسول الله S قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّل بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الَملائِكَةِ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُول الله، قَال: وَإِيَّايَ وَلَكِنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِحَقٍّ) [20] .

وليس كل ما جعله الله للإنسان من عوامل الأمان ليحميه من كيد الشيطان أنه كلف ملكا قرينا يهتف له بالإيمان في مقابل هتافه بالعصيان، ولكن الله ⊗ حفظ الإنسان وأمنه من كيد الشيطان بأمور أخرى كثيرة منها:

1- أن الله فتح باب التوبة للإنسان مهما بلغ به كيد الشيطان ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها، روى الإمان أحمد وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي سعيد الخدري O قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ S يَقُولُ: إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي) [21] .

وعند مسلم من حديث أبي موسى الأشعري O أن النبي S قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْل لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْل حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) [22]، وعند الترمذي وحسنه الألباني من حديث ابن عمر O أن النبي S قال: (إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لمْ يُغَرْغِرْ) [23] .

ولو اتبع الإنسان الشيطان وتمادى في الجرم والعصيان فقتل مائة نفس وأراد التوبة والغفران تاب الله عليه وقبل منه الطاعة والإيمان. ولو تكرر العصيان من الإنسان وتكررت منه التوبة وطلب الغفران تاب الله عليه.

2- أن الله ⊗ كما وعد بقبول التوبة عند رجوع الإنسان عن العصيان، فإنه بفضله وكرمه سيبدل للتائبين عدد ما فات من السيئات بنفس أعدادها حسنات، دل على ذلك

[20]مسلم في صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعثه سرياه لفتنة الناس 4/2168 (2814).

[21]مسند الإمام أحمد 3/29 (11262)، وانظر السلسلة الصحيحة 1/212 (104) .

[22]مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة 4/2113 (2759) .

[23]الترمذي في الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار 5/547 (3537)، وانظر صحيح الجامع (1903) .

قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان:68/71] .

3- أنه سيعامل المؤمنين بفضله وسيحاسب الكافرين بعدله، والعدل أن يستوي العمل مع الجزاء، والفضل أن يفوق الجزاء العمل.

4- أن الله سيفرح بتوبة عبده فرحا شديدا ترغيبا للإنسان وتبكيتا للشيطان؛ فإن المذنب مخطئ في جنب الله، وعظم الذنب يقاس بعظم من أخطأ في حقه، فلو قبل الله توبة المذنب فإن مجرد القبول فقط كرم بالغ من الله عليه فما بالنا وهو يقبل توبة المذنب بعفو جديد وفرح شديد. وفي مقابل توبة الإنسان وسجوده لرب العالمين يبكي الشيطان بكاء النادمين فعند مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي قال: (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ) [24] .

5- أن الله تكفل بإيقاف الشيطان وإخناسه عند استعاذة الإنسان من وسواسه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [فصلت:36]، وكان يمكن أن يقال: إذا نزغك الشيطان فقاومه بما استطعت من أسلحتك الفكرية ودلالاتك العقلية لكن فضل الله على الإنسان كان عظيما .

6- أن الله وعد الإنسان ألا يعذبه إلا إذا بعث له رسولا يذكره بالشيطان وعداوته للإنسان فقال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾ [الإسراء:15]، ولو فرض أن إنسانا انقطعت به أسباب العلم بحقيقة الشيطان وعداوته، و لم يعلم منهج الله في أرضه وأمانته، و لم يسمع عن الإسلام ورسالته فإنه معذور بجهالته لاجتماع الأدلة على ذلك .

وكل هذا الفضل الذي منحه الله للإنسان ليحميه من كيد الشيطان يضاف إلى الملك القرين الذي يدعوه بإذن الله إلى الخير والإيمان، فأي كمال أفضل من هذا البيان؟ قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:22]، بعد أن تمت معاني الحكمة في قيام السماوات والأرض مسخرات بالحق،

---

[24] مسلم في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة 1/87 (81) .

وتمييز الإنسان عن غيره من خلال ابتلائه بالأمانة واستخلافه في الأرض، وإعداد العالم وفق نظام بديع يسمح له بهذه الخصوصية أخذ الله العهد والميثاق على الذرية، فما حقيقة أخـــذ الميثاق؟ ولماذا أخذه الله عليهم؟ و لم لا نذكر شيئا عنه؟

• **لماذا الذي أخذ الله الميثاق على الذرية؟**

ورد في القرآن والسنة ما يبين أن الله ⊗ أخذ العهد والميثاق على الإنسانية جمعاء قـــال تعالى: ❾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْـــتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْـــرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ❼ [الأعراف/172:174] .

وعند أحمد وحسنه الشيخ الألباني من حديث أبي بن كعب ⓿ أنه قال في معنى هـــذه الآية: (جَمَعَهُمْ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِـــمُ العَهـــدَ وَالمِيثَاقَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّـــبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ بِهَذَا، اعْلَمُوا أَنَهُ لا إِلَهَ غَيرِي وَلا رَبَّ غَيْرِي فَلا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَإِنِّي سَأُرْسِلُ إِلَيْكُـــمْ رُسُـــلِي يُذَكِّرُونَكُمْ عَهدِي وَمِيثَاقِي وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، قَالُوا: شَهِدْنَا بِأَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا لا رَبَّ لَنَـــا غَيْرُكَ، فَأَقَرُّوا بِذَلِكَ) [25] .

يخبرنا الله ⊗ أنه أخذ العهد والميثاق على ذرية آدم قبل نزولهم إلى الأرض، و لم يخبرنـــا كيف تم ذلك؟ أو كيف أوقفهم بين يديه كالذر؟ لكن المسلم يصدق خبر الله ⊗ ويؤمن به وأن ذلك تم كما قال، فالأمور الغيبية نؤمن بحقائقها ولا نسأل عن الكيفية ولـــو حاولنـــا التماس العلة التي من أجلها أخذ الله العهد والميثاق على سائر الذرية، فيمكن بيان ذلك من وجهين:

---

[25] مسند الإمام أحمد (20726)، والحاكم في المستدرك 2/353 (3255)، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ونظـــر حكم الألباني في مشكاة المصابيح (122) .

الوجه الأول: إقامة الحجة على سائر الذرية، وإقرارهم بما قبله أبوهم في قضـــية الابتلاء والأمانة والاستخلاف، لأنه ربما يحتج فرد من الناس بأنه لم يكن يرغب أساسا في أن يكون مستخلفا في الأرض على وجه الأمانة والابتلاء، أو أن يكون محاسبا مسئولا مخيرا في الحيـــاة بين نجدين مطروحين أمام إرادته، نجد يسمى طريق الخير ويؤدي إلى النعيـــم المقيـــم في دار الجزاء، ونجد يسمى طريق الشر ويؤدي إلى العذاب والشقاء، فقد يقول قائل من الذريـــــة: موافقة آدم ❶ على قبول الأمانة وتحمل المسئولية لا يلزمني ولا تعنيني، لأنني لم أشـــارك في ذلك، ومن ثم كانت حكمة الله تعالى في استخراجهم جميعا، وإيقافهم بين يديه وإقرارهـــم بحجته عليهم، وهو سبحانه قادر على جبرهم وإلزامهم بالتكليف قهرا، لكـــن الله ⊗ لـــه الحجة البالغة والسطوة الدامغة، أشهدهم على أنفسهم بكمال حكمته وقيام حجته فقـــالوا جميعا: شهدنا على أنفسنا أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا معبود بحق سواك، وقـــد ذكرهم ألا يغفلوا عن عهدهم وميثاقهم يوم القيامة، وقد علم الله من سيصـــدق في عهـــده ومن هو كاذب في وعده، وانفرد سبحانه وتعالى بعلم أهل الجنة منهم وأهل النار؟

الوجه الثاني: أن العهد والميثاق كان لتعريف الحقوق بين الخالق والمخلوق، وبيان دورهم ووظيفتهم التي من أجلها كرمهم الله ورفع درجتهم وميزهم عن غيرهم، وأنهم مســـتخلفون في أرضه أمناء في ملكه ليبلوهم أيهم أحسن عملا، فعرفهم جميعا حق الله عليهم وحقهـــم عليه؛ فحق الله عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ألا يعذبهم إذا فعلوا ذلك، أشهدهم على أنفسهم وسألهم جميعا ألست بربكم؟ قالوا: بلى، إقرارا منهم لما انفرد به مـــن حقائق العبودية، وأنه منفرد بالخلق والأمر وتوحيد الربوبية، لا إله إلا هو ولا رب ســـواه، وهو وحده مالك الملك لأنه وحده الذي خلق الكل، منفرد بإنشاء العالم وتنظيمه على هذه الهيئة البديعة، ولن يقبل منهم أن يتخذوا شريكا له في ملكه أو منازعا له في تدبير خلقه، ولن يقبل منهم عملا فيه نصيب لغيره كما قال سبحانه وتعالى: ❾ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِـــهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ❼ [النساء:48]، ومن ثم فإن الشرك لكونه ظلما عظيما أخذ الله العهد والميثاق على الإنسانية قبل نزولهم إلى الأرض، فإن ادعى أحد بعد ذلك أن الله له شريك في الملك، أو له معين في تدبيره السماوات والأرض فقد وقع في الظلم العظيم وعطل

دور الإنسان، ولم يوفق في الابتلاء وأداء الأمانة .

ولن يفلح وقتها احتجاج بالنسيان أو ادعاء التبعية للآباء في سالف الزمان، فوجب عليه أن يراعى في قوله وعمله الخوف من الله وحده لأنه صاحب الأمانة وخالقها وولي النعمة ومالكها، وما سواه لا يملك شيئا بل هو مجرد أمين مستخلف في الحياة.

وهذا الميثاق أساس الفطرة في كل إنسان؛ فالفطرة التي فطر الله الخلائق عليها اقتضت أن تلجأ النفوس إلى قوة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيا أعلى عند فقرها، وتوابا رحيما عند ذنبها، وسميعا قريبا بصيرا مجيبا عند سؤالها، وكل ذلك يدعو النفس إلى الإسلام والتوحيد، والعودة إلى بالضرورة إلى الملك ذي العرش المجيد .

ومثل هذا الإحساس الفطري كامن في النفس وإن لم يعلنه الشخص، فإن خلا القلب من موانع الطبع والتأثر بالاعتقادات الشركية المألوفة فإن قلبه يتوجه تلقائيا إلى ربه، وقد صح عند البخاري من حديث أبي هريرة ⓿ أن النبي ﷺ قال: (ما من مَولود إلاَّ يولَدُ على الفِطرةِ، فأَبَواهُ يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانهِ أو يُمجِّسانهِ، كما تُنْتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمْعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها مِن جَدْعاءَ؟) [26] .

- **لماذا أنسانا الله عز وجل الميثاق؟**

أخذ الله الميثاق على الإنسانية تحقيقا للعدل والحكمة؛ فلا يحتج أحد بأن الأمانة عرضت على آدم ❶ ولم تعرض عليه، فلما أشهدهم على أنفسهم أقروا بحكمة ربهم وأنهم محاسبون على أفعالهم كما هو حال أبيهم، وقد حدثت وقت أخذ الميثاق على الذرية أمور تتعلق بمراتب القدر وأنواع التقدير وما رتبه الله ⊗ في خلقه من أمور الصنعة ولوازم التدبير، ولو أن الله أبقى في ذاكرة الإنسان أحداث الميثاق بالتفصيل لبطلت حكمته في خلقه، وتعطل سر قضائه وقدره؛ فالقدر سر الله في خلقه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل .

- **هل يكفي الميثاق لإقامة الحجة على العباد؟**

لا يكفي أخذ الميثاق لإقامة الحجة على العباد، ولو تذكرناه بمفردنا دون وحي سماوي

---

[26] البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض عليه الإسلام 1/456 (1292) .

لكان كافيا، فقد أخبر الله أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث إليهم رسولا . وهذا يـدل علـى إبطال قول من قال بقيام الحجة لمجرد العقل دون ورود السمع كالقدرية أو قيام الحجة لمحض المشيئة كما تقول الجبرية [27]، فالله ⊗ قال في كتابه: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَ وَنَخْزَى ﴾ [طه:134].

قال ابن تيمية معقبا على هذه الآيات: (فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعـث إليهم رسولا، وبين أنهم قبل الرسول كانوا قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والـذم وهي سبب للعذاب، لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة) [28] .

والإنسان مسئول عن السبب في جهله، فإن كان الجهل من كسبه وسعيه وإعراضه وكبره فهو محاسب على كل معصية وقع فيها بجهله، سواء كانت المخالفة مخالفة عظيمة تؤدي إلى الخلود في النار، أو كانت المخالفة كبيرة تحت مشيئة الجبار، إن شاء غفرها لعبده وإن شـاء عذبه بذنبه، أما إذا انقطعت به الأسباب وانسدت في وجهه الأبواب و لم يتمكن من معرفـة ما نزل به الكتاب بعد الطلب والبحث والسؤال و لم يعص الله ⊗ فيما قال: ﴿ فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلمُونَ ﴾ [النحل:43]، فهو باتفاق معذور بجهله لا يؤاخذ على ذنبه لأن الجهل ليس من كسبه وسعيه، بل هو من تقدير الله وفعله؛ والقصد أنه تعالى لا يعـذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة، وإعراضه عن الهداية إلى الضلالة لئلا يكون له حجة على الله في نفي العدالة، ومعلوم من صحيح السنة أنه لا أحد أحب إليه العذر من الله .

والميثاق وإن كانت الحجة لا تقوم به بمفرده ولكن الله من حكمته أنه يذكر المشركين به يوم القيامة تبكيتا لهم فيذكرونه، فعند البخاري من حديث أنس بن مالكٍ ⓿ أن النَّبِيِّ ﷺ قَال: (يَقُولُ اللهُ تَعَالى لأَهْوَنِ أَهْل النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لوْ أَنَّ لكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلبِ آدَمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلا أَنْ تُشْرِكَ بِي) [29] .

---

[27] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 2/314 .

[28] السابق 2/314 .

[29] البخاري في كتاب الأنبياء 3/1213 (3156) .

- **الإنسان من جنة الابتلاء إلى دار الجزاء .**

بدأت قصة الخليقة بإسكان آدم ❶ وحـــواء في جنـــة الابتلاء تحقيقـــا لمعـــاني الأمانـــة والاستخلاف فشرع الله ⊗ لهما أمرا تكليفيا ابتلائيا واحدا، وهو تحريم الأكل من شـــــجرة محددة دون بقية الأشجار لحكمة يعلمها رب العزة والجلال، فقال تعالى: ❾ وَقُلْنَـــا يَـــا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِـــنَ الظَّالِمِينَ ❼ [البقرة 35]، فهذا أمر تكليفي وحكم تعبدي كسائر أحكام الابتلاء الموجه إلى ذرية آدم وحواء . والزمن الذي بقي فيه آدم ❶ في الجنة لا يقاس بحساباتنا الأرضية، وإنمـــا يقاس على الأحقاب الزمنية أو الأيام الستة التي بنى الله ⊗ فيها الكون، فقد ثبت النص عـــن النبي ﷺ أن آدم دخل الجنة يوم الجمعة، وأخرج منها أيضا في يوم الجمعة ولا يلزم أن يكون الدخول والخروج في يوم واحد، وإنما أيام جمعة متعددة، لما ورد عند النسائي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي هريرة ⓿ أن رسول الله ﷺ قال: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَـــوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّـــاعَةُ مَـــا عَلَـــى الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُصِيخَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّـــاعَةِ إِلاَّ ابْنَ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا مُؤْمِنٌ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَـــاهُ إِيَّـــاهُ)[30] .

وعلى فرض أنه أدخل وأخرج في يوم واحد فقد علمنا أن اللحظات الغيبية ربما تســـاوي حقبا زمنية مرت على الأرض في مجموعتنا الشمسية التي أعدت من أجل الإنسان، ويعلم الله ⊗ ماذا كان حال الأرض ومن عليها من الدواب وقت سكن الأبوين في الجنة، لكن المؤكد عندنا أنها كانت قد سخرت للإنسان بعد قبوله الأمانة، وكانت مدحوة والجبال مثبتة راسية تتحرك عليها الداوب المنقرضة وغير المنقرضة بين الأشجار والأنهار .

---

[30] النسائي في كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة 3/113(1430)، وانظر صحيح الجامع (3334) .

والعلة من وجود آدم ❶ وحواء في الجنة تماثل العلة من وجود الإنسان في الدنيا سـواء بسواء وهي علة الابتلاء، أما الجنة فهي في الآخرة دار نعيم وجزاء، وشـتان بين العلـتين وتحقيق الحكمة في الوضعين، ولا ندري كيف تم وسواس الشيطان للإنسان في جنة الابتلاء، ونحن نؤمن به لورود الخبر، وحكمه في ذلك حكم كيفية الوسواس التي تحدث منه لسـائر البشر، فالإنسان ابتلاه الله ⊗ بالشيطان فوسوس لآدم وزوجته بالعصـيان فـأكلا مـن الشجرة، وانكشفت العورة، وتطلبت الفطرة فرجا ومخرجا، فخرجا من جنـة الابتلاء إلى أرض الابتلاء، وعلمهما الله ⊗ ما يدعوان به من مقتضى الأسماء، فتابا وأنابـا وسـيعودا بالطاعة وأداء الأمانة إلى نعيم الجنة ودار الجزاء، قال تعالى: ❾ فَأَزَلَّهُمَـا الشَّـيْطَانُ عَنْهَـا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❼ [البقرة:36/39] .

- **الابتلاء وتحقيق معاني الحكمة الإلهية .**

وأصل الابتلاء أنه يحقق معاني الحكمة الإلهية ويبين حقيقـة العـدل في اسـتخلاف الله للإنسانية، والابتلاء له في الحقيقة شقان: الأول فعل الله ⊗ بخلقه وقـدره المحتـوم علـى الإنسان، والثاني موقفنا من فعله سواء بالطاعة والإيمان أو الكفر والعصيان، فمـن أجـل الابتلاء أخفى الله موعد الموت والانتقال إلى دار الجزاء، فقال تعالى: ❾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ❼ [طـه:15] .ومن أجل الابتلاء جعل الله سائر الناس متفاوتين في الآجال والملك والمال وسائر الأرزاق والأخلاق؟ ومن أجله حجب عنـا عالم الغيب فلا نرى الله ⊗ ولا نرى ملائكته ولا نرى الجنة أو النار، ولا نسـمع صـراخ المعذبين في القبور، فالإنسان يسمع ويرى ولكن في حدود معينة، فإن تجاوزها أصبح قـوله رجما بالغيب، وقولا على الله بلا علم وقد حرمه الله عز وجل فقال: ❾ وَلا تَقْفُ مَا لَيْـسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ❼ [الإسراء:36] .

وكذلك القول فيما لا نراه من الملائكة والجن أو الجنة والنار؛ فإن الله حجب عنا ذلك تحقيقا لمعنى الابتلاء، فكيف سنكلف بالإيمان بهذه الأشياء ونحن نراها بمداركنا، فلا معنى عند ذلك لوجود الرسل والشرائع، ولا معنى أن يكون المؤمنون بالغيب هم المفلحون، ومن ثم فإن الابتلاء يفسر لنا قصور أجهزة المكلفين، وتمام الحكمة في خلق المستخلفين؛ فالإنسان وإن كان مخلوقا عارفا مدركا إلا أن مدركاتِه قاصرةُ على العالم المحسوس فقط، فليس من المعقول أن يكون على الأرض ابتلاء والإنسان المبتلى يمكن أن يرى النار وعذابها أو يسمع شهيقها وزفيرها، فإن هذا يناقض الحكمة والكمال، وليس ذلك وصف رب العزة والجلال .

ومن ثم فإن الله ⊗ حجب الذرية تحت غطاء كوني شامل يحجب عالم الشهادة عن عالم الغيب، ويمنع عن الإنسانية معرفةَ الأمور الغيبية التي تقع على الأرض كصراخ المعذبين في قبورهم وكرؤية الملائكة المدبرين لأمورهم، وكرؤية الجن الملتفين من حولهم، أو الشياطين المتهيئين لإضلالهم؛ لأنهم لو رأوا ذلك بأعينهم لذهبت العلة في امتحانهم وضاع معنى استئمانهم واستخلافهم، ولن يكون هناك فضل لاجتهادهم أو المسارعة إلى الإيمان بربهم إذ الكل في كشف الغطاء والحجاب سواء، ولذلك فإن هذا الغطاء يرفع عن الإنسان بمجرد الانتهاء من فترة الابتلاء، قال تعالى عن الكافر إذا حان اللقاء: ❾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ❼ [ق:22] .

انتهت دورة منة القدير

في توحيد الربوبية والإيمان بالقضاء والقدر والحكمة والتدبير

ولله الحمد والمنة